



الصِّدِّيقُ يُزْهَرُ

أَخْلَاقِيَّاتُ الْحَيَاةِ الْمَسِيحِيَّةِ

سْتِيْفَن د. وَيِسْت

دَانِيِيل م. چِينِيَاك

بُوب بِنِيْرُو، الْمُحَرَّرُ الْعَام

الصديق يُزهر

أخلاقيات الحياة المسيحية

إشادة بكتاب (الصديق يُزهر: أخلاقيات الحياة المسيحية)

«كُتِبَ ستيف ويست Steve West ودانييل جينياك Danielle Gignac تمهيداً منطقيًا وكتابياً وسهلاً للفهم عن الأخلاقيات المسيحية. وقد يكون هذا التمهيد مفيداً في جميع أنحاء العالم، فهو يتناول الأسس الكتابية واللاهوتية خلال سبعة فصول، ويُسلط الضوء على معظم القضايا التي يُمكن أن ترغَب في استكشافها عزيزي القارئ، مثل: الإجهاض، الحروب، المثلية الجنسية، العصيان المدني، القتل الرحيم، عقوبة الإعدام، وحماية البيئة. . وقضايا أخرى تمت مناقشتها حيث اقتضى الأمر».

بول إي إنجل Paul E. Engle، الولايات المتحدة الأمريكية، أستاذ مساعد ومؤلف كتاب (استكشاف العبادة من الجبال السبعة: اللبحة في حضرة الله).
(Exploring Worship from Seven Mountains: Delighting in God's Presence)

«يقدّم ستيف ويست ودانييل جينياك مساعدة للقراء ليفكروا في تعقيدات القضايا الأخلاقية المعاصرة بشكل عميق، وذلك عن طريق الإشارة بوضوح إلى الرؤية الكونية الكتابية؛ فهما يُعلّماننا الأنخراط في التفكير بعمق في هذه القضايا الهامة. لأنه يجب أن نثبت عيوننا على الله مصدر الحقيقة والسلطة، في الوقت الذي تبرز فيه غالبية الثقافات الأخرى وجهات نظر وقيماً مختلفة. هذا الكتاب الذي بين يديك عزيزي القارئ سيكون بمثابة مرجع لا يُقدّر بثمن للكنيسة العالمية؛ إنه يُوجّه أنظارنا إلى الشخصية الثابتة لإلهنا الأبدي».

تيم بيفيس Tim Beavis، نائب الرئيس للخدمات الدولية، كاري الدولية للتدريب
الرعوي الدولي، الولايات المتحدة الأمريكية

«قال أحدُهم ذات مرّة: إنّ الكتاب المقدّس سطحيّ بما فيه الكفاية، حتى إنّهُ من الصّعب أن يغرقَ فيه طفلٌ، غير أنّهُ عميقٌ أيضاً بما يكفي ليسبحَ فيه فيل! لا يُعدُّ (الصديق يُزهر) كتاباً مقدّساً، إلاّ أنّه مفعمٌ بكلمة الله ومتأصلٌ فيها. هو كتابٌ تعليمي لا غنى عنه بالنسبة إليك، سواء كنت تدرس في الصّفّ الأوّل أو الأخير في جامعة الأخلاق المسيحية».

وي إن يي Wei En Yi، راعي كنيسة السلام، سنغافورة

«يُعدُّ كتابُ ستيف ويست ودانييل جينياك من الكتب المسيحية ذات المرجعية الكتابية العميقة، والتطبيق الرعوي العملي الجيد. إنّهُ يحمل بين صفحاته قيمةً كبيرةً للكنيسة الإنجيلية، ويُمكن قراءته بسهولة. لقد استمتعتُ كثيراً بالكتاب، وأعتقد أنّه سيُمدُّ الله وسيكون بركة لكثيرين».

القسّ توماس يو Thomas Yiu، هونج كونج

«يشعرُ الإنسانُ المسيحيُّ في بلد مثل الهند، حيث التعدديةُ الدينيَّةُ الحقيقيَّةُ، بمُعاناةٍ في تمييزِ الأخلاقِ المسيحيَّةِ. ولهذا يتعاملُ كتابُ ستيف ويست ودانييل جينياك مع هذه المُعضلةِ بالتَّحديد، ويساعدُ القارئَ المسيحيَّ على إنهاءِ حالةِ الشكِّ لديه في ماهيةِ الأخلاقِ الصَّحيحةِ. هذا الكتابُ سيساعدُك أيُّها القارئُ بَعيدَ قراءتهِ على ممارسةِ التَّحرُّرِ الحقيقيِّ، بصرفِ النظرِ عن البلدِ أو الثقافةِ التي جنَّتَ منها».

القِسُّ تيموثي بايو Timothy Babu، فيساكايانام، الهند

«تحت ظلالِ الأفكارِ العصريَّةِ الرَّاهنةِ، حيثُ تُطرحُ الكثيرُ من القضاياِ الأخلاقيَّةِ على طاولةِ الدَّوالاتِ، يَظهرُ احتياجٌ كبيرٌ لرؤيةٍ كونيَّةٍ كتابيَّةٍ للتَّعاملِ مع كلِّ قضيةٍ من هذه القضايا. من هنا يُعدُّ كتابُ (الصِّديقُ يُزهرُ: أخلاقيَّاتِ الحياةِ المسيحيَّةِ) مطلباً شديداً اللِّجاجةِ في الزَّمنِ الرَّاهنِ. لأنَّهُ يُقدِّمُ أساساً متيناً وكتابياً للأخلاقِ المسيحيَّةِ، والوسائلِ لكيفيَّةِ تطبيقيها على العديدِ من القضايا الهامةِ التي يواجهُها مسيحيُّ ما بعدِ الحداثةِ. كما يُساهمُ هذا الكتابُ، بالتأكيدِ، في ازدهارِ الأبرارِ الذين يبتغون إرضاءَ الله البَارِّ في وسطِ جيلهم».

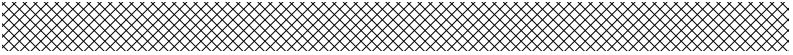
القِسُّ روبين سانشيز Ruben Sanchez، برشلونة، إسبانيا

«الأخلاقُ المسيحيَّةُ ليست مجردَ لعبةٍ فلسفيَّةٍ أعدتَ للعقولِ الأكاديميَّةِ، ولكنَّها تُمثِّلُ إطاراً يُشكِّلُ قراراتنا وخياراتنا اليوميَّةَ حيثُما نحيا على مستوى العالمِ. إنَّ كتابَ ستيف ويست ودانييل جينياك قادرٌ أن يمدِّنا بالأساسِ القويِّ اللازمِ لمساعدتنا على تأسيسِ أخلاقيَّاتنا وبنائها على كلمةِ الله، وإبرازِ الآثارِ الناتجةِ على حياتنا، كما يُشيرُ إلى الفوارقِ الثقافيَّةِ التي قد تتولَّدُ نتيجةً لذلك. ويساعدنا عملياً على الانتقالِ من الأفكارِ المُعقَّدةِ إلى مواقفٍ حياتيَّةٍ واقعيَّةٍ مُعاشة؛ ممَّا يجعلنا نحيا إيماننا في المساحةِ الثقافيَّةِ الخاصَّةِ بنا. بعدِ قراءةِ كتابِ ستيف السَّابقِ، وسماعي له وهو يتحدَّثُ في كولومبيا، يأتي هذا الكتابُ ليذكِّرني مرَّةً أُخرى بمسؤوليَّتي في التَّفكيرِ الدَّقيقِ بالقضايا العسيرةِ، والانتقالِ من تناولها نظرياً إلى تطبيقيها عملياً في كفيَّةِ عيشي العمليِّ لإيماني».

بيث أفاندور Beth Afandor، مدير أكاديمية الكامينو، بوغوتا، كولومبيا

الصديق يزهر

أخلاقيات الحياة المسيحية



ستيفن د. ويست

دانييل م. جينياك

بوب بنيرو، المحرر العام

CAREY
PRINTING PRESS

CAREY

PRINTING PRESS

نشرت بواسطة

دار نشر كاري

Carey International University of Theology Inc.,

The Villages, Florida, USA

www.careyuniversity.org

نبذة عن خدمة كاري للطباعة والنشر

كاري للطباعة والنشر هي الذراع الخاصة بالمطبوعات في مؤسسة كاري للخدمات الكرازية، وهي مؤسسة مسيحية عالمية توفر التدريب اللاهوتي للقادة الروحيين من أجل تشكيل الكنيسة والتأثير على العالم.

المحرر العام: بوب بنيرو

الطبعة الأولى ٢٠١٩

© ٢٠١٩ ستيفن د. ويست ودانييل م. جينياك. جميع حقوق الطبع محفوظة، فيجب عدم نسخ هذا الكتاب كلياً أو جزئياً دون الحصول على إذن خطي من الناشر.

تصميم الغلاف: دانييل م. جينياك

تصميم الكتاب: جانييس فان ايك

مصدر الصور: Shutterstock، مواقع عامة ومحفوظات شخصية.

الإقتباسات الكتابية: ما لم يُذكر خلاف ذلك، كل الإقتباسات الكتابية مأخوذة من الكتاب المقدس

New International Version,® NIV® Copyright © 1973, 1978, 1984, 2011

by Biblica, Inc.® مستخدمة بواجب إذن. كل الحقوق محفوظة في جميع أنحاء العالم.

(النسخة الورقية) ISBN 978-0-9876841-4-1

المحتويات



ix	مقدمة بقلم بوب بنيرو
xiii	تمهيد
١	القسم الأول: أسس الأخلاقيات
٣	١ . اللاهوت المسيحي وطبيعة الأخلاق
٢٩	٢ . الأخلاق والرؤية الكونية
٥٩	٣ . الفضيلة والأخلاق
٨٥	القسم الثاني: القضايا الأخلاقية
٨٧	٤ . أخلاقيات الأسرة
١١٥	٥ . الأخلاقيات الجنسية
١٤٥	٦ . الإجهاض
١٧١	٧ . إنهاء الحياة
١٩٧	٨ . الأخلاقيات في المجتمع
٢٣٣	٩ . الأخلاقيات البيئية
٢٦٧	١٠ . أخلاقيات القادة في الكنيسة

المُقدِّمة

إِسْتَقَلَّ آدَمُ ذَاتِيًّا عَنِ اللَّهِ فِي اللَّحْظَةِ عَيْنِهَا الَّتِي فِيهَا عَصَاهُ، وَرَفَضَ وَصَايَاهُ الْمَقْدَّسَةَ الْمُسْتَقِيمَةَ دَاخِلَ جَنَّةِ عَدْنِ! وَمِنْذُ ذَلِكَ الْحِينِ صَارَ لِآدَمَ وَنَسْلِهِ نَامُوسِهِمُ الْخَاصَّ، وَعَمِلَ الْجَمِيعُ مِنْ حِينِهَا مَا تَشْتَهِي النَّفْسُ «كُلُّ وَاحِدٍ عَمِلَ مَا حَسَنَ فِي عَيْنَيْهِ» (قُضَاة ٢١: ٢٥). وَعَوَضًا مِنْ اتِّبَاعِهِمْ لَوْصَايَا اللَّهِ الْأَخْلَاقِيَّةِ وَالْخُضُوعِ لَهَا، اسْتَمَرَّوْا فِي الْخُضُوعِ لِنَامُوسِهِمُ الْخَاصِّ بِهَمَّةٍ وَنَشَاطٍ مِنْ أَجْلِ الدَّفَاعِ وَالْحَافِظَةِ عَلَى الْإِسْتِقْلَالِيَّةِ الذَّاتِيَّةِ. (رُومِيَّة ١: ١٨).

وَنَتِيجَةً لِذَلِكَ، أَصْبَحَتِ الْأَخْلَاقِيَّاتُ الَّتِي تَتَمَحَوَّرُ حَوْلَ الْإِنْسَانِ عَلَى مَرُّ الْعَصُورِ هِيَ الْمَعْيَارَ الْعَالَمِيَّ، وَصَارَ الْإِنْسَانُ إِلِهَا لِنَفْسِهِ شَاغِلًا مُنْصَبَ الْقَاضِي؛ لِيُقَرَّرَ بِذَاتِهِ وَلِذَاتِهِ مَا هُوَ صَوَابٌ وَمَا هُوَ خَطَأٌ، مَا هُوَ مَقْبُولٌ وَمَا هُوَ غَيْرُ مَقْبُولٍ، مَا هُوَ عَادِلٌ وَمَا هُوَ غَيْرُ عَادِلٍ. وَلِأَنَّ الْأَخْلَاقِيَّاتِ الْمَتَمَحَوِّرَةَ حَوْلَ الْإِنْسَانِ تَتَغَيَّرُ مِنْ بِلَدٍ لِآخَرَ، وَمِنْ مَكَانٍ لِآخَرَ، لَمْ يَعْذُ هُنَاكَ غَيْرُ الْقَلِيلِ مِنَ الْحَقَائِقِ الْمُطْلَقَةِ، بِسَبَبِ تَمَسُّكِ الْإِنْسَانِ بِسُلْطَنَةِ الذَّاتِيَّةِ الْفَاسِدَةِ. وَعَلَيْهِ، أَصْبَحَ النِّظَامُ الْأَخْلَاقِيُّ بِوَجْهِ عَامٍّ أُسِيرَ أَرْمَةٌ.

يَنْتَقِلُ الْإِنْجِيلُ فِي الْمَقَابِلِ مِنَ الْأَخْلَاقِيَّاتِ الَّتِي تَدُورُ حَوْلَ الْإِنْسَانِ إِلَى تِلْكَ الَّتِي تَدُورُ حَوْلَ اللَّهِ، وَالَّتِي تَعَكْسُ جَمَالَهُ وَقِدَاسَتَهُ وَبِرَّهُ، وَتَرْفُضُ السُّلْطَةَ الْذَاتِيَّةَ الْفَاسِدَةَ، لِأَجْلِ الْوَصُولِ إِلَى الْفَرَحِ الْمُنْبَثِقِ مِنْ قِدَاسَةِ اللَّهِ وَوَصَايَاهِ الْمُسْتَقِيمَةِ. فِي الْحَقِيقَةِ يُشِيرُ وَيَسْتِ وَجِنِيَاكِ إِلَى أَنَّ الْغَرَضَ هُوَ إِعْطَاءُ الْمَجْدِ وَالْإِكْرَامِ لِلَّهِ الْمَثَلُثِ الْأَقَانِيمِ، لِيَكُونَ هُوَ وَحْدَهُ فِي قَطْبِ الدَّائِرَةِ.

خُلِقْنَا لِنَعِيشَ حَيَاةً مُسْتَقِيمَةً أَخْلَاقِيًّا لِلَّهِ الْآبِ مِنْ خِلَالِ يَسُوعِ الْمَسِيحِ وَبِوَاسِطَةِ الرُّوحِ الْقُدُّوسِ، لِذَا يَنْبَغِي أَنْ كُلَّ مَا نَقُومُ بِهِ يُمَجِّدُ اللَّهَ، وَيُعَدُّ الْخُضُوعَ لِمَقَابِسِ اللَّهِ الْأَدْبِيَّةِ بِفَرَحٍ وَالتَّزَامِ جُزْءاً مِنْ هَذَا التَّمْجِيدِ. فَخُنِ خُلِقْنَا لِنَعَكْسِ شَخْصِيَّةَ اللَّهِ الْأَدْبِيَّةِ.

قَدَّمَ الْمَوْلُفَانِ وَيَسْتِ وَجِنِيَاكِ تَقْدِيمًا مُلَائِمًا يُظْهِرُ وَجُودَ اسْتِمْرَارِيَّةِ أَخْلَاقِيَّةِ بَيْنِ الْعَهْدَيْنِ الْقَدِيمِ وَالْجَدِيدِ:

مِنَ الْمُؤَكَّدِ أَنَّهُ لَمْ تَكُنِ الْوَصَايَا الْعِشْرَ هِيَ كُلُّ وَصَايَا اللَّهِ، لَكِنَّمَا تَمَثَّلُ جَوْهَرَهَا، لِأَنَّهَا تُقَدِّمُ بِإِجَازٍ شَدِيدٍ الْكَيْفِيَّةَ الَّتِي تَمَكَّنُنَا مِنْ أَنْ نَحِبَّ اللَّهَ وَالْقَرِيبَ. وَبِالنَّاتِلِ، يَوْجِدُ اسْتِمْرَارِيَّةً بَيْنَ أَخْلَاقِيَّاتِ الْعَهْدِ الْقَدِيمِ وَالْعَهْدِ الْجَدِيدِ. وَمِنَ الْخَطَأِ الْإِعْتِقَادِ بِأَنَّ أَخْلَاقِيَّاتِ الْعَهْدِ الْقَدِيمِ تَقُومُ عَلَى النَّقِيدِ بِحَرْفِيَّةِ الشَّرِيعَةِ، فِي حِينِ أَنَّ أَخْلَاقِيَّاتِ الْعَهْدِ الْجَدِيدِ تَقُومُ عَلَى الْمَحَبَّةِ، فَشَرِيعَةُ اللَّهِ دَائِمًا مَبْنِيَّةٌ عَلَى الْمَحَبَّةِ.

كَوْنِي مُسَافِرًا تَوَاقُفًا لِلسَّفَرِ، تُوَاجِهُنِي كَثِيرًا قِضَايَا أَخْلَاقِيَّةٍ مُخْتَلِفَةٍ مِنَ الْقَادَةِ الرُّوحِيَّيْنِ فِي جَمِيعِ أَنْحَاءِ الْعَالَمِ، وَوَجَدْتُ أَنَّهُ كَثِيرًا مَا يَنْهَالُ عَلَيَّ قَادَةُ الْيَوْمِ بِهَذِهِ الْمُعْضَلَاتِ، وَالسَّبَبُ إِفْتِقَادُهُمْ لِلْإِرْشَادَاتِ التَّوْجِيهِيَّةِ الْمُنظَّمَةِ الْقَادِرَةِ عَلَى حُلِّ هَذِهِ الْمُعْضَلَاتِ بِحَسَبِ الْمَنْظُورِ الْكِتَابِيِّ. لِذَا نَاشَدْتُ الدَّكْتُورَ سْتِيفِ وَيَسْتِ أَنْ يَضَعَ كِتَابًا عَنِ الْأَخْلَاقِيَّاتِ يَكُونُ مَحُورُهُ اللَّهُ، لِأَنَّ الدَّكْتُورَ وَيَسْتِ مِنْ بَصِيرَةٍ رُوحِيَّةٍ وَقَلْبٍ رَعُويٍّ يَجْعَلُنِي مَلَائِمًا بِصُورَةٍ فَرِيدَةٍ لِتَأْلِيفِ هَذَا الْكِتَابِ.

وعليه، إشتراك ستيف ودانييل في تأليف هذا الكتاب لمساعدة المؤمنين على اجتياز التحديات الأخلاقية المُعقَّدة، والانتقال إلى رؤيةٍ كونيَّةٍ تُمجِّدُ الله ويكون هو محورَها، بدلاً من تلك التي تدور حول الإنسان.

حرص المؤلفان على التأصل في كلمة الله أثناء معالجتهم القضايا الأكثر إلحاحاً في القرن الحادي والعشرين، مثل: كسر وحدّة العائلة، الجنس المثليّ، الإجهاض، القتل الرَّحيم، الحروب، العصيان المدنيّ، عقوبة الإعدام، حماية البيئة وانقسام قادة الكنيسة.

وعندي ملءُ الثقة أنكم ستتمتعون بالبصيرة العميقة الواردة في هذا الكتاب، والتي سوف تحثنا جميعاً لنعيش حياة مُقدَّسة ومستقيمة أمام الله الثالث المجيد الجميل.

د. بوب بينيرو،

دكتوراه في الخدمة

محرر عام ورئيس

خدمة كاري للكراسة

تمهيد

الصَّدِيقُ كَالنَّخْلَةِ يَزْهُو، كَالأَرزِ فِي لُبْنَانَ يَنْمُو .
مَعْرُوسِينَ فِي بَيْتِ الرَّبِّ، فِي دِيَارِ إلهِنَا يَزْهُرُونَ .
يَضًا يَنْمُرُونَ فِي الشَّيْبَةِ .
يَكُونُونَ دَسَامًا وَخُضْرًا،
لِيُخْبِرُوا بِأَنَّ الرَّبَّ مُسْتَقِيمٌ .
صَخْرَتِي هُوَ وَلَا ظَلَمَ فِيهِ .
(مزمور ٩٢: ١٢-١٥).

يَزْهُو الصَّدِيقُ كَالنَّخْلَةِ . يزدهر شعبُ الله ويُثمر حينما يفعل ما هو صواب في عيني الله ويكرمه . وهذا الازدهار لا يعني ثراءً مادياً بالضرورة ، إذ يؤكد الواقع أنَّ الكثير من رجال الله الأبرار كانوا فقراء ، ضُعفاء ومُضطهدين ، وقد أُعدمَ أناسٌ كثيرون كانوا الأكثر صلاحاً على الأرض ، لأنَّهم استمروا في عمل ما هو صائب في عيني الله . وكذلك أيضاً ، اختبَرَ أتباعُ المسيح في العهد الجديد الاضطهاد ، الضرب ، السَّجن ، الفقرَ والاستشهاد ، لكنَّ الصَّدِيقَ يَزْهُو . خلقنا

الله كي نحيا وفقاً للتصميم الذي أعدّه، ولا يمكن أن نُزهر ونثمر من دون السير وفقاً لهذا التصميم. كي نثمر، علينا أن نُغرس في أرض الرب، ونأصل فيه لأنه مُعطي الحياة. وأخيراً، يمكننا أن نكون أبراراً بسبب شخصه وقوته. الله بارٌّ وليس فيه شرُّ البتة. يُنبئ الله في حياة الأشخاص الأبرار ثماراً روحيةً وأخلاقيةً ويُصيرنا تلك الصورة التي ينبغي أن نكونها، ويصنع في داخلنا ما ينبغي أن يُصنع فينا، ولا يمكننا أن نُزهر إلا في طريقه.

خُلقنا كي نحيا حياةً مستقيمةً أخلاقياً لأجل الله الأب من خلال يسوع المسيح وبواسطة الروح القدس. لذا ينبغي أن يجلب كلُّ ما نقوم به المجد لله، وجزءٌ من تمجيد الله يتضمّن تعلم الخضوع لمقاييسه الأدبية بكلِّ جدية وفرح. لقد خُلقنا لنعكس شخصيّة الله الأدبية. وبوصفنا خطأً ساقطين نحن بحاجة إلى تعلم كيفية العيش بالطريقة التي تُسرُّ الله وتُكرمه، لأنَّ الخطيئة أفسدت طبيعتنا وجعلتنا نرغب في السير في طرقنا الخاصة بدلاً من طرق الله. يُرشد الروح القدس أولاد الله من خلال الوحي الذي أعلنه لنا، وبذلك يمكننا الاقتداء بالمسيح. حيث يتلخّص كلُّ معنى الإزدهار الروحي في أن نصير مشابهيين لصورة المسيح. ولأنَّ المسيح دائماً ما يقوم بكلِّ ما هو صواب، فإذا سِرنا في إثر خطواته فلا بد لنا أيضاً أن نعمل كلِّ ما هو صواب. تُعدُّ معرفة الفرق بين الصواب والخطأ وبين الخير والشرِّ أمراً ضرورياً للأخلاق، لكنَّ الأمر يتعدى ذلك، حيث يجب علينا ألا نعرف ما هو صواب وكفى، بل علينا القيام به، لأنَّ الأخلاق توجب معرفة دقيقة ودوافع نقيّة تُترجم في أفعال سليمة. ودائماً ما يوجد بركات روحية وأبدية حين نقوم بما هو صائب في نظر الله، حتى ولو كانت نتيجة ذلك، في هذا العالم، إلا ما جسديّة أو فقدان حياتنا، فالصديق يزهر.

يُعدُّ هذا الكتاب مُقدّمةً لموضوع الأخلاق المسيحية، ونُشر بواسطة هيئة كاري للخدمات الكرازية، التي تُدرّب الرعاة وقادة الكنيسة في جميع أنحاء العالم. وعليه، فقد وضعنا في اعتبارنا أن قراء هذا الكتاب جمهورٌ متنوعٌ من ثقافات شتى.. بلدان خلفيات ولغات. لذلك حاولنا ألا نركّز على القضايا الغربية وحسب، لكننا لا نستطيع تجاهل وجهة نظرنا بصفتنا كدنيين إنجيليين. إن هدفنا هو الكتابة بشأن القضايا الأخلاقية الأساسية التي تؤثر على الناس في جميع

أنحاء العالم. كما حاولنا أن نكون حسّاسين إلى حقيقة وجود عوامل تكنولوجية وإجتماعية وسياسية وإقتصادية تختلف من دولة إلى دولة ومن ثقافة إلى أخرى. ندرك كذلك أنه ليس جميع الثقافات والمجتمعات حول العالم تُناقش القضايا الأخلاقية عينها. على سبيل المثال، يُعتبر الإجهاض أمراً غير قانوني في بعض البلدان، في حين أنه يُصبح حقاً أساسياً للفرد في بلدان أخرى. وكذلك أيضاً يُمكن سجن أو إعدام الأشخاص المثليين في بعض البلدان، في حين أن الحكومة الكندية تعترف بزواج المثليين وتسمح لهم بتبني الأولاد. يبدو أن المناقشات العامة بشأن الجنسية المثلية والقضايا الأخلاقية الأخرى مختلفة للغاية وتُحدّد وفقاً للدولة التي نعيش فيها. ولأن كل دولة تعمل وفقاً لمجموعة من القوانين الأخلاقية، فقد انتفى أي اتفاق عالمي حول معظم القضايا الأخلاقية. لذا، فإنّ واحداً من أهدافنا هو تجنب التركيز على ثقافة بعينها، رغم أننا لا نستطيع القيام بذلك بشكل كامل.

ينقسم هذا الكتاب إلى قسمين. يضع القسم الأول الأسس الكتابية، اللاهوتية والفلسفية للأخلاق المسيحية. بينما يُقدّم ويناقش القسم الثاني قضايا أخلاقية محدّدة. فإذا قرأ ما في بعض الأجزاء في القسم الأول صعوبة أو تنظيراً أكثر من اللزوم، يُمكنه ببساطة الانتقال إلى الفصول التي تناقش القضايا المحدّدة. إلا أن قراءة القسم الأول تُعدّ ضرورية لفهم المنظور المسيحي للأخلاق. يمكن أن يكون مفيداً للبعض قراءة الفصول من ٤-١٠ حتى إن لم يتمكنوا من الإلمام بما في الفصول من ١-٣، وربما يلجأ آخرون إلى قراءة قضية معيّنة، ومن ثمّ العودة إلى رؤية الأسس الأوسع التي بُني عليها فهمهم للقضية، كحلّ بديل.

هناك طُرُق عديدة لترتيب المادة الواردة في هذا الكتاب، على سبيل المثال، يمكن مناقشة قضية الإجهاض ضمن الأخلاق الجنسية، كما يُمكن مناقشتها أيضاً ضمن الأخلاقيات الطبية. في معظم الأحيان ستردّ القضية الأخلاقية في العديد من المجالات، ونحن بحاجة إلى التفكير فيها من المنظور الاجتماعي والإقتصادي والتكنولوجي والبيئي والقانوني (على سبيل المثال لا الحصر). وُضعت كتب كاملة بشأن كل موضوع سنناقشه، ونحن ندرك جيداً مدى قصر مُناقشتنا، خصوصاً بالنظر إلى الأهمية الكبيرة للموضوعات التي نتناولها. وعلى الرغم من أننا سندافع عن استنتاجاتنا مطوّلاً، فإننا حاولنا التركيز والإيجاز والوضوح. نحن

لا نُقدِّمُ هذا العملَ بصفته كلمةً نهائيةً في أيِّ قضيةٍ مطروحةٍ، ولكنَّه مدخلٌ إلى ميدانِ الأخلاقِ المسيحيةِ لا أكثرَ.

بالنسبةِ إلينا، يُعدُّ تقديمُ هذا الكتابِ بمثابة عملٍ نابعٍ من محبَّتنا، ويستحقُّ أن نقومَ به. ونأملُ بصدقٍ أن يكونَ عملنا بنعمةِ الله ذا تأثيرٍ حقيقيٍّ يُمجِّدُ الله. كما نتمنَّى أيضاً أن يُشجِّعَ أناساً كثيرينَ على الحياةِ بطريقةٍ تُسرُّ اللهَ وتُكرمه. وليُعطينا اللهَ نعمةً أن نعرفَ ونحبَّ ونحيا ما نُعلِّمُ به.

ستيفن د. ويست

دانيال م. چينياك



القِسْمُ الأوَّلُ
أَسْئَلَةُ الأَخْلَاقِيَّاتِ





اللاهوت المسيحي وطبيعة الأخلاق

الأخلاق واللاهوت

بوصفنا مؤمنين بالمسيح، فنحن نؤمن بأن الأخلاق والآداب مُتجذران في الله. وتعدُّ الأخلاق ببساطة قراراً صائباً أدبياً ومعرفةً لكيفية العيش بطريقة تتسم بالتميز الأدبي. تنطوي الأخلاق على استخدام المبادئ الأدبية والمنطق لتحديد ما يجب أن يُعمل وما يجب ألا يُعمل. وبما أن الصّلاح والجمال الأدبي متأصلان وينبعان من طبيعة الله وشخصيته، فإذا أردنا التبحُّر في الأخلاق، فنحن بحاجة إلى فهم بعض الأسس اللاهوتية. يُشار إلى الأخلاق أحياناً، من المنظور المسيحي، بـ(اللاهوت الأخلاقي). هذا هو المصطلح الدقيق، لأنَّ المؤمنين لا يتناولون موضوع الأخلاق باعتباره موضوعاً فلسفياً مُجرداً، ولكن باعتباره موضوعاً لاهوتياً لا يمكن فصله عن وجود الله وشخصيته، خصوصاً أنَّ شخصيّة الله تظهرُ تماماً في المسيح بقوة الروح القدس.

إنَّ وجود قاعدة لاهوتية سليمة لأخلاقنا يبني لنا أساساً لقيام حياة متوافقة أخلاقياً. ومن ثمَّ، ستصبح أخلاقنا المسيحية لاهوتاً ينشئ سلوكيات غير مخجلة. فلا يمكن الفصل بين الإعداد لنظام لاهوتي نظري وتبني قرار أخلاقي عملي من

جهة وشخصية الله وإعلاناته من جهة أخرى . على الرغم من وجوب استخدام المنطق والتفكير العقلاني والتحليل الفلسفي في تفكيرنا الأخلاقي، يجب ألا نحاول ذلك بطريقة مستقلة. فنحن بحاجة إلى الربط الواعي بين ما نعتقد أنه صواب أو خطأ وبين طبيعة الله، الذي هو معيارنا. وهنا يأتي السؤال الضروري بشأن الأخلاق وهو: كيف يمكننا أن نعرف الله؟ وكيف يمكننا أن نعرف ما يريد الله أن نكون عليه وما ينبغي أن نفعله؟

الأخلاق

هي دراسة

اتخاذ القرارات

الصائبة أدبياً

والعيش بطريقة

تتسم بالتميز

الأدبي .

تنشأ الالتزامات الأخلاقية بوجود العنصر البشري، لأنه ليس لدى الكرسي التزام أخلاقي تجاه الطاولة، ولكن الأشخاص هم الذين لديهم التزامات أخلاقية تجاه بعضهم البعض. إذا امتلك الكرسي فرداً ما، سيكون علينا مسؤولية أخلاقية ألا نسرقه أو نكسره عمداً. وعندئذ، يكون الالتزام الأخلاقي تجاه مالك الكرسي وليس تجاه الكرسي. وهذا يعني أنه من أجل الوفاء بالالتزامات الأخلاقية الموجبة لا بد أن يكون للأفراد علاقات متفاعلة مع الآخرين. ولكي يكون لنا التزامات أخلاقية غير نسبية، واجب علينا إيجادها في إطار يرتبط بشخص كامل ومطلق، وهذا هو الإطار الوحيد الذي تظهر فيه المسؤولية الأخلاقية الملزمة المطلقة. يوضح جون فريم هذا الرأي بطريقة مدهشة حين يكتب:

«يجب أن يكون المعيار الأخلاقي غير النسبي شخصاً مطلقاً. يعد الكتاب المقدس فريداً في تعليمه عن السلطة الأخلاقية العليا كونها شخصاً مطلقاً. تنادي الأديان والفلسفات الأخرى بالمطلقات، ولكن هذه المطلقات يجب ألا تتوفر في شخص. ما تزال وجهات النظر العالمية الأخرى، مثل الديانات التي تنادي بتعدد الآلهة، تعلم عن وجود أشخاص خارقين للطبيعة، ولكنهم ليسوا أناساً مطلقين. لكن إذا وُجِبَ على الأخلاق أن تؤسس على شخص لديه الطبيعة البشرية ومطلق على حد سواء، فعندئذ يكون إله الكتاب المقدس هو المرشح الوحيد الصالح لهذه المهمة.»¹

1 John Frame, the doctrine of the Christian life, a theology of lordship (phillipsburg: p & r publishing, 2008) 63.

يرتبط كل ما نفعله وما نكون عليه بالله؛ لذلك يصبح ارتباط الأخلاق بالله أمراً حتمياً. نحن دائماً ما نكون مُلزَمين بالالتزام الأخلاقي المُطلق لأننا نعيش في العالم الذي خلقه وثبته الكائن الأخلاقي المُطلق والكامل.

ولأنَّ الله قُدوس وبارّ، يبقى هو معيار جميع الفضائل الأخلاقيّة، حيث تنبثق الفضائل من شخصه وكيونته (خروج ٣٤: ٦-٧). فهو طاهرٌ وعادل وحسن ومتوافق أخلاقياً. ليس فيه إثْمٌ ولا يرتكب أيّ خطأ أدبيّ. لا يمكن أن يكون شريراً. ولأنه كُليّ العلم، لا يمكن أن يُخطئ في فهم أمرٍ ما. كما لا يمكن أبداً أن يعتقد بأنّ شيئاً ما صحيحٌ وهو في حقيقته خطأ مُؤكّد.

نحن نعيش
في العالم
الذي خلقه
وثبته الكائن
الأخلاقي
المُطلق
والكامل.

وبالتالي، لا يمكن أبداً أن يختلط الأمرُ عليه بشأن أيّ قضية أخلاقيّة، أو أن يعتريه الشكُّ فيما ينبغي فعله بخصوص أي موقف. لا يصحُّ لنا أن نتخيّل ببساطة مثل هذا الوضع! أن تكون كامل الصّلاح ولديك كامل الفهم والحكمة التي لا حدود لها، هذه حالة من الوجود والكيونة تتجاوز قدرتنا على الفهم. لأننا ببساطة مختلفون بالكامل عن طبيعة الله من حيث الصّلاح والمعرفة والحكمة الأخلاقيّة، ونحن لا نقدر أن نتخيّل كم هو أمرٌ مُبارك أن يكون الله هكذا. وعليه، فما نعرفه عن الله يجب أن يملأنا بالرّهبة وأن يدفعنا للتوافق قدر

الإمكان مع طبيعته الأخلاقيّة وللشوق إلى التشبّه به أكثر فأكثر، وللجتهاد في حفظ قلوبنا وحياتنا من كل شيء يتنافى مع طبيعته. هذا يعني أنه يلزمنا أن نقاوم الخطيئة وأن نسعى نحو القداسة، وهذا السعي يتضمّن أن نتعلّم العيش بالطريقة التي يريدنا الله أن نحيا بها. كما يلزم أن نتعلّم القيام بالأشياء المتوافقة مع طرق الله، وأن نسلك بما يتوافق مع إرادته الأخلاقيّة.

ننخذ كل يوم من أيّام حياتنا قرارات لا حصر لها، ومن خلالها نطيع الله أو لا نطيعه. وغالباً، ما ننخذ هذه القرارات باختيار واع، فنخضع لله ونطيعه أو نعصاه ونرتكب الخطيئة. على سبيل المثال، نحن نعرف أنّ النّميمة أمرٌ خاطئ، وحين نواجه فرصة للاشتراك فيها نختار إما أن نقبل وصيّة الله أو أن نرفضها. في كثير من الأحيان، لا نتخذ قراراتٍ واعية بشأن المسائل الأخلاقيّة، بل نتصرّف

ببساطة وفقاً للشخصية الأخلاقية التي تشكلت في داخلنا مع مرور الزمن. في كل مرة نتحدث فيها إلى إنسان ما، لدينا الفرصة لنقول الحقيقة أو الكذب. كثيرون لا يفكرون في الخيارين اللذين أمامنا حينما نتحدث إلى الآخرين (نأمل أن نعتاد كثيراً على قول الحقيقة وأن يصير ذلك هو ما نفعله ببساطة) وبالمثل، لدينا الفرصة في تعاملاتنا اليومية إما أن نكون لطفاءً أو قاسين، محبين أو حقودين، مشجعين أو محبطين وما إلى ذلك. نادراً ما نفكر، هل كان ينبغي إهانة هذا الشخص؟ حين نكون غير لطفاء مع الآخرين يكون هذا بسبب تصرفنا وفقاً للشخصية التي ننمينا في داخلنا.

في أوقات أخرى، نجد أنفسنا حائرين حقاً بشأن صوابية القرار في اتخاذ موقف معين. وربما نفكر تفكيراً واعياً ونتأمل ونناقش الأمر مع أنفسنا، ونبحث في الخيارات المتاحة، ونضع العوامل المختلفة في اعتباراتنا، وأيضاً نطلب مشورة الآخرين. لكن أحياناً ما تكون المواقف والأمور معقدة تعقيداً كبيراً، وتبدو كأن بها منافسة بين السلبيات والإيجابيات من جميع الجوانب. لربما يبحث الأشخاص الذين نُقدِّر رأيهم في القضية عنها ويتوصلون إلى نتائج مختلفة. لذا نحن بحاجة أن ندرك أن

... أحياناً لا نود التفكير في القضايا الأخلاقية، ربّما لأننا سنضطرّ للاعتراف بحاجتنا إلى صنع بعض التغييرات في طريقة تفكيرنا وسلوكياتنا.

التفكير في القضايا الأخلاقية يمكن أن يكون صعباً ومُحيراً، وفي بعض الأحيان يمكن أن يكون اتخاذ قرار أخلاقيّ واعٍ بمثابة تحدٍّ كبيرٍ أمامنا. نحن بحاجة أيضاً إلى الاعتراف بصدق أننا أحياناً لا نود التفكير في القضايا الأخلاقية، ربّما لأننا سنضطرّ للاعتراف بحاجتنا إلى صنع بعض التغييرات في طريقة تفكيرنا وسلوكياتنا. في الحقيقة، حين يشرع الأشخاص، في كثير من الأحيان، في التفكير بقضية أخلاقية، يبدوون في رؤية المشاكل والتناقضات بين قراراتهم وأنماط حياتهم. على سبيل المثال، إذا فكرَ الناس بشأن كيفية إنفاق أموالهم أو معالجة البيئة أو الاعتناء بأقاربهم، ربّما يجدون أنفسهم فاشلين في العيش وفقاً لمقاييس الله. وبدلاً من ذلك، عليهم الاجتهاد في التغيير والسعي للتمييز

الأخلاقي، ويبدو أنه من الأيسر، بالنسبة إليهم، التخلّي عن هذا المسعى ومحاولة تجاهل هذه القضية بدلاً من التفكير بشأنها. لذلك نجد أن تعديل الأخلاق غير الجيدة وتعديل الوضع الأخلاقي الحالي هو أمر مهمّ بالنسبة إلى الكثيرين.

لقد نسجت الأخلاق في أعماقنا.

سنقدّم في الفصل القادم الخطوط العريضة لأسس وجهات النظر المسيحية، وسنّفكر ملياً في العلاقة بين وجود الله ووجود الأخلاق. ولكن الآن، يكفي القول بأن الله هو خالق الكون وهو الذي نسج الأخلاق في أعماقنا. خلق الله الإنسان على صورته (تكوين ١: ٢٦)، وهذا يشتمل على وحي فطريّ داخل الإنسان بإرادة الله وشريعته الأخلاقية الأساسية. وقد أثبتت الدراسات المتعلقة بالشعوب والثقافات في جميع أرجاء العالم وعبر التاريخ، حقيقة وجود حسّ أخلاقيّ متأصلّ في داخلنا. صحيح أن بعض الثقافات تبنت وجهات نظر مختلفة بشأن قضايا محدّدة (مثل: الرقّ، الحروب، تعدّد الزوجات وما إلى ذلك)، لكن لا يوجد البتة أيّ ثقافة عبر التاريخ البشريّ لديها فوضى أخلاقية تامّة (أي من دون شرائع وقوانين أخلاقية على الإطلاق)، لأنّ مثل هذا المجتمع سيتلاشى من تلقاء نفسه.

كما يجدر بنا أيضاً ذكر حقيقة أنّ هناك الكثير من الأخلاقيات المشتركة بين الثقافات المختلفة، حيث تُعدّ نقاط الاختلاف بينها صغيرة نسبياً مقارنةً بنقاط التشابه. كما تؤمن جميع ثقافات العالم عبر التاريخ وإلى اليوم بوجود اختلاف كبير بين الصواب والخطأ في النطاق الأخلاقيّ، خصوصاً حينما يظنون أنّه تمّ الاعتداء عليهم، كما يمكن للناس أحياناً أن يختلفوا بشدّة بشأن ما هو صواب في هذه الأخلاقيات، ولهذا ما زلنا نناقشها، ولكنهم ملتزمون بالمبدأ القائل بوجود فرق حقيقيّ بين الصواب والخطأ. لا يوجد البتة أيّ ثقافة أو مجتمع ليس لديه قيم أخلاقية وقائمة من المحرّمات. وعليه، فإنّ أفضل تفسير لهذه الظاهرة هو الحقيقة اللاهوتية المتمثلة في أنّ البشر لديهم دستور أخلاقيّ مُصمّم من قبل الله في دواخلهم.

إذا كان الله قد خلق البشر مخلوقات أخلاقية، فلماذا نجد الكثيرين من البشر يسلكون بطريقة غير أخلاقية؟ لنفهم الفكرة المتعلقة بالأخلاق، نحن بحاجة إلى إدراك المفهوم اللاهوتيّ الخاصّ بالخطيئة. إنّ البشر حاملون صورة الله،

لكنهم فسُدوا وانفصلوا عن الله نتيجة السَّقوط، وقاوموا صلاحَ الله ونوره، وفسدت ضمائرهم بسبب الخطيَّة، ولم تقم ضمائرهم بدورها باعتبارها دليلاً كاملاً للصَّواب والخطأ. وللأسف، يمكن أيضاً أن نُضللَّ عن طريق مشاعرنا، لأننا أحياناً نرغبُ في عملِ أشياء خاطئة، ونحترفُ تبريرَ أخطائنا في إيجاد تبريرات وأعدار لتصرفاتنا غير السَّليمة. غالباً ما يعملُ الخطاةُ أموراً خاطئة وهم يعلمون أنها غير صحيحة. لذلك، فإنَّ العيشَ بطريقة أخلاقية ليس فقط شيئاً معرفياً، إنما هو شيءٌ ينبعُ من القلب والإرادة.

لكن شكراً لله، لأنه في رحمته، لم يعطينا وعياً فطرياً بشريعته الأدبية وحسب، لكنه أيضاً تحدت إلينا. أحياناً ينسى المسيحيون أن الله ليس مُلزماً أن يتحدت إلى مخلوقاته التمردين، مُعطيماً إياهم تعاليم وتوجيهات واضحة. لكنَّ الله، في رحمته ومحبتة، أعطانا كلمته في الكتاب المقدس. نقول في اللاهوت: إنَّ الكتاب المقدس ضروري وكاف في أن لأجل اظهار مقاصد الله في الإعلان الخاص. لا نجد في سوى الكتاب المقدس وحده حقائق واضحة

الكتاب المقدس

هو المصدر

الذي منه يُعطينا

الله التوجيهات

والوصايا

الأخلاقية.

ومحددة تتعلق بإرادة الله وشخصيته، وهويتنا، وخطة الله للبقاء وكيف ينبغي أن نحيا في هذا العالم. وحتى إذا لم يُناقش الكتاب المقدس كلَّ شيء، فهو يحوي جميع ما نحتاجه كي نُسرَّ الله ونمجده في حياتنا. وفيما يتعلَّق بالأخلاق، نجد أنفسنا ملزمين بدراسة الكتاب المقدس كي نكتشف ما هي الصورة التي يريدنا الله أن نصير عليها وما يريدنا أن نقوم به. إذا كانت الأخلاق هي دراسة المبادئ الأدبية واتخاذ القرار الأخلاقي، فعلينا ألا نهمل الكتاب المقدس، لأنه المكان الذي يُعلن الله فيه بوضوح عن طبيعته المستقيمة. وهو أيضاً، وهذا أمر بالغ الأهمية، المصدر الذي يعطينا منه التوجيهات والوصايا الأخلاقية. نحن لسنا بحاجة إلى مناقشة ما إذا كان الأمر الذي نتعرض له صواباً أم خطأً إذا أخبرنا الله عنه بوضوح! فالله هو سلطتنا الأدبية، وكلمته معيارنا، لأنها كلمة الله الحيَّة. ٢

٢ هذا ليس المكان المناسب لمناقشة التفسيرات الكتابية الصحيحة. يكفي القول إننا بحاجة إلى تطبيق التفسيرات الصحيحة وأن نكون حساسين بشأن السياق. يحتاج اللاهوت الكتابي والطبيعة التدريجية لإعلان الله، الذي بلغ ذروته في المسيح، إلى ملاحظة دقيقة. هناك أسباب كتابية. . لماذا يجب علينا ألا نطوق مباشرة كل وصية في سفر اللاويين. ولكن هذا الأمر لن يُناقش هنا.

تَهَنَّمُ الأخلاقُ المسيحيَّةَ بِمصدر الصَّلَاحِ الأخلاقِيّ الذي هو الله ذاته. وتُصِرُّ المسيحيَّةُ على أَنَّ الله أعلن لنا عن نفسه بوضوح في ابنه الرَّبِّ يسوع المسيح. ولذلك فالمسيحُ سلطنتنا ومُعلِّمنا والنَّمُودَجُ لهديتنا. من هنا، يجب الاقتداءُ به وتطبيق تعاليمه. على سبيل المثال، حين نتعلَّمُ عن المحبَّة، علينا أن نُصغي إلى كلمات يسوع وننظر أيضاً إلى حياته وموته الكفَّاري. حين تُدهِّشنا خليقتُه الحسنَّة، علينا أن ننظرَ إلى حقيقة أَنه بدون المسيح لم يكن شَيْءٌ ممَّا كان، وهو باستمرار يحفظ كلَّ الأشياء بكلمة قدرته وبتقديسه للقيامه وبتمجيدِه للعالم الماديّ (بدءاً بجسده الماديّ). لذلك فإنَّ الأخلاقَ المسيحيَّةَ تتمحورُ حول شخصِ المسيح.

الثالوث والأخلاق

إنَّ للأخلاقِاتِ المؤسَّسة على الله علاقةً وثيقةً به. الله قَدُوسٌ، وهو أيضاً محبَّةٌ، بل هو مُحَبَّبٌ قَدُوسٌ. ووفقاً لما أعلنه الله أَنه ثالوث: طبيعة واحدة يشترك فيها ثلاثة أقانيم. الآبُ والابنُ والرُّوح القدس جميعهم متساوون في الطبيعة الإلهيَّة الواحدة. نحن لا نُميِّز بينهم من خلال جوهرهم أو طبيعتهم بل من خلال علاقتهم الشخصِيَّة مع بعضهم البعض. على سبيل المثال، يرتبط الآبُ أزلِّيًّا بالابن كونه أباً له، كما يرتبط الابنُ بالآبِ أزلِّيًّا بكونه ابناً له. تَظْهَرُ هذه الطبيعة في شتَّى الطُرُقِ الممكنة، فالطريقة الوحيدة التي نستطيع بها أن نُميِّز بينهم هي من خلال رؤية علاقتهم ببعضهم البعض كالثالوث. فالنقطة الأساسِيَّة التي نوذُّ قولها في هذا السِّياق هي أَنَّ الله كانَّ في علاقة أزلِّيَّة كآبٍ وابنٍ ورُوحٍ، ثمَّ تدفَّقت محبَّةُ الله فأظهر ذاته في اتِّحاد شخصيٍّ وشركَّة من الفرح المتبادل بين الأقانيم الثلاثة الذين هم الله الثالوث. ببساطة، المحبَّة تعني أن تكون مُشتركا في ارتباطٍ مع الآخرين، وهذا تماماً ما اختبره الله في ذاته مُنذ الأزل.

المحبَّة تعني أن تكون مُشتركا في ارتباط مع الآخرين، وهذا تماماً ما اختبره الله في ذاته مُنذ الأزل

يجب أن نشعر بالمهابة أمام هذا الامر، فالنقطة الأساسِيَّة التي يجدر بنا أن نتساءل عنها هي: كيف يتعامل أركانُ الثالوث مع بعضهم البعض؟ هل يمكننا أن نتخيَّل أن أركان الثالوث فشلوا ذات مرَّة في حُبِّهم لبعضهم البعض؟ هل من الممكن

التفكير في أن الابن يتركُ الرُّوحَ في نوبةٍ من الغضب؟ هل من الممكن أن يُشنَّ الرُّوحَ حرباً ضدَّ الأب؟ هل من الممكن أن يكذب الابنُ على الأب أو يسرقَ منه شيئاً أو يستغله؟ هل يمكن للثالوث في أي وقت من الأوقات أن ينقسم على ذاته بسبب الخطيئة أو الفساد الأدبي أو السلوك اللاأخلاقي؟ بالتأكيد، إنَّ الإجابة عن هذه التساؤلات واضحة تماماً.

المحبة تعني أن تكون مُشترِكاً في ارتباطٍ مع الآخرين، وهذا تماماً ما اختبره الله في ذاته مُذُ الأزل.

ورغم أننا لسنا الله وليس لدينا علاقة ثلاثية، فإننا نقتدي به في السلوكيات الأخلاقية. وعلينا لِنتراماتٍ إيجابية وسلبية على حدٍ سواء. إيجابياً، يجب أن نفعلَ الأمور التي تُسرُّ الله. وسلبياً، لا ينبغي فعلَ الأمور التي يعتبرها الله لا أخلاقية. إذا كان مُشِيناً على الابن الافتراءُ على الأب أمام الرُّوح، فنحن ينبغي ألاَّ نفرري على الآخرين. فالثالوث يعطينا نموذجاً يساعدنا كي نسلك سلوكاً أخلاقياً في علاقاتنا.

ومن الجانب الإيجابي أيضاً، وبوصفنا أشخاصاً نقتدي بالله، يجب أن نتصرَّف وفقاً لشخصيته الأدبية المستقيمة. بما أنَّ الله حقٌّ، يلزم أن نكون أمناءً ونمتنع عن الكذب. وبما أنَّ الله لا يستغلَّ الناس أو ينتفع منهم، فيجب علينا ألاَّ نقوم بذلك. وبما أنَّ الله يعتني بالفقراء والمظلومين والمهمَّشين، يجب علينا معرفة أن هذه هي الأشياء التي يجبُ علينا تطبيقها أيضاً. إذا كان الله يُقدِّرُ قدسيَّة الحياة البشرية (لأنه هو نفسه قدسُ الحياة البشرية)، علينا رفضُ أي موقف غير أخلاقي من شأنه إفساد أو إنكار قدسيَّة الحياة البشرية. يقول الكتاب المقدسُ « لا تَسعُ في الوشاية بينَ شعبِكَ. لا تَقفُ على دَمِ قَرِيبيك. » (لاويين ١٩: ١٦) هذا يعني وفقاً للأخلاق المسيحية، أنه يتعين علينا أن نكون على استعداد أن نقول لأقاربنا: «سأبقيك آمناً». الله هو إلهٌ لطيف وعطوف ومُحبٌّ، ونحن يجب أن نمتلك هذه الفضائل في حياتنا اقتداءً بالرَّبِّ. وبما أن تصرُّفاتنا تنبع من شخصيتنا، فكُلما نمونا أكثر في التقوى والتشبه بالمسيح أصبحت تصرُّفاتنا أكثرَ أخلاقيةً.

ضرورة المحبة

المحبة أمرٌ لا غنى عنه للأخلاق. فقد أعلن يسوع بوضوح: «وصيةٌ جديدةٌ أنا أعطيتكم: أن تحبوا بعضكم بعضاً. كما أحببتكم أنا تحبوا أنتم أيضاً بعضكم بعضاً.

بهذا يُعرفُ الجَمِيعُ أَنَّكُمْ تَلَامِيذِي: إِنْ كَانَ لَكُمْ حُبٌّ بَعْضًا لِبَعْضٍ» (يوحنا ١٣: ٣٤-٣٥). لاحظوا أن مقياسَ مَحَبَّتِنَا يَنْبَغِي أَلَّا يَقِلَّ عَن مَقْيَاسِ مَحَبَّةِ يَسُوعَ نَفْسِهِ. يجب أن نُحِبَّ الأَخْرِينِ بِالطَّرِيقَةِ عَيْنِهَا الَّتِي أَحْبَبْنَا بِهَا يَسُوعَ، وَكَيْفَ أَحْبَبْنَا يَسُوعَ وَأَظْهَرَ عُمُقَ مَحَبَّتِهِ لَنَا؟ رُبَّمَا لَا نَجِدُ نَصًّا أَفْضَلَ مِمَّا جَاءَ فِي رِسَالَةِ الْقَدِيسِ يُوْحَنَّا الأُولَى لِلإِجَابَةِ عَن هَذِهِ التَّسْأُولَاتِ:

أَيُّهَا الأَحْبَاءُ، لِنُحِبَّ بَعْضُنَا بَعْضًا، لِأَنَّ المَحَبَّةَ هِيَ مِنَ اللهِ، وَكُلُّ مَنْ يُحِبُّ فَقَدْ وُئِدَ مِنَ اللهِ وَيَعْرِفُ اللهُ. وَمَنْ لَا يُحِبُّ لَمْ يَعْرِفِ اللهُ، لِأَنَّ اللهُ مَحَبَّةٌ. بِهَذَا أَظْهَرْتَ مَحَبَّةَ اللهِ فِينَا: أَنَّ اللهُ قَدْ أَرْسَلَ ابْنَهُ الوَحِيدَ إِلَى العَالَمِ لِكَيْ نَحْيَا بِهِ. فِي هَذَا هِيَ المَحَبَّةُ: لَيْسَ أَنَّنَا نَحْنُ أَحْبَبْنَا اللهُ، بَلْ أَنَّهُ هُوَ أَحْبَبَنَا، وَأَرْسَلَ ابْنَهُ كَفَّارَةً لِخَطَايَانَا. أَيُّهَا الأَحْبَاءُ، إِنْ كَانَ اللهُ قَدْ أَحْبَبَنَا هَكَذَا، يَنْبَغِي لَنَا أَيْضًا أَنْ يُحِبَّ بَعْضُنَا بَعْضًا. اللهُ لَمْ يَنْظُرْهُ أَحَدٌ قَطُّ. إِنْ أَحَبَّ بَعْضُنَا بَعْضًا، فَاللهُ يَنْبُتُ فِينَا، وَمَحَبَّتُهُ قَدْ تَكَمَّلَتْ فِينَا. بِهَذَا نَعْرِفُ أَنَّنَا نَنْبُتُ فِيهِ وَهُوَ فِينَا: أَنَّهُ قَدْ أَعْطَانَا مِنْ رُوحِهِ. وَنَحْنُ قَدْ نَظَرْنَا وَتَشْهَدُ أَنَّ الآبَ قَدْ أَرْسَلَ الابْنَ مُخْلِصًا للعَالَمِ. مَنْ اعْتَرَفَ أَنَّ يَسُوعَ هُوَ ابْنُ اللهِ، فَاللهُ يَنْبُتُ فِيهِ وَهُوَ فِي اللهِ. وَنَحْنُ قَدْ عَرَفْنَا وَصَدَقْنَا المَحَبَّةَ الَّتِي لَلهِ فِينَا.

اللهُ مَحَبَّةٌ، وَمَنْ يَنْبُتُ فِي المَحَبَّةِ، يَنْبُتُ فِي اللهِ وَاللهُ فِيهِ. بِهَذَا تَكَمَّلَتْ المَحَبَّةُ فِينَا: أَنْ يَكُونَ لَنَا ثِقَةٌ فِي يَوْمِ الدِّينِ، لِأَنَّهُ كَمَا هُوَ فِي هَذَا العَالَمِ، هَكَذَا نَحْنُ أَيْضًا. لَا خَوْفَ فِي المَحَبَّةِ، بَلْ المَحَبَّةُ الكَامِلَةُ تَطْرُقُ الخَوْفَ إِلَى خَارِجٍ لِأَنَّ الخَوْفَ لَهُ عَذَابٌ. وَأَمَّا مَنْ خَافَ فَلَمْ يَتَكَمَّلْ فِي المَحَبَّةِ.

نَحْنُ نُحِبُّهُ لِأَنَّهُ هُوَ أَحْبَبَنَا أَوَّلًا. إِنْ قَالَ أَحَدٌ: «إِنِّي أَحَبُّ اللهُ» وَأَبْغَضَ أَخَاهُ، فَهُوَ كَاذِبٌ. لِأَنَّ مَنْ لَا يُحِبُّ أَخَاهُ الَّذِي أَبْصَرَهُ، كَيْفَ يَقْدِرُ أَنْ يُحِبَّ اللهُ الَّذِي لَمْ يَبْصُرْهُ؟ وَلِنَّا هَذِهِ الوَصِيَّةُ مِنْهُ: أَنْ مَنْ يُحِبُّ اللهُ يُحِبُّ أَخَاهُ أَيْضًا. (يوحنا ٤: ٧-٢١)

يوجد ما يكفي في هذا النص ما يجعلنا نُسبِحُ الله إلى الأبد! حيث أظهر الله مَحَبَّتَهُ لَنَا بِإِرْسَالِ ابْنِهِ لِيُكْفِّرَ عَن خَطَايَانَا. مِنَ المَسْتَحِيلِ امْتِلَاكُ مَحَبَّةِ أعْظَمِ مِنْ هَذِهِ! اللهُ هُوَ إِلَهُ المَحَبَّةِ غَيْرِ المُنْتَهَايَةِ وَالأَبَدِيَّةِ، وَهُوَ أَظْهَرَ لَنَا هَذِهِ المَحَبَّةَ الَّتِي لَا نَسْتَطِيعُ إدْرَاكَهَا بِحَيْثُ مَاتَ المَسِيحُ لِأَجْلِنَا. إِسْمَحْ لِنَفْسِكَ أَنْ تَفْهَمَ هَذِهِ الفِكْرَةَ تَمَامًا وَلَا تَتَجَاوَزُهَا سَرِيعًا. (لِأَنَّهُ بَعْدَ انْتِهَاءِ الزَّمَانِ، هَذِهِ الفِكْرَةُ هِيَ الَّتِي سَتَمَلَأُ

عقولنا طوال الأبدية). فمحبّة الله هي التي خلّصتنا وأحضرتنا إلى نهر محبّة الله. والآن، دعونا نستقبل عطية هذا الحبّ غير المتناهي، ونمتلئ بالمحبّة غير المتناهية، كي نفيض بها على الآخرين. يجب أن نقفدي بالمسيح، ويجب علينا الامتلاء بالمحبّة.

وبما أنّ الله ثالث، فهو منذ الأزل يُمارس الحبّ بين الأقانيم الثلاثة. ورغم ذلك، فقد خلق الله مخلوقات خارج نفسه وأحبّها أيضاً. ولأنّ البشر ليسوا في علاقة ثالوثية، فعلينا التمثّل بمحبّة الله عن طريق توجيه محبّتنا إلى الآخرين. ولأنّ الله يحبّ البشر، فعلينا أن نحبّهم نحن أيضاً. في الحقيقة، يجب علينا ألاّ نحبّ أصدقاءنا وأقاربنا وحسب بل أن نحبّ أعداءنا أيضاً. لا بُدّ من توجيه المحبّة لكلّ شخص.

هذا يعني من الناحية العمليّة أننا لا بُدّ أن نعمل على الدخول بين الجماعة وتقويتها وبنائها وأحياناً تكوينها. إذا أردنا أن نحيا باعتبارنا أعضاء في جماعة تسودها المحبّة، سنكون بحاجة إلى العيش بطريقة أخلاقية. لا بُدّ أن ترتبط المحبّة والرعاية والمودة بالمعرفة الأخلاقية، لتصبح هذه الجماعة داعمة لأفرادها وقادرة على إكرام الله. لأننا خطاة، نحتاج إلى النعمة والروح القدس وكلمة الله لإرشادنا. وواحدة من الطرق التي تعبّر بها المحبّة عن نفسها هي أنها تدفعنا إلى العمل على خلق مجتمع عادل ومُنصف. المحبّة تحمي وترفض الاكتفاء بمجرد التعبير عن الانفعالات العاطفية، بل ستعمل على الإمداد بسلوكيات صالحة عملياً. المحبّة ليست ضعفاً وإنما هي أعظم قوّة في العالم.

الحياة في جماعة

إنّ إدراكنا بأنّ الله كوّن في المسيح جماعة العهد الجديد هو أمرٌ ضروريّ. إذ كان عهدُ الله القديم مع شعب إسرائيل عهداً مع جماعة تنتمي إلى أمة. لكنّ أشخاصاً كثيرين من هذه الجماعة لم يعترفوا بالرّب كُمخلص وماتوا في خطاياهم. بينما جميع من هم في جماعة العهد الجديد مؤمنون بالمسيح، يعرفون الرّبّ واختبروا غفران الخطايا.^٣ إنّ الأشخاص الذين يعيشون في البلدان التي

الجماعة هي
الكيان الذي نحيا
في وسطه ونحبه

٣ يتحدّث (إرميا ٣١: ٣٤-٣١) بوضوح عن العهد الجديد. وأقتبس منه ما جاء في (عبرانيين ٨: ١٢-١٠). كما يوجد العديد من المقاطع الأخرى التي تتحدّث بشأن العهد الجديد، حتى لو لم تستخدم بالضرورة مصطلح «العهد الجديد».

تقدّر المذهب الفرديّ، أكثر من العلاقات الجماعيّة، يفشلون ربّما في تقدير كيف أنّ العهد الجديد يؤكّد على طبيعة الكنيسة التي يسودها الاتّحاد بين أعضائها. خلّص يسوع الأفراد الذين هم جزءٌ من جسده، الكنيسة جماعة العهد الجديد، ليست خطّة الله أن يؤتى بمجده بواسطة الأفراد المنفصلين والمنعزلين، بل تتمثّل رغبته في وحدة هؤلاء الأفراد، من خلال تصالّحهم مع بعضهم البعض وتصالّحهم مع أنفسهم، وكلّ ذلك في المسيح. ومن ثمّ، فإنّ الجماعة هي الكيان الذي نحيا في وسطه ونُحبّه، ولا يمكننا إرضاء الله إذا انسحبنا من الجماعة وحاولنا العيش منعزلين عن التفاعل مع الآخرين.

ينمّ التعبير عن المحبّة داخل الجماعة من خلال العلاقات، ونحن بحاجة أن نتذكّر إلتزاماتنا ومسؤولياتنا من نحو الجماعة التي نحيا في وسطها. لدينا شبكة من العلاقات نحيا في وسطها، وتعدّ بعض من هذه العلاقات أكثر ضرورةً من غيرها، حيث تتصدّر العلاقة مع الله أولى العلاقات في الأهمية. لذلك فهناك مسؤولية أخلاقيّة حقيقيّة كي نُكرّمه إكراماً يرتقي إليه، ولا يوجد شيءٌ أكثر شراً من الفشل في محبّة الله. لكننا دُعينا أيضاً لنحبّ أقرابنا، فمن المؤكّد أنّ هذين الإلتزامين الأخلاقيين هما أعظم وصيّتين في الكتاب المقدّس حيث يقول المسيح:

من الخطأ الاعتقاد
أنّ أخلاقيّات العهد
القديم تأسّست
على الشريعة بينما
أخلاقيّات العهد
الجديد تقوم على
المحبّة.

فَقَالَ لَهُ يَسُوعُ: «تُحِبُّ الرَّبَّ إِلَهَكَ مِنْ كُلِّ قَلْبِكَ، وَمِنْ كُلِّ نَفْسِكَ، وَمِنْ كُلِّ فِكْرِكَ. هَذِهِ هِيَ الْوَصِيَّةُ الْأُولَى وَالْعَظْمَى. وَالثَّانِيَةُ مِثْلَهَا: تُحِبُّ قَرِيبَكَ كَنَفْسِكَ. بِهَاتَيْنِ الْوَصِيَّتَيْنِ يَتَعَلَّقُ النَّامُوسُ كُلُّهُ وَالْأَنْبِيَاءُ» (متى ٢٢: ٣٧-٤٠)

يعدّ الفشل في محبّة الله ومحبّة أقرابنا خطيّة خطيرة للغاية. فهي قمّة الفساد الأدبيّ وأعظم فشلٍ أخلاقيّ. فليس هناك أخلاقٌ حقيقيّة بمعزل عن محبّة الله ومحبّة الآخرين.

كما أنّ المحبّة أيضاً هي أساس الوصايا العشر (خروج ٢٠: ١-١٧)، لأنّها

مرتبطة بعلاقتنا بالله وبأقاربنا، فهي تبدأ بعلاقتنا الرأسيّة مع الله ثمّ تنتقل إلى علاقتنا الأفقيّة مع الآخرين، حيث تعتمد علاقتنا الثانية على علاقتنا الأولى. لا تتمثّل الوصايا العشر بالتأكيد كلّ شريعة الله، لكنّها تُعبّر عن جوهرها. فهي تقدّم بإيجاز كيفيّة محبة الله وأقاربنا. وعليه،

فهناك استمراريّة بين أخلاقيّات العهد القديم والجديد. فمن الخطأ الاعتقاد بأنّ أخلاقيّات العهد القديم تأسست على الشريعة بينما أخلاقيّات العهد الجديد تقوم على المحبة، لأنّ شريعة الله دوماً تقوم على المحبة. وبما أنّ شريعة الله كانت المرشد إلى أخلاقيّات إسرائيل، شكّلت هذه الأخيرة التعلّم الأخلاقيّة ليسوع وللتلاميذ. تجاوز يسوع حدود شريعة العهد القديم عن طريق إحضار إعلان جديد، وأيضاً عن طريق تحقيق الشريعة، لكنّه لم يرفض قطّ وصايا الله



أننا جميعاً في داخل شبكة محدّدة من العلاقات التي تتفاوت فيها مستويات مسؤوليتنا من الأكثر عموميّة إلى الأكثر خصوصيّة.

الأخلاقيّة التي أعلنت في العهد القديم. يُعتبر جوهر الأخلاقيّات في كلا العهدين السعيّ بكلّ ما أوتينا من قوّة لمحبة الله ولمحبة أقاربنا والاعتناء بهم.

رغم ذلك، هناك درجات متفاوتة من المسؤوليات التي نحملها تجاه الآخرين. فعلى المستوى الأوسع، لدينا مسؤوليات أخلاقيّة حيال العالم بكامله، لكن لدينا مسؤوليات مختلفة تجاه بلدنا أكثر من أيّ بلاد أخرى. وعلينا كذلك إطاعة قوانين حكومة دولتنا بطريقة تختلف عن إطاعة قوانين أي حكومة أخرى. المواطنون الأوغنديون ليسوا تحت التزام أخلاقيّ بالخضوع لقوانين حكومة فرنسا. لذلك، ومع خضوعنا لحكومتنا، فإنّ هذا المبدأ العامّ سيُنفَّذ في مواقف مُعيّنة متنوّعة. وبالمثل، ليس كلّ فرد يعيش في المدينة أو المحافظة أو المنطقة نفسها، عنده المسؤوليات نفسها، حيث توجد مسؤوليات مُعيّنة تقع على عاتق السكّان الذين يعيشون في منطقة محدّدة. وتوجد أيضاً التزامات فريدة تنشأ من العيش بالقرب من أشخاص مُعيّنين. على سبيل المثال، إذا سقط الأشخاص الذين يسكنون في البيت المجاور لنا وتسببوا في أذية لأنفسهم، فإنّها من مسؤوليتنا أن نساعدهم، وليست مسؤوليّة الأشخاص الذين يسكنون على بُعد أميال.

تتطلب العلاقات الأسريّة درجةً مُتميّزة من الترابط والالتزام . فأولئك الذين لديهم آباء مرضى تقع عليهم مسؤوليّة خاصّة بالاعتناء بهم ، والأسرة التي لديها أطفال عليها التزامٌ بأن ترعاهم (وذلك يتضمّن إعطاءهم قدراً كبيراً من الوقت والمال) . ببساطة ، لا يتعادل مستوى مسؤوليّة الآباء تجاه أبنائهم واهتمامهم بهم مع مستوى مسؤوليّة هؤلاء الآباء تجاه جميع الأطفال في العالم . يوجد الكثير من الأمثلة بشأن تلك الفكرة ، لكنّ النقطة الجوهرية هي أننا جميعاً في داخل شبكة محدّدة من العلاقات التي تتفاوت فيها مستويات مسؤوليتنا من الأكثر عموميّةً إلى الأكثر خصوصيّة . يتعيّن على المؤمنين أن يأخذوا كلّ الإلتزامات الأخلاقيّة بجدية . ولكن هناك تسلسلٌ هرميٌّ للمسؤوليات الأخلاقيّة والواجبات حيال كلّ شخص في حياتنا . وفي النهاية ، واجبٌ علينا دائماً أن نُحبّ الجميع .

يوجد خطأ شائع ، وهو الاعتقاد بأنّه يمكننا أن نُخطئ وأن يكون تأثير هذا الخطأ محصوراً علينا شخصياً فقط ، دون أيّ تأثير على الآخرين . وهنا يلزمنا أن نتذكّر أنّ كلّ قرار أخلاقيّ نتخذه يتمّ داخل شبكة من العلاقات . فالذي نعتقد أنّه أمرٌ خاصّ ، لا بدّ أنّ له تأثيراً على الآخرين ، حتى لو لم يكن تأثيراً مباشراً . لا شيء ، حرفياً ، سيؤثر علينا نحن لوحدنا . وفي المستوى نفسه يكون هذا واضحاً حين نفكر أنّ كلّ شيء نكونه أو نفعله يرتبط بالله مباشرة . يجب أن نصير حتى أفكارنا كورام ديو (Coram Deo) أي أنّها نقيّة أمام الله . لكن كلّ شيء نفكر فيه يُشكّل أيضاً شخصيتنا ، حتى ولو بطريقة بسيطة . إذا فكّرنا دائماً بأنانيّةً ، فلن نقدر على التصرف بطريقة فيها نُكران للذات ، وإذا سمحنا لأنفسنا بأن نصير قساةً وأشراً مع إنسان ما ، سيكون ببساطة من السهل علينا أن نكون قساةً وأشراً مع الجميع . وعليه ، فإنّ الفضيلة ليست مجرد مسألة شخصيّة . دائماً ما تكون شخصيتنا الأخلاقيّة في طور التشكيل إمّا إيجابياً أو سلبياً .

إنّ امتلاك المحبة

والاتجاهات

الحسنة هو أمرٌ

ضروريّ ، لكنّه

غير كافٍ .

إيجابياً ، وليس مجرد إدانة

كثيراً ما نميل إلى التفكير في القضايا الأخلاقيّة من الناحية السلبية (أي نفكر ، ما هي الأمور اللأخلاقية؟) ، عوضاً عن التفكير بطريقة إبداعية لنُبارك الآخرين . وهذا ينم عن سطحيّة تفكيرنا الأخلاقيّ وضحالة ردود أفعالنا . على سبيل

المثال، يمكننا القول بأن الإجهاض يُعدُّ شراً عظيماً، ولكن نحن بحاجة أيضاً أن نتذكَّر حاجتنا إلى مجتمعٍ صحيٍّ ومُقدَّس ليواجه مشكلة الإجهاض، ممَّا يساعد بفاعليَّة في حلِّ المشكلة بدلاً من مجرد إدانتها. إذا كنا نعيش في بلد يسمح بممارسة القتل الرحيم، فنصرِّح ربَّما بأننا ضدُّ هذه الممارسة، لكنَّ ذلك غير كافٍ، ويجب علينا أيضاً العمل على وضع قوانين مجتمعيَّة تضمَّن الرعايَّة المؤسَّسة على المحبَّة. من الضَّروري جداً إمتلاك محبَّة واتجاهات حسنة، لكنَّ ذلك ليس بكافٍ، فنحن بحاجة أيضاً إلى نظم وقوانين مناسبة كي نخدم بفاعليَّة احتياجات الناس. وكما قال ويندل بيري Wendell Berry بحكمةٍ وحقٍّ: «العَمَلُ الجيِّد يتمُّ بواسطة معرفة كيفية إنجازهِ بواسطة المحبَّة».٤ نحن بحاجة إلى المحبَّة، لكننا نحتاج أيضاً إلى معرفة كيف نساعد الآخرين. يُنظر أحياناً إلى المسيحيين باعتبارهم أفراداً غاضبين لا يفعلون شيئاً غير إدانة الآخرين بسبب خطاياهم الظاهرة وفشلهم الأخلاقي. لا بُدَّ أن نعمل ما هو أفضل من ذلك. بالتأكيد، يُعدُّ إعلان الحقِّ جزءاً من مسؤوليتنا الأخلاقيَّة في مواجهة الشرِّ، ولكن يبقى ذلك غير كافٍ. إنَّ الأخلاق المسيحيَّة ليست مجرد ممارسة سلبيَّة يقوم فيها الفرد بالإدانة، وإنَّما هي ممارسة إيجابِيَّة مليئة بالمحبَّة والرغبة الحقيقيَّة في مساعدة وإكرام ومباركة الآخرين. ببساطة، لم يأتِ المسيح ليدين، بل جاء ليفدي ويشفي ويُخلص.

على الرُّغم من أنَّ الأخلاقيَّات التي تختصُّ بالبيئة ستناقش باعتبارها موضوعاً مُنفصلاً في هذا الكتاب، فإننا سنشارك بتعليقٍ أو اثنين الآن. أحياناً تغيب الأشياء الواضحة عن أذهاننا، وفي الحقيقة يمكن أن تكون البيئة التي نعيش فيها واحدة من هذه الأشياء. خلق الله العالم بكلِّ ما فيه من الأسماك والطيور والحيوانات قبل أن يخلق الإنسان. بلى، إنَّ البشر يُمثِّلون أفضل خلائق الله في العالم، وهم مميَّزون تماماً باعتبار أنَّهم حاملو صورة الله. تضمَّنَّت الوصيَّة الأولى التي أعطاه الله لآدم وحواء أن يثمروا ويتكاثروا ويمارسوا الإشراف

يتضمَّن الإشراف
البيئي الذي
نوِّديه المساعدة
الفعَّالة للناس على
الازدهار، بدلاً
من تجنب إلحاق
الأذى بهم فقط

البيئي في الأرض (تكوين ١: ٢٨). وتعتبر طريقة إدارتنا للعالم الذي خلقه الله ذات نتائج أخلاقية كثيرة (لن نتحدث الآن عن النتائج العملية). ربّما يشعر المسيحيون بالمسؤولية الأبدية تجاه إطعام الذين بلا مأوى، لكن هل نعبأ بتلوّث الهواء الذي يتنشقونه؟ نُقدّم ربّما كوباً من الماء البارد للعطاش، لكن هل نساعدهم بتنقية المياه التي لوّثناها بمخلفاتنا؟ ربّما يُرسلُ بعضُ منّا الأموال إلى الدّول الأخرى لتخفيف وطأة المجاعة، لكن ماذا عن ممارساتنا الاقتصادية العادية التي تستغلّ العاملين في الخارج؟ أو تساعد في تدمير بيئتهم عن طريق تخريب الأراضي التي تزوّدهم بالموارد الطبيعية؟ هل نحنُ بذلك نسلكُ بطريقة أخلاقية حقاً؟ نحن بحاجة إلى البحث عن أخلاقيات إيجابية في الصّورة الكبيرة للبيئة. وعليه، يتضمّن الإشراف البيئي الذي نؤديه المساعدة الفعّالة للنّاس على الازدهار، بدلاً من تجنّب إلحاق الأذى بهم فقط. حيث لا نتحدّث القرارات الأخلاقية إلا في العالم الذي خلقه الله، يجب ألاّ نتجاهل البيئة العالميّة في القرارات التي نتخذها.

النّظم والمبادئ الأخلاقية اللازمة للتّفكير الأخلاقي

نحن نؤمن بأنّ المسيحية تحتوي على فهم وتقديم أفضل الأفكار التي يُمكن أن تُحقّق أفضل نظام أخلاقيّ ظهر في التاريخ. وفي الحقيقة، نؤمن أيضاً بأنّ كلّ المبادئ الأخلاقية الصّحيحة تنبثق من الكتاب المقدّس. بحث المفكّرون العظماء والفلاسفة، على مرّ العصور، في ماهية الأخلاق، حيث حاول بعضُ منهم التوصل إلى نظم تفكير يُمكن أن تولّد استنتاجات أخلاقية سليمة. ليس لدينا، الوقت أو الرّغبة، في مناقشة هذه الأنظمة بأيّ تفصيل، لكن يجدر بنا ذكر بعضها بإيجاز والإشارة إلى أهمّ خصائصها من وجهة نظرنا. يميل كلّ نظام إلى تحقيق بعض النّقاط المعتدلة، لكنّ المسيحية وحدها تقدّم نظاماً أخلاقياً شاملاً وسليماً. يمكن دمج بعض المبادئ الواردة في الأنظمة الأخلاقية التالية كجزء من كلّ. ونحن المسيحيين نؤمن بأنّه ينبغي أن نقوم بكلّ شيء لأجل مجد الله، لكنّ هذا المبدأ العامّ السّامي لا يخبرنا بالضبط ما هي الإجراءات التي علينا إتباعها ليمجدّ الله. وفي دراسة الكتاب المقدّس نسعى إلى تعلّم حكمة الله وتطبيقها، لكن أحياناً، لا يتحدّث الكتاب المقدّس مباشرة عن القضية التي نواجهها. فما هي مبادئ التفكير الأخلاقي التي ينبغي علينا إتباعها في تلك الحالات؟ وما الذي يُمكننا استنباطه من النّظم الأخلاقية التي نعتمد عليها؟ لاحظ أنّنا لا نستبدل الكتاب المقدّس بالأخلاق

الفلسفية، فنحن نسعى إلى الحكمة التي تعمل تحت سلطان الله وإعلانه.

١- الأخلاق الواجبة

يستمد هذا المنهج الأخلاقي اسمه من الكلمة اليونانية (deon)، والتي تشير إلى الواجبات أو الإلتزامات أو المبادئ أو القوانين. ويؤكد مبدأ الأخلاق الواجبة على أن بعض الأشياء تكون بحكم طبيعتها صواباً أو خطأً، بصرف النظر عن الإطار التي تحدث فيه أو عن عواقبها، فدائماً ما تكون الأخلاق موضوعيةً ومُلزمة. لا يُعطي مؤيدو الأخلاق الواجبة اهتماماً للتكلفة أو العواقب المحتملة لهذه التصرفات، فهم دائماً ما يحاولون إتباع المبادئ الأخلاقية الثابتة. حيث يستبعدون النسبية والذاتية، على سبيل المثال، إذا كان الكذب أمراً خاطئاً، فسينكر مؤيدو مبدأ الأخلاق الواجبة وجود أي أوقات يكون فيه الكذب أمراً صحيحاً (حتى إذا كان الكذب مثلاً لإنقاذ حياة شخص). وفي وجهة النظر هذه، مهمتنا لا تتمثل في تقييم المواقف الأخلاقية وتحديد ما إذا كان ينبغي علينا إطاعة القانون أو المبدأ الأخلاقي، إنما مهمتنا هي أداء واجبنا، وهذا يعني إتباع القوانين الأخلاقية. إنَّ القراء السطحيين للكتاب المقدس سيكتشفون

تؤكد الأخلاق
الواجبة أن بعض
الأشياء هي في
جوهرها صحيحة
أو خاطئة بغض
النظر عن السياق
أو العواقب.

أنَّ البشر هم تحت العديد من الإلتزامات الأخلاقية. كما أنَّ الله يُعلن عن الكثير من المبادئ والواجبات الأخلاقية الموجبة؛ حيث تُعدُّ الأخلاق الكتابية ليست نسبيةً أو شخصيةً. وبسبب طبيعة الله وشخصيته، يوجد بعض الأشياء التي دائماً تكون صحيحة، وبعض الأشياء التي دائماً تكون خاطئة. مثلاً، كراهية الأعداء هو أمرٌ خاطئٌ أخلاقياً على الدوام، بينما المحبة هي أمرٌ صائبٌ في كلِّ الأوقات. هذا ليس بسبب أنَّ الكراهية تولد عواقب سلبيةً والمحبة تولد عواقب إيجابية، بل لأنَّ المحبة صالحة في جوهرها، والكراهية خطأ في ذاتها. ولا يُعتبر القتل في أيِّ حال من الأحوال أمراً صحيحاً على الإطلاق. كذلك أيضاً تعذيب الأبرياء دائماً خطأً، حتى ولو أدى إلى نتائج جيدة (ينمُّ تناقض لاحقاً إحدى الطرُق المحتملة التي يمكن أن يؤدي فيها التعذيب إلى عواقب

جيدة). على الرغم من أن مبدأ الأخلاق الواجبة هو جزء هام من الأخلاق المسيحية، فإن الأخلاق المسيحية هي أسمى لا أدنى من الأخلاق الواجبة. يوجد عوامل وحقائق أخرى تُعلن عن وجهات نظر مسيحية متعددة الأوجه تختص بالأخلاق. وبالنظر إلى المسيحية نجد أن فكرة القواعد والالتزامات الأخلاقية الموجبة هامة للغاية، لكننا سنكتشف هذا أكثر في الفصل القادم.

٢- الأخلاق القائمة على العواقب

تعد هذه النظرية الأخلاقية بأنها تُقدّر التصرفات وفقاً لعواقبها. ففي وجهة النظر هذه، لا تُعتبر التصرفات السليمة أو الخاطئة ضرورية في ذاتها، حيث لا يمكن تقييمها إذا كانت جيدة أم سيئة إلا على أساس العواقب الناتجة عنها. ويصبح أكثر نوع من أنواع الأخلاق القائمة على العواقب شهرة هو النفعية. فالفكرة التي تحكم النفعية هي أن الأشياء تصبح صحيحة أخلاقياً إذا ما نتج عنها سعادة أو شيء صالح لأكثر عدد من الناس.

الفكرة التي تحكم
النفعية هي أن
الأشياء تصبح
صحيحة أخلاقياً إذا
ما نتج عنها سعادة
أو شيء صالح
لأكثر عدد من
الناس.

يتمسك بعض المؤيدين للنفعية بالقواعد النفعية التي هدفها إيجاد القواعد الأخلاقية وتحقيق النتائج الجيدة. على سبيل المثال، إذا كان امتناع الناس عن السرقة سيؤدي إلى أفضل النتائج العامة في المجتمع، فينبغي على أي شخص ألا يسرق بصرف النظر عن ظروفه. وبما أن عدم السرقة مبدأ أخلاقي جيد يهدف إلى المصلحة العامة، فينبغي علينا جميعاً اتباعه دون استثناء. نحن جميعاً نَجِد تبرير الذات، لذا من الأفضل الالتزام بالقواعد الأخلاقية الثابتة بدلاً من الاعتماد على حكمنا الذاتي. الفكرة التي تحكم النفعية هي أن الأشياء تصبح صحيحة أخلاقياً إذا ما نتج عنها سعادة أو شيء صالح لأكثر عدد من الناس.

من ناحية أخرى، لا تهتم النفعية بالقاعدة الأخلاقية بل بالسلوكيات. فكل سلوك فردي يُقِيم بذاته وفقاً للعواقب الناتجة عنه. وبناءً على هذه النظرية، يمكن أن تكون السرقة مقبولة أخلاقياً في بعض الأحيان ومرفوضة في أحيان أخرى،

وذلك وفقاً للنّاتج التي تنتج عن فعل السرقة. فمؤيدو النّفعيّة يعتقدون بأنّ سرقة الطّعام هي أمرٌ مقبول في بعض الأحيان لأنّ إشباع الجوع يؤدي إلى سعادةٍ لن يحصلوا عليها فيما لو تركوا جائعين .

على الرّغم من أهميّة فحص نتائج أفعالنا، فإنّه لا يمكن إتباع النّظرية الأخلاقيّة النّفعيّة إتباعاً كاملاً على الدوام، لعدّة أسباب منها:

أولاً، يوجد مشكلة عمليّة عند محاولة تحديد ما إذا كان هذا الفعل سيُجلبُ أعظمَ فائدةٍ لأكبر عدد من النّاس أم لا. على سبيل المثال، هل بناءُ مصنع وتوفير وظائف للنّاس أمرٌ نافع؟ يبدو الأمر كذلك. لكن ماذا إذا كان هذا المصنع يُدمرُ النّظامَ البيئيّ ويفسد حياة الأجيال القادمة؟ كيف يمكننا معرفة جميع عواقب تصرفاتنا؟ وما هو الإطار الزماني لذلك؟ يبدو أننا ببساطة لسنا في الوضع الذي يجعلنا نعرف العديد من الأشياء ذات الصّلة بالأخلاق النّفعيّة.

ثانياً، هل الفائدة الأعظم التي تتحدّث عنها النّفعيّة تتعلّق بالكمّ أم بالكيف؟ إذا اختبر ثلاثة أشخاص مقداراً متوسّطاً من السّعادة، أهذا أكثرُ أهميّةً من اختبار فردٍ واحدٍ سعادةً هائلةً؟ وهل تجنّب الألم يستحقُّ التقدير أكثر من اختبار السّعادة؟ ثالثاً، إذا كانت الغاية تبرّر الوسيلة، فمن ثمّ، يبدو أنّه يُمكن تبرير العديد من الأشياء الخاطئة بديهيّاً. تخيلوا أنّ مشاهدة حادثه مروّعة لتعذيب شخص سيكون فعّالاً بدرجة كافية لردع الجريمة والقضاء عليها، وبذلك سيُختلّ النّاس أنّهم سيتعرّضون للتعذيب بهذا المقدار إذا كسروا القانون. وبناءً على فكر النّظرية النّفعيّة يمكن استنتاج أنّ المجتمع سيكون أفضل حالاً وستقلّ فيه الجريمة كثيراً. ولذلك سيُصبح تعذيب شخص ما علناً أمراً صحیحاً. على الرّغم من أنّ بعض الأشخاص سيُعانون من جرّاء هذا الفعل، فإنّ المصلحة العامّة للمجتمع ستكتسبُ أهميّةً كبرى أكثر من آلام البعض. حتى لو كان هؤلاء الأشخاص هم في الحقيقة أبرياء من هذا الفعل الإجرامي، فسيُبرّر تعذيبهم وفقاً لمبدأ أنّه يوجد فائدة أعظم لعدّد أكبر من النّاس، ولكن تبقى قضية تعذيب الأبرياء مشكلة أخلاقيّة، على أقلّ تقدير.

رابعاً، سيُصبح من الصّعب بدرجة كبيرة، في ظلّ النّفعيّة، حماية الأقلّيّات. إذا كان ٩٩٪ من السّكان مسرورين بأن يبقى الأشخاص الذين يمثّلون ١٪ عبداً (وفقاً لمبدأ أنّ سعادة الأغلبية أكثر أهميّة من بؤس الأقلّيّة) وعليه، فهل يكون الرّق مقبولاً أخلاقياً في هذا السّياق؟

خامساً، ما هو الأساس المنطقي للاهتمام بمصلحة الآخرين الذي يمكن للنفعيّة أن تقدّمه؟ إذا كان الرّد هو ببساطة الشّيء الصّحيح الذي يجب فعله، وذلك بناءً على العودة الى مبدأ الأخلاق الواجبة. لذلك، تكون أفكار النّفعيّة صحيحة ربّما، لكنّها بحاجة إلى البناء على أساس أخلاقيّ أقوى من الأساس الواضح في النظريّة عينها.

كثيراً ما يدعو الكتاب المقدّس الأشخاص إلى التفكير ملياً في نتائج قراراتهم وأفعالهم. وفي عدد لا يحصى من النّصوص الواردة في كُتب الأنبياء، يُطلب من الخطاة أن يفحصوا مصيرهم ونهاية انقيادهم لخطاياهم. وأعلنت كذلك بوضوح في سفر الأمثال نتائج كلّ من الحكمة والحماقة، وأخبر يسوع النّاس مراراً وتكراراً أن يعطوا اهتمامهم لتلك العواقب الناتجة عن قراراتهم سواء في الزّمن الرّاهن أو في الأبدية. على الأرجح، تُنتج الأفعال الأخلاقيّة عواقب جيّدة، لأنّ هذا هو التصميم الذي صمّمه الله لنا وللعالم بالسّواء. على الرّغم من ذلك، لا يُخبرنا الكتاب المقدّس بأنّ القرار أو الفعل يكون صائباً أو خاطئاً على أساس النّتائج المترتّبة عليه وحسب. ففي بعض الأحيان، يؤدّي القيام بأشياء صحيحة أخلاقياً إلى الألم (كما هو متوقّع)، حيث يُعتبر نموذجاً للعمل الشّجاع إذا ضحّى أحدهم بنفسه بكامل إرادته لينقذ حياة شخص آخر، حتى لو كان الشّخص الذي أنقذ يساهم إسهاماً أقلّ في المجتمع من الشّخص الذي أنقذه. فإنّه أمرٌ صحيح إنقاذ شخص ما بعيداً عن النّتائج. ولكن حمداً لله، أنّ القرارات والأفعال الجيّدة أخلاقياً كثيراً ما تؤدّي إلى نتائج طيّبة، حتى في هذا العالم السّاقط.

٣- أخلاقيّات الفضيلة

ربّما يكون مفهوم الاخلاقيّات الفضيلة مبنياً على منظور أخلاقيّ أكثر من كونه نظاماً أخلاقياً كاملاً. تتعلّق أخلاقيّات الفضيلة بإنتاج شخصيّة فاضلة، لأنّ الشخصيّة الفاضلة ستنّتج حياة تتسم بالرّقيّ الأخلاقيّ والفضيلة المتنامية، بحيث هناك علاقة لا تنفصل بين شخصيّتنا الأخلاقيّة والسلوكيّات التي نقوم بها. ويمكن للسلوكيات أن تجمل أو تُسوّه شخصيّتنا، لأنّ شخصيّتنا هي التي تُنتج تلك السلوكيّات. في هذا السّياق توجد علاقة سببيّة متبادلة، فنحن في أخلاقيّات الفضيلة بحاجة إلى اختيار أن نعمل الأشياء التي تُقوّي الطّبيعة الأخلاقيّة وتُنمّي الفضيلة. فتصبح التصرفات التي تقوم على المبادئ الأخلاقيّة، والتي تضع الآخرين أولاً

وتختار أن تحب، وما إلى ذلك، هامةً لأجل تشكيل الفضيلة. وبهذا نكون في حاجةٍ ماسةً إلى الفضيلة لنفعل أفعالاً تتسم بالفضيلة، والعكس صحيح، فالأفعال التي تتسم بالفضيلة ستكسبنا الفضيلة الأخلاقية. فمن المنظور المسيحي هناك الكثير من الحكمة والحق والجمال في اتباع أخلاقيات الفضيلة. فمن الممكن لهؤلاء الذين هم من خارج المجتمع المسيحي أن يمارسوا أخلاقيات الفضيلة، ولكن تعريفنا وفهمنا لما يُشكّل الفضيلة يحتاج إلى وضعه باهتمام داخل الإطار المسيحي. فنحن خُطاة لدرجة لا نستطيع معها أن نمثلك الفضيلة بمعزل عن نعمة الله، لكننا في حاجة إلى الغفران، والشفاء، والتطهير، والرّحمة. نحتاج إلى الولادة الجديدة والروح القدس. هدفنا ليس تكوين شخصية صالحة، بل أن نكون الشخصية الصالحة التي خلقنا الله عليها. إنه أمرٌ ضروري أيضاً أن نسمح للكتاب المقدس بإعطائنا تعريفاً ووصفاً للفضيلة الحقيقية. لأننا في أحيان كثيرة ونحن في خطايانا، يختلط الأمر علينا، ولا نفرّق بين الفضيلة والرذيلة. لذا، نطلب نظرة الله الفائقة لتعلمنا ما هي الفضيلة، ونحتاج إلى عونهِ الخارق للطبيعة ليساعدنا على النمو فيها.

٤- أخلاقيات الأمر الإلهي

يرى بعض اللاهوتيين أن ما يجعل أمراً ما صحيحاً هو أن الله يأمر به. يوجد شيء من السموّ في هذا التعريف، لكنّه يتطلّب تعديلاً. الله لا يأمر إلا بالأشياء التي تتوافق مع طبيعته، وتتسم بالقداسة والعدل والصلاح. ولا يمكن أن يكون فيها شرٌّ أو استبداد على الإطلاق، وهو بالتالي لا يمكن أن يُغيّر رأيه. لكن، أحيانا يُهاجم بعض الناس نظرية أخلاقيات الأمر الإلهي بقولهم: إن ذلك يعني إمكانية أن يأمر الله بتقطيع الرضع أو بالإبادة الجماعية أو بالسرقعة أو بالكذب، ومن ثمّ تكون كلّ هذه الأشياء موجبة أخلاقياً وجيدة أديباً. وعوضاً عن أن يأمرنا الله بأن نحبه، يأمرنا بأن نكرهه (هو وأقاربنا)، وستصبح كلّ الكراهية الفجائية التي من الله جيدة أديباً. لكن يبدو أن هذا الأمر هراء! لأن الله لن يأمرنا بأي أمر لا يتفق مع طبيعته. هو لا يمتلك استنتاجات فلسفية وكفى، بل يملك طبيعة ثابتة وكيونة يُنفذ الله كلمته لأنها صادرة عن طبيعته المقدسة والمستقيمة التي دائماً ما تكون صالحة ومُلزمة أخلاقياً.

محدّدة . وبالتالي ، ليست أوامرُ الله في حدّ ذاتها سُلْطَنًا عُليا ، بل إنّ سُلْطَنًا العُلْيَا هي الله ذاته الذي يُصدر الأوامر . هو يُنفذُ كلمته لأنّها صادرة عن طبيعته المقدّسة والمستقيمة التي دائماً ما تكون سالحةً وموجبةً أخلاقياً . دائماً ما تكون الوصايا الإلهية مُلزِمةً أدبياً ، لأنّ الله ذاته هو معيارُها ، وهو صالح إلى الأبد ، وغير قابل للتغيّر . الله محبّةٌ وعليه ، فوصايا الله المليئة بالمحبّة لا يمكن أن تكون أقلّ من كونها مُلزِمةً أدبياً .

الأخلاق المسيحيّة متعدّدة الأوجه

يمكننا التعرفُ من المنظور المسيحيّ على شيءٍ قيمٍ في كلّ من هذه النظريّات الأخلاقيّة الأربعة . وينبغي الجمع بين العديد من عناصر هذه النظريّات ، وعليه فإنّ الأخلاق المسيحيّة حقاً متعدّدة الأوجه . فعندما نفكرُ في الاختيارات الأخلاقيّة ، علينا أن نأخذ الوضعَ الأخلاقيّ للفعل في الاعتبار (أي هل تحدّثَ الله بوضوح عن ذلك الفعل؟ أو هل يمكن استنتاجُ رأيِ الله في هذا الفعل وبشكلٍ منطقيٍّ ومؤكدٍ؟ عندئذٍ سنعرف ما هو الواجبُ وغير الواجبِ فعلُهُ) . كما يمكن القيامُ بأشياء جيّدة ،

ولكن بدوافع خاطئة (وذلك من منظور الله الذي سيُنهي عن أيّ مدحٍ يمكن أن نناله على ما قمنا به) . على سبيل المثال ، وبخ يسوع الفريسيين لأنهم يُصلّون في العلن ليَراهمُ الناس ويلاحظوهم (متى ٦ : ٥-٨) . تُعدّ الصلّاة أمراً جيّداً ، لكن إذا قمنا بها بدوافعٍ شرّيرة ، فإننا بذلك نرتكب تصرفاً لا أخلاقياً . ينطبق الشيءُ نفسه على إعطاء الصدّقة أو الخدمة في الكنيسة أو تقديم العظات أو كتابة كتاب . يمكننا تشويه أيّ شيءٍ جيّدٍ وتحويله إلى شيءٍ شرّيرٍ عن طريق دوافعنا الخاطئة التي تبحثُ عن المجد الذاتي أو المكسب المادّي . وهذا واحدٌ من الأسباب التي جعلت نظريّة أخلاقيّات الفضيلة هامةً للغاية .

لا يُعدُّ تقديرُ النتائج المُحتَمَلة لأيّ فعلٍ نقوم به أساساً كافياً لبناء نظامٍ أخلاقيٍّ كامل . لكن هذا لا يعني أنّ تقدير العواقب ليس له صلة بصنع القرار الأخلاقيّ .

يمكننا تشويه أيّ شيءٍ وتحويله إلى شيءٍ شرّيرٍ عن طريق دوافعنا الخاطئة التي تبحثُ عن المجد الذاتي أو المكسب المادّي .

لنفترض أنه يوجد مجاعة حادة في مكانين، ونريد إمدادهم بالأموال للتخفيف من حدة الجوع. إذا ارتفعت تكاليف الطعام في البلد (أ) مرتين أكثر من البلد (ب)، فإن تبرعاتنا للبلد (ب) ستتمكّن من إطعام ضعف العدد. ومن ثم، إذا لم تكن هناك عوامل رئيسية أخرى، فسيبدو من المعقول أن نتبرّع بالأموال للمكان الذي ستستخدم فيه لإطعام العدد الأكبر (حيث هناك فائدة أكبر لعدد أكبر من الناس). وعليه، فإن الأفكار النفعية هي أفكار مشروعة، لكنها بحاجة إلى وضعها في إطار أفضل. وهذا نجدّه حين نأتي إلى الكتاب المقدس صاحب الأساس الذي يمكن تأسيس وبناء جميع المعارف والفهم السليم عليه.

لذلك، فإن الأخلاقيات المسيحية لا تستسهل الأمور، ويوجد مستويات متعدّدة من التحليل في صنع القرار والسلوك الأخلاقي. والأكثر من ذلك، لا يتوقّف تقييم الله لأخلاقنا عند مستوى أداء الفعل الخارجي، حيث نحن نوافق تماماً على التحليل التالي:

يُعدُّ التقييم الأخلاقي أمراً نفعه جميعاً على نحو روتيني، سواء كنّا نعي ذلك أم لا. ويشتمل تقييم الأفعال على الدوافع الخفية وراء هذه الأفعال، والعواقب الناتجة عنها، وشخصية من يقوم بها.^٥

حين نُقيّم الخيارات والقرارات الأخلاقية، نحن بحاجة إلى وضع هذه العناصر المختلفة في عين الاعتبار. وعلينا أن نتذكّر أيضاً أن الناس يمكنهم أن يحكموا علينا على أساس أفعالنا الظاهرية، لكنّ الله يهتم بأفكار قلوبنا ودوافعها. والأمر التي ربما تُثير إعجاب الناس يمكن أن تكون بغیضة في نظر الله. والعكس صحيح، فالأمور التي ربما يعتبرها الناس بغير ذات قيمة، يمكن أن تكون مكرّمة في عينيّ الله. يُعدُّ القيام بأشياء جيّدة بدوافع خاطئة أمراً غير أخلاقي. ورغم ذلك، فإن النيات الحسنة لا تكفي أيضاً. يقوم الكثير من الناس بأشياء تتبّع من دوافع صادقة، لكن مع ذلك من الممكن أن يسبّب ما يفعلونه الأذى للآخرين. وبالنظر إلى خطايانا

يُعدُّ نموُّ العلاقة الحميمة مع الله أمراً ضرورياً للحياة الأخلاقية.

^٥ B. Rae scott، مقدّمة الأخلاق المسيحية: (A Short Guide to Making Moral Decision) Grand (Rapids, 2016). هذه مقدّمة ممتازة وموجزة. تستحقّ قراءة جيّدة.

والصُّعوبات التي يواجهها الأشخاص الذين يحاولون العيشَ بطريقةً أخلاقيةً، ويساعدون الآخرين في هذا العالم السَّاقط، فيجب إدراكُ ضرورة الاعتماد على الله كلياً لنوال النعمة والحكمة والصَّلاح الأخلاقي، لأنَّ نموَّ العلاقة الحميمة مع الله أمرٌ ضروريٌّ للحياة الأخلاقية.

ثمرُ الرُّوح

سنختتمُ هذا الفصل بذكر بعض الملاحظات عن ثمرِ الرُّوح. يتذكَّر العديد من المؤمنين (غلاطية ٥: ٢٢-٢٣)، لكنَّهم ربَّما لا يلاحظون السِّياق التي جاءت فيه. يبدأ المقطع الذي يتحدث عن ثمرِ الرُّوح بكلمة «ولكن» التي تُشير إلى علاقة منطقيَّة بالنصِّ السَّابق لها. على الرُّغم من أنَّ الفهم الصَّحيح يتطلَّب العودة لدراسة الرِّسالة بأكملها، فإننا سنعود إلى الآية ١٩ وحدها. هذا هو النصُّ:

وأعمالُ الجسدِ ظاهرةٌ، التي هي: زنيٌّ عَهارةٌ نجاسةٌ دَعارةٌ عبادةُ الأوثانِ
سحرٌ عداوةٌ خصامٌ غيرَةٌ سَخَطٌ تحزُّبٌ شقاقٌ بدعةٌ حسدٌ قتلٌ سُكْرٌ بطرٌ،
وأمثالٌ هذه التي أُسبقُ فأقولُ لكم عنها كما سَبقتُ فقلتُ أيضاً: إنَّ الذينَ
يُفعلونَ مثلَ هذه لا يرثونَ ملكوتَ الله. وأما ثمرُ الرُّوحِ فهو: محبةٌ فرحٌ
سلاَمٌ، طولُ أناةٍ لُطفٌ صلاحٌ، إيمانٌ وداعةٌ تعفُّفٌ. ضدُّ أُمثالِ هذه ليسَ
نأموسٌ (غلاطية ٥: ١٩-٢٣).

لاحظ التباين الشديد بين ثمرِ الجسدِ وثمرِ الرُّوح. يوجد الكثير من النَّقاط التي يمكن ذكرها، لكننا لا نملك مُتسعاً من الوقت لذلك، ونهدفُ لذكر النَّقاط الأكثر أهميةً المرتبطة بهذا السِّياق مثل:

أولاً، إنَّ طبيعتنا الخائنة ضدَّ طبيعة الله. حين يُثمرُ الرُّوح ثمرًا في حياتنا، ما يفعله حقاً هو جعلنا نُشبهه المسيح الذي هو ابنُ الله المتجسِّد. إذا كنتَ ترغب في التَّشبهَ بالنموذج المثاليِّ للفضائل الموجودة في ثمرِ الرُّوح، إقرأ الأناجيل وأدرس حياة يسوع.

ثانياً، تُعدُّ أعمالُ الجسدِ مُدمِّرةٌ للداخل. والأشخاص الذين يتَّسمون بهذه الأعمال عادةً يكونون مُنقسمين ومُكسورين ويفتقرون إلى الصِّحة الروحيَّة وإلى السَّلام الداخلي. وفي المقابل، حين يُثمرُ الرُّوح ثمره في حياتنا، سنكون أصحَّاء

من الدّاخل، وعندما يمكن أن تستريح قلوبنا وعقولنا، لأنّها أصبحت تتوافق مع التّصميم الذي صمّمنا الله لنكونه.
 ثالثاً، يدمّر ثمر الجسد العلاقات والجماعات وثمر الرّوح بينهما. وتعدّ النّقطة الأخيرة ضروريّة للأخلاق.
 راجع بدقّة قائمة أعمال الجسد. هل ترغب العيش في مجتمع يتّسم بهذه الأعمال؟

هل تريد أن تكون مُحاطاً بأصدقاءً مملوئين بالكرهية؟
 هل تودّ الزّواج من شخص أنانيّ ودائم الغضب السّريع؟
 هل العيش في عالم يُوصف بالاستغلال الجنسيّ هو البيئّة التي تُريد حقاً أن تُربّي أولادك فيها؟

تعدّ الإجابة عن هذه التساؤلات واضحة تماماً. لكن، أنظر إلى ثمر الرّوح.
 ماذا عن العيش في علاقات تتميّر بالمحبّة؟
 ماذا إذا وجدنا صبراً عوضاً عن الغضب؟ وسلاماً عوضاً عن الحرب؟
 ماذا إذا كانت جميع علاقاتنا تتسم بالإخلاص؟
 ليس هناك وجهٌ للمقارنة بين طريقتي العيش الواردتين في هذا النّص، ولا يوجد طريقة يتمكّن فيها الإنسان من النّمواً أخلاقياً بعمق إلا من خلال الشّركة مع الرّوح القدس الذي هو مُرشدنا ومُشيرنا. إذا كنّا نُريد العيش بطريقة أخلاقيّة، ونريد أن نصيح بركة للعالم من حولنا، فنحن نحتاج إلى النّمواً في علاقة نابضة بالحياة مع الإله الحيّ، من خلال يسوع المسيح، وبواسطة الرّوح القدس.

أسئلة للتفكير:

- ١ . ما هي الطرُق التي يمكن لكنيستك أن تساعدَ بها في خلق مجتمع مليء بالمحبة، في داخل الكنيسة وفي المجتمع الخارجي على حدّ سواء؟
- ٢ . كيف تساعدنا حقيقة أن الله ثالث على فهم الأخلاق؟
- ٣ . أذكر بعض الأمثلة الكتابية لأعمال جيّدة رفضها الله بسبب فسادِ دوافع قلوب الأشخاص الذين قاموا بها.
- ٤ . بكلماتك الخاصة، لخصّ النظريّات الأخلاقيّة الأربعة الواردة في هذا الفصل. وما هي الأمثلة التي يمكنك التفكير فيها من خلال حياتك أو تجربتك في اتّباع هذه النظريّات من التفكير الأخلاقي؟



الأخلاق والرؤية الكونية

إذا أردنا الوصول إلى فهم أعمق لقضية الأخلاق، علينا أن نقضي بعض الوقت في التفكير والتأمل في الرؤية الكونية^١. بحيث أن الرؤية الكونية هي الإطار الواسع الذي نفهم من خلاله الواقع، وهي الطريقة التي نرى بها العالم ونفسره. يوجد لدى جميع الناس رؤية كونية، حتى هؤلاء الذين لا يهتمون بتحليلها عن معرفة وهم لا يدركون أنهم يمتلكونها. ومن الأسباب الرئيسية التي يختلف عليها الكثيرون حول قضايا أخلاقية محددة هو امتلاكهم لرؤى كونية مختلفة. وكما سنرى لاحقاً، أن القرارات الأخلاقية لا تأتي من الفراغ، وإنما تقوم على عدد كبير من العوامل والمعتقدات الأخرى.

أسس الرؤية الكونية

كي نمتلك أخلاقاً واعيةً مترابطة منطقياً، نحن نحتاج إلى التعلم عن الرؤية الكونية، بما في ذلك رؤيتنا الخاصة، وكيفية تحليلها والتعبير عنها وتقييمها. كما

١ المادة الواردة في هذا الفصل مُقتبسة من ستيفن جي ويست Steven D. West، من كتاب Head, Heart, Hands: life-Transforming Apologetics (غلاف: كاري للطباعة والنشر، ٢٠١٥).

يوجد مجموعة مختلفة من الأسس التي يستخدمها العلماء لتحليل الرؤى الكونية، لكن غالباً ما تكون النقاط الأساسية التي تقوم عليها مبادئ تحليل الرؤية الكونية هي نفسها. وبالتالي، فإن المناقشة التالية هي معيار مقبول إلى حد ما. وكما نَحَقِّقُ غرضنا بنشر ع في تقسيم مبادئ الرؤى الكونية إلى خمسة أسس مفتاحية. يُعَدُّ إدراك الفرد للرؤية الكونية من أجل اتخاذ القرار والفهم الأخلاقي أمراً هاماً للغاية.

فهم رؤيتنا الكونية وكذلك أيضاً رؤى الآخرين، يمكن أن يكون وسيلة حاسمة لإيجاد طريقنا حين نصير غارقين في المناقشات والخلافات الأخلاقية.

الرؤية الكونية كيفية تفسير الصورة الأشمل على نطاق واسع

١- الله

يُعدُّ الإيمان أو عدم الإيمان بوجود الله نقطة خلاف أساسية بين الرؤى الكونية المختلفة. يستحيل أن يمتلك الملحدون والمسيحيون النظرة الكونية عينها، وليس هاتان العقيدتان هما الاحتمالين الوحيدين. على سبيل المثال، يؤمن أنصار مذهب وحدة الوجود بأن الله هو كل شيء، وكل شيء هو الله. لا يمكن أن يكون الملحدون من أنصار مذهب وحدة الوجود، ولا يمكن أن يكونوا أيضاً مسلمين، فالإسلام يؤمن بوجود الله الواحد الصمد. بينما المسيحية تؤمن بوجود الله الواحد المثلث الاقانيم. الاتفاق الحقيقي على الرؤية الكونية ليس الإيمان بوجود قوة خارقة للطبيعة وحسب، لكن ما نؤمن به بشأن طبيعة الله يُميز الرؤية الكونية عن غيرها.

رغم ذلك، فإن الاتفاق الكامل في كل تفصيل لاهوتي صغير غير مطلوب من أجل الاشتراك في رؤية كونية جامعة. ولكن من الضروري أن يشترك جميع المسيحيين في الرؤية الكونية ذاتها، حتى ولو كان لديهم آراء مختلفة حول قضايا أقل أهمية. على سبيل المثال، يعتقد بعض المسيحيين أن الله موجود خارج الزمن والبعض الآخر يؤمن بأنه كائن داخل الزمن

يُعدُّ الإيمان أو عدم
الإيمان بوجود
الله نقطة خلاف
أساسية بين الرؤى
الكونية المختلفة.

(والبعض يؤمن بأنه كان موجوداً خارج الزَّمن قبل الخلق وأصبح داخل الزَّمن بعد الخلق). وبعض المسيحيين يؤمنون بأنَّ الله يُريد من الآباء المؤمنين أن يُعَمِّدوا أطفالهم الرُّضَع، في حين أنَّ الآخرين يصرون على أنَّ معمودية الأطفال لا تجوز إلاَّ للأشخاص الذين اتَّخذوا قراراً باتباع المسيح من أنفسهم. فرغم ذلك، هامَّ جداً معرفةُ أنَّ هذه الأمور ليست غيرَ جدالاتٍ داخليةٍ تحدث داخل النظرة الكونية المسيحية الواسعة. فبعض القضايا أساسيةٌ أكثر من غيرها، لذلك درَّب نفسك على تمييز ما هو هامٌّ وقبول وجود تنوع بين وجهات النظر في القضايا الثانوية حتى يكون البناء على الأساس نفسه لا على التفصيل.

٢- الميتافيزيقا (علم الماورائيات)

يُركِّز هذا الجزء الأساسي الثاني على حقيقة الواقع. فهو يهتمُّ بحقيقة طبيعة الأشياء، ما هو حقيقي وما هو غير حقيقي. يُطلق على هذا الموضوع أيضاً تسمية علم الوجود (الأنطولوجيا). حين نُفكِّر بشأن الله والميتافيزيقا، نرى كيف أنَّ رؤيتنا الكونية للعنصر الأوَّل والثاني تبني أجزاءً متداخلة. ففي الفلسفة، غالباً ما يُعامل الله باعتباره أحدَ موضوعات علم الميتافيزيقا (علم الماورائيات) مثل سائر الموضوعات، لأنَّه يمكننا أن نطرح أسئلةً بشأن طبيعته ووجوده، مثلما نستطيع أن نسأل عن الأشياء الأخرى مثل الحيتان والنجوم. ولكن من ناحية الرؤية الكونية، يُعتبر وجود الله وطبيعته أمراً هاماً للغاية، لذا فمن الأفضل معاملته باعتباره فئة خاصة. كما أنَّ وجودَ الله وطبيعته يختلفان أيضاً عن كلِّ شيءٍ آخر. على سبيل المثال: الله موجودٌ بذاته، ومُكتفٍ ذاتياً، ولا يعتمد على أي شيءٍ خارج نفسه، ولكن كلُّ شيءٍ في العالم الماديِّ بكامله يعتمدُ تماماً على الله. وبالتالي، حتى إذا اعتبرَ الله واحداً من التَّعبيرات الميتافيزيقية، فلا بدَّ من الاعتراف بأنَّ وضعه الميتافيزيقي فريدٌ من نوعه قطعاً.

تُحوي قضايا الميتافيزيقا الأساسية عالمياً الأسئلة التالية: ما هي طبيعة وجود المفاهيم والأفكار المجردة؟ هل الحقائق الرياضية موجودة بمعزل عن المعرفة الذهنية؟ هل العالم الماديُّ ظاهرٌ بكامله في الوجود العينيِّ؟ كيف نُميِّز بين الشيء والآخر؟ ماهي الطبيعة الأساسية لكيانٍ مُعيَّن؟ يمكن أن تبدو بعض القضايا الميتافيزيقية مجردة إلى حدِّ ما، وثمة أخرى تُتَّصَف بالعمليَّة والحيويَّة على السواء. وفي وقتنا الرَّاهن، نجد الماديين المتشددين الذين يؤمنون بأنَّ المادَّة

هي المكوّن الأساسي لكل شيء في الطبيعة، ونجد الرّوحانيّين الذين يعتقدون بأنّ بعض الحيوانات والأشجار والحجارة، وما إلى ذلك، تمتلك أرواحاً. ونجد بعض الهنّوس يؤمنون بأنّ العالم المادّي الموجود ليس ظاهراً بكامله في الوجود وهو خدّاع، وهنا تكمن الاختلافات الكبيرة. لذلك، ومع أنّ المناقشات الميتافيزيقيّة يمكن أن تكون عميقة جداً ومجرّدة للغاية، فإنّ الكيفيّة التي نُحِبُّ بها عن أسئلة ميتافيزيقيّة مُعيّنة هي جزء أساسي من فهمنا وتفسيرنا للواقع.

٣- البشَر

يمكن إدراج البشَر تحت عنوان ميتافيزيقيّ في عمليّة تحليل العناصر. لكن كما هو الحال حين نتحدّث عن الله، فإنّ الطريقة التي نفهم بها الطبيعة البشريّة تخلق فجوة كبيرة بين الرّوى الكونيّة المختلفة. على سبيل المثال: كيف يتكوّن البشَر؟ ويعتقد المادّيون، مثلما يعتقدون في أيّ شيء آخر، أنّ البشَر تكوّنوا تحديداً من المادّة، وهم لا يملكون روحاً أو نفساً. بالنّسبة إلى معظم المادّيين، جاء البشَر نتيجة عمليّة التطوّر البيولوجي غير الموجهة وغير المقصودة، ووجود الإنسان في الكون لم يكن مُرتقياً ولم يكن مخطّطاً له، بل هو حادثٌ كونيّ خارج عن أيّ سببٍ رئيسيّ. وحين يموت الإنسان، فإنّ جسده ببساطة يتحلل وينتهي، ولا يوجد حياة أو إدراك بعد الموت.

لكن بالنّسبة إلى أولئك الذين يؤمنون بتقمّص الأرواح، فإنّ الحياة لا تنتهي بالموت ولا تبدأ عند الولادة. فهم يعتقدون أنّ النّاس عالقون في تكرار دائريّ بين الولادة والموت، والتقمّص بينهما هو الوجود الإنسانيّ. وقليل جداً هو الزّمن الذي فيه ستلتصق الرّوح بالجسد البشريّ (وهو ما يُثير حقاً أسئلة هامّة تتعلق بطبيعة الإنسان في هذا المُعتقد). على الرّغم من أنّ بعض النّاس في العالم الغربيّ يعتبرون فكرة التقمّص فكرة خياليّة (يرَوْنها مثل الذين يريدون السّباحة في المحيط، أو مثل الدّافنين، أو مثل الذين يريدون تسلّق الجبال، أو مثل النّسر؟)، فإنّ فكرة التقمّص عند الذين يعيشون في العالم الشرقيّ فكرة مؤلّمة. يصبح هدف الحياة بمجملها هو الهروب بالكامل من رُعب التقمّص ودائرة الألم. سواء أكان الشّخص يؤمن بأنّ التقمّص شيء جيّد أم لا، فإنّ ذلك ليس له علاقة بهدفنا، الهامّ هو أنّه لا يمكن التوفيق بين هؤلاء الذين يعتقدون في تقمّص الأرواح وبين أولئك الذين لا يؤمنون به حول الطبيعة البشريّة. يؤمن المسيحيّون بأنّ النّاس

يولدون جسدياً مرّة واحدة ويموتون مرّة واحدة، وبعد ذلك سيُدانون أمام الله. هذا الاعتقاد يتضمّن أنّ البشر هم أكثر من مجرد أجساد مادّية. وفي نهاية المطاف، إنّ وجهة نظر المسيحيين، ووجهة نظر الماديين، ووجهة نظر أنصار تقمّص الأرواح، يَحْتَفِلون إلى حدّ كبير بحيث لا يستطيع مؤيّدوهم الاشتراك في النظرة الكونية ذاتها. وعليه، فإنّ الكيفيّة التي يفهم بها الناس الطبيعة البشريّة هي نقطة أساسيّة في تكوين نظرهم الكونيّة.

٤- الآداب والأخلاقيّات

حين نُفكّر ملياً في الرّوى الكونيّة، يجب أن نندكّر أنّ الناس ليسوا بحاجة إلى الاتّفاق على جميع القضايا الأخلاقيّة ليتشاركون في الرؤية الكونيّة نفسها. كما أنّهم لا يحتاجون إلى الاشتراك في الرّؤية الكونيّة نفسها ليصلوا إلى الاستنتاجات عينها حول قضايا أخلاقيّة معيّنة. يشترك بعض المسيحيين والمُحدّثين في الإلتزام المشترك بالسّلام، في حين أنّ البعض الآخر من المسيحيين والمُحدّثين يؤمنون بوجود ظروف معيّنة يصبح فيها إعلان الحرب أمراً مقبولاً أدبياً. وأيضاً، يعتقد بعض العلمانيين أنّ الفنّ الإباحيّ فنٌّ غير مؤدّ، في حين أنّ البعض الآخر يعتقدون أنّه تجرّيدٌ من الإنسانيّة واستغلالٌ لها. على الرّغم من ذلك، يوجد بعض القضايا الخاصّة التي تكشف عن الاختلافات الأساسيّة في الرّوى الكونيّة. على سبيل المثال، يؤمن المسيحيون بأنّ أعظم مَهْمَة أخلاقيّة في العالم هي تمجيدُ الله ومحَبّته محبّةً فائقة. ولا داعي للقول إنّ المُحدّثين لا يقدرّون على قبول ذلك.

فيما يتعلّق بالرّؤية الكونية، نحن بحاجة إلى التفكير في طبيعة الأخلاق ذاتها، أكثر من التفكير في قضايا أخلاقيّة فرديّة.

وفيما يتعلّق بالرّؤية الكونيّة، نحن بحاجة إلى التفكير في طبيعة الأخلاق ذاتها، أكثر من

التفكير في قضايا أخلاقيّة فرديّة. كيف تؤثر الرّؤية الكونيّة على وجهات النّظر الخاصّة بالأخلاق؟ تُعدّ مسألة ما إذا كانت الأخلاق موضوعيّة أم ذاتيّة واحدة من الاختلافات الكبيرة حول الأخلاق. وعليه، أوجدُ مقياسٌ عالميٌّ للصواب والخطأ يمكن أن يُطبّق على أيّ شخص وفي أيّ وقت؟ هل تكون جميع المعايير الأخلاقيّة

مجرد مبادئ توجيهية مجتمعية، وفي آخر الأمر هي مجرد مبادئ إختيارية وغير موجبة؟ هل تُكتشف الأخلاق عن طريق وصايا الله في الكتاب المقدس، أم أنّ هذه الوصايا يجب تقييمها والحكم عليها على أساس الحس الأخلاقي للقارئ؟ هل الآداب الموجودة في العالم واحدة، أم أنّ الأخلاق تختلف وفقاً لتفضيلاتنا الخاصة وأمزجتنا؟

يوجد الكثير ليقال حول طبيعة الآداب والأخلاق، وأكثر من مناقشة القضايا الخلاقية نفسها. إذ يُنكر بعض الأشخاص أنّ الأخلاق مُلزّمة عالمياً، في حين يرفض البعض الآخر فكرة الآداب بالكامل. وحيث يرى الفريق الأول أنّ جميع الأخلاق نسبية، يعتقد الفريق الآخر أنّ فكرة الأخلاق الصحيحة هي فكرة خاطئة في حدّ ذاتها. وفي تباين صارخ بينهما، يؤمن المسيحيون أنّ الأخلاق هي حقيقة موضوعية. وهم يُقرّون أنّ الله أعطى أوامر أخلاقية يجب إطاعتها، كما أعطى مبادئ أدبية يجب اتباعها. على الرّغم من ذلك، يُشكّل تطبيق المبادئ الأخلاقية تحدياً، فهناك مواقف صعبة يصل فيها الأشخاص أصحاب الرّؤية الكونية نفسها إلى استنتاجاتٍ شتى بشأن ما ينبغي عمله في مواقف مُعيّنة.

يمكن أن يطوّر العديد من الناس وجهات نظرهم السابقة، ومن الممكن أن يصلوا أحياناً إلى استنتاجات مختلفة تماماً عمّا كانوا عليه في الأصل. ويمكن أن يحدث هذا التطوّر الأخلاقي أيضاً داخل إطار النّظرة الكونية نفسها، ويكون الاعتراف بتنوّع الآراء الأخلاقية الموجودة داخل النّظرة الكونية المشتركة أمراً له فائدة كبيرة كذلك. ولكن كيف يُمكن أن تتطوّر الآراء الأخلاقية من دون إغفال هيكل الرّؤية الكونية بالكامل؟ وأيضاً يُمكن التمييز بين الرّوى الكونية على أساس الأخلاقيات الفوقية (أي عن طريق الطبيعة الشاملة للأخلاق)، وهذا الذي يجب أن يكون محور نقاشات النّظريات الكونية. لكي نكون مؤمنين، لا نحتاج أن نكون مسالمين، ولا أنّ نكون مجرد مدافعين عن نظرية الحرب العادلة، بل ما نحتاج إليه هو أن نكون قادرين على تمييز متى يُمكن استيعاب آراء متنوّعة في النّظرة الكونية المشتركة. وبما أنّ هذا هو الحال، ينبغي تحديد القضايا الفرعية التي لا علاقة لها بكون الشّخص مؤمناً أم لا.

٥- علم الإيستمولوجيا (نظرية المعرفة)

يُسمّى الموضوع الذي يتناول المعرفة في لغة الفلسفة (نظرية المعرفة). ويحوي الأسئلة التالية: ما الذي يمكن معرفته؟ هل توجد حقيقة؟ هل يوجد طرقٌ تحقّق نتائج أفضل من غيرها في اكتشاف الحقيقة؟ ما الفرق بين معرفة شيء ما والإيمان به؟ حتى إذا كنّا نعرف بعض الأشياء، هل يمكن معرفة أنّنا نعرف تلك الأشياء؟ كيف يمكن تقديم التبرير العقلي والمنطقي لتمسّكنا بالمعتقدات التي نمتلكها؟ هل الآراء العقلية كلّها مجرد وجهات نظر نسبية، ممّا يستلزم أن تكون كلّ المعتقدات صحيحة أو خاطئة متساوية؟ هل ينبغي أن نكون متشكّكين متطرفين؟ هل ما نسميه (حقيقة)

هو مجرد تمويه للحفاظ على معتقدات مناسبة لحماية السلطة والتحكّم؟

العناصر المفتاحية للرؤية الكونية، ما هو مفهوم الرؤية الكونية لما يلي:

- ١- الله
- ٢- المينافيزيقا (علم الماورائيات)
- ٣- النّبيّ
- ٤- الآداب والأخلاق
- ٥- علم الإيستمولوجيا (نظرية المعرفة)

ليس مبالغاً فيه القول بأنّ الفلسفة المعاصرة مهووسة بقضايا (نظرية المعرفة). وتعدّ النقاشات المرتبطة بالموضوع معقّدة تعقيداً غير عاديّ. لكنّ معظم الأشخاص الذين يناقشون معك معتقدك، لا يكونون متخصصين في هذا المجال! لست بحاجة إلى إتقان الموضوع لتكون قادراً على تحديد بعض النقاط المفتاحية. على

سبيل المثال، أحياناً ستسمع شخصاً يصرّ على أنك لا تستطيع معرفة أي شيء معرفة تامّة. هذا بالتأكيد رأي مهزوم ذاتياً، كيف يمكنهم معرفة ذلك؟ ويقول آخرون: إنّ الشيء الوحيد الذي يمكننا أن نعرفه معرفة تامّة هو الدروس والخلاصات البنّية على العلم. فالمعرفة البشرية بالنسبة إليهم مثبتة حين تُبنى على العلم، وأما كلّ ادّعاءات المعرفة الأخرى، بشأن الأخلاق أو الله، فهي غير مثبتة لأنّ لا أساس علمياً لها. ولكن لا أحد من الذين يتبنون هذا الرأي قد اكتشفه علمياً بنفسه، لذلك فإنّ هذا الرأي يدحض نفسه بنفسه. إذ يُعدّ رأياً فلسفياً لا رأياً علمياً. وعلى الجانب الآخر، يصرّ البعض على أنّ البشر خلّقوا كي يعرفوا الله وذلك من خلال إعلانه عن نفسه الذي على أساسه نستطيع أن نتقّ في معرفتنا به. ومن ثمّ، نجد أنّ وجهات نظر النسبية والعلمية والمسيحية متعارضة بوضوح. ربّما يتفق الناس على كوننا نستطيع معرفة أشياء، لكنهم يختلفون بشأن الطريقة التي يمكن أن نعرف بها تلك الأشياء. أو ربّما يختلفون بشأن بعض الحقائق،

لكنهم يتفنون في الطريقة الفضلى للحصول على المعرفة. لا يمكن أن نفهم المعرفة الإنسانية بمعزل عن الطبيعة البشرية وعلم الماورائيات ووجود الله. ويضيف بعض المفكرين قائلين: «إن المعرفة الإنسانية لا يمكن فصلها عن الأخلاقيات أيضاً»، ولذا يتجادلون حول بعض الفضائل (مثل الأمانة والاتضاع) ويقولون إنها تتطلب منا أن نفكر فيها تفكيراً مناسباً. وحيث أن لدى كل شخص ميولاً وانحيازات، يُمكن استخدام العقل لتبرير المعتقدات الخاطئة عوضاً عن استخدامه في اكتشاف الحقيقة. إنه لأمر مختلف، أن يكون لديك فضائل، عن أن يكون لديك ذكاء، لكن الفضائل ليس لها صلة بالتفكير والتحليل.

الرؤية الكونية المسيحية

سنقدم في هذا الجزء مخطّطاً موجزاً للغاية لما تقوله الرؤية الكونية المسيحية بخصوص كل عنصر من العناصر الخمسة. نود أن نكون قادرين على توضيح أننا بوصفنا مسيحيين نملك وعياً عميقاً للقضايا والمبادئ الأخلاقية، وأخلاقياتنا أيضاً متأصلة في نظام مترابط مع الرؤية الكونية. حتى أننا نرغب في محاولة إظهار أن الرؤية الكونية المسيحية هي الرؤية الكونية الوحيدة التي تجعل في النهاية التفكير الأخلاقي تفكيراً له معنى. نحن لا نخجل مطلقاً من مقاييس الله الأخلاقية: فهذا هو عالم الله، ونحن مخلوقاته، والآداب والأخلاق مُستوطنة في المسيحية. يوجد الكثير لنقوله في هذا السياق، لكننا في الوقت الراهن، سنولي اهتماماً في بسط الخطوط العريضة للنظرة الكونية المسيحية فيما يتعلق بالله، والميتافيزيقا، والبشرية، والأخلاق، ونظرية المعرفة.

١- الله

فيما يتعلق بالعنصر الرئيسي الأول، لسنا بحاجة ربّما إلى إعلان أن المسيحية تؤمن بوجود الله. ولكن من الهام جداً التأكيد على أن الناس لديهم صعوبة في فهم ما المقصود بذلك. الله في المسيحية ليس هو الخالق الأعظم الذي خلق الكون ليقتف مكتوف اليدين وهو يشاهد الإنسان عبر امتداد التاريخ، ولا يشبه الأجداد الأخيار، كما أنه ليس مجرد إله يُريدنا أن نلعب بلطف في روضة الأطفال على هذه الأرض قبل أن يجعلنا نعيش معه في السماء. إنّما هو الإله الذي أعلن عن نفسه في الكتاب المقدس إلهاً قديراً ومهوباً، كليّ السلطان والقوة والمعرفة والحكمة

والوجود. هو بلا خطيئة، وذو صلاح منير. على الرغم من أنه يفوقنا سموً ورفعةً بما لا يُقاس، فقد اختار الدخول في علاقة حميمة مع شعبه.

لا يوجد مثيل لله. فهو وحده الكائن الموجود بذاته والمكتفي بنفسه، ولا يعتمد على أي شيء خارج ذاته. الله قدوس،

وهو روحٌ ظهرَ في الثالوث، وهذا يعني أن له طبيعةً واحدةً يشترك فيها ثلاثة أشخاص متداخلين، إنها الوحدة الكاملة في ظل التميّز. يمكن تمييز الله الآب، الله الابن، الله الروح القدس على أساس علاقتهم الشخصية مع بعضهم البعض، لكن لهم الجوهر عينه. يوجد المزيد من المعرفة عن الله أكثر مما نتخيل. هو غير محدود، لذلك لن نستطيع أبداً استيعاب طبيعته بشكل كامل. رغم ذلك، فقد أعلن الله عن نفسه لنا في شخص ابنه، الرب يسوع المسيح. وحيث لا يمكننا معرفة الله من دون المسيح، ففي المسيح، أعلن الله عن نفسه للبشر وصار ظاهراً لهم.

٢- الميتافيزيقا

بما أنه لا وجود لأحد بذاته غير الله، فإن العالم المادي في أصله يعتمد في وجوده على الله. وفيما يتعلّق بالميتافيزيقا، فالله هو الخالق المستقل للكون. كان يتصوّره في عقله ثم أحضره إلى حيّز الوجود بقوة إرادته. لا وجود للمادة إلى الأبد أو بصورة مستقلة. لم تكن المادة الشيء الأوّل الذي وجد في الواقع، بل قبل وجود المادة وجد العقل والروح. لقد صمّم وأسّس الله قوانين الطبيعة التي تُنظّم العالم المادي وجميع التفاعلات الفيزيائية. ويستطيع العلماء أن يدرسوا التفاعلات الفيزيائية الكائنة داخل هذا النظام، لكن وجود هذا الواقع المادي والقوانين التي يعمل بها تعتمد على فكر الله وإرادته وقوّته.

وفقاً للمسيحية، إن
الأمر الأكثر أهمية
الواجب إدراكه
هو أن العالم المادي
مخلوق.

كما يمكننا أن نفهم من الرؤية الكونية الكتابية أنّ العالم المادي مخلوق بواسطة الله. ووفقاً للمسيحية، فإن الشيء الأكثر أهمية الذي يجب أن ندركه هو أنّ العالم المادي مخلوق. لم يكن موجوداً منذ الأزل، وهو ليس حقيقةً يصعب تفسيرها،

كما أنه ليس حدثاً جَلَبَ الحزنَ إلى الوجود. إنَّ هذا الكونَ الذي نحيا فيه مخلوقٌ . ويُعدُّ هذا النظامَ الميتافيزيقيَّ من صنع الله، ويُعلنُ عن قوَّته ومجده، ومختومٌ عليه بموافقةِ الهَيْئَةِ. فكلُّ نجمةٍ وكلُّ جرثومة، وكلُّ ورقة نبات وكلُّ كوكب كبير، من أصغر الجسيمات إلى الكون بامتداداته الرَّحْبَةِ، ومن القمَّة إلى القاع، ومن الأمام إلى الوراء، ومن الجانب إلى الجانب الآخر، جميع هذه الأشياء خلقها الله. وعليه، فإنَّ الميتافيزيقا حقاً هي العِلْمُ الذي يتناول دراسة واكتشافِ خليقةِ الله.

٣- البَشَر

يُعدُّ التنوُّعُ الهائلُ للكائناتِ المخلوقةِ أمراً مذهلاً، ولكنَّ واحدةً من أكثر الأشياءِ روعةً هي أنَّ الله خلقَكَ أنتَ. فالبَشَرُ هم أعظم مخلوقاتِ الله على الأرض. لذلك، فإنَّ العنصرَ الرَّئيسيَّ الثالثَ للرؤية الكونيةِ هو الطبيعة البشرية، وهو أيضاً ما أُعطيَ له اهتمام كبير في الكتاب المقدَّس. لم يوجَدِ البَشَرُ على هذه الفانية نتيجةً لسلسلةٍ من الأحداثِ غير الموجهة وليدة الصدفة. كما أننا لسنا مجرد كائنات بيولوجية لا غرضَ من وجودنا ولا نشكُلَ قيمةً حقيقيةً. نحن لسنا كائنات شاردة كونياً. وعلى الرُّغم من اشتراكنا في أشياء كثيرة مع مملكة الحيوان، فإنه يوجد فرقٌ نوعيٌّ بين البَشَرِ وجميع فصائل الحيوانات الأخرى. حيث أعطى الله البَشَرَ عطيةً خاصةً ومميَّزة هي الرُّوح الحَيِّ. وعليه، فإنَّنا مخلوقاتٌ ماديَّة وروحيَّة.

والأكثر من ذلك، نحن مخلوقون على صورة الله. تُرى ما المقصود بذلك

بالتحديد؟ فندخل الآن إلى تلك الأعماق . لا تُعدُّ هذه الفكرة الأساسية عسيرة على الفهم، والسببُ أن: أولاً، الله رُوحٌ وقد أعطى كلاً منا روحاً. ثانياً، نحن كائناتٌ واعية ذاتياً وعقلانية ذات قدرة عالية على التفكير العقلائي. ثالثاً، أعطانا مسؤوليةً أدبيةً ومنحنا الفهمَ للتمييز بين

ما الذي يجعل البَشَرَ مخلوقاتٍ

حاملةً لصورة الله؟

١. لدينا روح
٢. نمتلك قدرة على التفكير العقلي
٣. لدينا مسؤوليةً أدبيةً
٤. يُعلن وجودنا في جميع أنحاء العالم عن ملكيتنا لله

الصواب والخطأ، فنحن مسؤولون أخلاقياً عما نفعله. تعمل هذه النقاط الثلاث بطبيعة الحال معاً. والنقطة الرابعة التي تتوافق مع النقاط الثلاث الأولى، ربّما تكون قد عنَّت لذهن القراء الأصليين لسفر التكوين. ففي الشَّرْق الأدنى القديم،

يمكن أن تُشير عبارة (على صورته وكشبهه) إلى تمثال منحوت على شبه الملك وصورته الذي غالباً ما يُشيد عند حدود المملكة. وفي كل مكان تقام فيه صورةً للملك، علامة على أن هذه الأرض تنتمي إليه. ووفقاً لهذه الطريقة من التفكير، حينما ذهب هؤلاء البشر حاملون لصورة الله، سيكونون علامة حية على أن الله هو الملك الذي يحكم هذه الأرض. وبعبارة أخرى، عندما ينتشر الناس في جميع أنحاء العالم، فوجودهم سيكون إعلاناً على أن العالم ينتمي لله. ربما تقدم جميع هذه النقاط الأربعة نظرةً مركبةً ومتوافقة تشرح بوضوح ما المقصود بأن نكون حاملين لصورة الله. نحن خلقنا لتكون كائنات عقلانية، مسؤولة، روحية ومادية يُعبر وجودها في جميع أنحاء العالم عن ملكيتها لله. أن نكون مخلوقين على صورة الله، هذا يدل على علم الوجود ودورنا بالسواء.

إذا كانت الحقيقة الأساسية بشأن الكون هي أنه مخلوق، فإن الحقيقة الأساسية بشأن البشر أنهم مخلوقون على صورة الله. لكن، حين ننظر إلى العالم اليوم، بمعزل عن التفكير في أحداث التاريخ البشري، يبدو أن البشر قادرين على القيام بأعمال وحشية لا تُصدق، وعلى إصدار كمية مذهلة من الشر. كيف يمكن أن يكون ذلك، إذا كان البشر حقاً يحملون صورة الله؟ كيف يمكن لحاملي صورة الله أن يكونوا أشراراً وفسادين إلى هذا الحد؟

للأسف، لم يُسجل الوصف الكتابي للجنس البشري أنه خليفة مجيدة على صورة الله وحسب، بل سجل الوحي المقدس أيضاً تمرّد حاملي صورة الملك على سيدهم. على الرغم من تحذيره لهم بخصوص عواقب رفض وصيته، فإن البشر الأوائل قرّروا ألا يطيعوا الله ويمضوا في سبيلهم. نتيجة لذلك، خسروا بإرادتهم علاقتهم الحميمة الأصلية مع الله. وعوضاً عن إيجاد طريقة للحياة أكثر ابتهاجاً، كما كان متوقعاً لهم، ماتوا روحياً وفُسدت طبيعتهم البشرية. يقول علم الأنثروبولوجيا (علم الإنسان) الكتابي بأن البشر مخلوقون على صورة الله، لكنهم يعيشون الآن تحت وطأة العواقب الوخيمة لاختيارهم السقوط في الخطية والشر. فهم لا يزالون يحملون صورة الله، لكنهم أفسدوا هذه الصورة إفساداً. وبدلاً من أن تتسم حياتنا بالتقوى أصبحنا في كثير من الأحيان أئمةً مملوئين بالأنانية والشر. وبطبيعة الحال، أصبح البشرُ بعيدين كثيراً عن النبيل وأكثر دناءةً ممّا نتخيل.

٤- الآداب والأخلاقيات

تربط هذه الأفكار التي لها علاقة بالخير والشرّ موضوع الطبيعة الإنسانية بموضوع الآداب والأخلاقيات. ويتخذ الكتاب المقدّس موقفاً محدداً تجاه العنصر الأساسيّ الرابع للرؤية الكونيّة. كما يميل الكثيرون الذين يعرفون القليل عن المسيحيّة إلى الاعتقاد بأنّ الكتاب المقدّس يحوي قائمة من الأوامر، وتبدأ هذه الأوامر بكلمة (افعل) أو (لا تفعل)، والأوامر التي تتعلّق بالأمر الأخير هي أكثر من الأوّل. بعبارة أخرى، يربط معظم الناس الكتاب المقدّس بقواعد أخلاقيّة أو مجموعة من المبادئ الأخلاقيّة. وعلى الرّغم من أنّ الكتاب المقدّس يتجاوز إلى حدّ كبير كونه كتاباً أخلاقياً، فالكتاب المقدّس يحوي بالفعل أوامر أخلاقيّة، وهي تتعلّق بعمق بالصواب والخطأ. وينبغي الاعتماد على هذه الأوامر لتساعدنا على المضيّ في دروب هذا العالم السّاقط.

وبالنظر إلى طبيعة الله، يجب اعتبار الأخلاق شيئاً حقيقيّاً وموضوعياً. ربّما لا يُحبّ الناس مقاييس الله الأخلاقيّة، ومع ذلك لا غنى عن هذه المقاييس. حيث يُعلّمنا الكتاب المقدّس أنّ الناس في كل مكان لديهم حسّ أخلاقيّ عامّ بما هو صائب وما هو شرّير. لكن نادراً ما تكون مُشكّلتنا هي أنّنا لا نعرف ما هو الصّواب، فمشكّلتنا في الحقيقة هي أنّنا لا نرغب في القيام بما هو صائب.

تتأصّل الآداب من المنظور المسيحيّ في طبيعة الله ذاته، وهي جزء حقيقيّ من

العناصر المفتاحية للرؤية الكونية المسيحية

- ١- الله: كان موجود بذاته ومكتفي بنفسه، ولا يعتمد على أي شيء خارج ذاته
- ٢- الميتافيزيقا: الله هو الخالق المستقل للكون
- ٣- البشّر: البشر ساقطون بالخطية لكنهم يمتلكون روحاً وهم مخلوقون على صورة الله
- ٤- الآداب والأخلاقيات: تتّظهر المقاييس الأخلاقيّة من خلال الكتاب المقدّس والضمير البشري
- ٥- علم الإيستمولوجيا: يمتلك البشر معرفة أصيلة عن الله، عن أنفسهم وعن العالم

شخصيّته وجوهه. الشرُّ هو ما لا يتوافق مع طبيعة الله. يعلّم الله الفرق بين ما هو خير وما هو شرّ، وأعلن لنا عن ذلك في كلمته. وخلقنا أيضاً بالضمير الذي يتوافق مع القوانين الأدبيّة. لكن للأسف، نحن بارعون في تبرير سلوكيّاتنا وإيجاد طرق لتحييد أنفسنا من القواعد الأدبيّة الموجبة لكل شخص. وبالتالي، فإنّ ممارسة الأخلاق الإنسانيّة دائماً ما تكون معيبة في هذا العالم. كما وأنّه لدينا ميل نحو الشرّ الذي لا يمكن للتربية أن تُحوّله. ومع ذلك لا زلنا نعي هذا الفارق

الكبير بين الصواب والخطأ. تصرُّ النظرة الكونية الكتابية على أن الله خيرٌ تماماً، وهو خلق العالم الذي تُعدُّ فيه الأخلاقُ أمراً هاماً، والبشر يعرفون حقاً أنه يوجد فرقٌ واضحٌ بين الصواب والخطأ. ليست المشكلة الأساسية في افتقارنا إلى المعارف الأخلاقية، إنما في أننا نفضل في فعل ما نعرف أنه يجب أن نفعله. بلى، يوجد قضايا أخلاقية صعبة يمكن أن تواجهنا، لكن معظم قراراتنا الأخلاقية التي في الحياة اليومية واضحة، سواء كانت تروق لنا أم لا.

٥- علم الإيستمولوجيا (نظرية المعرفة)

إنَّ ادِّعَاءَنَا بأننا نمتلك المعرفة الأخلاقية، وأننا نعرف الفرق بين الصواب والخطأ يقودنا إلى نظرية المعرفة. فمن أجل الحصول على المعرفة الأخلاقية، يجب أن نمتلك على الأقل بعض المعرفة. الله كُليُّ العلم، وهو يعرف كلَّ شيءٍ يمكن أن يكون معروفاً، وقد خلق الله الإنسان على صورته، وعلى الأقل جزءاً من هذه الفكرة يتضمَّن قدرتنا العقلية على الفهم والتفكير. وكونُ الله كُليَّ العلم، فهذا يجعل المعرفة ليست ممكنةً وحسب، بل هي حقيقة واقعية مبنية على أن الله هو الذي يعرف كلَّ شيء. لذلك، هو يعرف كيفية إيصال الحق، ويعرف أيضاً كيف يصنع العالم الحقيقي الموجود خارج عقولنا، وكيف يُعدُّ أذهاننا وحواسنا لهذا العالم الخارجي، لكي نتمكن عندما نتفاعل مع هذا العالم أن نتعلَّم عنه وننمو في المعرفة. الأهم من ذلك، يعرف الله كيف يُشكِّلنا بالطريقة التي تجعلنا ننمو في معرفته أكثر وأكثر. يُعلِّمنا الكتاب المقدس أن الله حقٌّ في ذاته، لا يكذب مُطلقاً، لذلك يثقُ المؤمنون أن الله لن يخدعهم ولا يخلق عالماً لا يقبله العقل. ولأنَّ الإله الحقَّ صمَّ الطبيعة الإنسانية والعالم الذي وضعنا فيه، فإنَّه يمكننا أن نثق في أحاسيسنا وعقولنا ونقبل وجود الحقيقة غير النسبية.

في البدء

إنَّ إحدى الحقائق الأكثر روعةً والتي لها علاقة بالأسفار المقدسة من وجهة نظر فلسفية، هي أن العناصر الرئيسية الخمسة للنظرة الكونية موجودة جميعها في الفصلين الأولين من سفر التكوين في الكتاب المقدس. في واقع الأمر، تُقدِّم لنا الآية الأولى في الكتاب المقدس العنصرين الرئيسيين الأولين: « في البدء خلق الله السماوات والأرض » (تكوين ١: ١). وهنا نجد افتراضاً مسبقاً عن وجود الله

والإعلان عن الميتافيزيقا: خلق الله للعالم .

يوضِّح الفصل الأوَّل من سفر التكوين، أنَّ الله تكلمَّ وأحضر بكلمته عالماً حياً إلى حيز الوجود. فهناك علاقة سببية بين إرادة الله والأمر الذي نطقَ به لخلق وتكوين الخليقة. ففي حقيقة الأمر، أنه من المستحيل أن ينطقَ الله ويخلق ما يرغب أن يخلقه من دون معرفة، لا يستطيع الله تحقيق رغباته في الخلق ما لم يكن لديه المعرفة ليقوم بذلك. لذلك قرَّرَ الله أيضاً أن يخلق البشرَ على صورته. وهنا تظهر العناصر الثلاثة، الله والمعرفة والميتافيزيقا، وهذه العناصر الثلاثة تلتقي في عملية خلق الإنسان. وبالتالي سنكتشفُ، وقبل انتهاء الفصل الأوَّل من الكتاب المقدَّس، أربعةً من هذه العناصر الأساسية الخمسة للرؤية الكونية.

يُغرينا أن نقول أنَّ الفصل الأوَّل من سفر التكوين يُشير أيضاً إلى الآداب والأخلاقيات بسبب استخدامه لكلمة (حسن)، لكن ليست هذه الإشارة دليلاً قاطعاً. ففي الحقيقة، أنَّ الله لا يخلق وحسب، بل هو يعطي قيمةً (أي يعطي قيمةً لعمله) ويصف ما صنعه بأنه (حسن). لذلك ربَّما لا تُشير كلمة (حسن) في هذا السياق أنه حسن أدبياً وأخلاقياً، وإنما حسن وظيفياً وجمالياً. على سبيل المثال، يمكن أن تكون المطرقة (جيدة) لكن هذا ليس بالمعنى الأخلاقي. وأيضاً، صنَعَ الله النورَ ورأى أنه جيّد، لكنَّ



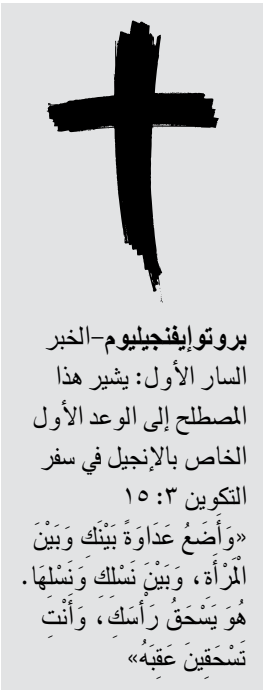
في الإصحاحين الأوَّل والثاني من الكتاب المقدس تظهر بشكل بدائي الخمسة مبادئ الأساسية للرؤية الكتابية الكونية

النور لم يكن له خاصية النقاء الأدبي أو البرّ الأخلاقي. لذلك على الرغم من اعتقادنا أنه يمكننا التأكيد على أنَّ الفصل الأوَّل من سفر التكوين يحتوي على فكرة القيمة، فإننا لا نعتقد أنه بإمكاننا التأكيد على وجود فكرة الأخلاق بشكل صريح.

يُمكن بناءُ الحجَّة الأقوى على وجود الآداب والأخلاقيات في الفصل الأوَّل من الكتاب المقدَّس على ما ورد في سفر التكوين (١: ٢٨) والذي يحوي توجيهات الله لأدمَ وحواء بأن يثمرا ويكثرا ويتسلطا على الخليقة. يعتبر البعض هذه الآية الوصية الأولى في الكتاب المقدَّس، ممَّا يعني وجود ضرورة أدبية لإطاعتها. لكن، هل هذه الوصايا هي وصايا أخلاقية؟ ظاهرياً قد تبدو أنها كذلك: حيث أعطى الله

لمخلوقاته البشريّة وصفاً وظيفياً يتمثل في مسؤوليتهم الأخلاقيّة التي ينبغي اتّباعها. ولكنّ الطّبيعة الأخلاقيّة لهذه الوصيّة أصبحت أكثر وضوحاً في الأسفار المقدّسة التابعة. ولكي نكون أكثر موضوعيّة في هذا السياق، سننخذ الموقف الأكثر تشدّداً والقائل بأنّ الأخلاقيّات لم يُشر إليها في الفصل الأوّل من سفر التكوين.

لا خسارة البتّة بتوافر أربعة عناصر فقط من العناصر الخمسة الرئيّسة للرؤية الكونيّة في الفصل الأوّل من سفر التكوين. ففي الحقيقة، يُعتبر وجود أربعة عناصر من الخمسة أمرٌ مدهش. وبعد ذلك بقليل، يُعطي الله لآدم في تكوين (٢: ١٦-١٧) وصيّة أخلاقيّة واضحة. في أقلّ من فصلين كاملين من السفر الأوّل



في الكتاب المقدّس، أعلنت جميع العناصر الرئيّسة للرؤية الكونيّة الكتابيّة في شكلها المبدئي. بالتأكيد لم يكن قد عبّر عنها بشكل كامل بعد، وسوف يتدرّج الإعلان عنها في الأسفار التابعة من خلال عمليّة تدرّج إعلانات الله. لكن بعد ذلك عبّر عنها بالكامل وبشكل متسارع في جميع النصوص الكتابيّة اللاحقة مع أنّ عناصر النظرة الكونيّة ليست هي علة أساس وجود هذه النصوص. بعبارة أخرى، كتب سفر التكوين قبل وقت طويل من أن يجلس الفلاسفة ليفكروا بشأن الرّؤى الكونيّة. فقد كتّب سفر التكوين في عصر ما قبل العلم وما قبل التّوير وما قبل التكنولوجيا، وفي أقلّ من فصلين قدّم أسس النظرة الكونيّة، في الوقت الذي لم يفكر فيه أيّ شخص آنذاك بأسس تحليل الرّؤية الكونيّة. وبما أنّ سفر التكوين يهتمّ باللاهوت وليس بالفلسفة، فمن المدهش أنّ كلّ ما نحتاجه لأسس النظرة الكونيّة الفلسفيّة موجود فيه رغم اهتمامه باللاهوت.

يسجّل الكتاب المقدّس بعد فصل واحد من سفر التكوين السقوط المأساويّ للجنس البشريّ في الخطيّة، وما نتج عنه من انفصال روحيّ عن الله. ففي هذه المرحلة المبكّرة، نستطيع أن نفهم من خلال فكرة مفتاحيّة كتابيّة كيف أنّ البشر لهم قيمة ثمينة وقدرة على أن يكونوا عظاماء، لكنهم أيضاً فاسدون ولهم القدرة

على فعل الشرّ. وبذلك أصبحت حياة البشَر مجموعةً من التناقضات. وعلى الرغم من ذلك يسجل النص أيضاً، كيف أن الله، حتى في عقابه العادل لمخلوقاته الساقطة، أظهر الرحمة والنعمة. حيث كساهمُ الله ووعدهم أنه في يوم من الأيام سيسحق نسلهم رأس الحية (تكوين ٣: ١٥). وكثيراً ما يُشير اللاهوتيون إلى هذا الوعد باعتباره (بروتيفانجيليوم protevangelium)، أي أنه يُعبر عن الإعلان الأوّل للخبر السارّ وعن الوعد الأصليّ للفتاة والخلّاص. تحققت هذه النبوة والوعد في يسوع المسيح الذي صار الحلّ لمشكلة خطية البشر. وبالتالي، تمّدنا الفصول الثلاثة الأولى من السفر الأوّل في الكتاب المقدّس بالأسس التي نحتاجها لفهم الرؤية الكونية، وتساعدنا على فهم الله والعالم والطبيعة الإنسانية (الخير والشرّ بالسواء). ويستمرّ الكتاب المقدّس، بالتأكيد، في تدرّج إعلان هذه الأفكار على نحوٍ مطوّل، ولذا يمتلك المسيحيون ثروة هائلة من المواد التي تساعد على تكوين وتفسير واختبار نظرتهم الكونية. وبما أن كلمة الله صحيحة وتصف الواقع بدقة، نجد أن النظرة الكونية للمسيحية مترابطة فكرياً، وبالغة الدقة منطقياً وكافية عاطفياً وعملياً.

الأخلاق الحقيقية

إن كُنّا متجرّدين في نظرتنا للأمور، سوف ندرك أن أحكامنا الأخلاقية عاطفية أكثر منها عقلانية. ويذهب البعض إلى حدّ أن يقولوا: بأنّ وجهات نظرنا الأخلاقية ليست أكثر من مجرد نتاج لمشاعرنا. ويقولون أيضاً أنه بالطريقة نفسها التي نكتشف فيها الفساد في طعام ما، كذلك نجد في نظرتنا الأخلاقية الناتجة عن مشاعرنا بعض المشاعر الفاسدة. وبعد ذلك، تترسّخ هذه المشاعر الفاسدة وتوضّع في الإطار العقليّ الذي نسمّيه الأخلاق. ووفقاً لهذا التفسير الأخلاقيّ، تُقدّم العبارات الثلاثة التالية الأمر نفسه:

١. أنا أو من بأنّ القتل يُعدُّ أمراً لا أخلاقياً
٢. أنا أجد أنّ القتل أمرٌ مقرّر
٣. أنا لا أحبُّ القتل

من الهامّ ملاحظة أنّ هذا التسلسل في التعبير عن الأخلاق يُخبرنا شيئاً عن

مشاعر شخص ما تجاه الأشياء المختلفة، لكنه لا يخبرنا شيئاً عن طبيعة هذه الأشياء نفسها. ربّما لا نحبُّ البروكلي، لكن هذا لا يُظهر أن لديه خصائص تجعله مُقَرَّر. نحن لا نُحبُّ القتل، لكن ما الذي يُثبِت ذلك؟ فهذه الطريقة في التّعبير لا تأخذ بعينِ منطقيّة مُدرّبة تماماً لرؤية أنّ الادّعاء القائل بأنّي: «لا أحبُّ القتل» وأنّ «القتل هو شرٌّ وأمرٌ غيرٌ أخلاقيّ» هما أمران غيرُ متطابقين، ولا يوجد بين الأول والأخير إرتباطٌ إلزاميٌّ ومنطقيٌّ.

تتعلّق الأخلاق بالإلتزامات وواجبات بصرفِ النَّظرِ عمّا نشعر به.

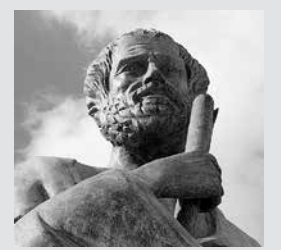
وعلى الرّغم من ذلك، يوجد معرفةٌ بدهيّةٌ كامنة وراء هذا التّفسير الأخلاقيّ البالغ الأهميّة، وهو أنّ المشاعر تلعب دوراً هاملاً في تقييماتنا الأخلاقيّة. وعوضاً عن ذلك علينا استخدام عقولنا في تقييماتنا، لأنّ تقييم المواقف الأخلاقيّة يجب ألا يُترك لأهواء مشاعرنا. في الحقيقة، واحدة من الخصائص الواضحة للأخلاق هي أنّها لا يمكن أن تؤسّس على

مشاعرنا. وتظهرُ التحديات الأخلاقيّة حين نعرف أنّنا يجب أن نعملَ بخلاف ما نشعر به. تتصرّف الحيوانات وفقاً لغريزتها، وأمّا نحن البشرُ نستخدم التّفكير الأخلاقيّ لتتغلّب على الغريزة. فيجب ألاّ يفعلَ البشرُ كلّ ما يريدون فعله، لأنّنا بذلك غالباً ما سننتأثر بالرّغبات الشريرة. وعليه، فالأخلاق تتعلّق بالإلتزامات والواجبات، بغضِّ النَّظرِ عمّا نشعر به.

ومع ذلك، نحن لا نستطيع إيقاف استجاباتنا العاطفيّة تجاه الحقائق الأخلاقيّة. فما نشعر به يمكن أن يكون جزءاً ضرورياً للوصول إلى استنتاجات أخلاقيّة صحيحة، وأيضاً للتأكيد على وجود حسّ أخلاقيّ لدينا. على سبيل المثال، ينبغي ألاّ تكون القسوة أو الإبادة الجماعيّة مرفوضة بالنسبة إلينا عقلياً وحسب، بل ينبغي أيضاً أن نشعر بالاشمئزاز والحزن والغضب والامتناع من هذا الأمر. وبالمثل، رؤية عملٍ جميلٍ مليءٍ باللطف والمحبة، ينبغي أن يملأنا بمشاعر الفرح والسّلام. فنحن لسنا كالألّة الحاسبة، لا يمكننا تحديد الصّواب والخطأ إلاّ عن طريق القواعد الحسابيّة والتفكير المجرّد وحده. لقد خلّقنا ككائنات عاطفيّة، لذلك يجب أن تحظى العاطفةُ بمكانةٍ في عالمنا الأخلاقيّ. وسيمتلك التصرفُ الأخلاقيّ السّليم مكاناً في العقل والقلب، وفي المشاعر والإلتزامات بالسّواء.

حين نقوم جدياً في اتّخاذ هذا المنحى التفاعلي بين العاطفة والعقل، نجد أنفسنا أمام اللغز التالي: «أيهما أولاً البيضة أم الدجاجة؟!». أوضح أرسطو أن الإنسان بحاجة إلى أن يكون فاضلاً كي يستطيع تكوين أحكام أخلاقية سليمة. فهو يؤمن بأنه حين يُميّز الإنسان الفاضل أياً من الطُرق الأكثر فضيلةً، فسيبتناها. تؤكد هذه الممارسة للفضيلة على نزاهتها وقوتها. وهكذا، ينمو الشخص الفاضل في الفضيلة طيلة حياته. وفي هذه العملية، يكون الإنسان فاضلاً فقط إذا كان لديه فضيلة أولاً، والفضيلة تقود إلى الفضيلة، وتكون الفضيلة ضروريةً لمعرفة الطُرق الفاضلة. لكن كيف يمكن أن نكون أشخاصاً فاضلين إذا لم يكن لدينا فضائل في المقام الأول؟ (تناقش المشكلة نفسها عند الكلام عن موضوع حكمة العالم العظيمة: فهو يتطلب حكمةً لتمييز التعاليم الحكيمة، كما يتطلب حكمةً لتطبيقها. الشخص الحكيم سينمو في الحكمة، لكن كيف يمكن لشخص أحمق في أن يصبح حكيماً؟)

لن نحاول حلّ هذا اللغز هنا! (تلميح: للاستجابة المسيحية دورٌ بارز بسبب النعمة ومعونة الله المتداخلة). يكفي الآن ملاحظة أن وجهات نظرنا عن الأخلاق تتولّد حين نلتقي قدراتنا العقلية بقدراتنا العاطفية. إن إحدى المزايا الهائلة للرؤية الكونية المسيحية أنها تأخذ هذه الحقيقة العقلية العاطفية لخبرتنا الإنسانية بشكل جدي. حيث تعطي المسيحية مكانة هامة للقيمة والمبدأ. وتتأصل الآداب والأخلاقيات والفضائل في النظرة الكونية المسيحية. وهي لا تفكر فيها بطريقة باردة أو حسابية أو مجردة أو غير عاطفية. بل على العكس من ذلك، تنبض القيم الأدبية في اللاهوت المسيحي بالحياة والحيوية. كما أنها تتميز بالرقي والجمال. فحين نرى عملاً أخلاقياً معيناً، غالباً ما نجد أنفسنا نقول: «كان ذلك أمراً جميلاً». ففي الحقيقة، أن الجمال نفسه، واختيارنا للمظاهر الجمالية الموجودة في الفن والموسيقى والرّقص والهندسة المعمارية وزراعة الحدائق والأدب وما



أرسطو (٣٨٤-٣٢٢ ق م):
يُعتبر واحد من آباء الفلسفة الغربية، كان يؤمن أنه حينما يميّز الإنسان الفضيل الطريق الفضلي فيسلك بها، فبالتالي تقود الفضيلة إلى فضيلة أخرى.

إلى ذلك، يزدهر في المسيحية. وهذا جديرٌ بالتفكير والتأمل. والجدير بالذكر أيضاً، أن وجود الشرّ يدلُّ على حقيقة وجود الخير. يوجد

حقيقة لا مفرَّ منها، ألا وهي أن العالم يحتوي على قدر كبير من الألم والشرِّ. والحقيقة المقابلة لها هي أن العالم مليءٌ أيضاً بالجمال والخير والقيمة والفرح. يوجد شرٌّ ولكن يوجد أيضاً خيرٌ، ووجود الشرِّ دخيلٌ متطفلٌ على الخير. الشرُّ يقوم على الإنكار، إذ أن وجوده يتكوَّن في الإطار السلبي الكامل للتشويه وللخطِّ من القيمة كفضيلة. وبالطريقة عينها، فإن المرَض لا يُمكن أن يأتي إلا عن طريق إنكار الصِّحة. وكلُّ هذا يفترض أن تشوُّه الأساليب والقيم الصَّحيحة كان موجوداً من قبل: تتطلَّب الطفيليات مضيئاً. أن تحكَم على شيء ما بأنه شرٌّ يكون بالقول أنه لا ينبغي أن يكون كذلك، أو قد حدث شيء ما خطأ أو تمَّ الإساءة بالأساس إلى شيء إيجابي. يُعدُّ وصف شيء ما بأنه شرٌّ بناءً على افتراض ضمنيٍّ مفاده أنه يوجد خير، ومنطقيّاً فالخيرُ شيءٌ عميق وسابق للشرِّ، وهو جزءٌ أساسيٌّ لا يتجزأ من نسيج الواقع.

المسيحيَّة والقيمة

على عكس المذهب الطبيعي للأخلاق، يترابط اللاهوت المسيحي والأخلاق ببعضهما البعض. فالأخلاق لا تتوافق مع المسيحيَّة وحسب بل أنها جزءٌ لا يتجزأ منها. يمتلك الكون الذي خلقه الله نظاماً أخلاقياً وذلك بحكم طبيعة الله وتصميمه للخلقة. ليس هناك بُعدٌ أخلاقيٌّ للكون وإنما الأخلاق منسوجةٌ في نسيج الخليقة. يُعدُّ البشرُ بأنهم الكائنات الأخلاقية التي تمتلك معرفة أخلاقية ولديها القدرة على إصدار الأحكام الأخلاقية على أساس المقاييس الأخلاقية الموضوعية. فلا تُعتبر هذه المقاييس مجردةً وشخصيةً فقط لكنَّها واقعيةٌ وشخصيةٌ. كما يُعتبر مقياس الصِّلاح الأخلاقي هو الشخصية الكاملة للإله القدوس والمحب. وفقاً لشخصية الله، يجب دمجُ الواقع والقيمة في علاقة وثيقة إلى الأبد.

تتأصل الأخلاق في شخصية الله وتتبع منها. لأنَّ الكون هو خليقته والبشر يحملون صورته فلا يستطيع الناس الإفلات من المطالبة الأخلاقية الموضوعية. إنَّ الله هو مقياس الصِّلاح الأخلاقي، وهو الذي يُصدر الوصايا والإنزامات الأخلاقية، ويحاسب الناس على الخير والشرِّ لأنهم مسؤولون عنه. تُعدُّ الأخلاق، في الرؤية الكونية المسيحية، واضحة وموضوعية ولا يمكن إنكارها، إذ لا يُمكن لأحد ما أن ينكر وجود الواقع الأخلاقي أبداً.

ليس لدينا متسعٌ من الوقت لمناقشة تفاصيل وجهات النَّظر المتعلقة بالمذاهب

الأخرى، مثل مذهب تعدد الآلهة أو مذهب وحدة الوجود أو الروحانية، لكننا سنشارك بكلمة موجزة عن كل واحدة منها. تحتاج كل رؤية كونية أن تولف المكونات الأساسية الخاصة بها مشرحة ومترابطة ببعضها البعض بطريقة متناسقة ومنطقية. لكننا نفضل في تطبيق هذه الآراء حينما يتعلق الأمر بالأخلاق. فمذهب تعدد الآلهة لديه العديد من الآلهة، وليس بين هذه الآلهة إله مطلق، لذا لا يمكن أن يكون مصدراً للإلتزام المطلق والشخصي. (وكثيراً ما يصورون بإيجابية هذه الآلهة المحدودة وهي تقوم بأمر فاسدة أخلاقياً). ويتشابه معه مذهب الروحانية في ذلك، من أين تأتي الأرواح؟ ما الذي يجعل روحاً ما سالحةً والأخرى شريرة؟ لا تقدم الروحانية تفسيراً كافياً لوجود العالم أو الأرواح أو الأخلاق. وبالنظر إلى مذهب وحدة الوجود، نجد أن الله هو مصدر كل شيء، وهؤلاء الذين يعملون الشر والخير هم على حد سواء جزء من الله، ومن ثم يتلاشى وجود الفرق بين الخير والشر. فكيف يمكن لله أن يفعل الشر؟ وبالنظر إلى وحدة الوجود، الله هو مصدر كل من الخير والشر، وهذا لا يمثل تناقضاً وحسب بل يثير سؤالاً هاماً حول إمكانية إيجاد معيار ومصدر صحيح للخير والشر.

يمكن الاستفاضة في هذه الأفكار الموجزة بشكل كبير، ولكن يجب أن نكتفي في الوقت الحالي بما أوردناه. حيث نأمل ألا يمتلك المسيحيون جرأة للدفاع عن حقائق الله ووصاياه الأدبية الخاصة وحسب، ولكن عليهم التأكيد بشجاعة وتواضع على أن النظرة الكونية المسيحية للعالم هي المصدر المناسب للآداب والأخلاقيات في المقام الأول. وحين تتم دراسة وجهات النظر الأخرى، سنجدها غير كافية. لذلك، عندما نعود إلى دراسة قضايا أخلاقية محددة، يجب أن نضع في اعتبارنا أن الأساس الذي تقوم عليه هذه القضايا الأخلاقية منبثق من إله الكتاب المقدس وابنه المتجسد وإعلاناته.

حالة دراسية: هل الأخلاق تتوافق مع الرؤية الكونية المادية / الإلحادية؟

سنقدم في هذه الدراسة حجة فلسفية مصممة لإظهار عدم توافق الأخلاق مع نظرية الإلحاد المادي. على الرغم من أن هذا القسم يمكن أن يكون ذا فائدة كبيرة للمؤمنين الذين يناقشون القضايا الأدبية والأخلاقية مع غير المؤمنين، فإنه غير ضروري لفهم الأخلاق المسيحية. وعليه، فبالنسبة إلى القراء الذين لا يجدون أن هذه المادة ذات صلة بالموضوع، يمكنهم الانتقال إلى الفصل التالي.

يجب على جميع الرؤى الكونية أن تستوعب حقيقة أن الأخلاق تُشكّل جزءاً متكاملًا وأساسيًا من الواقع. فمن العبث الادّعاء بأن الأخلاق والفساد الأدبي هما غير حقيقيين، لأنه لا مفرّ من الحقيقة بأن البشر هم كائنات أخلاقية. تُعدّ الأخلاق النسبية ذات قيمة ضئيلة نظرياً، لكن لا وجود لها في أرض الواقع، أولئك الذين يؤيدون النسبية الأخلاقية يعرفون أن وجهة نظرهم لا يمكن العيش بها أكثر من دقيقة واحدة، بحيث لا يمكن دعم النظريات غير القابلة للحياة بسوى طريقة نظرية فقط وليست عملية، لأنّ الواقع دائماً يمتلك الصوت الأعلى. ربّما ينكر الناس موضوعية الأخلاق لبعض الوقت، لكنهم لا يستطيعون القيام بذلك باستمرار، سواء نظرياً أو عملياً. فليس لدينا خيار سوى اتّخاذ المقاييس والبدهيّات الأدبية باعتبارها أموراً محدّدة (محدّدة من الله، ومُعلنة في الكتاب المقدّس). لذلك، يجب أن تكون الرؤية الكونية المقبولة قادرة على ربط المعايير الأخلاقية الموضوعية بالقواعد الميتافيزيقية للكون. وهذا يمكن توضيحه بدراسة العلاقة بين الإلحاد المادي والأخلاق. وتُعتبر محاولة تقديم رواية مفهومة عن العلاقة بين الأخلاق والميتافيزيقا واحدة من أضعف النقاط في الرؤية الكونية المادية.

أولاً، يجب الملاحظة بأن الكثير من العلماء المختصين بالطبيعة يدركون أنّ الأخلاق الموضوعية غير متناسقة مع افتراضات النظرة الكونية لمذهب المادية. إذ يفترض مؤيدو المادية أنّ الكون أتى إلى الوجود من العدم، وبدون أيّ تفكير عقلي يحكمه أو أيّ غرض من وجوده. فبالعودة إلى أصل الكون يستحيل عملياً تجنّب الاستنتاج بأنّه كون أخلاقي في الأصل، ولا شيء يمكنه تجنّب وجود الأخلاق في أصل الكون. ومع ذلك، فإن إدراك الوجود المتأصل للأخلاق في الكون يطرح سؤالاً، هل ظهرت الأخلاق من العدم حين ظهرت نظرية الفردية؟ أم أنّها كانت نتيجة لقوة الانفجار العظيم؟ رفض الكثير من الفلاسفة الملحدون فكرة الأخلاق والآداب الموضوعية لمجرد أنّها لا تتسجم انسجاماً مترابطاً مع فهمهم لطبيعة الكون. كما يُعدّ المؤيدون للإنسانية العلمانية الذين يحاولون التمسك بكلا الأخلاق الموضوعية والإلحادية المادية غارقين في التناقضات، فضلاً عن كيفية التأكد من صحّة ادّعاءاتهم.

إنسجاماً مع سياق سرد الأفكار، سنسألُ بأنَّ المستحيل قد حدث، وأنَّ الكون أتى إلى الوجود من العدم. حتى لو كانت هذه هي الطريقة التي بدأ بها الكون المادّي، فإننا لم نكتشف شيئاً عن أصول الأخلاق. من المؤكّد أنّ الكون لم يمتلك نظاماً أخلاقياً منذ الدّقيقة الأولى لوجوده. وفي الحقيقة، يدّعي مؤيدو المادّية بأنّه على مدار بلايين السنين كانت المادّة تتحرّك في الكون، وأنّها اصطدمت وأنحدت وانقسمت وبنّت ودمّرت. وحتى اليوم نرى المادّة تتحرّك، حيث يصطدم كيانٌ مادّي مع كيان مادّي آخر ويسبّب ضرراً كبيراً. فيصطدم نيزكٌ بالقمر أو يدمر نجماً ما الكواكب المجاورة له. ويصبح الدمارُ النّاجم عن ذلك كارثياً، ورغم ذلك، سيكون من غير الملائم القول بأنّه ينبغي تفسيرُ هذا الدمار في السياق الأخلاقيّ. ربّما يدمرُ أو يتدمرُ الكويكب، لكن لا أحد يجادل في أنه ينبغي النظر إلى مثل هذا الدمار من الناحية الأخلاقية. لأننا نعلم جيّداً أنّ المادّة المتحرّكة ليست مسؤولة عمّا تفعله ولا عن العواقب النّاجمة عن تفاعلاتها مع الكيانات المادّية الأخرى. وعليه، لا يُنظرُ إلى المادّة المتحرّكة بكونها أخلاقيةً أو غير أخلاقيةً، فهي لا صفة أخلاقية لها.

وبناءً على افتراضات الفلسفة المادّية، وهذا أمر بالغ الأهمية، فإنّ البشر ليسوا أكثر من كونهم مادّة متحرّكة، فيُختزلُ كلُّ شيءٍ يخصّنا في كوننا مكونات مادّية وكفى. وحين يقوم شخص ما بضرب شخص آخر، فالذي يحدث هو اصطدام المادّة أثناء الحركة مع كيان مادّي آخر، متسبباً في حدوث أضرار. وبالنظر إلى المادّية، لا شيء يجعل هذا التفاعل (الضرب) تفاعلاً غير أخلاقيّ، لأنّه يشبه اصطدام نيزكين ببعضهما البعض. فهذا الحدّث هو تفاعل أخلاقيّ ويُقرُّ بعض الملحدين بذلك، بينما يُصرُّ البعض الآخر على وجود فروقات هامة بينهما. على سبيل المثال، لا توجد لدى النيازك أجهزة عصبية مركزية أو قدرة على الشعور بالألم. وبما أنّها لا تستطيع اختبار الألم، إذاً لا يمكن اعتبار ذلك إيذاءً، وبالتالي فإنّ تدمير النيازك لبعضها البعض، لا يعتبر انتهاكاً لحقوقها الأخلاقية. هذه نقطة حقيقية، لكنّها ليست كافية. إنّ النمر الذي يفترس الغزالة يؤذيها، لكننا لا نحكم عليه بأنّه ارتكب فعلاً غير أخلاقيّ، حتى إذا أفترس النمر إنساناً، فإننا لا نتهمه بالفساد الأدبيّ. لذلك، لا يمكن ببساطة تقييم الحدّث أخلاقياً على أساس ما إذا كانت الصّحية تعاني أم لا.

عادةً ما يقدّم المادّيون اقتراحاً آخر، وهو أنّ الاختلاف بين الكيانات المادّية

ينشأ من وجود شخصيَّة وعقل وتفكير عقلائيّ. فالبشر يفكّرون في أفعالهم وهم مسؤولون عن تصرفاتهم بطريقة تختلف عن الكيانات الماديّة الأخرى. إذ يمتلك البشر القدرات المعرفيّة اللازمه لصنع القرارات الهادفة، والقدرة على معرفة الآثار الناتجة المحتملة عن أفعالهم، فما نفعه يمكن الحكم عليه بكونه صالحاً أو شريراً. ووفقاً لهذا المنطق، ترتبط المادّة المتحرّكة، التي تجعل التصرف أخلاقياً، بالعقل والتفكير.

يُعَدُّ هذا الرُّدُّ غيرَ كافٍ على الإطلاق لعدَّة أسباب. إنَّ أحدَ هذه الأسباب ببساطة لا يتعمَّق في تحليله بدرجة كافية، لأنَّ البشرَ يفكّرون ويخطّطون ويتصرفون على أساس عقلائيّ. لكن ممَّا تتولّد الأفكار البشريّة؟ بالنسبة إلى المادّيين، لا شيء يُنتج الفكرَ البشريّ سوى الدِّماغ الماديّ. وغنيّ عن القول أنّ الدِّماغ الماديّ ليس أكثر من مجرد مادّة متحرّكة، فهو نتاج قوّة تطوريّة عمياء. يتشكّل الدِّماغ البشريّ، وفقاً للعديد من القادة الداروينيين، من خلال الطّفرات الإيجابية التي لا تُحصى، والتي تعطي ميزة البقاء على قيد الحياة للكائنات الحيّة التي كانت محظوظة بما يكفي لكي تتحوّل بهذه الطريقة الإيجابية. فيتحكّم هذا العضو الماديّ (الدِّماغ) في الجسم الماديّ، مادّة متحرّكة تتحكّم في مادّة متحرّكة. وهذا يعني أنّ كلّ فكرة يُنتجها العقل تتولّد من ذرّات صغيرة غير واعية لا تمتلك شيئاً من الذكاء. ووفقاً للفلسفة الماديّة، يأتي كلّ التفكير البشريّ من مادّة في حالة متحرّكة، وعليه لا يوجد أيّ تفسير للعقل البشريّ في هذا الرّأي.

وعليه، كيف يُمكن اعتبار النَّاس مسؤولين أدبياً عن سلوكهم إن كان ما يفعلونه ليس أكثر من كونه نتاج مادّة متحرّكة في رؤوسهم؟ يُكوّن الـ DNA أدمغة النَّاس، ومن الصّعب رؤية مسؤوليتها عمّا يفعله الـ DNA الخاصّ بها (أو ما الذي فعله الـ DNA الخاصّ بأبائهم، أو ما سيفعله). لا يتحكّم النَّاس في الذرّات والتفاعلات الكهروكيميائيّة التي تُشكّل أدمغتهم، فكيف يمكن أن يصبحوا مسؤولين أخلاقياً عمّا تُسببه هذه التفاعلات الكيميائيّة لأجسادهم

الماديّة؟ يتحكّم العقل في حالتنا النفسيّة وجهازنا العصبيّ وحركاتنا العَضليّة ووظائف أعضاء أجسادنا. وإذا تسبّب العقل في تحريك الذراع وضرب جسم

وفقاً للفلسفة
الماديّة، يأتي
كلُّ التفكير
البشريّ من
مادّة في حالة
متحرّكة.

آخر، يتم الاستنتاج بأن مثل هذه التفاعلات الحادثة بين الجسدين الماديين هي جزء من المجال الأخلاقي. وبالنظر إلى الفلسفة المادية، كثيراً ما يقال إن العقل يفرض أفكاراً مثلما يفرض الكبد عصارتَه الصِّفراء. فكيف يفرض الفكر الأساس السليم للأخلاق؟ فوفقاً للفكر المادي، لا شيء يستطيع أن يُخرج البشر من حالة الأخلاق النفية إلى المادة المتحركة.

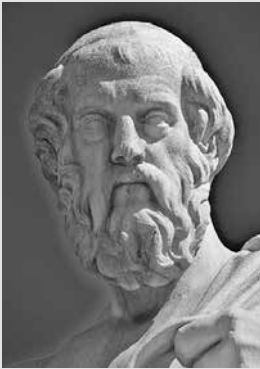
أما على المستوى البشري، فإن مفهوم الأخلاق غير قابل للتطبيق، لأن كل سلوك بشري ليس سوى حركة مادية. وما يستتبع ذلك هو أن البشر لا يستطيعون، بل لا يمكنهم، أن يكونوا مسؤولين عما يقومون به. إذا نشأت جميع الأفعال الإنسانية من تفاعلات فيزيائية، كيميائية، كهربائية لا تملك سيطرة واعية عليها، فستصير جميع مشاعرنا وميولنا وأفكارنا وآرائنا وعقولنا وأحكامنا وقراراتنا وتصرفاتنا أشياء تحدث لنا وتحدث فينا. ومن ثم، لا يستطيع الشخص التحكم في عقله الذي يُنفذ سلسلة من الحركات المتتابعة التي تؤدي إلى ضرب شخص ما أو سرقة أشيائه أو إعطائه هدية أو المخاطرة بحياته لأجله. فإذا كان السلوك الأخلاقي يتطلب المسؤولية والسيطرة، اللذين يحتاجهما حقاً، فإن الفلسفة المادية لا تترك مجالاً للسلوكيات الأخلاقية. وعليه، نحن نقوم بأشياء، لكننا لا نقوم بالأشياء بأسلوب أخلاقي، ولا يمكننا القول بأننا نقوم بأشياء أخلاقية من الأساس، ببساطة لا يمكن للمادية والأخلاقيات أن تتطابقاً.

من الجدير ذكره أيضاً أن طبيعة الكون وفقاً للفلسفة المادية تجعل مفهوم الأخلاق غير واضح. ففي النظام الأخلاقي للمذهب الطبيعي، ليس البشر كائنات غير أخلاقية عاجزة عن ممارسة التصرفات الأخلاقية وحسب، وهنا تصبح الأخلاق ذاتها إشكالية كبيرة. فلا تتكوّن الأخلاق، بالطبع، من المادة. فحين نسأل عن (الصِّلاح) نحن لا نسأل عن مجموعة من الجزئيات. هل يظهر (الصِّلاح) و(الشر) فقط حين تتفاعل مادة ما مع مادة أخرى بطريقة معينة؟ يحاول بعض الماديين إيجاد أساس مجرد وثابت لا يتغير للصِّلاح أو (للخير). ولكن من الصعب أن تثبت وجود أساس مجرد للصِّلاح بمعزل عن العقول. فكيف يمكننا القول بأن (الصِّلاح) موجود حين لا يوجد شيء يُظهره؟ يوجد شيء واحد يمكن القول على أساسه إن (الصِّلاح) موجود إلى الأبد باعتباره مقياساً مجرداً، ولكن نادراً ما يتفق هذا مع الميتافيزيقا المتعلقة بمذهب الرؤية الكونية الطبيعية. إن هذا الأمر يُعدُّ عرضاً للقضية من جانب واحد. فهل عدم كون المرء

لطيفاً مع الأطفال أمرٌ غيرُ أخلاقيّ موضوعياً؟ وكيف يُمكن للمقاييس الأخلاقيّة أن تجد لها مكاناً في بحرٍ من العدم؟

يبدو أن أنواع الموضوعات الواردة في الفقرة الأخيرة هي موضوعاتٌ جدليّة لا تنتهي ولا يمكن متابعتها متابعة مُجدية. لكن ما يستحقُّ الملاحظة هو أن لدى الماديين مشكلةً حقيقيّة، حتى وإن افترضنا أن ذلك (الصّلاح) فيه نوعٌ من الحالة الوجوديّة أو الميتافيزيقيّة الفعلية كمبدأ مجرد دائم وأبديّ. فعلى المستوى العمليّ، إنه لأمرٌ محيرٌ للعقل أن تعتقد بأن الخيرَ والشرَّ هما فئتين أخلاقيّتين مجردتين وأبديّتين، ثم أتى الكون إلى الوجود من العدم، واصطدمت المادّة بالمادّة، وبمرور الوقت أصبحت هذه المادّة واعيةً ذاتياً، واكتشفت بطريقة ما الطبيعة الحقيقيّة لهذه المعايير الأخلاقيّة غير المادّية! لا يمكن إحصاء التباينات الواردة في هذه الطريقة من التفكير. إن الاعتقاد بأن أجزاء من المادّة ستلتصق ببعضها البعض ثم تتواصل مع هذه المعايير المجرّدة، خصوصاً حين تُعتبر المادّة والأخلاق أنواعاً منفصلة تماماً، فإن هذه الرّواية تعتمد على النّقة العمياء واللامعقوليّة.

إن سلّمنا جدلاً أن العمليّة التطوريّة تهدف إلى البقاء على قيد الحياة بصرفِ النّظر عن التكلفة، فعلينا أن ندرك أن العمليّة التي يُزعم أنه من خلالها حققت المادّة القدرة على تحديد هذه المعايير الأخلاقيّة الخالدة، تسير تماماً في الاتجاه المعاكس لمحتوى هذه المعايير الأخلاقيّة. بشكل عامّ، تكون العمليّة التطوريّة أنانيّةً أمّا الأخلاق فهي نكرانٌ للذات (أي أنها تدعونا إلى الوفاء بالمسؤوليات الشخصيّة حتى إذا انطوت على خسارة شخصيّة). وليست المعايير الأخلاقيّة المجرّدة كيانات شخصيّة أو مادّية، أي لا يمكنها التواصل مع البشر. ولذلك لا يمكن للمادّة المتحرّكة التواصل مع المقاييس الأخلاقيّة بطريقة أو بأخرى، كما أنه لا يمكنها إيجاد طريقة للتواصل مع هذه المقاييس الأبديّة وغير المادّية والمجرّدة للخير والشرّ. لذلك، بالإضافة إلى المشكلة الميتافيزيقيّة، هناك مشكلة أخرى



كان أفلاطون (٤٢٧-٣٤٧ ق م) فيلسوفاً يونانياً مؤثراً يؤمن بأن الروح محبوسة في الجسد وتحتاج بأن يُطلق سراحها لكي تعود إلى العالم الأبدي التي تكوّنت منه.

لها علاقة بالمادة المتحركة غير الموجهة وبكيفية اكتشافها الفجائي الطبيعي لحقيقة الأخلاق الأبدية الموضوعية. فلا يزال المؤيدون للفلسفة المادية يفشلون في الإجابة عن السؤال: من أين جاءت هذه المعايير في المقام الأول؟ وعلاوة على ذلك، من المحير للعقل الاعتقاد بأن هذه المعايير الأخلاقية الأبدية المجردة هي نفسها المبادئ التي تؤدي إلى استمرار بقاء الأنواع المتطورة التي تعيش في عالم مادي، والتي جاءت إلى حيز الوجود من العدم. فكيف يمكن للعقول المتطورة أن تتعلم مجموعة من المبادئ الأخلاقية الخالدة؟ وكيف يمكن أن تكون هذه المجموعة من المبادئ الأبدية المجردة أفضل دليل على وجودها المادي على قيد الحياة؟ إِمَّا أَنْ جِينَاتِنَا الْوَرَائِثِيَّةُ خَدَعْتَنَا بِاعْتِقَادِ أَنَّ الْأَخْلَاقَ حَقِيقَةً وَهِيَ لَيْسَتْ غَيْرَ وَهَمٍّ، أَوْ أَنَّ الْأَخْلَاقَ هِيَ حَقًّا جِزْءٌ مِنْ خَطَّةٍ مَصْمُومَةٍ وَمَتَمَاسِكَةٍ لِلزَّهَارِ فِي الْحَيَاةِ الْإِنْسَانِيَّةِ.^٢

في زمن الناقد الفكري ديفيد هيوم David Hume، إعترف الكثيرون أنه لا يمكن اشتقاق الأخلاق من المادة. يقوم العلم بتوصيف الأمور وليس بتوجيهها؛ فهو يوضح ويصف حقيقة الشيء. لذلك لا يستطيع العلم أن يقول ما الذي ينبغي القيام به من الناحية الأخلاقية. فيمكن للشاهد مثلاً أن يرى ويصف السرقة، لكنه لا يستطيع تحديد حقيقة التصرف أخلاقياً. فحكمنا الأخلاقي هو كيفية تقييمنا لحدث ما، إنه يمثل ردة فعلنا على ما نلاحظ، وعليه لا يمكن فصله عملاً لاحظناه حقاً في المقام الأول. وبالتالي، يمكن للعلماء أن يصفوا الفعل، ولكن هذا لا يعطي الحق للانتقال من وصف ما لاحظ المرء إلى إصدار الأحكام الأخلاقية حول ما ينبغي أو لا ينبغي مراعاته. (وبالنظر إلى المادية، فإن كل سلوك بشري مُحدّد، لذلك فإن التفكير في ما يجب القيام به لا معنى له البتة على الإطلاق. وفي الواقع، حتى تقييماتنا الأخلاقية محدّدة، لأن كل أفكارنا تحدّدها حالة أدمغتنا، التي بدورها لا تتحدّد إلا من خلال تفاعلات الجزيئات والطاقة العمياء غير الحسّية التي ليس لها صفة أخلاقية). إنّ الادّعاءات مثل (هذا يُسبّب الألم)، و(من الخطأ التسبّب في ألم لا داعي له) تنتمي إلى مجال مختلف تماماً من التحليل. لذلك ليس لدى الماديين طريقة لجمع هذه المجالات معاً.

قَبْلَ بَعْضِ الْمُحَدِّثِينَ حَقِيقَةٌ أَنَّهُ لَا يُمْكِنُ رِبْطَ الْمَادِيَّةِ وَالْأَخْلَاقَ رِبْطاً مَتَمَاسِكاً. ثُمَّ جَادَلَ الْبَعْضُ الْآخَرَ قَائِلاً: «إِنَّ الْأَخْلَاقَ جِزْءٌ مِنْ نَسِيجِ خَيَالِنَا، وَجَمِيعَ الْأَشْيَاءِ مَتَسَاوِيَةٌ فِي الْأَخْلَاقِ». يُعَدُّ هَذَا رَأْيًا فَوْضُوياً وَمُدْمِراً لِجَمِيعِ الْقِيَمِ الْأَخْلَاقِيَّةِ. (فَنَحْنُ نَشْكُ فِي هَذَا الرَّأْيِ وَنَعْتَقِدُ أَنَّهُ اِحْتِيَالٌ فِكْرِيٌّ وَلَا يُمْكِنُ لِأَحَدٍ أَنْ يَعِيشَ

يُعدُّ العلمُ وصفيًّا
وليس توجيهيًّا،
فهو يوضح
ويصف حقيقة
الشيء.

في هذا الواقع). فإنَّ هذا الرَّأي، ينطوي على أنَّ تعذيب الأطفال اليتامى والتحرُّش بهم يُعادل أخلاقياً إطمعهم. فلا أحدٌ يعتقد حقاً أنَّ هذا صحيح ولا أحدٌ يحيا به في الواقع. إذا حاول بعض الأشخاص التظاهر بإصرار على أنَّهم لا يرون فرقاً بين اغتصاب طفل وبناء مستشفى، فإنَّهم يستحقُّون الشُّفقة وليس محاورتهم. ويمكن كذلك إنكارُ الأخلاق لفظياً، لكن من المستحيل أن يحيا المرءُ بدونها.

إنَّ أولئك الذين يسعون إلى الأخلاق النَّسبيَّة أو الذاتية، سيجدون أنَّ رأيهم يقوِّدهم في خطِّ منطقيٍّ مستقيمٍ يُوَدِّي بهم إلى طريقٍ مسدودٍ من العدميَّة الأخلاقيَّة (وهو الرَّأي القائل بأنَّ الأخلاق تُعتَبَر لا شيءَ حقاً، وأنَّ المتطلِّبات الأخلاقيَّة لا معنى لها، وأنَّه لا يوجد شيءٌ أكثر أو أقلَّ أخلاقياً من غيره). إذا كانت القيم والأحكام الأخلاقيَّة ليست أكثرَ من معايير مجتمعيَّة تعسُفيَّة، أو أعمالٍ مأكرةٍ لكسب السُّلطة، أو خداعٍ مُزيَّفٍ من جينائنا الوراثيَّة، أو أي شيءٍ آخر، فلن نستطيع امتلاك أخلاقيَّات موضوعيَّة. هذا من شأنه أن يُعيدنا إلى العدميَّة الأخلاقيَّة، التي لا يمكن الدِّفاع عنها بعمق. ومع ذلك، فهي النَّظريَّة الأخلاقيَّة التي تنسجم انسجاماً أفضل مع الميتافيزيقا الماديَّة، حيث يكشف التفكير العقلانيُّ أنَّه من غير المنطقي أن ينتمي المرءُ إلى المذهب الماديِّ وأن يتمسك بوجود مبادئ أخلاقيَّة حقيقيَّة على حدِّ سواء.

حاول بعضهم أن يتجاوزوا ذلك عن طريق تحديد الأخلاق وفقاً لآراء وأحكام المجتمع بكامله. وقد صرَّحوا بأنَّ الأخلاق هي ما يقرُّه مجتمعٌ ثقافيٌّ معيَّن. ولكنَّ الاعترافات ذاتها التي تُطبَّق على الفرد تُطبَّق أيضاً على مجموعة من الأفراد. فهذا الرَّأي يضعنا أمام استحالة تصحيح الانتهاكات في ثقافة معيَّنة، لأنَّ أيَّ شيء يحدث في هذه الثقافة يجب اعتباره مقبولاً أخلاقياً وفقاً لهذا التعريف. على سبيل المثال، إذا كانت ممارسة الرِّق مقبولة لثقافة معيَّنة، فسيكون ذلك الأمر صائباً

٢ يقوم الانقسام الكبير بين فلسفات أفلاطون وأرسطو على قضايا مماثلة. تميَّزت فلسفة العصور الوسطى أيضاً بمناقشات دقيقة للغاية بشأن طبيعة الكيانات المجردة. وخلال تلك القرون، اختلف مؤيدو المذهب الفلسفي الأسمى، والمذهب الواقعي بشدة حول هذه الأمور. وربما يكون من المأمون القول إنَّ المناقشات المعاصرة ليست مشحونة بتوجيه الاتِّهامات والجدال الساخن بانفعال، لكن ما زال الفلاسفة يميلون إلى الانقسام إلى معسكرات واسعة، إمَّا للأفلاطونيين أو للأرسطيين.

من وجهة نظر تلك الثقافة. وإذا كانت المحرقة التي ارتكبتها النازيون وأدخلوا من خلالها العالم في حرب مقبولة ثقافياً لديهم، فسيكون ذلك أمراً صحيحاً بالنسبة إليهم. وفي الواقع، ستكون أي محاولة للإصلاح الاجتماعي شراً بحكم هذا التعريف. وإذا كانت الثقافة قادرة على صنع أي شيء صحيحاً وأن ما تقبله الغالبية هو الصحيح، فسيصبح من الصعب معارضتها. يُعد ذلك موقفاً أخلاقياً غريباً للغاية، بل مُعطلاً، حيث أنه يناهز بأن أي محاولة لإنهاء الرق أو منع المحرقة يُعدّ أمراً خاطئاً أخلاقياً. لكن شكراً لله، لأنه يوجد في المسيحية إله ليس له نظير، فهو شخصٌ مُطلق أخلاقياً. ولذلك يتم الحكم على وجهات نظر الأفراد والثقافات والمجتمعات على أساس هذا المعيار المطلق، والذي لا يتغير بسبب صلاح هذا الإله الأبدي.

أسئلة للتفكير:

- ١ . كيف يمكنك أن تشرح لأنسانٍ ما العلاقة بين الله ووجود الأخلاق؟
- ٢ . فكّر في أصدقاءٍ لديهم رؤية كونية مختلفة عن الرؤية التي تمتلكها، ووضّح لهم كيفية فهم الآداب والأخلاق ، وهل ترى أنّ وجهة نظرهم مقبولة منطقيًا؟
- ٣ . راجع العناصر الخمسة الرئيسة للرؤية الكونية. ما هو رأيك في كلّ عنصر من عناصرها؟
- ٤ . ما هو النصّ الكتابي الذي تعتقد أنه متّصل بالمادّة الواردة في هذا الفصل؟



الفضيلة والأخلاق (أفسُس ٤ : ١ - ٥ : ٢٠)

في هذا الفصل سندرس أفسُس (٤ : ١ - ٥ : ٢٠)، وهو جزءٌ من الكتاب المقدس يحوي عدداً لا بأس به من التوجيهات العملية للحياة المقدسة والأخلاقية. قد لاحظنا بالتأكيد أن الأخلاق المسيحية لها جوانب عديدة، وأن تفسير هذا النص من قبل بولس الرسول يوضح بأن الحياة المقدسة إن هي إلا دمجٌ للفضائل والاتجاهات والسلوكيات. فعند دراسة الآيات التالية، نحن بحاجة إلى أن نضع في اعتبارنا الثقافة الخاصة بنا والمجتمع المحيط بالكنيسة المحلية. كما نحتاج إلى تفسير النص تفسيراً صحيحاً باستخدام علم التفسير ومبادئه. كما أننا بحاجة إلى فهم البيئة في الدائرة الأوسع كي نستطيع تطبيق هذه الحقائق بدقة وفهم عميق. لذا، نشجع القارئ على التفكير في أن كل نقطة من النقاط التي أشار إليها بولس بحيث يمكنه أن يفسرها وفقاً لثقافته وخبرته الشخصية.

عند دراستنا معاً لهذا المقطع الكتابي، سنتخطى الكثير من النقاط المفيدة، لأنه ليس المقصود من هذه الدراسة التعمق في معظم التفاصيل، لأنها دراسة موجّهة وموجزة. فواحدة من الأشياء الأولية التي سنراها في هذا النص هي أن سلوكياتنا

تنبُّع سلوكياتنا الأخلاقية من الحقائق اللاهوتية التي تنبُّناها.

الأخلاقية تنبع من الحقائق اللاهوتية التي تنبُّناها. لهذا السبب أدرجنا هذا الفصل في محتويات كتابنا. فنحن بحاجة أن نتذكَّر باستمرار أن شخصيتنا الأدبية وسلوكياتنا الأخلاقية تتأصل في طبيعة الله والمكانة التي أعطاها لنا المسيح بالفداء. فيجب ألا يتناول المسيحيون القضايا الأخلاقية من خلال أفكارهم وآرائهم الخاصة. بل يجب عليهم تأسيس أفكارهم ووجهات نظرهم على كلمة الله. سيقدِّم لنا هذا الفصل مثلاً على كيفية استخدام نصِّ كتابيٍّ محدَّد لشرح العلاقة بين الحقائق اللاهوتية وسلوكياتنا الأخلاقية. وبنعمة الله ومن خلال روحه، سيغيِّر هذا الحقُّ قلوبنا وأذهاننا، ومن ثمَّ ستتغيَّر سلوكياتنا. وبما أنَّ هذا المقطع ليس مجرد نصِّ نظريٍّ، فإنَّ الأسئلة المناسبة التي يجب أن تبقى في أذهاننا هي التالية: هل حياتي مطابقة لهذه الأخلاقيات؟ وهل أنا أطبقها عملياً؟ يجب علينا أن نفهم النصَّ الكتابي، وينبغي أيضاً تقييم حياتنا على أساس ما تقوله كلمة الله. لذا، يلزم ألا تتوقَّف الأخلاقيات عند كونها حقائق نظرية فقط، بل لا بُدَّ من وضعها قيد التنفيذ العملي.

أفسس ٤: ١

يُشير دارسو رسالة أفسس إلى أنَّ الفصول من ١ إلى ٣ تحوي العديد من التصريحات اللاهوتية والعقائدية، والفصول من ٤ إلى ٦ تطبِّق هذه الحقائق العقائدية على حياة المؤمنين. حيث تُبنى هذه التطبيقات الأخلاقية والعملية على الأساس اللاهوتي الثابت. (بالتأكيد، هذه طريقة تقريبية لتقسيم السِّفر، حيث يوجد عقائد وتطبيقات تتشابك مع بعضهما البعض في كلِّ النصوص).

يبدأ بولس تطبيقاته اللاهوتية بقوله: «فَأَطْلُبُ إِلَيْكُمْ، أَنَا الْأَسِيرُ فِي الرَّبِّ: أَنْ تَسْلُكُوا كَمَا يَحِقُّ لِلدَّعْوَةِ الَّتِي دُعِيتُمْ بِهَا» (أفسس ٤: ١). يودُّ بولس أن يطبِّق المادَّة اللاهوتية التي وضعها في الفصول الثلاثة الأولى من هذه الرسالة مستخدماً لهجةً قويَّةً لحثَّ المؤمنين على تغيير طريقة حياتهم. إذ لا بُدَّ أن تعكس حياتهم عظمة الدَّعوة التي تلقَّوها. والمثال الذي يستخدمه بولس لتوضيح هذه الفكرة هو الميزان الذي نستخدمه في السَّوق. إذا وُضِعَ شيءٌ ثقيلٌ في إحدى كفتيه، فإنَّ هذه الكفَّة ستهبط إلى أسفل. والطريقة الوحيدة التي تجعل الكفَّة ترتفع إلى أعلى

هي وضعُ شيءٍ مُساوٍ له في الوزن داخل الكفَّة الأخرى . وعليه، فإنَّ ما يؤدُّ بولس قوله في هذا الصَّدَد هو أنَّ طريقة حياتنا ينبغي أن تكون متكافئة مع الدَّعوة التي دُعينا إليها . وبالتالي علينا وضعُ جميع البركات التي لنا في المسيح في إحدى كَفَّتَي الميزان ، ثمَّ نضعُ حياتنا في الكفَّة المِقابِلة لها . وعندئذٍ ينبغي أن تكون الكفَّتَان مُتوازِنَتَيْن ، وأن تُظهر الطَّريقة التي نعيش بها حياتنا القِيَمَةَ الحَقِيقَةَ للإنجيل . كما يجب أن تصير حياتنا المتغيِّرة متوازنة مع دعوة الله وعطيَّة الخلاص .

أفسس ١: ٣-١٤

إذا كان من المفترض أن نعيش حياةً تتناسب مع الدَّعوة التي دُعينا إليها، فنحن بحاجة أن نتذكَّر طبيعة هذه الدَّعوة . على الرُّغم من حاجتنا إلى قراءةِ الفصول الثلاثة الأولى من رسالة أفسس كاملة لفهم عظمة ما يقوله بولس ، فالمجال لا يتسعُ لغيرِ دراسةِ جملةٍ واحدة حاسمة لفظها فمَّه، وهي الجملة رقم (٢٠٢) في الأصل اليوناني، وقد وردت في الآيات (١: ٣-١٤) في ترجمة رسالة أفسس . هذه الجملة من أكثر التَّعبيرات الجميلة والعميقة التي كُتبت على الإطلاق :

مُبَارَكُ اللهُ أَبُو رَبَّنَا يَسُوعَ الْمَسِيحِ، الَّذِي بَارَكَنَا بِكُلِّ بَرَكَةٍ رُوحِيَّةٍ فِي السَّمَاوِيَّاتِ فِي الْمَسِيحِ، كَمَا اخْتَارَنَا فِيهِ قَبْلَ تَأْسِيسِ الْعَالَمِ، لِنَكُونَ قَدِيسِينَ وَبِلَا لُومٍ قَدَامَهُ فِي الْمَحَبَّةِ، إِذْ سَبَقَ فَعَيَّنَا لِلتَّبَنِّيِّ بِيَسُوعَ الْمَسِيحِ لِنَفْسِهِ، حَسَبَ مَسْرَّةِ مَشِيئَتِهِ، لِمَدْحِ مَجْدِ نِعْمَتِهِ الَّتِي أَنْعَمَ بِهَا عَلَيْنَا فِي الْمَحَبُّوبِ، الَّذِي فِيهِ لَنَا الْفِدَاءُ بِدَمِهِ، غُفْرَانِ الْخَطَايَا، حَسَبَ غِنَى نِعْمَتِهِ، الَّتِي أَجْرَلَهَا لَنَا بِكُلِّ حِكْمَةٍ وَفِطْنَةٍ، إِذْ عَرَفْنَا بِسِرِّ مَشِيئَتِهِ، حَسَبَ مَسْرَرَتِهِ الَّتِي قَصَدَهَا فِي نَفْسِهِ، لِنُدَبِيرَ مِلءَ الْأَرْزَمَةِ، لِيَجْمَعَ كُلَّ شَيْءٍ فِي الْمَسِيحِ، مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا عَلَى الْأَرْضِ، فِي ذَاكَ الَّذِي فِيهِ أَيْضًا نَلْنَا نَصِيبًا، مُعَيَّنِينَ سَابِقًا حَسَبَ قَصْدِ الَّذِي يَعْمَلُ كُلَّ شَيْءٍ حَسَبَ رَأْيِ مَشِيئَتِهِ، لِنَكُونَ لِمَدْحِ مَجْدِهِ، نَحْنُ الَّذِينَ قَدْ سَبَقَ رَجَاؤُنَا فِي الْمَسِيحِ. الَّذِي فِيهِ أَيْضًا أَنْتُمْ، إِذْ سَمِعْتُمْ كَلِمَةَ الْحَقِّ، أَنْجِيلِ خَلَاصِكُمْ، الَّذِي فِيهِ أَيْضًا إِذْ آمَنْتُمْ خْتَمْتُمْ بِرُوحِ الْمَوْعِدِ الْقُدُّوسِ، الَّذِي هُوَ عُرْبُونُ مِيرَاثِنَا، لِفِدَاءِ الْمُقْتَنَى، لِمَدْحِ مَجْدِهِ.

قبل أن ندرس أفسس (٤)، سنسلطُ الصُّوء على بعض النِّقاط الرِّئيسة في هذا المقطع . والشَّيءُ الأوَّل الذي نحتاج أن نفهمه بشأن هذه الجملة، هو أنَّ كلَّ كلمة

فيها تدرج تحت عنوان «مُبَارَكُ اللهُ أَبُو رَبَّنَا يَسُوعَ الْمَسِيحِ». ثم يسرد بولس الأسباب التي لأجلها ينبغي على المؤمنين أن يباركوا الله. ففي المسيح، قد بارك الأب شعبه بكل بركة روحية في الكون. يجب ألا نغفل عن هذه النقطة الهامة لأننا لا يمكن أن ننال البركات الروحية إلا في المسيح، ولا شيء ينقص عن أولئك الذين يوجدون فيه. وحتى في الوقت الذي نصارع فيه على الأرض لدينا كل البركات السماوية إذا كنا ننتمي إلى يسوع.

يستخدم بولس هذه الجملة المقتضبة (في المسيح) كي يربط بعض الحقائق اللاهوتية الهامة. مثلاً: إن كل مؤمن يتحد بالمسيح يشارك في مجده. فنحن فقدنا الخلاص لأننا اتحدنا معه في موته وقيامته. ونتيجة لذلك أيضاً، نحن نشارك في صعوده وملكه، وهذا يعني أننا ملكنا حقاً معه في السماويات. وكل ما للمسيح من بر وكرامة أصبح لنا بشخصه. فنحن في المسيح ورثة الله ونتطلع إلى الحياة في السماء الجديدة والأرض الجديدة. كما أن الامتيازات المدهشة التي لنا من الله بفضل اتحادنا بالمسيح، تدعونا إلى العيش بطريقة ترضيه في هذا العالم. فلا بد أن نسلك بما يتفق مع طبيعته. لذلك وهبنا الله المسيح بفضل مكانتنا التي لنا فيه أن نحيا ببراً كامل. لذا يجب أن نحاول العيش على نحو يتفق مع هذا البر في حياتنا اليومية. فالؤمنون هم في المسيح والمسيح هو من يجتمع فيه كل الجمال والكمال الأخلاقي، ومن ثم يجب أن تشكل وتفقد هذه الحقيقة أخلاقياً. فالمسيح هو المحبة والقداسة المتجسدة، وهؤلاء الذين هم في المسيح ينبغي أن يصيروا نموذجاً للمحبة والقداسة أيضاً.

تعدُّ واحدة من البركات التي لنا في المسيح، وهي سبب كاف لتمجيد الله، أنه اخترنا لنكون قديسين وبلا لوم (آية ٤). حين ينظر الله إلينا، فإن عينيه المليئين بالمعرفة الكلية والنقاء لا تريان سوى البر الكامل للمسيح الذي اتحدنا به، وهو اخترنا بسبب محبته لنا، وبسبب محبته عيننا لنكون أبناءه بالتبني وورثة له (آية ٥). يعتمد هذا الاختيار الكامل على محبته ونعمته، ولا يعتمد أبداً على استحقاقنا بل على استحقاق المسيح. إنه قرار يقوم على النعمة التامة والحرّة ذات السيادة الكاملة (آية ٦). ويُعتبر نوال جميع هذه البركات وفقاً لسرّة الله وإرادته، وهي ببساطه ما كان الله يريد أن يفعله، وتحققت كلها من خلال يسوع، لذلك ستمدح نعمة الله المجيدة إلى الأبد. لذا تعدُّ هذه البركات ذات قيمة أعظم من جميع البركات التي في العالم، وقد أعطاها الله لهؤلاء المختارين كعطية مجانية بنعمته. وثمان هذه

لأننا في المسيح
فلا بُدُّ أن نسلِّك
بما يتَّفِق مع
طبيعته .

العطيَّة أعظم من أن يُقدَّر . فهي عطيَّة غير محدودة ولا يمكن التعبير عنها . وهذه العطيَّة الثمينة هي لنا ، لذا نستطيع تمجيدَ الله أبو ربِّنا يسوع المسيح .

أوضح بولس للتَّوَّ هذه الحقيقة وهي أننا في المسيح تحرَّرنا ونلنا العتق من العبوديَّة ، وحصلنا به على الفداء . لم يكن ثمنُ الفداء لنحصل على حرَّيتنا أقلَّ من دمِّ المسيح (آية ٧) . حيث وجدنا غفراناً لخطايانا

من خلال دمه المسفوك ، ومن خلال كفَّارته . فلا بُدُّ أن يُقدَّر المرء عظمة هذه البركة الثمينة التي هي غفران الخطايا . تلك الخطايا التي فصلتنا عن الله ، والتي استوجبت موتنا ومن شأنها أن تُشوَّه وتُدْمَر وتقتل ، ولكنَّ المسيح كَفَّر عنها وبذلك غفَّرها الأب . لذا فإنَّ مشكلتنا العظمى هي الخطيَّة ، والله في المسيح منحنا الغفران بفضل غنى نعمته . فنحن لم نفعل شيئاً لننال ذلك ، والحقيقة ، أننا لا نستطيع أن نفعل شيئاً لننال ذلك . يتطلَّب التكفيرُ عن خطايانا ، موتنا وسفك دمائنا ، ولكنَّ المسيح مات عوضاً عنا وسفك دمه فداءً لنا . فوجد لنا فيه غفراناً لخطايانا من خلال سفك دمه . وبناءً عليه ، انسكبت نعمة الله علينا بسخاء ووفرة .

أجزل الله علينا في حكمته وفطنته المطلقة نعمةً وبصيرةً على حدِّ سواء . فهو أعلن لنا سرَّ مشيئته الذي يرتبط الغرضُ منه ارتباطاً وثيقاً بالتحصُّن بالمسيح . لم نستطع إدراك هذا السرِّ إلا بعد التجسُّد والصَّلب والقيامة والصُّعود . وهو الشَّيء الذي لم نتمكَّن من فهمه إلى أن جاء الرُّوح القدس في يوم الخمسين . فحتى بولس نفسه ، لم يستطع أن يكتشفه إلا بإعلان خاصٍّ من الرُّوح القدس . وهذا السرُّ هو أن جميع الأشياء التي في السَّماء وعلى الأرض نجدُ الغايةَ منها وأهميَّتها في شخص المسيح . ففي نهاية المطاف ، سنجد أن جميع الأشياء تتوحَّد في المسيح وأنه مركزها جميعاً . ولا معنى لأيِّ شيء ما لم يكن له علاقة بالمسيح . وذلك لأنَّ اتِّحادنا بالمسيح سيدفعنا إلى التَّفكير عميقاً بما يتبع ذلك من بركات .

يؤكد بولس من جديد في أفسس (١ : ١١) على أنه في المسيح قد اختارنا الله وعيَّننا سابقاً حسب قصده . إنَّ قصد الله ومشيئته يحدِّدان في النهاية كلَّ ما سيحدث . وتصبح مشيئة الله لهؤلاء الذين في المسيح أن يمدحوا جميعاً مجده . فيقول بولس أن الله اختار شعبه وعيَّنهم في المسيح ، كي تتحقَّق مشيئته وذلك سيؤوِّل حتماً مدح مجده .

بالإضافة إلى ذلك، فهم أيضاً مختونون من الله بالروح القدس (آية ١٣). يقوم الروح القدس بالعديد من الأدوار، لكن في هذا النصّ يقوم بدور ضمانٍ مثابرة أبناء الله من أجل تتيميم خلاصهم (آية ١٤). فاختر الله أن يفدي الخطاة لكي يكونوا شعبه الفريد والخاص. وكل ذلك من أجل مدح مجد نعمته.

لم يكن ثمن
الفداء لننال
حرّيتنا أقلّ
من سفك دم
المسيح.

يمكن قضاء بعض الوقت في التأمل في أهمية هذا المقطع واستعراض ما فيه من غنى، لكننا بحاجة إلى

التركيز على كيفية تطبيق هذا النصّ على النصّ الوارد في (أفسس ٤: ١-٥: ٢٠). (يحتاج القراء أن يضعوا في اعتبارهم وجوب التفكير بأن رسالة أفسس قد كتبت ليكون لها التأثير الكامل على القراء). وهذا ما نحتاج أن نفعله لفائدتنا، أن نأخذ دقيقة للتفكير في غاية وأهمية خطة الله وإنجيل يسوع وعطيّة الروح القدس وجميع البركات التي لنا في المسيح. كل هذه الحقائق تؤكد الدعوة التي دُعينا لأجلها. وبناء على ذلك يجب أن نطرح الأسئلة التالية: هل تظهر حياتنا حقاً أننا حصلنا على هذه الدعوة المجيدة؟ هل الأشخاص الذين يعرفوننا يشعرون بعظمة وأهمية الإنجيل؟ حين ينتقل بولس إلى التطبيق، يبدأ في حتّ كل مؤمن على أن يعيش حياة تتوافق مع الدعوة التي دُعي إليها. لذلك، فإن سلوكياتنا الأخلاقية هي إحدى الطُرق التي تُظهر غاية وأهمية الإنجيل.

أفسس ٤: ٢-١٦

إذا إدركنا أهمية هذه الدعوة لحياتنا، فما الطريقة التي ينبغي بها أن نعيش هذه الحياة؟ بماذا تتسم الحياة التي تتوافق مع دعوة المسيح؟ قد تبدأ من فورك في التفكير في المسيحيين الشجعان الذين ضحوا بممتلكاتهم أو حتى حياتهم لأجل المسيح والإنجيل، أو ربّما تفكر في الألم الكبير الذي قاسيته كي تشهد عن يسوع، أو أنك تعرف مؤمنين تألموا بسبب شهادتهم. فمن الممكن أن تكون كنيستك مليئة بالأشخاص الذين عانوا من الاضطهاد بسبب إيمانهم. بصرف النظر عن خبرتك الشخصية، أو خبرة الأشخاص الذين تعرفهم، فإن بولس لا يقول إن الحياة التي تتوافق مع دعوة الله لا بد أن يكون بها تضحيات عظيمة وواضحة. كنّا نتوقع من بولس أن يذكر شيئاً لافتاً للانتباه، لكن ما أوردّه في الحقيقة كان شيئاً بخلاف

ذلك تماماً. إقرأ الكلمات التالية بدقة:

بِكُلِّ تَوَاضِعٍ، وَوَدَاعَةٍ، وَيَطُولِ أُنَاةٍ، مُحْتَمِلِينَ بَعْضُكُمْ بَعْضًا فِي الْمَحَبَّةِ. مُجَنِّهِينَ أَنْ تَحْفَظُوا وَحْدَانِيَّةَ الرُّوحِ بِرِبَاطِ السَّلَامِ. جَسَدٌ وَاحِدٌ، وَرُوحٌ وَاحِدٌ، كَمَا دُعِينُمْ أَيْضًا فِي رَجَاءِ دَعْوَتِكُمُ الْوَاحِدِ. رَبٌّ وَاحِدٌ، إِيْمَانٌ وَاحِدٌ، مَعْمُودِيَّةٌ وَاحِدَةٌ، إِلَهُ وَابٌّ وَاحِدٌ لِلْكَلِّ، الَّذِي عَلَى الْكُلِّ وَبِالْكَلِّ وَفِي كَلِّكُمْ. وَلَكِنْ لِكُلِّ وَاحِدٍ مَنَّا أُعْطِيَتِ النِّعْمَةُ حَسَبَ قِيَاسِ هِبَةِ الْمَسِيحِ. لِدَلِكِ يَقُولُ: «إِذْ صَعِدَ إِلَى الْعَلَاءِ سَبِيًّا وَأَعْطَى النَّاسَ عَطَايَا.» وَأَمَّا أَنَّهُ «صَعِدَ»، فَمَا هُوَ إِلَّا إِنَّهُ نَزَلَ أَيْضًا أَوَّلًا إِلَى أَقْسَامِ الْأَرْضِ السُّفْلَى. الَّذِي نَزَلَ هُوَ الَّذِي صَعِدَ أَيْضًا فَوْقَ جَمِيعِ السَّمَاوَاتِ، لِكَيْ يَمْلَأَ الْكُلَّ. وَهُوَ أُعْطِيَ الْبَعْضُ أَنْ يَكُونُوا رُسُلًا، وَالْبَعْضُ أَنْبِيَاءَ، وَالْبَعْضُ مُبَشِّرِينَ، وَالْبَعْضُ رِعَاةً وَمُعَلِّمِينَ، أَجَلَ تَكْمِيلِ الْقَدِيسِينَ لِعَمَلِ الْخِدْمَةِ، لِئِنِّيَانِ جَسَدِ الْمَسِيحِ، إِلَى أَنْ نَنْتَهِيَ جَمِيعًا إِلَى وَحْدَانِيَّةِ الْإِيْمَانِ وَمَعْرِفَةِ ابْنِ اللَّهِ. إِلَى إِنْسَانٍ كَامِلٍ. إِلَى قِيَاسِ قَائِمَةٍ مَلَأَ الْمَسِيحِ. كَيْ لَا نَكُونَ فِي مَا بَعْدَ أَطْفَالًا مُضْطَرِبِينَ وَمَحْمُولِينَ بِكُلِّ رِيحِ تَعْلِيمٍ، بِحِيلَةِ النَّاسِ، بِمَكْرٍ إِلَى مَكِيدَةِ الضَّلَالِ. بَلْ صَادِقِينَ فِي الْمَحَبَّةِ، نَنُمُو فِي كُلِّ شَيْءٍ إِلَى ذَاكَ الَّذِي هُوَ الرَّأْسُ: الْمَسِيحُ، الَّذِي مِنْهُ كُلُّ الْجَسَدِ مُرَكَّبًا مَعًا، وَمُقْتَرِنًا بِمُؤَازَرَةِ كُلِّ مَفْصَلٍ، حَسَبَ عَمَلٍ، عَلَى قِيَاسِ كُلِّ جُزْءٍ، يُحْصَلُ نُمُو الْجَسَدِ لِئِنِّيَانِهِ فِي الْمَحَبَّةِ.

في تعليمه لنا عن كيفية سلوكنا كما يحق للدعوة التي دُعينا إليها أشار بولس إلى أهمية عيشنا بتواضع. تتميز الحياة التي هي بحسب دعوة المسيح ببعض الاتجاهات. فهي ترتبط أولاً وقبل كل شيء بالعلاقات الشخصية، كما أنها لا تهتم بالأعمال الظاهرية التي نقوم بها بقدر اهتمامها باتجاهات القلب التي تتوافق مع مقاييس الله. وتعد هذه واحدة من الدروس التي تتعلق بالمحبة التي ينبغي تعلمها من (١كورنثوس ١٣). فمن الممكن لنا أن نعرف جميع الأشياء وأن نتحدث ببلاغة، وأن نعطي جميع ممتلكاتنا بل وأن نموت شهداء أيضاً، لكن إذا فعلنا كل ذلك من دون محبة فسيصبح كل ذلك لا معنى له. فالمحبة لا يمكن اختزالها في المشاعر وبعض الأعمال الخيرية، ولا ينبغي أيضاً أن توصف الحياة التي تُكرم الله بأنها استعراض عظيم للأعمال البطولية، بل لا بد أن تتسم بالتواضع.

ينبغي ألا
توصف الحياة
التي تُكرمُ الله
بأنها استعراض
عظيم للأعمال
البطولية، بل
لا بد أن تتسم
بالتواضع.

كما تتميز أيضاً هذه الحياة بالوداعة وطول الأناة واحتمال الآخر في المحبة. كل هذه الأمور لها معنى وتسير جنباً إلى جنب، عندما ننظر إلى ما فعله الله لأجلنا فنُدرك أنه لا شيء سوى كونه عطية من نعمة الله. فأين الافتخار؟ يجب أن نستعده بالكامل! إن دخول الملكوت لا يحتاج إلا إلى عطية النعمة، لذلك علينا إدراك مدى فقرنا الروحي الذي نحن فيه حقاً. إذا كان نوال نعمة الله في المسيح على النقيض تماماً من الاعتماد على الانجازات الإنسانية والكبرياء، فيجب علينا ببساطة أن نكون متواضعين. كيف يسلك الأشخاص المتواضعون؟ هل هم قساة مع الآخرين؟ هل يُسيطرون على الآخرين أو يتجاهلونهم؟

لا، بل يضعون الأشخاص الآخرين أولاً ويخدمونهم من دون طلب الخنوع والاذعان. كما أنهم لا يهتمون بما لأنفسهم ولا يتظاهرون بالتواضع. ولكنهم ينشغلون باحتياجات الآخرين، ولا يكثرثون بما إذا كان تواضعهم هذا ظاهراً ومعروفاً أم لا. لا يتساوى التواضع والوداعة مع الضعف، بل في الحقيقة، هما نتاج القوة واللطف. إذا تخيلت رجلاً قوياً يحتضنُ برفق بين ذراعيه رضيعاً ضعيفاً، سوف ترسمُ بذلك صورة للوداعة. بناءً على ما سبق، فإن الأخلاقيات الرفيعة تتطلب اتضاعاً ووداعة حقيقية على حد سواء.

يملك أولئك المتواضعون والودعاءً صبراً (أو طول أناة). يُشير الصبر إلى القدرة على تحمل الغيظ والاستفزاز دون فقدان ضبط النفس. وهو عكس الغضب والاهتياج السريع. ويتسم أولئك الصابرون بالقدرة على ضبط النفس والسكينة الروحية لأنهم يُدركون نعمة الله في حياتهم، كما أنهم قادرون على توصيل هذه النعمة إلى الآخرين. مما يجعلهم متممين لقول الرسول بولس: «مُحتملين بعضكم بعضاً في المحبة». تُعدُّ رؤية بولس الواقعية في هذا السياق رؤية عملية ومفيدة. فهل نستطيع أن نتحمل الأشخاص الذين يُضايقوننا؟ نحن أحياناً لا نحتمل أولئك الذين هم مصدرٌ للفرح والسعادة في حياتنا. لذا فحقيقة أن الكتاب المقدس يحثنا على احتمال بعضنا البعض (في هذا السياق يتحدث إلى المؤمنين)، وهذا دليل على أنه في العالم الساقط، ستأتي أوقات يتأذى فيها المؤمنون بعضهم من بعض

يُشيرُ الصَّبْرُ
إلى القَدْرَةِ على
تحَمُّلِ الغَيْظِ
والاستنزاز
دون فقدان
صَبْطِ النَّفْسِ .

ويسببون ضيقاً بعضهم لبعض . لكن يبقى هؤلاء الذين يفهمون دعوتهم قادرين على الاستمرار في تقديم المحبة في تلك الأوقات الصعبة . و باعتباري متلقياً لمحبة الله ونعمته ، فهل تواضع و لطف و صبر المؤمن سيظهر أهمية الدعوة عن طريق إظهار محبة الله للآخرين ؟ وإذا كان الله أحب خطأ مثلنا ، كيف نفشل في محبة أولئك الذين يخطئون في حقنا أو الذين يعارضوننا بطرق مختلفة؟

يُصرِّح بولس في (أفسس ٤: ٣-٦) بأن جميع

الذين هم في المسيح متحدون معاً في وحدة عجيبة ، ليس لهم سوى رب واحد . اقرأ الآيات مرة أخرى ، وانظر كيف يؤكد على كلمة «واحد» . هذه الوحدة والوحدانية من صنع الله . فقد صنع الروح هذه الوحدة ، ولكنه يطلب منا أن نجتهد للحفاظ عليها . لذا ، فإن مسؤوليتنا الأخلاقية هي الحفاظ على ما صنعه الروح . فإذا كانت طريقة التعبير عن ذلك بصيغة النفي ، فهذا يعني أنه يجب ألا نفعل أي شيء من شأنه أن يؤدي أو يدمر ما صنعه الروح . فإن الروح جمعنا سوياً برباط السلام . فيجب ألا ندنس هذه الوحدة وهذا الرباط بتصرفاتنا أو سلوكياتنا . فالروح يوحد ، لذا يلزم علينا ألا نفرق . يجب الحفاظ على ديمومة هذا الرباط ، وبذلك نتمكن من الاقتراب بعضنا لبعض أكثر من أي وقت مضى

يجبُ ألا نفعل
أي شيء من
شأنه أن يؤدي
أو يدمر ما
صنعه الروح .

باعتبارنا مجتمع يسوده السلام . ربما لا يكون ذلك بالأمر اليسير ، لهذا السبب أخبرنا الكتاب المقدس بأننا بحاجة إلى بذل كل الجهد لتحقيق ذلك ، ونحن إذا بحاجة إلى السعي للحفاظ على ما صنعه الروح . فمن الأسهل جداً أن تهدم شيئاً ما على أن نحافظ عليه في أتران أو أن تساهم في بنائه .

ينتقل بولس في الآيات (٧-١٦) من التركيز على الوحدة إلى التركيز على التنوع . ويستخدم تشبيه الجسد في (١ كورنثوس ١٢) ، ليوضح أن الكنيسة لا تقوم بدورها الصحيح إلا لكونها مؤلفة من مجموعة متنوعة من الأعضاء الذين يجتمعون معاً في وحدة

فإن الروح
جمعنا سوياً
برباط السلام .

أساسية. كما يُعلِّمنا بولس أيضاً في هذا النَّصِّ ،
 أَنَّ المسيح هو الذي يوزِّع المواهب ويحدِّد
 أيضاً نوعيَّة هذه المواهب والتي يهبها لنا. على
 سبيل المثال ، ربَّما يُعطي الله موهبة التَّعليم
 لشخصين ، لكن يمكن أن يصيرَ واحدٌ منهما
 موهوباً في التَّعليم أكثر من الآخر. وربَّما
 يكون واحدُهما موهوباً في تعليم الأطفال ، في
 حين أنَّ الآخر تتركز موهبته أكثر في تعليم
 البالغين. حيث يكون الاختلاف في المواهب
 بحسب مشيئة المسيح. علينا أن نكون في
 وحدة ، لكن يجب ألا نكون نسخةً طبق الأصل
 بعضنا عن بعض. لاحظ أنَّ الآية (٧) تقول



مكتبة سيلسوس في مدينة أفسس
 اليونانية القديمة (في تركيا
 الحديثة).
 أسس بولس الكنيسة في أفسس
 في رحلته التبشيرية الثانية (أع
 ١٨: ١٩)

إنَّ المسيح أعطى نعمةً للنَّاسِ ، بينما في الآية (١١) يقول إنَّ المسيح أعطى النَّاسِ
 أن يكونوا هم أنفسهم عطايااً للنَّاسِ . وهؤلاء الذين وهبهم المسيح كعطايا للكنيسة
 يجب أن يساعدوا في بناء الكنيسة وأن ينموا معاً. ومن المُحتم أن نتعاون معاً
 ونستخدم مواهبنا لنساعد بعضنا بعضاً على التَّموُّ . وغايتنا في ذلك هو التَّضوُّج
 واختبار كلِّ ما يريدنا المسيح أن نختبره . نحن لا نستطيع أن نقوم بذلك بأنفسنا ،
 لذا ، نحتاج بعضنا إلى بعض ، ولا يمكننا أن نزهدهم إلا حين ننمو مع بعضنا
 البعض . إذا أحببنا بعضنا البعض حقاً ، سنكرِّس حياتنا لتنمية هذا النوع من التَّموُّ
 النقيِّ المقدَّس . لهذا السَّبب يقول بولس أنه يجب أن نكون «صَادِقِينَ فِي الْمَحَبَّةِ »
 (آية ١٥) ، وذلك الجسد سينمو حين نعمل معاً «في الْمَحَبَّةِ » (آية ١٦) . حيث تُعتبر
 المحبةُ أمراً ضرورياً للتَّموُّ الروحيِّ والأخلاقيِّ ، وتُعدُّ نوعيَّة محبة الكنيسة إحدى
 العلامات التي من خلالها نحكم على صحَّة الكنيسة الرُّوحية .

(أفسس ٤: ١٧ - ٢٤)

تُعتبر نوعيَّة الحياة التي يصفها بولس في (أفسس ٤: ١-١٦) ، أي الحياة التي
 تتوافق مع الدَّعوة التي دُعينا إليها ، مناقضة تماماً لنوعيَّة الحياة التي كُنَّا نحيا بها
 قبل أن نخلص . إذا أردنا أن نفهمَ وندرِّك ما مدى هذا التَّنَاقُضِ ، علينا قراءة
 (أفسس ٢: ١-١٠) . أدرك بولس بأننا إذا أردنا أن نحيا بالطريقة التي يُريدنا الله

أن نحيا بها، يجب علينا أن نُنَمِّي بعضَ الفضائل ونتخلَّص من بعض الرذائل. أنظر أيضاً (كولوسي ٣: ٥-١٧). هناك الكثير من النصوص الأخرى التي يمكن التأمل فيها في هذا الصدد، لكن الآن سنلتزم بما كتبه بولس في (أفسس ٤: ١٧-٢٤):

«فَأَقُولُ هَذَا وَأَشْهَدُ فِي الرَّبِّ: أَنْ لَا تَسْلُكُوا فِي مَا بَعْدَ كَمَا يَسْلُكُ سَائِرُ الْأُمَمِ أَيْضاً بِبُطْلٍ ذَهْنِهِمْ، إِذْ هُمْ مُظْلَمُوا الْفِكْرَ، وَمُنْجَبُونَ عَنْ حَيَاةِ اللَّهِ لِسَبَبِ الْجَهْلِ الَّذِي فِيهِمْ بِسَبَبِ غَلَاظَةِ قُلُوبِهِمْ. الَّذِينَ إِذْ هُمْ قَدْ فَقَدُوا الْحِسَّ اسْلَمُوا نَفْسَهُمْ لِلدَّعَاوَةِ لِيَعْمَلُوا كُلَّ نَجَاسَةٍ فِي الطَّمَعِ. وَأَمَّا أَنْتُمْ فَلَمْ تَتَعَلَّمُوا الْمَسِيحَ هَكَذَا، إِنْ كُنْتُمْ قَدْ سَمِعْتُمُوهُ وَعَلِمْتُمْ فِيهِ كَمَا هُوَ حَقٌّ فِي يَسُوعَ، أَنْ تَخْلَعُوا مِنْ جِهَةِ النَّصْرَفِ السَّابِقِ الْإِنْسَانَ الْعَنِيْقِ الْفَاسِدِ بِحَسَبِ شَهَوَاتِ الْغُرُورِ، وَتَتَجَدَّدُوا بِرُوحِ ذَهْنِكُمْ، وَتَلْبَسُوا الْإِنْسَانَ الْجَدِيدَ الْمَخْلُوقَ بِحَسَبِ اللَّهِ فِي الْبِرِّ وَقِدَاسَةِ الْحَقِّ.»

يتطلب العيش بقداسة وأخلاقيات عالية التخلص من طرق الحياة القديمة. فيخبر بولس قراءه بأنه ألا يعيشوا مثلما كانوا يعيشون قبل اختبارهم للخلاص. كما قام بالربط بين نمط حياتهم القديمة ونمط تفكيرهم القديم، اللذين وصفهما بأنهما باطلان. كانت نظرتهم الكونية مشوهة وكانوا يتصرفون كالحققي. لاحظ وصف حالتهم البائسة والمحنة:

١. أذهانهم باطلة (آية ١٧)

٢. مُظلمو الفكر. وليس لديهم نورٌ في أذهانهم. لذا، لم يتمكنوا من فهم حَقَّ الله والواقع الذي يعيشون فيه (آية ١٨)

٣. مُنفصلون عن الحياة مع الله. كانت حياتهم تماماً مثلما وُصفت في (أفسس ٢: ١-٢)، حياةً ميتة. فلا وجود للحياة الحقيقية بسوى الحياة في الله. لكن بسبب خطاياهم، كانوا منفصلين عن هذه الحياة.

٤. جُهلاء بسبب غلاظة قلوبهم (آية ١٨)، حيث رفضوا بإصرار معرفة الحَقِّ ونورَ الله المحيط بهم. تماماً مثلما نقول رسالة (رومية ١: ١٨)، فهم

هم لم يروا
لأنهم لم يريدوا
أن يروا

يحجزون الحقَّ بالإثم . لم يكن هذا الجهل ينمُّ عن فعل ساه أو عدم قصد ، لكنَّه كان فعلاً ينمُّ عن قسوة قلب متعمَّدة . فهُم لم يروا لأنَّهم لم يريدوا أن يروا ، وهم يتحمَّلون مسؤوليَّة كاملة عن حالتهم ، لذلك هم بلا عُذر .

٥ . فقدوا الحسَّ وكثُرَتْ ذنوبهم (آية ١٩) . عندما يقول بولس أنَّهم «فقدوا الحسَّ» يستخدم مصطلحاً يُشيرُ إلى غلاظة الجلد . مع مرور الوقت ، يمكننا تكوين جلد غليظ على أيادينا ومن ثمَّ لا تصاب أيادينا بالقرح حينما نقوم بأعمال شاقَّة . فغلاظة الجلد تجعلنا غير حسَّاسين . وللأسف ، يمكننا أيضاً بناءً جلد غليظ على قلوبنا وضمائرنا ، ومن ثمَّ نصير غير حسَّاسين للخطيئة . حينما يتقسَّى القلب ، سوف يقوم بارتكاب المزيد والمزيد من الخطايا والحماقات ، لأنَّه لم يعد يشعر بالخجل والنَّدَم الذي يجب أن يشعر به من جرَّاء سلوكيَّاته الشريرة . وعوضاً عن ممارسة الفضيلة الأخلاقيَّة ، أصبح النَّاس يمارسون الانحلال الأخلاقي ، وباتت كلُّ أنواع النَّجاسات خياراً متاحاً لهم ، وأصبحوا شرَّهين لفعال المزيد من هذه النَّجاسات .

ولا غرابة في أن بولس يُصرُّ في (الآية ١٧) على أن المؤمنين يحتاجون ألاَّ يسلكوا بهذه الطريقة . ويُقدِّم صورةً جميلة للمؤمنين شارحاً أن الذين يلبسون الثياب الجديدة في المسيح ويسلكون بالفضيلة ، ويخلعون الثياب القديمة الملوثة . أولئك الذين فقدوا حياتهم في الأوهام يستعيدون الآن في المسيح صحَّة عقولهم لأنَّهم يكتشفون الحقَّ المتجسِّد في يسوع . ومن الآن يمكننا رؤية المسؤوليَّة الواقعة علينا في خلع الإنسان العتيق وكلُّ طرِّقه . كما أننا بحاجة إلى انتزاع الشَّهوات الخادعة ، أي الشَّهوات التي تكذب علينا بوعودها الباطلة ، إلى الأبد ، واستبدالها بالصَّلاح والحقَّ . إذ دُعينا إلى تجديد أذهاننا والتفكير بطريقة إلهيَّة ، حيث هناك مبادئ ومقاييس جديدة يجب أن نتعلَّمها وأن نمارسها . كما دُعينا إلى خلع الإنسان العتيق (آية ٢٢) وليس الإنسان الجديد (آية ٢٤) . فهذا الإنسان الجديد لا يُعدُّ مجرد تعديل طفيف في سلوك الإنسان العتيق ، لأنَّ الإنسان العتيق ميَّت بالذنوب والخطايا (أفسس ٢ : ١) ويتَّصفُ بالعَمى والجهل وغلاظة القلب والقسوة ، لكنَّ الإنسان الجديد خُلِق ليكون مثلَّ الله . فهذا لا يعني بالتأكيد أنَّ الإنسان الجديد قادرٌ على كلِّ شيء أو خالد ، إنما هذا الإنسان الجديد يشابه صورة الله من حيث وجود البرِّ والقداسة الحقيقيَّة . الله حقٌّ ، وهذا الحقُّ يجعلنا مُقدَّسين

وأبراراً. حيث يصبح إنساننا الجديد مُفْرَزاً ومُكْرَساً لله، وبذلك نكون في الموقف الصحيح من حيث شريعة الله. لذا، علينا أن نعيش هذا الواقع الجديد ونضعه موضع التنفيذ. لا يمكننا أن نعيش الحياة التي دُعينا إليها إلا عن طريق المحبة والحق والقداسة والبر. وفي النص التالي، سيناقدش بولس بالتفصيل ما هو شكل هذه الحياة الجديدة.

(أفسس ٤: ٢٥-٣٢)

لِذَلِكَ اطْرَحُوا عَنْكُمْ الْكُذِبَ، وَتَكَلَّمُوا بِالصِّدْقِ كُلِّ وَاحِدٍ مَعَ قَرِيبِهِ، لِأَنَّا بَعْضُنَا أَعْضَاءُ الْبَعْضِ. اغْضَبُوا وَلَا تُحْطِنُوا. لَا تَغْرُبِ الشَّمْسُ عَلَى عَيْنِكُمْ، وَلَا نَعْطُوا إِبْلِيسَ مَكَانًا. لَا يَسْرِقِ السَّارِقُ فِي مَا بَعْدُ، بَلْ بِالْحَرِيِّ يَتَعَبُ عَامِلًا الصَّالِحَ بِيَدَيْهِ، لِيَكُونَ لَهُ أَنْ يُعْطِيَ مَنْ لَهُ احتِياجٌ.
لَا تَخْرُجْ كَلِمَةً رَدِيَّةً مِنْ أَفْوَاهِكُمْ، بَلْ كُلُّ مَا كَانَ صَالِحًا لِلْبَنِيَانِ، حَسَبَ الْحَاجَةِ، كَيْ يُعْطِيَ نِعْمَةً لِلسَّامِعِينَ. وَلَا تَحْزِنُوا رُوحَ اللَّهِ الْقُدُّوسَ الَّذِي بِهِ خْتَمْتُمْ لِيَوْمِ الْفِدَاءِ. لِيُرْفَعَ مِنْ بَيْنِكُمْ كُلِّ مَرَارَةٍ وَسَخَطٍ وَعَظَبٍ وَصِيَاحٍ وَتَجْدِيفٍ مَعَ كُلِّ خَبْثٍ. وَكُونُوا لُطْفَاءً بَعْضُكُمْ نَحْوَ بَعْضٍ، شَفُوقِينَ مُتَسَامِحِينَ كَمَا سَامَحَكُمُ اللَّهُ أَيْضًا فِي الْمَسِيحِ.

بناءً على الببدأ العام الذي يلزمنا بأن نخلع طريقة الحياة القديمة وأن نلبس الإنسان الجديد المخلوق بحسب الله في البر والقداسة والحق، يُقدّم بولس خطاباً مُطَوَّلًا بشأن مسائل أخلاقية محددة. تشير الكلمة المفتاحية (لذلك) التي استخدمها بولس في بداية النص إلى أن الكلام التالي يقوم على الكلام الذي سبقه. فهو يبيّن كل شيء سيقوله على هذا التغيير العظيم في الحياة الذي حصلنا عليه بفضل نعمة الله في ربنا يسوع المسيح.

ولأنه يجب علينا ألا نعيش كما اعتدنا قبلاً، ينبغي التوقّف عن التكلم بالصدق بعضنا تجاه بعض. لاحظ أن هذه الوصية جاءت بصيغة النفي والإثبات بالسواء. بصيغة النفي: لا تكذبوا، وبصيغة الإثبات: تكلموا بالصدق. إن إحدى الأسباب التي تجعل هذه الوصية هامةً للغاية هو أننا جميعاً أعضاء في جسد المسيح. تخيل ماذا سيحدث لو أن بعض أعضاء جسديك كذبت على الأعضاء الأخرى، ماذا سيحدث إذا رأت عينك زجاجةً ممتلئةً بالسّم، لكنّها كذبت على

يدك ومن ثم أخذت يدك الزجاجة وشربت منها؟ بالتأكيد، هذا سيؤثر على العين التي كذبت لكنه سيؤثر أيضاً على باقي الجسد. فمن المستحيل أن يبقى الجسد حياً إذا كانت أعضاؤه تخذع بعضها بعضاً. وبالقياس على ذلك، لا يمكن لجماعة العهد الجديد، أي جسد المسيح، أن تحيا وتتمو في جو يملأه الكذب والخداع.

مع أننا نعتبر نحن الصدق واجباً أخلاقياً أساسياً،

لكن يبدو أن الكذب والخداع في العديد من الثقافات يُعدُّ أمراً شائعاً بصورة لا يمكن تصديقها، وبعض أشكال الكذب مقبولة على نطاق واسع. ففي العالم الغربي، يكذب الناس بعضهم على بعض طوال الوقت. ويحدث هذا الأمر عندما يقول شخص ما: «هذا الأمر لم يحدث»، رغم أن ذلك الشخص يعلم أن هذا الأمر حدث في الحقيقة. لكن

لا يُمكن أن يحيا
جسد المسيح
وينمو في جو
يملاه الكذب
والخداع.

ما يحدث كثيراً هو أن الناس تبالغ في الأمر الحقيقي لدرجة أنها تجعله يبدو أنه غير حقيقي. أو أنهم ربما يقللون من بعض الحقائق فيظهرون أنفسهم بأفضل صورة ممكنة. فإن تحسين الصورة العامة هو شيء يحاول الكثير من الناس القيام به، ولتحقيق هذا الأمر لا يتحدثون بالصدق كاملاً. يجب أن نتعلم قول الصدق بعضنا لبعض. يلزم قول الصدق دائماً حتى إذا كان ذلك يتنافى مع مصلحتنا الشخصية. لكننا نتذكر أيضاً كلمات بولس الرسول في (فيلبي ٤ : ١٥) التي تقول: «صادقين في المحبة». كما يمكن للناس أن يقولوا الأشياء الحقيقية، لكن من الممكن قولها بطريقة قاسية أو مؤذية للآخرين. فأحياناً يمكن التحدث بالصدق في التوقيت الخاطئ أو بالطريقة الخاطئة. وللأسف، يمكن أن ينحو الصدق إلى سلاح يؤلم الناس بشدة. فيجب على المؤمنين ألا يتكلموا بالكذب، لكن لا بد لهم ألا يستخدموا الصدق لإيذاء الآخرين. نحتاج إلى التحدث بصدق مع بعضنا البعض، لكننا بحاجة أيضاً إلى التحدث بصدق في المحبة. تتضمن أخلاقيات قول الصدق ما يلي: التخلي عن جميع أشكال الخداع، التحدث بصدق وترسيخ كل ذلك في وحدة المحبة التي في جسد المسيح. ولأننا جميعاً أعضاء في جسد واحد، علينا الحفاظ على وحدة الروح في رباط السلام ويجب التحكم في انفعالاتنا وغيظنا. يحثنا بولس في الآية (٢٦) على ألا نخطئ حين غضب، مُتنبساً ذلك من (مز مور ٤ : ٤). هناك أوقات غضب الله فيها وأوقات

غَضِبَ فيها يسوع في حياته على الأرض . فأن غضب لا يعني بالضرورة أن نخطئ . وفي الواقع ، نظراً للانحلال والمشقة التي في عالمنا ، يوجد أوقات كثيرة يكون فيها من الصواب تماماً أن نغضب للبر . رغم ذلك نحن نحتاج إلى أن نكون صادقين مع أنفسنا ، فالحقيقة هي أننا غالباً ما لا نغضب للبر . حتى حين نكون مدعؤون لأن نغضب للبر ، فإننا نكون أشراراً ومُتمركزين حول ذاتنا أو على أقل تقدير نختبر مزيجاً من الغضب للبر ولعدم البر . لكن في يومنا هذا ، تكون أسباب غضبنا نتيجةً للضجر وسرعة الانفعال والأناية ومحاولة إظهار الذات والافتقار إلى كل من الصبر وضبط النفس . يُشير يعقوب بوضوح إلى ذلك : «أَنْ غَضِبَ الْإِنْسَانُ لَا يَصْنَعُ بَرًّا لِلَّهِ» (يعقوب ١ : ٢٠) .

وكي نفهم هذه النقطة بعمق ، يُكرّر بولس هذه الفكرة مُعبّراً عنها بما يلي : «لا تغرب الشمس على غضبك» . يجب ألا تُقرأ هذه الآية بحرفية شديدة ، أي أن لا تؤخذ بمعنى : إذا ابتدأ الشجار مُبكراً في الصباح يمكنك أن تصير غاضباً طوال اليوم ، لكن إذا بدأ الشجار قبل الغروب بوقت قليل فليس أمامك لتغضب إلا وقت قصير ! (فعلاوة على ذلك ، ماذا عن البلدان التي لديها نهار قصير في الشتاء ونهار طويل في الصيف؟ أو ماذا عن الأماكن التي تُطبّق التوقيت الصيفي؟ هل هؤلاء الأشخاص يحصلون على ساعات إضافية ليغضبوا بحسب فصول السنة؟) تُعدّ كل هذه التفسيرات سخيفة . فالنقطة الرئيسية التي يودّ بولس أن يقولها هي أنه علينا التعامل مع غضبنا تعاملاً صحيحاً وسريعاً . لا وقت للتمسك بالحدّ أو للاحتفاظ بالغضب لوقت طويل . ومن الناحية الأخرى ، حتى لو هدأنا بعد انفجار غضبنا مباشرة ، فإننا نخطئ إذا لم يكن غضبنا للبر . يُعدّ الصبر وضبط النفس أمرين لا غنى عنهما لحياة التقوى ، ويجب أن نتأكد من أننا لا نخطئ حينما نغضب .

تُحذّر الآية (٢٧) المؤمنين من إعطاء إبليس موطنٍ قدّم في حياتهم . وليست هذه الوصية غير هادفة أو غريبة في هذا السياق ، لأنّ إعطاء إبليس موطنٍ قدّم في حياتك يرتبط ارتباطاً مباشراً بالغضب الذي لم يحلّ والهيجان التابع له . ويُقصد بإعطاء إبليس موطنٍ قدّم هو إعطاءه مكاناً في الحياة أو مكاناً يصير له نفوذ فيه . حين يأخذ الشيطان موطنٍ قدّم ، يكون لديه القاعدة التي من خلالها يشنّ هجوماً علينا . وهذا يسمح له أن يكون ذا تأثير في حياتنا . عندما نخطئ ولا نغضب للبر ، فإننا لا نُضِرّ المحيطين بنا وحسب ، بل أنفسنا أيضاً ، وبتنشأ عندئذٍ دوامة خطيرة تأخذنا إلى الأسفل . فكلما كانت أخطأنا أكبر كان للشيطان تأثيراً أعظم علينا .

وكَمَا كان له تأثير أكبر علينا كان استسلامنا للإغراءات أسهل. ونتيجة لذلك، تتدهور شخصيتنا الأخلاقية أكثر فأكثر. فمن الضروري إدراك أن الشيطان يستطيع كسب موطن قدم في حياتنا بطرق مختلفة إلى جانب الغضب غير المنضبط. فالغضب هو المشكلة المحددة التي تناولناها في هذا النص.

حين يأخذ
الشيطان موطن
قدم، يكون لديه
القاعدة التي
من خلالها يشنُّ
هجوماً علينا.

ينتقل بولس من الحديث عن الغضب والشيطان ليخاطب اللصوص في الكنيسة حيث يطلب منهم التوقف عن السرقة! إذا وُجد في الكنيسة بعض المؤمنين الذين اعتادوا على السرقة، فواجب عليهم أخلاقياً ألا يفعلوا هذا ثانية. يجب أن يفهم ذلك دون أن يُقال، ولكن المجتمع المسيحي أحياناً

يكون بعيداً كل البعد عن النضوج الكامل، وسنجد فيه دائماً المهتدين حديثاً الذين يبتدئون بتعلم كيفية نبذ السلوك الذي هو بحسب الإنسان العتيق والعيش بحسب الإنسان الجديد. فالمجتمعات الساقطة تعلمنا مبادئ أخلاقية مختلفة عن المبادئ التي ينبغي عيشها ككنيسة، وعليه، فإن إحدى الوصايا العشر «لا تسرق»، هي وصية أساسية في شريعة الله في العهد القديم، وأيضاً من وصايا المسيح الذي علمنا لشعبه في العهد الجديد.

لكن لاحظوا أن مجرد الامتناع عن السرقة ليس كافياً للأخلاقيات المسيحية. فليست السرقة ممنوعة وحسب، لكن ينبغي على الأشخاص أن يحصلوا على وظيفة ويكسبوا قوتهم بشرف. يجب أن يفعلوا شيئاً مفيداً، ويلزم عليهم أن يصيروا مساهمين ومثمريين. ففي السابق، كان اللص يسرق من الشخص الذي يعمل بجد ويستولي على ممتلكاته، وهنا لا يأمر بولس اللص بأن يتوقف عن السرقة وحسب، لكنه يذهب به خطوة أبعد من ذلك. فيضيف الرسول قائلاً: إن واحداً من الدوافع العظيمة التي لأجلها يجب على المرء أن يعمل هو أن يتمكن من الاشتراك في تسديد احتياج المؤمنين. فيحدث هذا انقلاباً عكسياً كاملاً في وضع اللص، وتغييراً شاملاً في حياته. فاللص الذي اعتاد على السرقة من الأشخاص الذين يكسبون عيشهم بشرف، أصبح الآن يكسب قوته بشرف، ويتمكن تالياً من مساعدة الأشخاص المحتاجين. الآخذ أصبح الآن مُعطياً، واللص الذي استولى على أشياء الآخرين باحتيال، يختار الآن التخلي عما قد كسبه بأمانة. هذه المبادئ

لا تعطينا الصورة الكاملة عن الأخلاقيات التطبيقية العملية المسيحية، لكنّها تحوي مبدأ هاماً. فلا المادية الرأسمالية أو الاشتراكية الأنانية هي الدافع وراء العمل المسيحي الذي يرضي الله. نحن لا نعمل لأجل أنفسنا وحسب، بل نعمل لأجل الله والآخرين بالسواء. (سننوسّع في تناول هذه الموضوعات في الفصل ٨).

تتضمن الآداب والأخلاقيات المسيحية ما ينبغي أن نفعله وأيضاً ما ينبغي أن نقوله على حدّ سواء. يأمر بولس في الآية (٢٩) المؤمنين بالأّ تخرج أي كلمة رديئة من أفواههم. واستخدم لهجة شديدة للتعبير عن ذلك: لا تخرج ولا حتى كلمة واحدة رديئة من أفواهكم. فالأفضل ألاّ تقول شيئاً من أن تتكلم بكلمات مؤذية روحياً. يتعيّن على المؤمنين أن تكون كل كلمة ينطقون بها مُهدّبة ونافعة. كما يجب أن يكون في طيات كلماتنا حياة، وأن تكون مُفيدة لكل شخص يسمّعها.

فمن الهام أن تكون الكلمات التي نستخدمها مُفيدة لبنيان السامعين. لا يوجد طريقة يمكننا بها أن نبني الآخرين من خلال كلماتنا إلاّ إذا فهمنا ما يحتاج إليه هؤلاء الآخرون. يحتاج القساوسة وقادة الكنيسة إلى تعلّم كيفية إطعام شعبهم، حيث يحتاج الرضع إلى اللبن وليس إلى اللحم.

يوجد زمانٌ ومكانٌ للتوبيخ ويوجد زمانٌ ومكانٌ للتقويم، لكن يوجد أيضاً زمانٌ ومكانٌ للمدح والتشجيع. ينبغي أن نختار كل كلمة وفقاً لاحتياج الشخص الذي نتحدّث إليه وذلك لأجل بنيانه. ولأنّ الكلمة غير النافعة لا يمكنها أن

تحقق أبداً الهدف الإيجابي، فلا ينبغي أن نخرج من أفواهنا ولا حتى كلمة واحدة غير نافعة. دعونا نتكلم بصدق ومحبة في هذه النقطة: إذا طبقت هذه الآية بدقة، فلننتخّل النسبة الكبيرة من الكلمات التي نتفوه بها كل يوم، وتلك التي سننوّف عن النطق بها. لذلك، إذا لم نتفوه مطلقاً بأي كلمة غير مُفيدة ففي الحال ستتغيّر مجتمعاتنا وكنائسنا وعائلاتنا. فهناك فائدة عظيمة عجيبة في الصمت الذهبي والإيجابي.

ويربط هنا بولس في الآية (٣٠) بين التكلّم بكلمات غير نافعة وبين ما يُصيب الرّوح القدس من حزنٍ حين نتحدّث بالطرق النجسة وغير المقدّسة. فلا يمكن

لا يوجد طريقة
يمكننا بها أن
نبني الآخرين
من خلال كلماتنا
إلاّ إذا فهمنا ما
يحتاج إليه هؤلاء
الآخرون .

لروح الله أن يكون مُستريحاً وراضياً حين تهْدُمُ كلماتنا الآخرين وتؤدي الجماعة، فإن هذا يؤثر على روح الله. فيمكن لروح الله أن يختبر المشاعر الشخصية وأن يدرك ديناميكية العلاقات. في الوقت الذي نتكلم فيه بأقوال رديئة، نحن لا نُؤذي مُستمعينا وحسب، وإنما نُحزنُ الله أيضاً. إذا كنَّا نحِبُّ الله، فهذا سيكون حافزاً كبيراً لتحقيق وصاياه بشأن الكلام المقدس والأخلاقي. نحن نحمي ألسنتنا من التلف بأي كلمة رديئة لأننا نحِبُّ الله ونهأبه.

يتابع بولس حديثه في الآية (٣١) بوضع قائمة بالردائل المختلفة التي نحتاج إلى التخلص منها في حياتنا. تتضمَّن هذه القائمة «كُلُّ مَرَارَةٍ وَسَخَطٍ وَعَظَبٍ وَصِيَا حِ وَتَجْدِيفٍ مَعَ كُلِّ حُبْنٍ» تناولنا العديد من هذه العناصر المُحددة في الآيات السابقة. إذا تعلمنا حقاً ألا نخطئ أثناء غضبنا، فسوف نمحو، ومن دون أي شك، السخط والغضب الذي ليس للبر والصياح من حياتنا. ولأنَّ التجديف لا يمكن اعتباره أمراً مفيداً أو بناءً على الإطلاق، فيجب إلغاؤه أيضاً من حياتنا. لذلك يجب ألا يكون الخبث في حياة المؤمنين لأنَّ الشرَّ والإرادة المريضة تولدان منه. وفي مقابل هذه الردائل

ففي الوقت الذي
نتكلم فيه بأقوال
رديئة، نحن لا
نؤذي مُستمعينا
وحسب، بل
نحزنُ الله أيضاً.

والشرور، يجب أن يمتلك المؤمنون لطفاً وشفقةً وغفراناً (الآية ٣٢). فيسوع هو المقياس الذي نقيس عليه غفراننا. مهما كان الخطأ الذي فعله شخص ما بحقنا، ونحن نعلم أنَّ الناس يمكن أن يفعلوا أشياء رهيبية وشريرة لبعضهم البعض، ففي الحقيقة لا يوجد إنسان بمقدوره أن يخطئ في حقنا بالدرجة التي أخطأنا بها في حقَّ الله العليِّ القدوس. كما أنَّ الخطايا التي يرتكبها الآخرون في حقنا لا يمكن أبداً أن تُسبب ألماً أكثر من الألم الذي قاساه المسيح على الصليب حين دفع ثمن خطايانا. حين يُسيء أيُّ شخص إلينا أو يخطئ في حقنا، يجب أن نتذكَّر بركات الخلاص الواردة في (أفسس ١: ٣-١٤)، التي تُظهر مدى محبته، رحمته، نعمته، لطفه وشفقته، ومن ثمَّ يتعيَّن علينا أن نغفر للآخرين كما غفرَ الله لنا. إذا قُمنا بذلك، فسننتهي المرارة والعداوة والشقاق إلى الأبد، وسيكون مجتمع العهد الجديد فردوساً إلهياً.

(أفسس ٥: ١-٢٠)

استكمالاً لفكرة النظر إلى المسيح باعتباره مقياساً للسلوكيات الأخلاقية، يكتب بولس:

فَكُونُوا مُنْتَمِلِينَ بِاللَّهِ كَأَوْلَادِ أَحِبَّاءَ، وَاسْلُكُوا فِي الْمَحَبَّةِ كَمَا أَحِبَّنَا الْمَسِيحُ أَيْضاً
وَأَسْلَمَ نَفْسَهُ لَأَجْلِنَا، فُرْبَاناً وَذَبِيحَةً لِلَّهِ رَائِحَةً طَيِّبَةً.
وَأَمَّا الزَّانَا وَكُلَّ نَجَاسَةٍ أَوْ طَمَعٍ فَلَا يَسْمُ بَيْنَكُمْ كَمَا يَلِيقُ بِقَدِيسِينَ، وَلَا الْقَبَاحَةَ،
وَلَا كَلَامَ السَّفَاهَةِ، وَالْهَزْلَ الَّتِي لَا تَلِيقُ، بَلْ بِالْحَرِيِّ الشُّكْرِ. فَإِنَّكُمْ تَعْلَمُونَ
هَذَا أَنَّ كُلَّ زَانٍ أَوْ نَجِسٍ أَوْ طَمَّاعٍ الَّذِي هُوَ عَابِدٌ لِلْأَوْثَانِ لَيْسَ لَهُ مِيرَاثٌ فِي
مَلَكُوتِ الْمَسِيحِ وَاللَّهِ. لَا يَغْرِكُمْ أَحَدٌ بِكَلَامٍ بَاطِلٍ، لِأَنَّهُ بِسَبَبِ هَذِهِ الْأُمُورِ
يَأْتِي غَضَبُ اللَّهِ عَلَى أَبْنَاءِ الْمَعْصِيَةِ. فَلَا تَكُونُوا شُرَكَاءَ هُمْ.
أَنْتُمْ كُنْتُمْ قَبْلًا ظَلْمَةً، وَأَمَّا الْآنَ فَنُورٌ فِي الرَّبِّ. اسْلُكُوا كَأَوْلَادِ نُورٍ. أَنْ
تَمَرَ الرُّوحَ هُوَ فِي كُلِّ صَلَاحٍ وَبِرٍّ وَحَقٍّ. مُخْتَبِرِينَ مَا هُوَ مَرْضِيٌّ عِنْدَ
الرَّبِّ. وَلَا تَشْتَرِكُوا فِي أَعْمَالِ الظُّلْمَةِ غَيْرِ الثَّمَرَةِ بَلْ بِالْحَرِيِّ وَبِحُورِهَا.
لِأَنَّ الْأُمُورَ الْحَادِثَةَ مِنْهُمْ سِرّاً، ذَكَرْهَا أَيْضاً فَبِيحٍ. وَلَكِنَّ الْكُلَّ إِذَا تَوَبَّخَ
يُظْهِرُ بِالنُّورِ. لِأَنَّ كُلَّ مَا أَظْهَرَ فَهُوَ نُورٌ. لِذَلِكَ يَقُولُ: «اسْتَيْقِظْ أَيُّهَا النَّائِمُ
وَقُمْ مِنَ الْأَمْوَاتِ فَيُضِيءُ لَكَ الْمَسِيحُ».
فَانظُرُوا كَيْفَ تَسْلُكُونَ بِالتَّدْقِيقِ، لَا كَجُهَلَاءَ بَلْ كَحُكَمَاءَ، مُقَدِّمِينَ الْوَقْتَ
لِأَنَّ الْأَيَّامَ شَرِيرَةٌ. مِنْ أَجْلِ ذَلِكَ لَا تَكُونُوا أَعْبِيَاءَ بَلْ فَاهِمِينَ مَا هِيَ مَسِيئَةُ
الرَّبِّ. وَلَا تَسْكُرُوا بِالخَمْرِ الَّذِي فِيهِ الْخِلَاعَةُ، بَلْ امْتَلِئُوا بِالرُّوحِ، مُكَلِّمِينَ
بَعْضُكُمْ بَعْضاً بِمَزَامِيرَ وَتَسَابِيحَ وَأَغَانِي رُوحِيَّةٍ، مُتَرَنِّمِينَ وَمُرْتَلِينَ فِي
قُلُوبِكُمْ لِلرَّبِّ. شَاكِرِينَ كُلَّ حِينٍ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ فِي اسْمِ رَبِّنَا يَسُوعَ الْمَسِيحِ،
لِلَّهِ وَالْآبِ.

تفويض الآيات الأولى والثانية من (أفسس ٥) بالمحبة والدعوة إلى الاقتداء بالله المحب وبالمسيح الذي أظهر محبته بشكل كامل. لا يمكننا أن نتبع الله باعتباره مثلاً لنا في كل شيء لأنه الخالق المطلق، لكننا دعينا لاتباع مثاله في المحبة. إذا كان لزاماً علينا أن نعيش بحسب الدعوة التي دعينا إليها، فيجب السير في طريق المحبة. حين نقوم بذلك، سنجد أنفسنا تابعين لخطوات ربنا ومخلصنا. لأن الله أحبنا، أرسل ابنه إلى العالم (يوحنا ٣: ١٦)، ولأن المسيح أحبنا جاء بإرادته إلى

كان طريق المحبة الذي سار يسوع فيه طريق الذبيحة المقدسة.

الأرض وأسلم نفسه لأجلنا. كان طريق المحبة الذي سار فيه يسوع الطريق الذي فيه أيضاً قدّم نفسه ذبيحة مقدّسة. حين يقول بولس أن يسوع أسلم نفسه لأجلنا: «قرباناً وذبحة لله» (أفسس ٥: ٢)، فهو يستخدم اللغة التي تلخص ماهية الذبائح المقبولة في نظام ذبائح العهد القديم، وكل ما قام به يسوع لأجلنا. حين نتذكر البركات المذكورة

في (أفسس ١: ٣-١٤)، ونربطها بهذا النص، حيث سندرك أن كل بركة لنا في المسيح جاءت من خلال تقديم نفسه ذبيحة بسبب محبته لنا. هذه المحبة هي مقياسنا، وهي أيضاً طريقنا للمسير. فلا يمكننا العيش حياة مقدّسة وأخلاقية من دون أن نتمثل بالله والسير في طريق المحبة كما أحبنا المسيح.

ينتقل بولس من الحديث عن جمال ونقاء وصلاح ومحبة المسيح، إلى الحديث عن الدنس والأنانية الذي يجب أن يجتنبهما شعب الله المقدّس. بين شعب الله المقدّس لا يوجد مكان للممارسات الجنسية اللاأخلاقية. وبالنظر إلى الثقافة الوثنية المحيطة بنا، فمن الصعب التأكيد على أهمية هذه المقولة. لكننا سنناقش الأخلاقيات الجنسية في الفصل الخامس، لذلك سنمرّ سريعاً على هذه الجزئية الآن. والشيء الوحيد الذي يلزم أن نقوله في هذه النقطة أن محبة الله النبيلة والمضحية هي عكس الأنانية التي تقع في قلب جميع السلوكيات اللاأخلاقية الجنسية تماماً. كما تتضمّن «النجاسات» جميع الممارسات الجنسية اللاأخلاقية، لكن ربّما تُشير عموماً إلى أي شيء دنس أو غير طاهر. ربّما يقصد (بالطمع) هنا الطمع عموماً، لكن من المرجح أنه يتضمّن أيضاً الشهوات الشرّمة التي تُغذي الشهوة الجنسية. في حين أن المسيح في محبته المقدّسة أسلم نفسه للموت لأجلنا، فإن الممارسات الجنسية اللاأخلاقية والنجاسة والطمع هي صفات غير مقدّسة، وتتمحور حول الذات وليس فيها محبة البتة. فهذه الصفات يملأها الاستغلال والإساءات عوضاً عن العطاء والبركة. وبقدر ما يلتفت هذا العالم الوثني حول هذه الأمور، حتى يصير عالماً غير أخلاقي، في المقابل يبقى شعب الله شعباً مقدّساً.

إن محبة الله النبيلة والمضحية هي تماماً عكس الأنانية التي تقع في قلب جميع السلوكيات اللاأخلاقية الجنسية.

يجب أن يتجنّب شعب الله المقدّس الكلام البذيء أيضاً (٥: ٤). من المؤكّد،

أن نوعيّة الكلام الوارد في هذه الآية يرتبط ارتباطاً بالآية (٤: ٢٩). ففي هذا السياق، يستفيض بولس في الحديث عن النجاسة والدنس اللذين يجب تجنبهما. يُعدّ الكلام البذيء أحد أنواع الكلام الذي ينبع من القلب والعقل النجس، وهو كلامٌ وقحٌ وينمُّ عن عدم الاحترام، وبأخذ الشيء الذي ينبغي أن نتعامل معه بقداسة، كالجنس على سبيل المثال، ويشوّهُه ويجعله شيئاً قذراً. فهو كلامٌ غير مُهذَّبٍ ويُسَمُّ بالفظاظة. (كلام الحماقة): ليس المقصود بكلام الحماقة هنا، الكلام الذي يمنع المزاح ويرفض روح الدّعابة. فليس القصد منه أن تكون دائماً جاداً وعبوساً، لكنّه يعني ضرورة تجنّب الكلام التافه والسّلبى وغير النافع. هناك عددٌ لا نهائيّ من المحادثات الموجودة في عالمنا التي ببساطة لا تستحقّ الاشتراك فيها لكونها هدرًا للوقت، ويكون محتواها ضاراً ومن دون فائدة، إذ تُعدّ التكات

إنّ محبة الله
النبيلة والمُضحية
هي تماماً عكس
الأنايية التي تقع
في قلب جميع
السُّلوكيّات
اللاأخلاقية
الجنسيّة.

السّمة دُعابات ووقحة لا أكثر، وهي تقوم على الكلام البذيء أو الجنسيّ أو ربّما تكون جارحةً ومؤذية للآخرين. يمكن أحياناً للدّعابة أن تؤلم شخصاً ما بشدّة، حتى لو جعلت الآخرين يضحكون. فالتكات التي تقوم على الاستهزاء تُفسد العلاقات لأنها تُبكي شخصاً ما بينما تُضحك الكثيرين. لا مكان لهذا النوع من الكلام في مجتمع العهد الجديد، بل نحن قد دُعينا إلى استبدال الكلمات غير النافعة والمؤذية والوقحة والبذيئة بكلمات الشكر. فالدواء الحقيقي للكلام غير النافع ليس الصّمت بل كلام التّسبيح والشكر الذي هو كلمات المحبة.

في حال اعتقدنا أنّ ممارسة مثل هذه الرّدائل أمراً عادياً، فبولس يوضّح في (٥: ٧-٥) أبعاد خطورتها. ويصرّح بعبارة قاطعة أنّ الشّخص الفاسد أدبياً ليس له مكان في ملكوت الله. هؤلاء الذين تتسم حياتهم بالنجاسات الأخلاقية يبرهنون على أنّهم لا ينتمون إلى المسيح، وبالتالي هم يُحرمون من البركات التي لا توجد إلا في المسيح وحده. يُعتبر الشّخص الطّماع عبداً للأوثان، لأنّ الاثنين يُريدان أن يدور العالم برّمته حول رغباتهما المنافية للأخلاق. فعوضاً عن أن يحصلوا على بركات الله، يغتاظان من حقيقة أنّهما لا يمتلكان أيّ شيء ممّا يُريدانه،

فيكون لرغباتهما السيادة فتستولي بالتالي على مكان الله في حياتهما. وهذه هي عبادة الأوثان، لأنها تضع شيئاً آخر (أي نفسيهما) على عرش الله. يعرف بولس أن الكثيرين سينكرون حقيقة أن هذه الاتجاهات والممارسات ستؤدي إلى الدينونة، لكنه يحذر قراءه بالألا يُخدعوا. لأن غضب الله سيأتي على أولئك الذين لا يطيعون شريعته وكلمته. فالإنكار لا يغير من الواقع. والدينونة أمرٌ مؤكد لذلك يحذرنا بولس من ألا نكون شركاء لأولئك

الحياة التي تتميز
بوجود طهارة
أخلاقية هي حياة
تُظهر وجود
المسيح ونعمته
المُخلصة

غير الطائعين (أي علينا ألا نشترك في خطاياهم). رغم أن بعض الأشخاص يطلقون على أنفسهم أنهم مؤمنون لكنهم في حقيقة الأمر ليس لهم أي علاقة بالإيمان، لأن جميع الذين يعيشون حياة توصف بالفساد الأدبي يبرهنون على أنهم لا يعرفون الله من خلال يسوع المسيح. فنحن لم ننل خلاصنا على أساس سلوكياتنا الأخلاقية وبرنا الأدبي، لكن الحياة المقدسة دليل حتمي على وجود الروح القدس الذي ختم على فداتنا.

تقدم الآيات (٨-١٤) المزيد من الأسباب لنبيذ الشر وتنمية ثمار الصلاح الأخلاقي. لقد دُعِيَ المؤمنون الحقيقيون إلى الخروج من الظلمة، أنظر (أفسس ٢: ١-١٠)، وهم الآن نور في الرب. ما يقوله بولس بالتأكيد هو أمر قوي،

فنحن لم نكن في عالم الظلمة وحسب، إنما نحن أنفسنا كنا ظلمة. ولكن بنعمة الله، أصبحنا الآن نور في الرب. تظهر ثمار هذا النور في الصلاح والبر والحق. حيث يقود الصلاح الأخلاقي إلى أعمال البر التي تنسجم في النهاية مع الحق. وثمر النور الواضح الذي يظهر بطرق متعددة. تماماً مثل ثمر الروح الوارد في (غلاطية ٥: ٢٢-٢٣)، حين تكون هذه الفضائل مثمرة أيضاً في حياتنا. فكما أن الثمار تحتوي على البذور للمحصول القادم، فكذلك أيضاً ثمار النور



نسلط الضوء في الزوايا المظلمة حتى نتكشف الخطيئة ويمكن للخطاة أن يروا حاجتهم إلى التوبة

تُنتج دورةً من الأخلاق المثمرة. فحالما نبدأ في عرسِ بستان من الثمار الأديبية، سنجد أنه كلما حصدنا أكثر فإنَّ المحصول يزداد أكثر فأكثر في المرات القادمة. يتابع بولس الحديث قائلاً: يجب علينا أن ندرسَ ونتعلَّم ما يُرضي الرَّبَّ، ومن ثمَّ نسلِّك وفقاً لذلك. حيث تتناهى حياتنا الجديدة التي في النور تماماً مع الحياة العتيقة التي كنَّا نحياها في الظلمة. ففي الظلمة لا نعرف كيف نُسرُّ الله، لكننا الآن يمكننا أن نفعل. وعليه، فإنَّ حياتنا ينبغي أن تُظهر التغيير الكامل في هذا الاتجاه.

يُعتبر الاستثمار
الجيد للوقت أحد
أهمَّ علامات
الحياة التي تتسمُّ
بالحكمة والنقاء
الأخلاقي.

رغم أننا نورٌ في الرَّبِّ، فإننا غيرُ كاملين، ونعيش في عالم غير كامل وساقط. وبالنظر إلى حقيقة الخطيئة والظلمة، فكيف يجب أن نسلِّك حين يُطالِعنا الشرُّ؟ أولاً، علينا أن ننظرَ بالتدقيق إلى حياتنا للتأكد من أننا ننتجُ ثمرَ أعمال النور ونبتدئُ تماماً ثمرَ أعمال الظلمة. ثانياً، ينبغي أن نُعرضَ عن الشرِّ وننَّجِه إلى حياة النور. حين يُشرق النور على الظلمة، فإنه يهزمها، إذ تتبدد الظلمة وتنتهي. ولا بدُّ أن نلاحظ أن الشرَّ كثيراً ما يُحبُّ أن يتحقَّى. لأنه كما يقول بولس

إنَّ الأشياء التي يقوم بها الأشرار في السرِّ تكون مُخزِية، ومؤسِّف أن نكون بحاجة إلى مناقشة ذلك. فالشرُّ لن يتلاشى حين نسمح له بالاختباء في مكان مُظلم، إنما حين تسلط النور عليه فحتماً سيُفصح. لذا علينا أن نُشرق بالنور في الأماكن المظلمة كي تنكشف الخطيئة ويستطيع الخطاة رؤيةَ احتياجهم إلى التوبة. يشرق المسيح على الأموات، فيعودون إلى الحياة من جديد، ويشرق على النائمين فيسيتيقظون. حين تواجهنا خطيئة ما، ينبغي أن نمتلك الرغبة في جلب نور المسيح ليسودَّ على الظلمة. ولا يمكننا العيش بهذه الطريقة إذا كنَّا نبتئى أعمال الظلمة العقيمة.

ويختتم بولس (أفسس ٤: ١-٥: ٢٠) بتقديم مزيج آخر من التوجيهات العامة والخاصة بشأن عيش الحياة بحسب الدعوة التي دُعينا لأجلها. فلا عجب من أنه يجب علينا السلوك بالتدقيق. يقول بولس حَرَفِيًّا أننا يجب أن (نسلِّك) بالتدقيق. فالحياة ليست لُعبة، ونظراً لطبيعة الظلمة والنور، وبالإضافة إلى النتائج الأبدية التي تنتظرنا، نحن نحتاج إلى السلوك في طريق الله بحكمة. يوضِّح

لنا سفر الأمثال أنه لا يوجد في الحقيقة سوى طريقين، طريق الحماقة وطريق الحكمة. وأولئك المفديون يجب أن يسيروا في طريق الحكمة.

يجب أيضاً على أولئك المفديين أن يفقدوا الوقت. (إن كلمتي [إفداء] و [شراء] هما الكلمتان الأقرب إلى الكلمة الأصلية). والصورة التي يريد بولس أن يرسمها هنا هي ذهاب الشخص إلى السوق لشراء الوقت من البائع. وبما أن وقتنا في هذا العالم مُحدّد، فلا بُدّ ألا نُضَيِّع الوقت؛ لأنه أثنى من الأموال ومن أي ممتلكات مادية. يُعْتَبَر استثمار الوقت جيداً أحد أكثر علامات الحياة التي تتسم بالحكمة والنقاء الأخلاقي أهمية. ومن الأسباب المُفَنِّعة التي تؤكد أهمية شراء الوقت واستغلاله بأفضل ما يُمكن هو أن الأيام شريرة. هناك ضغط مستمرّ علينا لنقضى أوقانتنا بالطريقة ذاتها التي يعيش بها العالم من حولنا. لكن يتعيّن علينا مقاومة هذه الإغراءات، ويجب استثمار أوقانتنا للرّب. فعوضاً عن أن نكون حمقى، نحتاج أن نفهم إرادة الله المُعلّنة لنا، ونحتاج أن نحيا كل دقيقة في نور المسيح.

إذا كان علينا أن نعيش بحكمة، فسنكون بحاجة إلى استغلال جميع قدراتنا العقلية بكامل طاقتها. نحن بحاجة إلى أن نكون دائماً في حالة من اليقظة والصحو. وبما أن الاسراف في شرب الخمر يُدمر ضبط النفس ويُضعف قدراتنا الجسدية والعقلية، فهو بالتالي مُنافياً للعيش بحكمة وللسير في طريق الله. لا يصعب علينا إدراك أن السكر لا يُؤلّد سلوكاً أدبياً إيجابياً. الوقت مُقصرٌ جداً والعالم مُظلمٌ بدرجة مريعة، لذلك على المؤمنين ألا يُخطئوا ويُسرفوا في شرب الخمر. علاوة على ذلك، فإن الاسراف في شرب الخمر هو خطية تقود إلى المزيد من الخطايا الأخرى. يقول بولس: إنَّها تقودُ إلى الخلاعة.

يُعَدُّ الإسراف في شرب الخمر مُنافياً للعيش بحكمة وللسير في طريق الله.

الشرب المفرط للخمر إلى درجة السكر أمرٌ ممنوع، ولكن يوجد شيء آخر يجب أن نمثل به إلى أقصى حدّ ألا وهو الامتلاء من الرّوح والمعمودية بالرّوح (معمودية الرّوح تحصل مرّة واحدة عند لحظة الخلاص). يجب علينا الامتلاء بالرّوح باستمرار طوال حياتنا، كما يجب أن نخضع بإرادتنا وبامتنان لعمَل وقيادة الرّوح. وبقدر ما يجب ألا نسمح للشيطان أن يكون له وطأة قدم صغيرة في حياتنا، يجب علينا أن نعطي كل زاوية من زوايا قلوبنا للرّوح. وهذا لا يحدث

فقط عندما نسلك
مع المسيح يمكننا
أن نكتشف كم
أنّ القداسة هي
منعشة وجميلة

إلا بقوة الرّوح التي سننتجُ ثمرَ البرِّ. وبمعزل عن الرّوح، لا نستطيع أن نكون حكّماء ولا أن نحيا في الطريق الذي يُسرُّ ويكرّمُ الرّبَّ. لأنّ طبيعة الرّوح القدس هي القداسة، وهو يجعل شعبَ الله مُقدّسين. يعتمد النّجاحُ في السّلوک بالأخلاقِ المسيحيّة على الاستمرار في السّلوک بالرّوح. وبالطريقة ذاتها التي يمكن لكميَّات الخمر المفرطة أن تغمر المرء، يجب أن يُغمر المؤمنون بالرّوح.

ولكن الثمار الناتجة ليست مختلفة كثيراً! حيث يفقد شربُ الخمر المرء قدرته على ضبط النّفس الذي هو جزءٌ من ثمر الرّوح.

يتسمُ المسرفُ في شربِ الخمر أيضاً بالتلعثم في الكلام وعدم وضوح الأفكار. بينما هؤلاء الممتلئون بالرّوح يتسمون بالوضوح والفهم العميق للواقع الذي يُنتجُ تسابيحَ لله. يحثنا بولس بأن نصنعَ لله ألعاناً من أعماق كياننا كلما حفّزنا وأرشدنا الرّوح لذلك. فمهما كانت ظروفنا، ينبغي أن يكون كلّ كلامنا وتصرفاتنا مليئةً بالشكر لله من خلال يسوع المسيح. إنّ أتباع الله والتمثل بالمسيح والامتلاء بالرّوح هم عوامل الوصول إلى طريق الفرح. إذ إنّ وصايا الله الأدبيّة والأخلاقية لا تقتل الفرح، بل تنتجُه. لا يمكننا أن نكتشف جمالَ وقوة القداسة إلا حين نسير في شركة مع المسيح. ويُعتبر العيشُ بطريقة أخلاقية في المقام الأوّل لمجد الله لكنّه أيضاً لمصلحتنا. وبنعمة الله سيمنحنا القدرة على أن نعيش الحياة التي بحسب الدّعوة التي دُعينا إليها.

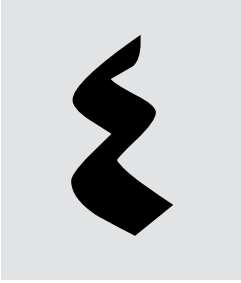
أَسْئَلَةٌ لِلتَّفَكُّيرِ:

١. هل يوجد أمرٌ واحد من أفسُس ٤: ١-٥: ٢٠ يُشابهُ ناحيةً أو أخرى من حياتك؟ ما هي أماكن الضعف التي في حياتك؟
٢. ما هي النصوص الكتابية الأخرى المرتبطة بهذا النصّ الوارد في رسالة أفسُس؟
٣. حتى وإن كنّا غيرَ كاملين في هذا العالم، هل نحيا بطريقةٍ تتفقُ مع الدّعوة التي دعينا إليها؟ وهل نحيا كنائسنا بموجب هذا الحقّ؟
٤. هل من الضّروري وجودُ تغييرٍ جذريّ في الحياة التي تلي قبولنا للمسيح؟ أو يمكن للأشخاص أن ينالوا الخلاص من دون ظهور تغييرٍ كبيرٍ في أخلاقيّاتهم وطريقة حياتهم؟



القِسْمُ الثَّانِي
القَضَايَا الْأَخْلَاقِيَّةُ





أَخْلَاقِيَّاتِ الْأُسْرَةِ

كما ذكرنا في القسم الأوّل، الله هو المقياس في الحياة الأخلاقيّة. لذا، نحن بحاجة إلى دراسة كلّ القضايا الأخلاقيّة، بما فيها أخلاقيّات الحياة الأسريّة، في ضوء شخصيّة الله. إنّه الإله الكامل، الذي لا ينقصه أيّ فضيلة، وكلّ فضيلة يمتلكها يتمتّع بها بالتّمَام وإلى أقصى حدود. فيظهِرُ الإله الحيّ في بهاء وكمال ومجد وسعادة مُطلقة. طبيعته دائمة الثّبات ولا يطرأ عليها ظلُّ تغييرٍ أو دُورانٍ. فبسبب خطايانا ونقائصنا، لا يمكننا بسهولة أن نتخيّل ما يعني وجوده في مثل هذه الحالة من السّعادة والفرح والرّضى والحبّ. وبصفته الإله الثّالوثيّ الأقانيم، فهو يُعبّر عن محبّته داخل مجتمعه الخاصّ بأقانيمه، ويختبرُ بكلّ انسجام الشّرْكة والمحبّة الأبديّة التي لا يمكن كسرّها. وعليه، فإنّ حالة وجود الله هذه ليس لها مثل ولا سبق أن وجد لها نظير.

حَقِيقَةُ الْعَزُوبِيَّةِ

وبالنظر إلى الحقيقة بأنّ الله كاملٌ ومكتفٍ تماماً بذاته، فمن المثير للاهتمام

ملاحظة أنه لم يكن له رَافقة أو زَوْجَة. فالله هو الإله الكامل كمالاً لا يمكن تخيُّله، وهو لم يتزوَّج قط. فالملائكة التي خلقها لتعيش في محضره هي غير متزوَّجة أيضاً. علاوة على ذلك، علّم يسوع أن جميع المُدِينين في حالة المُجد المُستقبليَّة لا يزوجون ولا يتزوَّجون. قال يسوع: «أنَّهُمْ فِي الْقِيَامَةِ لَا يَزُوجُونَ وَلَا يَتَزَوَّجُونَ.» وعلم أيضاً الرِّسُولُ بطرُق كثيرة أنه من الأفضل في هذا العالم أن تكون مُتزوَّجاً (١كورنثوس ٧: ٣٢-٣٥). والأكثر أهميَّة من ذلك كلُّه، أن يسوع لم يتزوَّج مُطلقاً، وقد عاش الحياة البشريَّة الأكثر كمالاً في التاريخ التي أكرمت الله. فمع أن يسوع بارك الزَّواج واعترف بمكانته في خطَّة الله الصَّالحة، فإنه أيضاً مدَّح العزوبية، وأمضى حياته كاملةً باعتباره شخصاً أعزَّب.

لم يتزوَّج يسوع مطلقاً، وعاش الحياة البشريَّة الأكثر كمالاً في التاريخ التي أكرمت الله.

وللأسف، رغم هذه الحقائق الكتابيَّة واللاهوتيَّة، فإنَّ العديد من الكنائس رفعت من شأن الزَّواج والأسرة إلى دَرَجَة كبيرة جدًّا، وأحياناً يكون عن غير قصد وفي أحيانٍ أخرى بوقاحة أخلاقيَّة غير مُبرِّرة، وفي الوقت عينه أهانوا وقلَّوا من قيمة البالغين غير المتزوَّجين. ففي بعض الأحيان، يُعامل الأعرَب، وفقاً لثقافة بعض الكنائس، باعتباره مواطناً دَرَجَة ثانية، أو قد يقال له أنه ليس له قيمة في سوى أشياء محدَّدة. (وهذا يوصل رسالةً إلى الأعرَب بأنَّ قيمته في الذي يقومُ به لا في الذي يكونُ عليه. على سبيل المثال، ربَّما يرى أنه لا قيمة له في سوى أن لديه وقتاً أكثر ليعملَ بجدٍّ أكثر ويخدمَ لوقتٍ أطول في الكنيسة). ومن المؤسف أيضاً، أن البعض قد يشعر أن قيمة الأعرَب مبنية على احتماليَّة حصولهم على شريك حياة في يوم من الأيام. وعليه، نحن بحاجة إلى إدراك أن كلَّ إنسانٍ، سواء كان أعزَّب أو متزوَّجاً، له قيمة في ذاته لأنه ببساطة مخلوق على صورة الله. أولئك الذين فداهم المسيح بدمه هم موضوع محبة الله غير المحدودة والكاملة. فجميع المؤمنين يراهم المسيح جزءاً من عروسه، وجميع المؤمنين أحبهم المسيح لدرجة أنه أسلمَ حرقياً نفسه لأجلهم (مر ١٠: ٤٥).

قبل أن نتحدَّث عن الزَّواج، نحتاج إلى معرفة أن الزَّواج ليس هو الحالة التي ينبغي على كلِّ إنسانٍ أن يحاول الوصول إليها. وفي الحقيقة، أن يبقى الشخص

بلا زواج لأجل المسيح ولأجل ملكوته ربّما يجعل الحياة أكثر غنى وفاعليّة من أن يكون الشخص متزوّجاً. يُصرّح الكتاب المقدّس بذلك! لكنّ العديد من النّاس يحاولون إيجاد دعم لفكرة ضرورة الزّواج من قصّة خلق آدم وحواء. يقول (تكوين ٢: ١٨): «لَيْسَ جَيْدًا أَنْ يَكُونَ آدَمُ وَحْدَهُ.» فيقولون إنّ الله خلق حواء لمعالجة وحدة آدم. وكثيراً ما يؤخذ هذا النصّ ليبرهن على أنّ القصد هو أن يكون النّاس متزوّجين، وأنهم سيبقون في حياة الوحدة وحياة «ليست جيّدة» إلى أن يرتبطوا بشريك حياة. هذا التفسير للنصّ خاطئ تماماً. ليس لأنّه في الحقيقة يتجاهل أنّ الكتاب المقدّس رفع من شأن العزوبية بالنسبة إلى المؤمنين، بل لأنّ هذا الرّأي يتبنّى العديد من الافتراضات التي لا وجود لها. كان آدم وحيداً تماماً، ولم

حدث الزواج قبل السقوط في الخطيئة وقد أقر الله عهد زواج بين آدم وحواء

يكن هناك أيّ إنسان في الوجود غير آدم. هذه الحالة الفريدة لم يختبرها أيّ إنسان في تاريخ العالم سوى آدم. وأمضى خلالها آدم وقتاً كان فيه هو الإنسان الوحيد في الخليقة. لا يحتاج الناس بالضرورة إلى شريك حياة للهروب من الوحدة، إنّما يحتاجون لأناس آخرين وحسب. فيحتاجون إلى مجتمع وعائلة وأصدقاء وعلاقات مع الآخرين، وأخيراً يحتاجون إلى الحبّ. لسنا بحاجة إلى الزّواج لتسديد أي من هذه

الاحتياجات. فالزّواج غير ضروري للهروب من الوحدة، وكما اكتشف العديد من الأشخاص، أنّه من الممكن تماماً أن تكون متزوّجاً ووحيداً في الوقت نفسه.

من المؤكّد، أنّ الله خلق حواء كي لا يبقى آدم وحيداً، ولكي تصير حواء زوجة له. فالزّواج من صنع الله، وهو مشروع يُمكن أن يكون رائعاً ومُفدّساً ومُشبعاً! لكننا نفقّل من قيمة حواء حين نراها في المقام الأوّل كزوجة لآدم عوضاً عن أن ننظر إليها كمخلوق على صورة الله (تكوين ١: ٢٧) وأيضاً كرفيقة آدم البشريّة. ولا يبدو أنّ أحداً يعتقد أنّ آدم أيضاً ينبغي تعريفه بكونه زوج حواء في المقام الأوّل. فهما كانا متزوّجين، لكنهما كانا أيضاً رفيقين في الحياة. فقد مثلاً معاً أصغر مجتمع بشريّ عرفه العالم على الإطلاق. وبما أنّ الله أمر بخلق وتكوين البشّر وأمر أيضاً بأنّ هذا الأمر يحدث داخل رابطة عهد الزّواج، كان يجب على آدم وحواء أن يتزوّجا وإلّا لما وُجد الجنس البشريّ.

من الهامّ الاعتراف بأنّ الزّواج حدث قبل السقوط في الخطيئة، وأنّ الله كان

قد أقرَّ بعهد زواج آدم وحواء. رغم ذلك، لا يوجد سبب يدعو إلى الاعتقاد بأن الجميع كانوا سينتزوجون إذا لم تدخل الخطيئة إلى العالم. فالعزوبية ليست نتيجة السقوط أو اللعنة. حتى لو لم تدخل الخطيئة إلى العالم، فمن المرجح أن يكون المجتمع البشري مكاناً يضم المتزوجين وغير المتزوجين الذين لن يتزوجوا قط. في الحقيقة، من دون خطيئة، ربّما كنا سنجد أشخاصاً غير متزوجين أكثر ممّا عليه الحال الآن، وكان من الممكن أن تصير المحبة والوحدة كاملة. وربّما كانت حياتنا ستوافق مع التقوى والقداسة، وربّما استطعنا أن نعيش بالطريقة التي كنا سنعيش بها في السماء، وعلى الأرجح أننا كنا سنعيش حياة التكريس الكامل للرب. علاوة على ذلك، لم يكن أحد في العالم غير الساقط سينتزوج لأسباب خاطئة. دعونا نكون أمّناء: العديد من الناس في يومنا هذا يتزوجون لأسباب خاطئة ومليئة بالأنانية. فأصبحت الشهوة، المال، الكبرياء، عدم الأمان، الخوف وما شابه ذلك هو القوة الدافعة وراء الكثير من الزيجات.

يتعين علينا أن نطلّ مُدركين حقيقة أنّ الأشخاص غير المتزوجين يختبرون العزوبية بطرقٍ شتى. وبعض الأشخاص الذين لم يتزوجوا قط هم سعداء بعدم الزواج. لكنّ البعض الآخر لديه شوق عميق إلى الزواج، ولأسباب متعدّدة لم يلتقوا بعدُ بشريك الحياة. إنّ الكثير من الذين تزوجوا، وبسبب الطلاق أو الموت، وجدوا أنفسهم مُجبرين على عيش حياة العزوبية مرّة أخرى. على سبيل المثال، إذا كان بعض الأطفال يُعانون من اليتيم، فمن الطبيعيّ بالنسبة

إنه لأمرٌ غير صحيح إذا كانت الرّغبة في الزواج تفقد العازب إلى التذمّر أو البغضة أو الحسد أو المرارة أو الشفقة على الذات.

إليهم التّمني بأن يكون لهم آباء، ولا يوجد خطأ في ذلك. وبالمثل، يمكن أن يقبل الأشخاص العازبون مشيئة الله في حياتهم، لكن ما زال لديهم رغبة عميقة في الزواج. إذا كان الحال كذلك، فليس هناك ما يدعوهم إلى الخجل. وبطريقة مماثلة، ربّما يشنق الزوجان اللذان ليس لديهما أطفال للإنجاب لكنهما من الممكن أن يكونا غير قادرين على ذلك. إنّ الرّغبة في إنجاب أطفال ليست شرّاً أو شيئاً في غير موضعه. فلا يُعتبر الحزن أو الشوق خطأ في حدّ ذاته. لكن تكمن المشكلة

هنا إذا أصبحت فكرة الزواج وثناً في حياة الشخص، أو إذا عاش الأشخاص العزّاب حياتهم وهم يُركّزون على ما يفتقدونه بدلاً من أن يُركّزوا على جميع البركات التي لديهم. إنه لأمر غير صحيح إذا كانت الرغبة في الزواج تقودهم إلى التذمّر أو البغضة أو الحسد أو المرارة أو الشفقة على الذات. لكن يمكن أن تكون صعوبة حالة العزوبة معروفة، والرغبة في الزواج إحتياج حقيقي. وهذا لا يتعارض مع محبة الربّ وخدمته بفرح، وخضوعنا لمشيئته في حياتنا. ربّما يفقد أهل ولدهم، ورغم ذلك يشعرون بالسّلام والخضوع لمشيئة الله، لكنّ هذا الأمر لا يُلغي شعورهم الدائم بالألم ورغبتهم في أن يكون طفلهم على قيد الحياة. فقبول تدبير الله لا يعني أننا لن نشعر بالألم.

يقع على عاتق الكنيسة واجب أخلاقيّ ودينيّ يتمثل في دورها في خلق مجتمع تسوده المحبة ويحظى الجميع فيه بالقيمة والتقدير والاحترام بالتساوي، أنظر (يوحنا ١٣: ٣٤-٣٥). إذا لم يشعر غير المتزوجين بالقبول الكامل والاحترام في الكنيسة، فالحلّ ليس هو محاولة إيجاد شريك حياة لهم، إنّما الحلّ هو تحسين نوعية الحبّ الذي تقدّمه الكنيسة وتغيير أفكار مجتمعيها. يمكن لبعض الأشخاص أن يحلّوا بطريقة غير كتابية فيقولون أنّه لا يوجد مكان سوى الزواج يمكن أن يجد فيه المرء الحبّ الحقيقيّ ويختبره. هذا ليس صحيحاً، يحتاج غير المتزوجين أن يكونوا قادرين على إعطاء الحبّ واستقباله، وهذا الإحتياج ذاته موجود لدى المتزوجين.



يقع على عاتق الكنيسة واجب أخلاقيّ ودينيّ يتمثل في دورها في خلق مجتمع تسوده المحبة، ويحظى الجميع فيه بالقيمة والتقدير والاحترام بالتساوي.

بعض من أعظم وأفضل الشخصيات في العالم الذين عاشوا حياة مليئة بالمحبة كانوا غير متزوجين. يمكن أن نجد المحبة في أشكال عديدة، كما يمكن أن تتدفّق من خلال قنوات متنوّعة. تُظهر المحبة نفسها بعدة طرق. يُعدّ الزواج إحدى القنوات المتميّزة للمحبة وكذلك الصداقة. وأيضاً حبّ الأخوة أو الأقارب. ولكن ينبغي إيجاد أفضل نوعية للحبّ بين المؤمنين حتى إذا لم يكن بينهم صلة قرابة. فنحن جسّد واحد. يُحبّ الله كلّ واحد من أبنائه، لذا يجب علينا أيضاً أن نُحبّ هؤلاء

الذين يحبهم أبونا السماوي. لن يتزوج كل إنسان، لكن كل إنسان يحتاج إلى المحبة. لن يرتبط كل فرد بزوجة أو زوجة، لكن كل فرد يحتاج إلى صديق. يحتاج كل إنسان إلى الله وإلى الجماعة التي تسودها المحبة. فلا يمكن لجماعة غير جماعة الكنيسة أن تقوم بهذا الدور لأنها تمتلئ بمحبة الأب في المسيح.

يجب أيضاً أن نتذكر أن كل من ينتهي به المطاف بالزواج يكون قد قضى عدة سنوات في حياة العزوبية. (في الحقيقة، كل شخص يتزوج يكون قد اختبر حالة العزوبية لسنوات عديدة قبل الزواج). وكما ذكرنا قبلاً، أنه يوجد أيضاً أشخاص آخرون تزوجوا ثم وجدوا عازبين مرة أخرى، إما بسبب الطلاق أو بسبب موت شريك الحياة. فربما يتزوج الناس، ومن ثم يجدون أنفسهم يعانون من موت شريك حياتهم بعد سنوات قليلة ويستمررون غير متزوجين طيلة حياتهم. ومن المؤكد، أن هؤلاء الأشخاص ليسوا أكثر قيمة وهم متزوجون ثم تقل قيمتهم حين يفقدون شريك الحياة. بل، هم يظلون بشراً، لهم القيمة ذاتها، ولديهم إحتياج للمحبة والمجتمع.

لا يحكم الله
على الناس
وفقاً لحالتهم
الاجتماعية،
ويجب على
الكنيسة ألا
تقوم بذلك.

إن الزواج ليس هو ما يُضفي قيمة للأشخاص، ولا هو المعيار الدقيق لصفات الشخص أو شخصيته. فلا يحكم الله على الناس وفقاً لحالتهم الاجتماعية،

ولا يجب على الكنيسة أن تقوم بذلك. نحتاج إلى أن نحب ونحتفل بجسد المسيح، الذي يتضمّن جميع الأعضاء، أكثر من أن نحتفل بالزواج. ينبغي ألا يكون هناك شخص واحد يكون جزءاً من الكنيسة وهو لا يعرف أو قد اختبر معنى الاشتراك في المحبة المقدسة الباذلة المتبادلة.

تعدّ هذه النوعية من المحبة الجماعية الكاملة هي نوعية المحبة التي تختبرها الملائكة. وكما قال يسوع إن الملائكة لا يزوجون ولا يتزوجون (لوقا ٢٠: ٣٥-٣٦)، لكنهم بلا شك يقدّمون ويستقبلون الحب، إذ كيف يمكن أن يكونوا في حضرة الإله القدوس المحب من دون أن يكونوا مقدّسين ومحبّين؟ قال يسوع ذلك عن الملائكة ليساعدنا على فهم حالتنا المستقبلية في المجد، وكيف سنكون حينئذ. ففي السماء الجديدة والأرض الجديدة، لن نخسر أو نفقد أي شيء. يحزن أحياناً المؤمنون المتزوجون من فكرة أنهم لن يظلوا متزوجين في السماء.

هم يعتقدون خطأً بتفكيرهم هذا أنهم سيخسرون شيئاً ما في السماء، والحقيقة أنهم سيكسبون أشياءً عديدة في السماء. أولاً، ستصير علاقتهم مع شريك زواجهم في الأبدية أفضل بكثير مما كانت عليه هنا على الأرض بالرغم من أنهم لن يكونوا متزوجين. ثانياً، بعيداً عن فقدان صُحبة شخص واحد، فإننا سنكتسب صُحبة كل إنسان! ففي المجد، سنكتشف أننا أقرب إلى كل شخص هناك أكثر مما نحن عليه هنا على الأرض. يُعدُّ تعريفُ الزَّواج هو العلاقة الخاصَّة والمحدودة. فالزَّواج يجمعُ شخصين معاً، ونتيجة لذلك، فإنه يجعل الأشخاص الآخرين منفصلين عن هذه العلاقة. ولكن في السماء، لن تكون علاقتنا خاصَّة أو محدودة. لا

سوف نمتلك [في
السماء] روابط
أقوى من تلك
الروابط الموجودة
في أفضل الزيجات
هنا على الأرض.

تزيد المحبة المتبادلة والتقارب الرقيق فرحنا وحسب، بل لن يكون هناك أيُّ غيرة. حين نكون في المجد، سنتحد جميعاً من دون أي انقسام. وسنمتلك روابط أقوى من تلك الروابط الموجودة في أفضل الزيجات هنا على الأرض. سنكون جميعاً واحداً، وفي وحدتنا سوف ننزَّج المسيح. ستكون طبيعتنا في المجد أفضل من أي حال يمكن أن نتخيَّله الآن. لا يوجد زواج في السماء

غير زواج المسيح بالكنيسة. وقتئذ فقط، سنختبر المحبة النقية الكاملة. سوف نتلذذ بمحبة الله المطلقة، ولكننا أيضاً سنبادل الحب بعضنا تجاه بعض. سنختبر جماعة العهد الجديد، أي جسد المسيح وعروسه، المحبة الكاملة بين الجماعة، وذلك رغم عدم وجود زواج. هذا يعني أن الكنيسة في أبهى صورة لها هي جماعة تسودها المحبة من دون علاقة الزَّواج. إذا كان الأمر كذلك في السماء، فلا شك أننا بحاجة إلى رؤية أن الكنيسة ينبغي أن تصير مجتمعاً رائعاً ومحبباً من الآن، ويكون كل عضوٍ فيها محبوباً ومحبوياً، بصرف النظر عمَّا إذا كان متزوجاً أم لا. يجب أن تكون المحبة شاملة في الكنيسة المسيحية. نحن لسنا جميعاً أزواجاً، لكننا جميعاً عائلة. يجب ألا يشعر أي فرد في عائلة المسيح بالعزلة أو عدم التقدير أو عدم الحب. نحن جميعاً أخوة وأخوات: لذا دعونا نحُب بعضنا بعضاً.

حقيقة الزواج

على الرغم من خطأ تأليه الزواج أو تمجيده، فإنه من تصميم الله أنه مقدّس وحسنٌ وجميل. لا يوجد خطأ في أن تكون غير مُتزوج، كما لا يوجد أيضاً خطأ في الدخول في علاقة زواج. ورغم أن الله والملائكة والقديسين في المجد هم بلا زواج، يبقى الزواج وِصَّةً بارَكها اللهُ في هذا العالم المؤقت، ويكون من أجل البعض وليس من أجل الجميع. فهو لن يستمرَّ إلى الأبد، لكن له زمان ومكان محدَّدان. فكما أنه يجب علينا ألا نقلِّ من أهميَّة العازبين، فيجب أيضاً التقليل من أهميَّة المتزوجين. فكونك تعيش الحياة باعتبارك شخصاً عازباً أو شخصاً مُتزوجاً، كلا الحالتين جائزٌ في نظر الله. فالزواج يجب ألا يتجاوز مكانته التي يستحقها لكننا أيضاً بحاجة إلى إدراك أنه أمرٌ صالح. علينا النظر إلى الزواج، في مكانه الصحيح وبنظرة متوازنة، لأنه أمرٌ ثمينٌ وعتيَّةٌ عظيمةٌ وخاصَّةً من الله.

يُعَدُّ الزواج قانونَ الخلق الذي وضعه الله للجنس البشريّ منذ البداية، لذا فهو لا يقتصر وحسب على أتباع الله. ويجدرُّ التأكيد على ضرورة عدم زواج المؤمنين من غير المؤمنين، وغير المؤمنين أيضاً لديهم الحق في أن يتزوجوا من بعضهم البعض. وهذا لا يعني وجود زيجات غير شرعية، فكلُّ زواج هو شرعيٌّ بالقدر نفسه، لأنَّ الزواج لا يمكن أن يُختم إلا بقوة الله وبإذنه. فهو

الإله القادر على كل شيء، وهو وحده، الذي خلق الزواج ووضع الشرائع المتعلقة به، وهو الذي يُقدِّس ويبارك اتحاد الأزواج. فالله صانع العهد، وحافظ العهد، وبالمثل فإنَّ العهد البشريّ الذي يتخذه الإنسان في الزواج هو الشيء الذي لا يمكن أن يأتي إلا من الله. وفي كلِّ مرَّة يتبادل الزوجان فيها عهدَ الزواج، يتكوَّن العهد بين الزوج والزوجة، ويكون الله شاهداً عليهما، ووكيلهما المفوض، وما يجمعه الله لا يُفَرِّق (تكوين ٢: ٢٤)، (متى ١٩: ٦).



يُعَدُّ الزواج قانونَ الخلق الذي وضعه الله للجنس البشريّ منذ البداية، لذا فهو لا يقتصر وحسب على أتباع الله

حين أقومُ (أنا ستيف) بمراسم الزواج الرسمية، عادة ما أتلو الكلمات التالية: «نُمثِّل

هذه المناسبة احتفالاً للحُبِّ والعهد الذي سيبدأه هذا الرَّجُلُ وهذه المرأة في حياتهما معاً. فالزَّوْجُ هو اتِّحاد بين قلبٍ وجسدٍ وروحٍ وعقلٍ كلٍّ من الزَّوْجِ والزَّوْجَةِ». حَقاً إِنَّ الزَّوْجَ هو اتِّحاد بين قلبٍ وجسدٍ وروحٍ وعقلٍ الزَّوْجِ والزَّوْجَةِ، وليس مجرد علاقة جسديَّةٍ تحدُّث أثناء العلاقة الحميمة. وليس المقصودُ «بالوحدة»

الله هو الإله
القادر على
كلِّ شيءٍ الذي
خلق الزَّوْجَ
ووضَعَ
الشَّرَائِعَ المُتعلِّقة
به، وهو
الذي يُقدِّسُ
ويباركُ اتِّحاد
الأزواج.

مجرد الوحدة الحادثة في العلاقة الجنسيَّة، فهي ليست قاصرة على الوحدة الجسديَّة. ففي الزَّوْجِ لا بُدَّ أَنْ يدخل الزَّوْجُ والزَّوْجَةُ في وحدةٍ كليَّة. هذه الفكرة لا تتحقَّق دائماً، وعلى الرُّغم من وجود هدفٍ ووحدةٍ في الزَّوْجِ (وذلك وفقاً لتعريف الزَّوْجِ)، يُمكن أَنْ يَخْتَلِفَ مقدارُ تلك الوحدة بين زواجٍ وآخر بشدَّة. فيكون بعضُ الأزواج متوافقين إلى درجةٍ كبيرة، ويكتشفُ البعض الآخر أنهم ليسوا كذلك.

على مرِّ التاريخ وفي جميع أرجاء العالم، تختلف الأسبابُ التي لأجلها يتزوَّجُ النَّاسُ بين ثقافةٍ وأخرى. فيتزوَّجُ البعض لأسبابٍ واقعيَّة (مثل ضروريَّات إقتصاديَّة أو الحاجة إلى إنجاب أطفالٍ للعملِ معهم في الحقول، وما إلى ذلك). ويتزوَّجُ البعض من أناسٍ لم يروهم من قبل قط، وذلك لأنَّ زويهم اختاروا لهم الزَّوْجَ / الزَّوْجَةَ وكتبَ عقدَ الزَّوْجِ نيابةً عنهم.

في حين أنَّ بعض الثقافات تؤمن بأنَّ النَّاسَ ينبغي ألاَّ يتزوَّجوا إلاَّ على أساسِ مشاعرهم، وخصوصاً مشاعر «الحُبِّ». بينما يسعى بعضُ الأفراد إلى زواجٍ من شخصٍ يعتقدون أنَّه «سيكْمُلُهُم»، فيتزوَّجون من الإنسان الذي يعتقدون أنَّه قادر على مساعدتهم وحثهم على النِّمُو وتحقيق السَّعادة. وكما ذكرنا قبلاً، يتزوَّجُ أيضاً الكثيرون لأسبابٍ دنيئةٍ مثل الشهوة أو عدم الأمان. تمتلك بعض الثقافات وجهةَ نظر بشأنِ الزَّوْجِ، فنقول عنه أنَّه علاقةٌ إجتماعيَّة صُمِّمت أساساً لتبادل المساعدة والتَّعزِّيَّة والدَّعم. بينما ترى بعض الثقافات الأخرى أنَّ الزَّوْجَ أمرٌ مؤقت، ويجب التخلُّص منه بمجرد حدوثِ أيِّ تغييرٍ في المشاعر أو عند ظهور شخصٍ أكثر جاذبيَّة.

نحن بحاجة إلى معرفة الأفكار الخاصَّة بثقافتنا التي تتعلَّقُ بغرضِ الزَّوْجِ

وهدفه. لكن الأهم من ذلك، هي أن تكون هذه الأفكار مؤسسة على ما يُعلّمه لنا الكتاب المقدس بشأن هذه الأشياء. فالحق الذي يقدمه الكتاب المقدس يتجاوز جميع الثقافات ويمكن تطبيقه في كل مكان. سواء كنت تعيش في قرية ريفية أفريقية أو في مدينة متطورة في آسيا، وسواء كان مجتمعك يمدح الزواج أو يقلل من شأنه، وسواء كان الزواج في مجتمعك ينتهي بالطلاق أو يستمر إلى الأبد. أنت بحاجة إلى بناء وجهة نظر حول موضوع الزواج على أساس تعاليم الكتاب المقدس.

(أفسس ٥: ٢٢-٢٣)

إن التوجيهات التي يوجّهها بولس للأزواج والزوجات، الواردة في (أفسس ٥: ٢٢-٢٣) شديدة الأهمية لفهم ما يقوله الكتاب المقدس عن الزواج. لذلك، كتب بولس:

أَيُّهَا النِّسَاءُ اخْضَعِي لِرِجَالِكُنَّ كَمَا لِلرَّبِّ، أَنَّ الرَّجُلَ هُوَ رَأْسُ الْمَرْأَةِ كَمَا أَنَّ الْمَسِيحَ أَيْضاً رَأْسُ الْكَنِيسَةِ، وَهُوَ مَخْلُصُ الْجَسَدِ. وَلَكِنْ كَمَا تَخْضَعُ الْكَنِيسَةُ لِلْمَسِيحِ، كَذَلِكَ النِّسَاءُ لِرِجَالِهِنَّ فِي كُلِّ شَيْءٍ.

أَيُّهَا الرِّجَالُ، أَحْبَبُوا نِسَاءَكُمْ كَمَا أَحَبَّ الْمَسِيحُ أَيْضاً الْكَنِيسَةَ وَأَسَلَّمَ نَفْسَهُ لَأَجْلِهَا، لِكَيْ يَقَدِّسَهَا، مُطَهِّراً إِيَّاهَا بِغَسَلِ الْمَاءِ بِالْكَلِمَةِ، لِكَيْ يَحْضُرَهَا لِنَفْسِهِ كَنِيسَةً مَجِيدَةً، لَا دَنَسَ فِيهَا وَلَا عَضَنَ أَوْ شَيْءٍ مِثْلَ ذَلِكَ، بَلْ تَكُونُ مَقَدَّسَةً وَبِلَا عَيْبٍ. كَذَلِكَ يَجِبُ عَلَى الرِّجَالِ أَنْ يُحِبُّوا نِسَاءَهُمْ كَأَجْسَادِهِمْ. مَنْ يُحِبُّ امْرَأَتَهُ يُحِبُّ نَفْسَهُ. فَإِنَّهُ لَمْ يَبْغِضْ أَحَدَ جَسَدِهِ قَطُّ، بَلْ يَقَوِّمُهُ وَيُرَبِّبُهُ، كَمَا الرَّبُّ أَيْضاً لِلْكَنِيسَةِ. أَنَّنَا أَعْضَاءُ جِسْمِهِ، مِنْ لَحْمِهِ وَمِنْ عِظَامِهِ. «مَنْ أَجَلَ هَذَا يَبْرِكُ الرَّجُلُ أَبَاهُ وَأُمَّهُ وَيَلْتَصِقُ بِامْرَأَتِهِ، وَيَكُونُ الْإِنْتَانِ جَسَداً وَاحِداً». هَذَا السِّرُّ عَظِيمٌ، وَلَكِنِّي أَنَا أَقُولُ مِنْ نَحْوِ الْمَسِيحِ وَالْكَنِيسَةِ. وَأَمَّا أَنْتُمْ الْفُرَادِ، فَلْيُحِبِّ كُلُّ وَاحِدٍ امْرَأَتَهُ هَكَذَا كَنَفْسِهِ، وَأَمَّا الْمَرْأَةُ فَلْتَهَبْ رِجْلَهَا.

ربما تكون هذه الكلمات أكثر الكلمات التي قيلت عن الزواج أهمية. ويجب أن يضع كل من الزوج والزوجة المسيح في مركز علاقتهم الزوجية. فلا بد أن يكون المسيح هدفاً للخضوع والقيادة، للمحبة والاحترام، للقداسة والتضحية. حين قال بولس أن الزواج سرٌّ عظيم، فهو لم يقصد بذلك أن الزواج غامض

أو صَعَب الفَهْم (رغم أَنَّهُ من المُمكن أن يكونَ كذلك!). وحينَ يتحدَّث بولس عن السرِّ اللاهوتيِّ، فهو يتحدَّث عن شيءٍ لا يمكن فهمُه مُطلقاً بمعزل عن الإعلان الخاصِّ الذي يُعلنُه الرُّوح القدس. بعبارةٍ أُخرى، إلى أن جاءَ المسيح وانسكَب الرُّوح القدس، لم يكن أحدٌ يستطيع معرفةَ أنَّ كلَّ زيجةٍ في تاريخ البشرية كانت من المفترض أن تكون نبوءةً تمثُل علاقةَ العهد الخاصَّة بين المسيح والكنيسة. لم يكن بولس المُستخدَم الأوَّل للزَّواج كمثل أو تشبيه ملائم لوصف العلاقة بين المسيح والكنيسة، ولكنَّ الله هو الصَّانِع الأوَّل للزَّواج بالطريقة التي تخدم فكرةَ النبوءة. فيجب على كلِّ زواج أن يُشيرَ إلى نقطةٍ أبعدَ من الزَّواج في حدِّ ذاته،

في الحقيقة،
لم يخبر بولس
الأزواج
بأن يحكموا
زوجاتهم، بل
حثَّهم على أن
يموتوا لأجلهن

فهو يجب أن يُشير إلى عهدِ اتِّحاد المسيح مع عروسه التي هي الكنيسة. يَرَسُخُ هذا المبدأ العظيم أخلاقياتِ الزَّواج. فقد أعطى الله الزَّوجات بأن تقوم بدور الكنيسة في هذا المثل النبويِّ. هل تُعاملين زوجكِ بالطريقة التي تتعامل بها الكنيسة مع المسيح، من ناحية الحبِّ والاحترام؟ بالتأكيد، هامَ جداً معرفةَ أنَّ هذا تشبيهه، فلا يوجد أيُّ زَوْج مثل المسيح، وهؤلاء الأزواج لا ينبغي أن يُعاملهم أيُّ شخص، بما في ذلك زوجاتهم، كأنهم المسيح نفسه! يجب ألاَّ تُعبُد الزَّوجاتُ أزواجهن. ولأنَّ الأزواج ليسوا في الحقيقة المسيح، فلا بُدَّ ألاَّ يُنصِّبوا أنفسهم مُلوَكاً

على عائلاتهم. في الحقيقة، لم يُخبر بولس الأزواج بأن يحكموا زوجاتهم، بل حثَّهم على أن يموتوا لأجلهن. لقد تألم ابنُ الله المُتجسِّد بإرادته ومات من أجلنا. وعليه، يجب أن يتصرَّف الأزواجُ على هذا النحو مع زوجاتهم. ينبغي أن يُضحِّي الأزواج برغباتهم وأولوياتهم لأجل زوجاتهم، كما ينبغي على الزَّوجات احترام أزواجهن باعتبارهم رؤساءً لهن. إذا أصبحَ الزَّواجُ المسيحيُّ على هذا المنوال، فسيرى العالم كيف يكون الانسجام في الزَّواج. وأيُّ شيءٍ يمكن أن يكون أفضلَ من أن يضعَ كلُّ من الزَّوج والزَّوجة شريك حياتهِ أولاً، فيحبُّه ويحترمه ويحافظ عليه ويباركه؟ إنَّ الزَّواج لا يتعلَّق بالزَّوج والزَّوجة فقط، بل يتعلَّق بالمسيح والكنيسة. وبما أنَّ هذا هو الحال، لا يمكن بناءُ الزَّواج على مشاعر عابرة، بل يجب بناؤه على النعمة والمحبة وقوة الله.

الطلاق

لم يُصمِّمَ اللهُ الزَّوْجَ كِي يَنْتَهِيَ بِالطَّلَاقِ ، وَلَا يَدْخُلُ النَّاسُ فِي عِلَاقَةِ الزَّوْجِ مَتَوَقِّعِينَ الطَّلَاقَ فِي الْمُسْتَقْبَلِ . فَالزَّوْجُ الَّذِي يَنْتَهِي بِالطَّلَاقِ لَيْسَ هُوَ النَّمُودَجُ الصَّحِيحُ عَلَى الْإِطْلَاقِ ، فَالطَّلَاقُ لَمْ يَوْجَدْ بِالْأَسَاسِ لَوْلَا وَجُودُ الْخَطِيئَةِ . هَذَا لَا يَعْنِي أَنَّ الطَّلَاقَ لَا يُسَمَّحُ بِهِ أَبَدًا (يُوجَدُ ظُرُوفٌ يَسْمَحُ بِالسَّلُوكِ الْخَاطِئِ فِيهَا بِذَلِكَ) . وَلِلْأَسَفِ ، عِنْدَمَا يَحْدُثُ طَلَاقٌ فِي أَيِّ وَقْتٍ يَكُونُ بِسَبَبِ الْخَطِيئَةِ ، إِمَّا لِأَنَّ الطَّلَاقَ لَيْسَ مَسْمُوحًا بِهِ فِي الْكِتَابِ الْمُقَدَّسِ ، أَوْ لِأَنَّ السَّلُوكَ الْخَاطِئَ هُوَ الَّذِي أَرَسَى سَبَابًا مَشْرُوعَةً لِلطَّلَاقِ . فَبَعْضُ النَّاسِ يَسْعَوْنَ إِلَى الطَّلَاقِ لِأَنَّهُمْ غَيْرُ رَاضِينَ وَيَشْعُرُونَ بِالوَحْدَةِ ، أَوْ لِأَنَّهُمْ يَجِدُونَ زَوْجَهُمْ مُؤَلَّمًا أَلَّا لَا يُحْتَمَلُ . وَحَتَّى لَوْ لَمْ يَكُنْ هُنَاكَ أَمْرٌ كِتَابِيٌّ ، فَبَعْضُ الْأَزْوَاجِ/ الزَّوْجَاتِ يُعَامَلُونَ مَعَامِلَةً قَاسِيَةً مِنْ شَرَكَاءِ حَيَاتِهِمْ ، وَيَتَوَقَّفُونَ أَنْ يَتَحَرَّرُوا مِنْ هَذِهِ الْعِلَاقَةِ . لَا تَحْتَاجُ الْكَنِيسَةُ إِلَى التَّغَاضِيِ عَنِ السَّبَبِ الَّذِي لِأَجْلِهِ يَطْلُبُ الْإِنْسَانُ الطَّلَاقَ ، بَلْ يَجِبُ أَنْ تَتَعَامَلَ مَعَ احْتِيَاجِ الْبَعْضِ إِلَى الطَّلَاقِ بِالرَّأْفَةِ وَالنَّعْمَةِ . فَالطَّلَاقُ لَيْسَ هُوَ الْخَطِيئَةُ الَّتِي لَا تُغْتَفَرُ . فِي بَعْضِ الزَّيْجَاتِ ، يُخْطِئُ الزَّوْجُ/ الزَّوْجَةُ فِي حَقِّ الْآخِرِ مِائَاتِ الْمَرَّاتِ كُلَّ يَوْمٍ سِوَا بِالْأَقْوَالِ أَوْ الْأَفْعَالِ . يَكْرَهُ اللهُ الطَّلَاقَ ، لَكِنْ هَذَا لَا يَعْنِي أَنَّ كُلَّ زَوْجٍ ، مَهْمَا كَانَتْ سُلُوكِيَّاتِ الْأَزْوَاجِ فِيهِ ، هُوَ زَوْجٌ يُكْرَمُ اللهُ . فِي حِينِ أَنَّ بَعْضَ النَّاسِ يَحْتَاجُونَ أَنْ يَتُوبُوا عَنِ اخْتِيَارِهِمْ لِلطَّلَاقِ مِنْ دُونِ وَجُودِ سَبَبٍ كِتَابِيٍّ يَسْمَحُ بِذَلِكَ ، كَمَا يَحْتَاجُ آخَرُونَ إِلَى التَّوْبَةِ عَنِ السَّلُوكِيَّاتِ السُّيئَةِ الْمُسْتَمِرَّةِ الَّتِي يَرْتَكِبُونَهَا فِي حَقِّ زَوْجِهِمْ . وَفِي كِلْتَا الْحَالَتَيْنِ ، عَلَيْنَا أَنْ نَكُونَ شَاكِرِينَ لِأَنَّ اللهَ رَحِيمٌ .

نَجِدُ النَّصَّ الْكِتَابِيَّ الْأَكْثَرَ أَهْمِيَّةً يَتَحَدَّثُ عَنِ الطَّلَاقِ فِي (مَتَّى ١٩ : ٣-٩) ، فَهُوَ يُسْجَلُ الْحَدِيثُ الَّذِي جَرَى بَيْنَ يَسُوعَ وَالْفَرَيْسِيِّينَ . يَقُولُ النَّصُّ :

جَاءَ إِلَيْهِ الْفَرَيْسِيُّونَ لِيُجَرِّبُوهُ قَائِلِينَ لَهُ: «هَلْ يَحِلُّ لِلرَّجُلِ أَنْ يُطَلِّقَ امْرَأَتَهُ لِكُلِّ سَبَبٍ؟» فَأَجَابَ وَقَالَ لَهُمْ: «أَمَا قَرَأْتُمْ أَنَّ الَّذِي خَلَقَ مِنَ الْبَدَنِ خَلَقَهُمَا ذَكَرًا وَأُنْثَى؟ وَقَالَ: مِنْ أَجْلِ هَذَا يَتْرُكُ الرَّجُلُ أَبَاهُ وَأُمَّهُ وَيَلْتَصِقُ بِامْرَأَتِهِ، وَيَكُونُ الْاِثْنَانُ جَسَدًا وَاحِدًا. إِذَا لَيْسَا بَعْدُ اثْنَيْنِ بَلْ جَسَدًا وَاحِدًا. فَالَّذِي جَمَعَهُ اللهُ لَا يَفْرُقُهُ إِنْسَانٌ.» قَالُوا لَهُ: «فَلِمَاذَا أَوْصَى مُوسَى أَنْ يُعْطَى كِتَابُ طَلَاقٍ فَتُطَلَّقُ؟» قَالَ لَهُمْ: «إِنَّ مُوسَى مِنْ أَجْلِ قَسَاوَةِ قُلُوبِكُمْ أَذِنَ لَكُمْ أَنْ تَطَلَّقُوا

نِسَاءكُمْ. وَلَكِنْ مِنْ الْبَدْءِ لَمْ يَكُنْ هَكَذَا. وَأَقُولُ لَكُمْ: إِنَّ مَنْ طَلَّقَ امْرَأَتَهُ إِلَّا
بِسَبَبِ الزَّنا وَتَزَوَّجَ بِأُخْرَى يَزْنِي، وَالَّذِي يَتَزَوَّجُ بِمُطَلَّقَةٍ يَزْنِي».

من الجدير ملاحظته، أنه حينما سُئِلَ يسوع عن الأسباب التي يُسَمَحُ فيها بالطلاق، ابتداءً يُذَكِّرُ مُسْتَمِعِيهِ بماهية المفهوم الحقيقي للزواج. يُريد يسوع أن يقول: «أنتم لا تستطيعون أن تفهموا أين يُمكنُ أن ينتهي الزواج، من دون فهم ماهية الزواج في المقام الأول. وهذا تغييرٌ ماهرٌ لدقَّةِ التفكير. فعوضاً عن أن نشغل بالنا بالطلاق، ينبغي علينا الاهتمام بحفظ زواجنا صحيحاً وحفظ التصميم الإلهي الأصلي للزواج (الآيات ٤-٦).

يُذَكِّرُنا يسوعُ بالشَّيءِ الأول الذي يجبُ معرفته بشأن الزواج، وهو أنه ليس مُجرَّدَ عهد بشري، وليس عقداً اخترعه المُجْتَمَعُ. الزواج فكرة إلهية (ودائماً ما تكون أفكارُ الله صالحة). جعل الله الاثنين واحداً وما جمعه الله لا يفرقه إنسان (آية ٦). يتحدَّثُ هذا عن استمرارية وأهمية الاتحاد في الزواج. يعرف يسوع أنَّ موسى سمح بالطلاق من أجل قساوة قلوب الناس، ورغم ذلك لم يكن الطلاق قط الهدف الأساسي من الزواج. وبعيداً عن أن الطلاق أصبح مقبولاً في مجتمعنا لأسباب عديدة، يقول يسوع: أنه لا يوجد سوى حالة واحدة يُسمح فيها بالطلاق وهي الزنى (آية ٩). فالشخص المتزوج الذي يزني، ينتهك بشدة عهد الزواج، وبذلك يصبح الطلاق من حقِّ الشخص المتضرر. فالزوج/ الزوجة الذي لم يزني لم يكسر العهد، بل إن العهد كسر بسبب شريك الحياة الزاني.

يضيف بولس أسباباً أخرى في (١ كورنثوس ٧: ١٥) للطلاق. يقول بولس أن المؤمن غير ملزم بالاستمرار في الزواج إذا قرَّرَ شريك الحياة غير المؤمن تركه. يوجد أوقات يريد فيها الشخص المؤمن الحفاظ على الأسرة، ويرغب بالاستمرار في الزواج، ولكن الطرف الآخر غير المؤمن يريد الطلاق ويُجبره عليه. فلا يوجد شيء يمكن أن يفعله في مثل هذه الظروف، ويكون الطرف المؤمن غير مسؤول عن الطلاق. يؤمن بعض المسيحيين أن مبدأ التَّرك يمكن أن يُطبَّقَ في الحالات التي تتسبب فيها سلوكيات أحد الأزواج في ضرر الشخص الآخر. على سبيل المثال، إذا تسبَّبَ زوجٌ في إيذاء جسديٍّ وضرر لزوجه، يعتقد الكثير من المسيحيين أنه بإمكانها أن تطلقه، لأنه يكسر العهد الذي بينهما، ويتصرَّف تصرفاتٍ مُنافيةً لما يجب أن يسلك بها الزوج. وإذا كنَّا نعلم أن الزوج

يؤدي زوجته جسدياً، يجب الاتصال بالشرطة
وبجميع السلطات أو المنظمات التي يمكن أن
تُساعد. بالإضافة إلى ذلك، ينبغي أن نبذل ما في
وسعنا كي نساعد الزوجة على إيجاد مكان آمن
تعيش فيه. كما يلزم على قادة الكنيسة أن يبذلوا
قصارى جهودهم ليحموا ضحية الاعتداء الزوجي
هذا. وينبغي تقديم المشورة الكتابية للمساعدة في
الشفاء.

وهنا تُثار قضية هامة، وهي أن الكنيسة
باعتبارها المجتمع الذي تسوده المحبة، تقع
مسؤولية كبيرة في حماية الضعفاء على عاتقها.
وفي حالات الاعتداءات الزوجية، يتعين على
الكنيسة التدخل في هذه الأمور (وإحضار

يجب أن لا
تكون الكنيسة
مكاناً يشعر فيه
الرجال بالحرية
في الإساءة إلى
زوجاتهم من دون
محاسبة، أو أن
يقللوا من شأن أي
امرأة بأي طريقة

السلطات المدنية المعنية بهذه الشؤون). لا بُد أن يدافع المؤمنون عن حقوق المرأة
وسلامتها. كما يجب ألا تكون الكنيسة مكاناً يشعر فيه الرجال بالحرية في الإساءة
إلى زوجاتهم من دون محاسبة، أو أن يقللوا من شأن أي امرأة بأي طريقة. تُعدّ
الاعتداءات الزوجية شراً، وهي تُشوّه تماماً نموذج محبة المسيح للكنيسة. يجب
ألا نتعاضى عنها بأي شكل من الأشكال ولا حتى لمدة زمنية معينة. إذا كان هناك
مكان ينبغي أن تشعر فيه المرأة بالمحبة والتقدير والاعتزاز والحماية فيجب أن
يكون هذا المكان هو الكنيسة. أيها الإخوة، ساعدوا أخواتكم أن يعشن أمانات.

نحن بحاجة إلى تذكر أنه، حتى في الظروف التي يُسمح فيها بالطلاق، لا
يُمارس هذا الأمر إلا عند الضرورة. ربّما يقع الزوج أو الزوجة في الزنى،
ومن ثم يكون من حقّ الشريك المساء إليه أن يلجأ إلى الطلاق إذا اختار ذلك.
لكن يبقى لدى الشريك المساء إليه الحقّ في المغفرة والعمل على إعادة بناء العلاقة
الزوجية. وعلينا تجنب وضع كل المسؤولية على عاتق الطرف البريء، لأنه في
كثير من الأحيان، يقع أحد الزوجين في خطية الزنى، ورغم ذلك تضغط الكنيسة
على الطرف البريء وتطالبه بالحفاظ على استمرارية الزواج (مما يشعر هذا
الطرف بالذنب أو الخجل لأنه غير قادر على القيام بذلك). ومن الممكن أن يُقال
له أحياناً: «بلى، إن شريك حياتك شخص غير أمين، لكن إذا أمكن أن تغفر له،

وإذا أمكن أيضاً أن نجعل الزواج يستمرّ، فلا داعي لإنهاء الزواج بالطلاق». بالتأكيد، يوجد شعور بأن هذا الرأي صحيح، ولكن هناك رأي آخر يقول إن الرأي الأول خاطئ تماماً. فإذا انتهى الزواج بالطلاق، فهذا خطأ الشخص غير الأمين الذي كسر العهد، وليس الشخص الأمين الذي حافظ على العهد! وعليه، فإذا كان يسوع سمح بالطلاق في بعض الظروف، فلا بد لنا ألا نعتقد أننا أكثر برّاً منه. تحتاج الكنيسة إلى تقديم المحبة والدعم والمشورة للمتزوّجين، ويجب أن يحتوي هذا الدعم على تأكيد حقّ هذا الشخص المؤمن الذي أعطى له يسوع الحقّ في الطلاق في بعض الظروف المتاحة. وفي النهاية، إذا أنصت الزوجان إلى كلمات يسوع، لن يُخطئنا.

الأطفال

لدى الكتاب المقدّس الكثير ليقوله بشأن قيمة وبركة وجود أطفال:

بَارِكْهُمْ اللهُ وَقَالَ لَهُمْ: «أَنْمُرُوا وَآكْثُرُوا وَاْمَلُوا الْأَرْضَ» (تكوين ١: ٢٨).
هُوَذَا الْبَنُونَ مِيرَاثٌ مِنْ عِنْدِ الرَّبِّ، ثَمْرَةُ الْبَطْنِ أَجْرَةٌ.
كَسَهَامِ بَيْدِ جَبَّارٍ، هَكَذَا أَبْنَاءُ الشَّبِيَّةِ.
طُوبَى لِلَّذِي مَلَأَ جَعْبَتَهُ مِنْهُمْ. لَا يَخْزُونَ بَلْ يَكْلُمُونَ الْأَعْدَاءَ فِي الْبَابِ
(مزمور ١٢٧: ٣-٥).

«مَنْ قَبِلَ وَاحِداً مِنْ أَوْلَادِ مِثْلِ هَذَا بِاسْمِي يَقْبَلْنِي، وَمَنْ قَبِلَنِي فَلَيْسَ يَقْبَلْنِي
أَنَا بَلِ الَّذِي أَرْسَلَنِي» (مرقس ٩: ٣٧).

فَلَمَّا رَأَى يَسُوعُ ذَلِكَ اغْتَاظَ وَقَالَ لَهُمْ: «دَعُوا الْأَوْلَادَ يَأْتُونَ إِلَيَّ وَلَا
تَمْنَعُوهُمْ، لِأَنَّ لِمِثْلِ هَؤُلَاءِ مَلَكُوتَ اللهِ» (مرقس ١٠: ١٤).

مثملاً يحمل البالغون صورة الله فكذلك الأطفال أيضاً. وبالتالي، فإن للأطفال قيمة في ذواتهم مثل الأشخاص البالغين. فليس هناك قيمة للأطفال مجرد أنهم سيصيرون قادرين على العمل أو الإنتاج أو الخدمة في المستقبل. بل لهم قيمة لأنهم ببساطة بشر، والبشر لهم قيمة لأنهم يحملون طبيعة الله. وبما أن الكتاب المقدّس أسمى قيمة من البشر، فهو بالتالي أعلى من قيمة الأطفال.

وفقاً لثقافة الكتاب المقدّس، وكما هو الحال في العديد من أنظمة الاقتصاد اليوم، فواحد من أسباب اعتبار الأطفال موارد بشرية ذات قيمة هو المساهمات التي

يقدّمونها في قوّة العمل داخل الأسرة. حيث تتوقّع الأسرة أنّ الأطفال سيّعملون ويُنتجون ويساعدون في تسديد احتياجات المعيشة، وكلّما كبر الأطفال وأصبحوا أكثر قوّة وحكمة، يأخذون مسؤوليات أكثر وأكثر. وحين يتقدّم الآباء في السنّ ويصيرون عجائز، يتولّى أبناؤهم الكبار رعايتهم. وكذلك يُعتَبَرُ الأطفال أنّهم هم السند عند تقدّم العمر. فيكون من المتوقّع أنّ العائلات، وليس الهيئات الحكومية، هي التي تتولّى رعاية المسنين.

حيث يعتني الآباء بأبنائهم الصغار، ثمّ يأتي الوقت الذي يعتني فيه الأولاد الكبار بأبائهم المسنين. ورغم ذلك، لا تأتي قيمة الأطفال ممّا يستطيعون القيام به الآن أو في المستقبل، بل هم ذوو قيمة لأنهم خليفة الله.



مثال الله للأطفال... هو أن يولدوا في سياق العهد

إنّ الوصية الأولى والبركة التي أعطيت للجنس البشري هي أن يُثمروا ويكثروا (تكوين ١: ٢٨). ومن الهامّ الإقرار بأنّ هذه الوصية أعطيت للجنس البشري ككلّ، وليس لكل فرد

على حدة. برأينا، ليس على الجميع أن يتزوّجوا. وبما أنّ الصّورة النموذجية التي صمّمها الله هي أنّ الأولاد يولدون من أبوين متزوّجين، فهذا يعني أنّه ليس متوقّعا أن ينجب كلُّ فرد أطفالاً. يدعو الله الجميع إلى النّمُو في الإثمار والمحبة والبركة، فلا يحتاج الفرد إلى الزواج والنسل لتحقيق هذه الدّعوة. لكنّ النّمُوذج المثالي الذي وضعه الله، هو أن يولد الأولاد في إطار عهد. فهو يريد أنّ الأولاد يولدون من رجل وامرأة ملتزمين ومُتحدّين في عهد واحدتهما نحو الآخر. ويكون استقرارُ وحُبّ الوالدين أساساً لأمن الطّفل ورعايته. وفي حالة قيام أحد الوالدين برعاية الأولاد (بسبب موت أو هجر الطّرف الآخر)، فإنّ الله يستطيع أن يعطي النّعمة والقوّة لتسديد هذا الاحتياج. وما زال النّمُو المعتدل ممكناً بالنسبة إلى هؤلاء الأطفال الذين نشؤوا في كنف أحد الوالدين فقط، هذا إن كانت حياة الطّرف الذي نشؤوا معه مليئة بالمحبة. كما ينبغي أن يكون المجتمع المسيحي نشيطاً وفعّالاً في مساعدة ودعم الأسر ذات العائل الواحد.

تقع على عاتق الآباء مسؤولية كاملة لرعاية أولادهم. أوضح الرّسول بولس:

«وإن كان أحدٌ لا يعنني بخاصته، ولا سيما أهل بيته، فقد أنكّر الإيمان، وهو شرٌّ من غير المؤمن» (تيموثاوس ٥: ٨).

لأن إهمال الأولاد هو خطيئة عظيمة. ولا تنتهي مسؤولية الآباء عند تسديد الاحتياجات الجسدية مثل الطعام واللباس والمأوى، بل إن الآباء مسؤولون أمام الله عن تربية وتنشئة أولادهم على الأخلاقيات وتوجيههم إلى إكرام الرب. ويمكن مضاعفة النصوص الكتابية الدالة على ذلك، لكن هذه النصوص الثلاثة ستكون كافية:

في هذا المقطع
تتوضح ديناميكية
العائلة حيث تتم
مناقشة أمور الله
على مدار اليوم
حسب المناسبة.

«اسْمَعْ يَا إِسْرَائِيلُ: الرَّبُّ إِلَهُنَا رَبٌّ وَاحِدٌ. فَحَبِّبِ الرَّبَّ إِلَهَكَ مِنْ كُلِّ قَلْبِكَ وَمِنْ كُلِّ نَفْسِكَ وَمِنْ كُلِّ قُوَّتِكَ. وَلَتَكُنْ هَذِهِ الْكَلِمَاتُ الَّتِي أَنَا أُوصِيكَ بِهَا الْيَوْمَ عَلَى قَلْبِكَ، وَقَصِّهَا عَلَى أَوْلَادِكَ، وَتَكَلَّمْ بِهَا حِينَ تَجْلِسُ فِي بَيْتِكَ، وَحِينَ تَمْشِي فِي الطَّرِيقِ، وَحِينَ تَنَامُ وَحِينَ تَقُومُ (تثنية ٦: ٤-٧).
رَبُّ الْوَالِدِ فِي طَرِيقِهِ، فَمَتَى شَاخَ أَيْضًا لَا يَحِيدُ عَنْهُ (أمثال ٢٢: ٦).
أَيْهَا الْأَوْلَادُ، أَطِيعُوا وَالِدَيْكُمْ فِي الرَّبِّ لِأَنَّ هَذَا حَقٌّ. «أَكْرَمُ أَبَاكَ وَأُمَّكَ»، الَّتِي هِيَ أَوَّلُ وَصِيَّةٍ بُوَعِدَ، «لَكَيْ يَكُونَ لَكُمْ خَيْرٌ، وَتَكُونُوا طَوَالَ الْأَعْمَارِ عَلَى الْأَرْضِ». وَأَنْتُمْ أَيْهَا الْآبَاءُ، لَا تَغِيظُوا أَوْلَادَكُمْ، بَلْ رَبُّوهُمْ بِتَأْدِيبِ الرَّبِّ وَإِنْذَارِهِ. (أفسس ٦: ١-٤).

لاحظ أن الآباء هم المسؤولون عن تعليم الأولاد المبادئ الإلهية، ووضعهم على الطريق الصحيح. يُقدّم النصّ الوارد في سفر التثنية تصوّرًا لأسلوب حياة الأسرة التي تناقش فيها كلمات الله طوال اليوم وفي كل مناسبة. يجب أن نعيش الحياة بكاملها في وعي روحي، ولا بُد من توجيه كل أفكارنا وأفعالنا لأجل إكرام الله في كل ما نقوم به. تُعدّ الكلمات التي قالها بولس في رسالة أفسس مُثيرة للاهتمام بدرجة كبيرة، لأنه يُخاطب الأولاد مباشرةً ويُخبرهم بأنهم مسؤولون تجاه والديهم. الأولاد هم حقًا مخلوقات تتمتع بإرادة حرّة ومن المتوقع أن يُطيعوا كلمة الله ووالديهم. ولكن الآباء أيضاً لديهم مسؤولية حيال أبنائهم. لذا، حتّ

يشمل التأديب على التوجيه المليء بالمحبة والحكمة والحزم والتقويم.

بولس الآباء على ألا يغيظوا أبناءهم، بل أن يُعلّموهم ويدرّبوهم في طُرُق الرَّبِّ. وممّا له دلالة أنّ الشّيء الوحيد الذي حنّت بولس الآباء عليه هو ألا «يُغيظوا» أبناءهم. حين ينتقد الآباء أولادهم بإفراط، أو يضعون أمامهم معايير عاليةً مُستحيلة، أو يسيئون إليهم بالأقوال أو الأفعال، أو يعاملونهم معاملة متناقضة أو يفشلون في محبّتهم، فكلّ هذه الأمور تجعل الأولاد يُعانون.

ومن جانب آخر، يُعاني الأولاد أيضاً من نقص في وضع الحدود لهم والتأديب. يشمل التأديب على التوجيه المليء بالمحبة والحكمة والحزم والتقويم (عبرانيين ١٢: ٥-٦). يجب على الآباء ألا يكونوا قساةً وعُنفاء، وفي الوقت ذاته يجب ألا يكونوا غير مُبالين أو متساهلين بإفراط. وهذا لا يعني أنّ الأولاد يرفعون أنفسهم، وبالتأكيد ليس المطلوب أن يتسلّطوا في الأسرة. لقد منح الله الآباء سلطةً على الأبناء، وهذه السلطة ينبغي استخدامها بالارتباط مع المحبة والاهتمام. ويُعدّ الفشل في التأديب الصحيح الذي تسوّده المحبة هو فشل في المحبة. وفي الحقيقة، يُعلّمنا الكتاب المقدّس أنّه حين يغيّب التأديب، يغيّب الحبّ. يقول الكتاب المقدّس:

إِنْ كُنْتُمْ تَحْتَمِلُونَ التَّأْدِيبَ يُعَامِلُكُمْ اللهُ كَالْبَنِينَ. فَأَيُّ ابْنٍ لَا يُؤَدِّبُهُ أَبُوهُ؟ وَلَكِنْ إِنْ كُنْتُمْ بِلَا تَأْدِيبٍ، فَدَسَّارَ الْجَمِيعِ شُرَكَاءَ فِيهِ، فَأَنْتُمْ نَعُولُ لَا بَنُونَ. مَ قَدْ كَانَ لَنَا آبَاءٌ أَجْسَادَنَا مُؤَدِّبِينَ، وَكُنَّا نَهَابُهُمْ. أَفَلَا نَخْضَعُ بِالْأَوْلَى جِدًّا لِأَبِي الْأَرْوَاحِ، فَحَيًّا؟ لِأَنَّ أَوْلَئِكَ أَدَبُونَا أَيَّامًا قَلِيلَةً حَسَبَ اسْتِحْسَانِهِمْ، وَأَمَّا هَذَا فَلِاجْلِ الْمُنْفَعَةِ، لِكَيْ نَشْتَرِكَ فِي قِدَاسَتِهِ. وَلَكِنَّ كُلَّ تَأْدِيبٍ فِي الْحَاضِرِ لَا يَرَى أَنَّهُ لِلْفَرَحِ بَلْ لِلْحَزَنِ. وَأَمَّا أَحْيَرًا فَيُعْطِي الَّذِينَ يَتَدَرَّبُونَ بِهِ ثَمَرَ بَرٍّ لِلسَّلَامِ (عبرانيين ١٢: ٧-١١).

على الرّغم من أنّ النّقطة الرئّيسة في هذا النّص هي أنّ الله الأب يؤدّب أولاده، فإنّه يستخدم التشبيه ذاته عن الآباء البشريّين. إنّ عدم وجود تأديب (الذي هو أمرٌ ضروريّ) هو علامة على وجود خطأ أساسي في العلاقة. يمكننا القول: إنّنا أبناء

الله لأنه يُحِبُّنا ويؤدِّبنا. وينبغي على الآباء أن يتمثلوا بالله الآب في مَحَبَّتِهِ وتَأدِيبِهِ لأولاده. دائماً ما يبدو التأديب أمراً غير سارٍ، لكنّه يَسْتَحِقُّ حَمْلَ الألم المؤقَّت من أجل الخير الكثير المنتظر الذي يمكن أن يُنتجَه. كما أنه من الضَّروري على الآباء تجنُّب الأخطاء الشائعة سواء بالقسوة الزائدة أو بالتساهل المفرط.

إساءة مُعاملة الأطفال

يولد الأطفال مخلوقات ضعيفة واعتمادية بالكامل، ومن الممكن أن يموتوا في حال عدم تلقّيهم للرعاية المُستمرّة والمناسبة. وتستمرُّ هذه الرعاية لسنوات وسنوات حتى يستطيع هؤلاء الأولاد إعالة أنفسهم. يتمتّع الآباء بقوة جسديّة وعقليّة وإقتصاديّة وإجتماعيّة أكثر من أبنائهم. وهذا يعني أنّ الآباء هم في وضع يجعلهم قادرين على أن يفعلوا إمّا الخيرَ الكبير وإمّا الضّررَ البالغ لأبنائهم. وتعدُّ واحدة من أصعب الأمور على الإطلاق أنّ بعض الآباء يُسيئون مُعاملة أولادهم. وعليه، فإنّ عدد الأطفال الذين يُعانون من سوء المعاملة على أيدي ذويهم لا يمكن تخيُّله. إنّه حقاً كابوسٌ عالميٌّ، ومن ثمّ توجد مسؤوليّة أخلاقيّة تقع على عاتق المؤمنين لمساعدة الضّعفاء ومحاربة هذه الإساءات.

يتضمّن سوء مُعاملة الأطفال العقاب البدنيّ أو الإساءات النفسيّة أو العاطفيّة المفرطة أو القاسية. كما يمكن أن تنطوي على إهمال حاجات الأطفال الجسديّة (وأحياناً الحاجات العاطفيّة أيضاً). وتعتبر واحدة من أبعث أشكال الانتهاكات

كما يتعيّن علينا
أن نقوم بكلّ ما
في وسعنا لوقف
الاعتداء على
الأطفال داخل
سياق ثقافتنا
ومجتمعنا
الواسعة.

التي يتعرّض لها الأطفال هو التحرش الجنسيّ. سنناقش الأخلاقيات الجنسيّة في فصل آخر، ولكن بما أنّ أي ممارسة جنسيّة بين الأشخاص غير المتزوجين تُعدّ خطيّة، فمن الواضح أنّ الاعتداء الجنسيّ على الأطفال أمرٌ يحرّمه الله تماماً. ولذلك، فإنّ الانتهاكات الجنسيّة التي يتعرّض لها الأطفال هي أسوأ من الانخراط في ممارسة جنسيّة غير شرعيّة تتمّ بموافقة الطّرفين البالغين. كما يُعدّ الاعتداء الجنسيّ على الأطفال هو الاستغلال الأكثر حقارة. وعليه ففي كنيستنا المحليّة، أوضحنا أنّه إذا أساء شخصٌ إلى طفل

جنسيًا، سواء كان هذا الطفل ابنه أم لا، فإننا سنقوم بتأديب هذا الشخص، ليس كنسيًا وحسب بل مدنيًا أيضًا، بأن نتصل بالشُرطة ونفعل ما بوسعنا لضمان مُعاقبته بواسطة السُلطات المدنيّة والقضائيّة. كما أننا سنبدل قسارى جهنرا لرعاية الضحيّة وتقديم المشورة لها. ولا بدُّ ألاّ نتسامح مع أيّ اعتداءات جنسيّة للأطفال. كما يتعيّن علينا القيامُ بكلِّ ما في وسعنا لوقف الاعتداء على الأطفال داخل سياق ثقافتنا ومجتمعنا الواسعة. توجد ممارسة واحدة على وجه الخصوص تحظى باهتمام وسائل الإعلام ويجب على الكنيسة التصدي لها. وهذه الممارسة هي تشويه الأعضاء التناسلية للإناث، ويُشار إليها أحيانًا باسم ختان الإناث. ومع أنّ هذه الممارسة بالنسبة إلى الذكور لها فائدة صحيّة، فليس لها أيّ فائدة صحيّة للإناث. وفي الحقيقة، إنّها مُضرةٌ تمامًا ومدمرةٌ ومُهينة.

وتتطوي هذه الممارسة المسيئة على إزالة الأعضاء التناسلية الخارجيّة للمرأة الشابة (أو الفتاة الصّغيرة). ولا يوجد حرفيًا أيّ فوائد إيجابيّة لهذه الممارسة، علاوة على أنّ الآثار السلبية الناتجة عنها كثيرة جدًا. فهي تسبّب ألمًا مروّعًا، ويمكن أن ينتج عنها مُضاعفات شديدة (بما في ذلك المرُض الذي يؤدي إلى الموت). وقد لا تتلاشى أبدًا الآثار الجسديّة والنفسيّة لهذه الممارسة. وسواء كان المرُض لهذه الممارسة ثقافيًا أو دينيًّا، فهي لا تزال ممارسة عنيفة، وهي بالتأكيد ضدّ كل مبادئ وأسس علم الطبّ الصحيح. والأهمّ من ذلك، أنّها تتعارض تمامًا مع مبادئ كلمة الله المقدّسة. لقد خلق الله النساء بأعضاء تناسليّة كاملة، وتشويه هذه الأعضاء أمرٌ شريّر. إذا كانت الكنيسة تعرف أنّ هذه الممارسة الوحشيّة تحدث في مكان ما، فمن ضمن المسؤوليّة الأخلاقيّة للكنيسة التصدي بفاعليّة لهذه الممارسة، وأن توفّر الحماية للذين يسعون إلى الهروب منها. وحتى إذا كانت فتاة واحدة في العالم اختبرت هذا الاعتداء، فإنّها ستمثّل الكثير من الفتيات. وبالنظر إلى عدد الفتيات الضحايا لهذه الممارسة، ستصبح هذه قضيةٌ أخلاقيّة يجب على المؤمنين ألاّ يتجاهلوها.

المُخصّبات والتكنولوجيا

هل من المقبول أخلاقيًا أن يستخدم الزوّجان التكنولوجيا الطبيّة للمساعدة في فكرة إنجاب طفل، إذا لم يكونا قادرين على الحمل بالطريقة الطبيعيّة؟ ومن الجانب الآخر للمعادلة، هل من المقبول أخلاقيًا للزّوجين استخدام التكنولوجيا الطبيّة لتجنّب إنجاب الأطفال؟ سيختلف التّطبيق العمليّ لمثل هذه الأسئلة اختلافًا

كبيراً بناءً على المكان الذي نعيش فيه. فبالنسبة إلى بعض الأشخاص، تُعتبر هذه التكنولوجيا الطبيّة اللازمَة لمثل هذه العمليّات إمّا أنّها غيرُ متوفّرة أو يمكن ببساطة أن تكون مُكلفة حتى إذا كانت متوفّرة. ولكن بالنسبة إلى أناس آخرين، يتوفر لديهم التكنولوجيا الطبيّة الأساسيّة وأيضاً الإمكانية المادّية للإنفاق عليها. ولكن لمجرّد أنّنا لا نستطيع فعل أي شيء غير صحيح، فكيف يمكننا كمسيحيين التّفكير بشأن العلاقة بين الإنجاب والتكنولوجيا؟ وبخاصّة عند النّظر إلى حقيقة أنّ الكتاب المقدّس لا يتحدّث عن التكنولوجيا العصريّة.

لا يمكن الإجابة عن هذا السّؤال إلّا من خلال فهم أوسع لما هيّة الأدوار الصحيحة للطبّ والعلم والتكنولوجيا. ففي هذا العالم السّاقط، يُعدّ التّفكير الطبيّ واحداً من الطّرق التي يمكننا، بل وينبغي علينا استخدامها للمساعدة في الشّفاء واستعادة الصّحة. إذا وجدنا شخصاً كفيفاً، وثمة عمليّة جراحية يمكن أن تُعيد له بصره، فلا خطأ في إجراء هذه الجراحة. وبالمثل، إذا أصيب شخص بمرض ويمكن للأدوية أن تساعد على الشّفاء، فلا يوجد شيءٌ غير أخلاقيّ في تناول هذه الأدوية. يمتدّ هذا النوع البسيط من التّفكير ليشمل مسألة الإنجاب والتكنولوجيا. إذا كان لدينا زوجان غير قادرين على الإنجاب بالطريقة الطبيعيّة، فلا يوجد خطأ في استخدام الإجراءات الطبيّة للمساعدة في هذا الأمر. وبالتأكيد، لا يوجد أيّ شخص يعتقد أنّه من الخطأ إنجاب طفل من خلال العمليّة القيصريّة إذا لزم الأمر، حتى إذا لم تكن هذه هي الطريقة الطبيعيّة لولادة الأطفال. حيث يمكن أن تكون هذه العمليّة الجراحية حرقياً عمليّة إنقاذ حياة للأُمّهات وللأطفال الذين هم في حاجة إلى ذلك. وعليه، يبدو أنّه لا يوجد أسباب تمنع استخدام بعض أنواع التّدخلات الطبيّة لحدوث الحمل. هذا ليس هو الطبيعيّ، ولكنّ النّقطة الأساسيّة في استخدام التكنولوجيا الطبيّة هي إزالة الآثار السّلبية للعيش في عالم ساقط ولتحسين الصّحة. فقد أعطى للبشر مهمّة التسلّط على الأرض، وهذا يتضمّن

... لمجرّد أنّنا لا
نستطيع أن نفعل
أيّ شيءٍ غير
صحيح.

استخدام عقولنا وإمكانيّاتنا لإصلاح المشاكل، والتعامل مع مواضع الخلل في العالم وفي أنفسنا بالسّواء.

على الرّغم من ذلك، من الهام إدراك أنّ هذا لا ينطبق على جميع الإجراءات الطبيّة المستخدمة للإنجاب. ولا ينبغي الاعتقاد بأنّ مجرد وصول

التكنولوجيا إلى هذا الحد من التطور، فإن جميع هذه الإجراءات الطبية مقبولة أخلاقياً. بالإضافة، ينبغي علينا إدراك أن الزوجين ليسا تحت إلزام أخلاقي لاستخدام أي وسائل مساعِدة على الإنجاب. إذا لم يُنجبا طبيعياً، فهما لديهما كل الحق ليكرّسا نفسيهما لله وأتخذا قرار العيش من دون أطفال. ولا ينبغي أبداً أن يزرع الأزواج الذين ليس لديهم أطفال تحت الضَّغط، أو يشعروا بالإلزام إلى اللجوء للتدخل الطبي للمساعدة في عمليّة الإنجاب.

يوجد أسباب متنوّعة تجعل الزوجين غير قادرين على الإنجاب. على سبيل المثال، تعاني بعض النساء من انسداد قناة الرّحم، ممّا يمنع وصول البويضات إلى المكان المناسب للتخصيب والعرس. في بعض الأحيان، يمكن معالجة هذا الانسداد من خلال عمليّة جراحية بسيطة. وفي هذه الحالة، يبدو الحصول على علاج طبي للمساعدة على التخصيب لا مجال للجدل حوله، ولا يوجد أي خطأ في كلّ هذا. وفي حالات أخرى، يمتلك الرّجل عدداً قليلاً من الحيوانات المنويّة، أو أنّها لا تتحرّك بدرجة كافية للوصول إلى البويضات من دون مساعدة. وفي ضوء هذا السيناريو، يمكن في بعض الأحيان جمع الحيوانات المنويّة وإطلاقها بالقرب من البويضة.

تُعرف هذه العمليّة باسم التلقيح الصناعي. وتستخدم في الحفاظ على الحيوانات المنويّة لمُدّة طويلة جداً. إذا قرّر الزوج والزوجة استخدام تقنيّة التلقيح الصناعي على أمل إنجاب طفل، فلا يوجد شيء غير أخلاقي في ذلك. وفي الحقيقة، إذا اتخذ الزوجان هذا القرار، ينبغي دعمهما. (إنّ عدم القدرة على إنجاب الأطفال يُعدّ أمراً شخصياً للغاية، كما أنّه أمر مؤلم جداً. لذلك ينبغي على الكنيسة أن توفر مجتمعاً يسوده الحبّ والتفهم والرّحمة والشفقة للدعم في هذا الوقت. كما ينبغي على المؤمنين أيضاً أن يكونوا حذرين جداً للطريقة التي يتحدثون بها، خصوصاً الدعاية، بشأن مسألة الزواج وإنجاب الأطفال).

بالرغم من عدم وجود أي خطأ في استخدام الزوج والزوجة للتلقيح الصناعي لتحمل الزوجة من الحيوانات المنويّة الخاصّة بزوجها، توجد إمكانيّة أخرى للتلقيح الصناعي أصبحت أكثر إثارة للجدل. ففي بعض الحالات تحصل الزوجة على الحيوانات المنويّة من مُتبرّع آخر. وفي هذه الحالات، لا تعرف الزوجة مَنْ هو هذا المُتبرّع. يختلف علماء الأخلاق المسيحيّون حول الوضع الأخلاقي لهذا النوع من التلقيح الصناعي. يعتقد البعض بأنّه لا ينبغي القيام بذلك، لأنّه

يسمح بدخول جيناتٍ وراثيةٍ لطرفٍ ثالثٍ غير الزوجين طرفي عهد الزواج . ومن الممكن أن يهتمَّ الزوج بمعرفةٍ صاحب السائل المنوي الذي خصَّب بويضة زوجته . في حين أن البعض الآخر ، يعتقد أنَّ هذا الأمر يشبه التبني . فعندما يتبنَّى

يؤمن جميع علماء الأخلاقيات المسيحيين أنه ينبغي استخدام الحيوانات المنوية الخاصة بالزوج إذا لجأ الزوجان إلى التلقيح الصناعي .

زوجان طفلاً ، فإنَّ الزوجة لا تكون هي التي حبلت به أو ولدته . هؤلاء الذين يتمسكون بهذا الرأي يقولون إنَّ اختيار رعاية طفل لا يعتمد على الجينات الوراثية التي شكَّته ، وبالتالي يستنتجون أنه إذا وافق الزوج والزوجة معاً على هذا الأمر ، فإنه يجوز استخدام الحيوانات المنوية لمتبرِّع . يؤمن جميع علماء الأخلاقيات المسيحيين أنه ينبغي استخدام الحيوانات المنوية الخاصة بالزوج إذا لجأ الزوجان للتلقيح الصناعي ، لكنَّ بعض العلماء الآخرين يسمحون بقبول هذا السائل من مُتبرِّع إذا لزم الأمر . ينبغي التفكير في هذه القضية بعناية . (وواحدة من الأمور التي لا بدُّ أن نوَّكد عليها في هذه القضية أن استخدام

الحيوانات المنوية لمتبرِّع في عملية التلقيح الصناعي لا تتشابه مطلقاً مع الزنى) . وينبغي أن يسأل الزوجان نفسيهما ما إذا كان التلقيح الصناعي باستخدام سائلٍ منويٍّ لمتبرِّعٍ آخر يُمجدُّ الله أكثر من تبني طفلٍ قد ولد بالفعل ويحتاج إلى رعاية . لكنَّ الأمر الأكثر إثارة للجدل هو ممارسة الإخصاب المخبري (أطفال الأنابيب) . ففي الإخصاب المخبري ، يتمُّ إحضار السائل المنوي والبويضة ، ويتمُّ جمعُهما معاً خارج جسد المرأة . إذا اتَّحد السائل المنوي والبويضة بنجاح ، عندئذٍ تُزرع هذه البويضة المخصَّبة في رحم الأم . يمكن أن يحدث الإخصاب المخبري بالبويضة والسائل المنوي اللذين أخذاً من الزوج والزوجة نفسيهما ، أو يمكن أن يحدث ببويضة الزوجة والسائل المنوي المأخوذ من مُتبرِّعٍ آخر ، أي من طرفٍ ثالث ، أو يمكن أن يحدث التخصيب باستخدام بويضة وسائلٍ منويٍّ مأخوذين من غير الزوجين أصلاً . ونظراً لأنَّ الجماع لا يحدث في أيِّ نوعٍ من أنواع عمليات التلقيح الصناعي ، فلا يمكن اعتباره زنى . لذلك ، يجب أن تقوم الاعتراضات على هذه الممارسة على أسسٍ أخرى .

يقول أولئك الذين يؤيدون أي نوع من أنواع الإخصاب المخبري أنه يُشبه التبنّي لطفل من لحظة الحمل. إذا كان بإمكان الزوجين تبنّي طفل منذ لحظة ميلاده، وفي الحقيقة أنّ حياة هذا الطفل بدأت مع بداية الحمل، فلماذا لا يُمكن للزوجين رعاية وتربية هذا الطفل المتبنّي أثناء وجوده في الرحم؟ يؤكد هؤلاء الذين يؤيدون الإخصاب المخبري، بأي شكل من أشكاله، على أنّ الجسد الذي يحدث فيه الحمل لا علاقة له بالموضوع. فسواء حدث الحمل في جسد الأم، أو إذا خلق الجنين خارج جسد الأم وبعدها زرع في جسد الأم، فهذا ليس له صلة بالأخلاق. فالأمر يتعلق بأهمية الشيء الذي يُخلق، فضلاً عن المكان الذي يحدث فيه الخلق. وعليه، حتى إذا كنّا مختلفين مع هذه الممارسة، أو مع بعض أشكالها، يجب علينا تذكر أنّ كل إنسان يولد من خلال الإخصاب المخبري هو على صورة الله، وأنه إنسان كامل. وبالتالي، فهؤلاء الأطفال لا بدّ أن تقدّم لهم المحبة، وأن يُقدّروا مثلهم مثل أي إنسان آخر.

حين يتعلّق الأمر بالإخصاب المخبري، حتى إذا قام البعض بتأييده تأييداً كاملاً نظرياً، فمن الضروري التمييز بين الإخصاب المخبري نظرياً وعملياً. فمن الناحية النظرية، يمكن الحصول على بويضة واحدة التي تُكوّن جنيناً واحداً ليطم زرعها. لكن بالنظر إلى الطبيعة التوسّعية لهذه العملية، بالإضافة إلى التكلفة الباهظة، فحين يحدث الإخصاب المخبري يُلجأ عادة إلى تضاعف الأجنة التي تُخلق. ليس من المتوقع زرع جميع هذه الأجنة في رحم الأم. وهذا يعني أنّ هذه الأجنة، الحياة البشرية، خلقت من دون نيّة للسماح لها بالبقاء على قيد الحياة. فيقضى على الأجنة الزائدة.

(يُجمد البعض من هذه الأجنة لاستخدامها في المستقبل، ولكنها لن تبقى مُجمّدة إلى الأبد من دون أن تموت). لذلك، حتى إذا اعترف المؤمنون بأنّ الإخصاب المخبري أمر مقبول أخلاقياً، فهم بحاجة إلى الإصرار على أنّ حياة الأجنة تبدأ منذ اللحظة الأولى التي يصيرون فيها أجنة، وبالتالي فإنّ التخلص من الأجنة البشرية يعدّ أمراً غير أخلاقي. ليس من المقبول، أن ننهي حياة عدد من



يجب علينا أن نتذكّر أنّ كل إنسان يولد من خلال الإخصاب المخبري هو على صورة الله، وهو إنسان كامل.

الأجنة لأجل ميلاد طفل واحد. إذا خُلقت العديد من الأجنة، ثم قُضي عليها في مختبرات التلقيح الصناعي، فعلى المؤمنين أن يحكموا على هذه الممارسة باعتبارها ممارسة غير أخلاقية. حيث يُعلمنا الكتاب المقدس بوضوح قدسية الحياة. لذا، يجب التمسك بهذا المبدأ الكتابي. (أنظر الفصل المتعلق بالإجهاض للحصول على أسس كتابية).

وسائل منع الحمل وتحديد النسل

ليس هناك أمرٌ أخلاقي يدفع الزوجين لإنجاب أكبر عددٍ من الأطفال على قدر ما يستطيعان. في تقليد كنيسة الروم الكاثوليك، تُعتبر وسائل منع الحمل خطية، لأنهم يعتبرون الغرض من الاتصال الجنسي هو الإنجاب. (سُفدّم المزيد عن الغرض من الجنس في الفصل الذي يتناول الأخلاق الجنسية). بينما يوجد في الكنيسة البروتستانتية، قدرٌ أكبر بكثير من الانفتاح بشأن شرعية استخدام وسائل منع الحمل. لا بدّ من الأخذ بعين الاعتبار بعض الجوانب ونحن نتناول هذا الموضوع:

١- يوجد أنواع شتى لوسائل منع الحمل.

تضع بعض وسائل منع الحمل حاجزاً بين السائل المنوي والبويضة، ومن ثم لا يحدث الإخصاب. ويضع البعض الآخر من وسائل منع الحمل حاجزاً بين بطانة الرحم وبين البويضة المخصبة، ومن ثم لا يمكن للبويضة أن تُغرس وتنمو. في رأينا، لا يوجد أي شيء خاطئ في وضع الحواجز في النوع الأول، ولكن لا بدّ من تجنب وضع الحواجز من النوع الثاني لأنها تعمل بعد أن يحدث الحمل. تزداد شعبية اللولب الرحمي، على الرغم من أنه مُصمّم ليمنع الإخصاب من الحدوث، فهو يمنع أيضاً الغرس إذا حدثت الإخصاب.

٢- هناك أدوية تُنظّم دورة خصوبة المرأة.

غالباً ما يُشار إلى هذه الأدوية باسم «حبوب منع الحمل»، وهي صُممت لتمنع جسد المرأة من إطلاق البويضات. وهذا من شأنه أن يمنع حدوث الحمل. وتكون وظيفة البعض الآخر من الأدوية هو تنظيف بطانة الرحم، ممّا يؤدي إلى تدمير الجنين إذا حدث حمل. وهذه الوظيفة الأخيرة خاطئة أخلاقياً. حتى تناول أدوية

مَنع الحَمَل تَتَطَلَّب تفكيراً دقيقاً، ليس بالضرورة لأنَّها وسائل لمنع الحَمَل، ولكن لأنَّنا بحاجة إلى تَوْحِّي الحَدْر بشدَّة بشأن الأدوية المُصمَّمة للتأثير على الهرمونات والنظام البيولوجي الطبيعي. لا ينبغي تناول أي أدوية من غير تمييز، وينبغي ألا نفترض أنه من الجيد أن يبقى الدواء (الآمن) في أجسامنا لفترة طويلة من الزمن. ينبغي على الأزواج التفكير بعناية كي يتخذوا القرار الصائب بشأن أدوية منع الحَمَل، إذا كان ذلك خياراً متاحاً لهم.

٣- هناك طرق دائمة لتحديد النسل.

يوجد طريقتان من أكثر الطرق الدائمة الشيوخ في تحديد النسل وهما العمليتان الجراحتان: استئصال القناة المنوية للرجال أو رباط الرحم أو كي عنق الرحم. بعض من المؤمنين الذين يعتقدون بأنَّ أي طريقة من طرق تحديد النسل المستمرة هي طريقة خاطئة، فهم يؤمنون بأنَّه من الخطأ إحداث خلل بأجهزة الجسم التي تعمل بالطريقة الطبيعية التي صمَّمها الله. فهم يسمِّحون بإجراء العمليات لتصحيح الخلل الوظيفي لأجهزة الجسم، ولكنهم يرون أنه من غير المقبول منع هذه الأعضاء من القيام بدورها التي صمَّمت لأجله. من الهام أن يُدرك الزوجان أنَّ واجب التدخل الطبي أن يُعيد الصحة ويجعل أجهزة الجسم تقوم بوظائفها الطبيعية. وحين نحدث إعاقة بالوظائف الطبيعية عمداً، فلا بد من معرفة أنه يمكن حدوث عواقب غير مقصودة وسلبية. ويمكن أيضاً التفكير بعناية في النتائج العملية (بما في ذلك مضاعفات المرض، أو الآثار النفسية المحتملة). ونحن نعرف العديد من الأشخاص الذين اختاروا إجراء عمليات العقم الدائم، ولكنهم حاولوا بعد ذلك الرجوع في هذا الأمر ليتمكَّنوا من إنجاب أطفال آخرين. يتعيَّن على أولئك الذين يختارون إجراء عمليات العقم الدائم ألا يتراجعوا عن قرارهم، وينبغي عليهم محاولة التفكير في الأمر لاهوتياً بدلاً من قبول العرف السائد في ثقافتهم من غير تمييز. نحن لا نقول إنَّه من الضروري أن يكون العقم الدائم خاطئاً، إنَّما نقول إنَّ هذا الأمر هو قضية أخلاقية خطيرة بدرجة أكبر ممَّا يظنُّ الكثير من الناس. وبما أنه لا يمكن دائماً التراجع في هذا الأمر حتى مع وجود التكنولوجيا الطبية، لذا فهو قرار كبير. ويُعدُّ التدخل الجراحي الذي يُعيق وظائف الجسم الطبيعية من القيام بدورها أمراً خطيراً.

٤- هناك طرق كثيرة لتنظيم الأسرة .

يوجد بعض الوسائل الطبيعية لتنظيم الأسرة الأكثر استخداماً عن غيرها، ولكنها تشترك جميعاً في المبدأ القائل بأنه ينبغي تجنب الاتصال الجنسي خلال أيام عديدة قليلة في الشهر أثناء توقيت الخصوبة عند المرأة. فتصبح الفكرة هي تحديد زمن وتوقيت إمكانية الخصوبة عند المرأة، ويمكن القيام بذلك عن طريق استخدام رسم بياني لتوقيت الإباضة، وفحص سوائل الجسم، وقياس درجة حرارة الجسم الأساسية. يوجد خلاف كبير بشأن مدى فعالية هذه الوسائل الطبيعية، ولكن من حيث المبدأ لا يوجد اعتراض عليها من الناحية الأخلاقية. وبما أن هذا التنظيم للأسرة طبيعي ولا يتطلب وسائل غير طبيعية أو أدوية أو إجراءات طبية، فهو خيار مقبول تماماً.

وفي رأينا، يمتلك الأزواج المؤمنون الحرية، في إطار معايير محددة، في استخدام وسائل منع الحمل. على سبيل المثال، من الضروري ألا تؤدي وسائل منع الحمل هذه إلى تدمير البويضة المخصبة. فمن الناحية الإيجابية، كلما كانت وسيلة تحديد النسل وسيلة طبيعية ومؤقتة، كان ذلك أقل إثارة للجدل من الناحية الأخلاقية. يجب أن نهدف إلى العيش في انسجام مع الطريقة التي صمّمها الله عليها، كما ينبغي أن نكون حذرين جداً بشأن التدخل الطبي الذي يمنع وظائف الجسم الطبيعية والصحية من القيام بدورها.

كما يلزم قول هذا، يوجد مجموعة متنوّعة من الظروف التي يمكن أن تجعل الأزواج يتخذون قرارات مختلفة بشأن تحديد النسل. فقد يختار بعض الأزواج طريقة العقم الدائم، لأن الزوجة لديها مضاعفات صحية تجعل من الحمل خطراً يهدد حياتها. في حين يستخدم العديد من الأزواج وسائل منع الحمل لفترة مؤقتة، ثم يتوقفون عن تناول هذه الأدوية لئلا يتمكنوا من إنجاب أطفال. فيبدو أن استخدام مثل هذه الأدوية ليس فيه مشكلة أخلاقية. ومع ذلك، فإنه ليس من الحكمة تناول أي أدوية غير ضرورية. نحن لا نؤمن بأن كل زوجين يجب أن ينجبا أكبر عدد ممكن من الأطفال بقدر المستطاع. يمكن أن تكون إدارة قدرتنا على الخصوبة على نحو يتسم بالمسؤولية، هي إحدى الطرق التي نكرم بها الرب ونمارس قيادتنا في التسلط على الأرض. ولا يشير استخدام موانع الحمل بالضرورة إلى نقص الإيمان بسيادة الله أو إلى الأنانية.

وبصرف النظر عن القرار المتخذ، وعلى الرغم من وجود مجموعة من

الخيارات المقبولة أخلاقياً والتي تختلف بعضها عن بعض من ناحية الحكمة والصّلاح، فمن الضروري أن يدعم الزوجان أحدهما الآخر في مجال الصّحة الإنجابية. يجب ألا يكون قرار منع الحمل ظالماً لأحد الزوجين. فكلا الزوجين يجب أن يُفكّر في القرار ويحترم رأيي واحدهما الآخر. لا ينبغي أن يشعر أي طرف بالإرهاب أو الإكراه على اتّخاذ قرار ما يجعله غير مُستريح، وخصوصاً إذا تنطّب هذا القرار تدخلاً طبياً أو وسائل غير طبيعياً.

... هناك
مجموعة متنوّعة
من الظروف يمكن
أن تجعل الأزواج
يتّخذون قرارات
مختلفة بشأن تحديد
النّسل.

كما يلزم وجود دعم جسديّ وعاطفيّ ونفسيّ متبادل بين الزوجين. يقول بولس بشأن القضايا الأخلاقية المختلفة:

«وَأَمَّا الَّذِي يَرْتَابُ فَإِنَّ أَكْلَ يَدَانِ، لِأَنَّ ذَلِكَ لَيْسَ مِنَ الْإِيمَانِ، وَكُلُّ مَا لَيْسَ مِنَ الْإِيمَانِ فَهُوَ خَطِيئَةٌ» (رومية ١٤: ٢٣).

هذا المبدأ هام، فإذا كان أحد الزوجين غير قادر على قبول الطريقة المقترحة لتحديد النّسل بإيمان وبضمير صالح، يجب على الشريك الآخر عدم الإصرار على هذه الطريقة.

عطايا الله صالحة

تعدّ الحياة المكرّسة لمحبة الله ومحبة الآخرين هي عطية النعمة، وينبغي أن تتدفق هذه المحبة في النّاس، من خلال النّاس وإلى من هم حولهم. سوف يُقدّم الحبّ لبعض الأشخاص فيستقبلونه طيلة حياتهم من دون أن يكونوا في علاقة زواج. والبعض الآخر سيقدّمون حباً في إطار عهد الزّواج. وللأسف، سيقدّم بعض الأشخاص حباً داخل الزّواج، وسوف يُقابل هذا الحبّ بالخيانة والطلاق. ولكن، إذا كانوا جزءاً من عائلة الله، ينبغي دائماً أن يتلقوا الحبّ العظيم من الله ومن الكنيسة. وبعض الأزواج سيقدّمون محبةً ويستقبلون محبةً من خلال أولادهم. وبعض الأزواج الآخرين سيتزوّجون، لكنهم لن ينجبوا أطفالاً،

والبعض منهم سيَتَبَنَّى أطفالاً، ولكنَّ البعض الآخر سيختار عدمَ القيام بذلك. ويُعْتَبَرُ حرمانُ بعضِ الأولاد من حبِّ وحنانِ ذويهم أمراً مأساوياً يكسر القلب. فإذا لم تمنحهم الكنيسة الحبَّ، فأين يمكن أن يخنبروه؟ ينبغي على الأشخاص الذين تربطهم صلة دم أن يحبوا بعضهم بعضاً. كما ينبغي على الأقارب والأصدقاء وأصحاب المجتمع الواحد أن يكونوا مترابطين معاً بالحبِّ. في حين أنه بسبب الخطيئة، نرى زيجات خالية من المحبة، وآباء يفتقرون إليها، وعائلات لا تعرف عن المحبة شيئاً، وفي الحقيقة أننا نرى عالماً بدون محبة. لكن من خلال فدائنا باستحقاق ذبيحة المسيح الكاملة، انسكبت فينا المحبة. فليست علاقة الزواج

كلُّ شخص مدعو
كي يحيا في أشكال
علاقاتية مختلفة
قليلاً، لكننا جميعاً
مدعوين إلى المحبة

هي التي تمنح البركة، بل المحبة. يقول يسوع إننا جميعاً أقارب، لذلك يجب علينا جميعاً أن نحب بعضنا بعضاً. من الأفضل كثيراً أن نكون بلا زواج، وأن نكون قادرين أن نعطي ونستقبل المحبة عن أن نكون متزوجين ولا نُقدِّم أو نستقبل المحبة. وربما كان يسوع وبولس غير متزوجين وسعداء بسبب المحبة. تأتي عطايا الله الصالحة في أشكال متنوعة،

وكل شخص مدعو كي يحيا في أشكال علاقاتية مختلفة قليلاً، لكننا جميعاً مدعوين إلى المحبة. حين تحب الكنيسة كما ينبغي، سيحظى الناس بشعور بالرضا أكثر ممَّا يتخيَّلون. وتبقى العائلة هي العطية الصالحة من الله، ولا توجد العائلة الدائمة إلا تحت مظلة الله الأب، ومن خلال المسيح الأخ الأكبر، وبين الأخوة والأخوات الذين تبناهم الله في عائلته.

أسئلة للتفكير:

١. هل لدى كنيستك وجهة نظر متوازنة صحيحة وكتابية بشأن الزواج، الأسرة والعزوبية؟
٢. إذا كان الطلاق مُصرَّح به في بعض الظروف، فهل مُصرَّح أيضاً بالزواج الثاني بعد الطلاق في هذه الحالات؟
٣. ما هي النصوص الكتابية الأخرى التي تتناول موضوع عدم الخصوبة والحمل؟
٤. هل هناك مناطق في مجتمعتك يوجد فيها إساءة معاملة للأطفال وتحتاج منك التصدي لها بفاعلية؟ ماذا ستفعل؟ أين ينبغي أن تبدأ؟



الأخلاقِيَّاتُ الجِنْسِيَّة

إن وجودَ الجنسِ البشريِّ يعتمدُ اعتماداً كلياً على الممارسة الجِنسيَّة، التي لولاها لما كُنَّا قادرين على الاستمرار في الوجود. هذه الحقيقة البسيطة تُثبت أنَّ القضايا الجِنسيَّة هامةٌ في جميع الأوقات والأماكن، وأيضاً في مجتمعات وثقافات العالم أجمع. رغم ذلك، يمكن أن تمتلك الثقافات المختلفة مقاربات مُتفاوتة من الانفتاح حين يتعلَّق الأمر بمناقشة الجنس والأمور الجِنسيَّة. لقد مضت أزمانٌ في الثقافة الغربيَّة بقي فيها الجنسُ موضوعاً هادئاً نسبياً وليس نقطة اهتمام. لكن اليوم، أصبحت الثقافة الغربيَّة صريحةً ومُفتحة لدرجة عالية بشأن الجنس، حتى أنَّ الأطفال الصغار يتعلَّمون عنه في الكثير من المدارس. نحن نعتزُّ بأننا سنواجه تحدياً حين نتحدَّث عن الأمور المتعلقة بالأخلاقِيَّات الجِنسيَّة في كتاب سيتمُّ نشره للقراء حول العالم. كما أننا نعي أنَّ مختلف القراء في شتى الثقافات يمتلكون درجاتٍ متفاوتةً من القبول لهذه النقاشات. لا أحد يستطيع الإفلات من التأثير بثقافته، وفي الثقافة الجِنسيَّة الغربيَّة يتنخرون جداً بالجنس، وهذا يجعل من الصعب أن نذكر كيف أنَّ وجهات النَّظر هذه المتعلقة بالجنس والأمور الجِنسيَّة

غيرُ صحّيةٍ وغير طبيعّيةٍ. ومن المؤسف، أنّ وجهة نظر أميركا الشماليّة المنيّة بالأُمور التي لها علاقة بالجنس، كما تظهر في الإعلانات والوسائل الترفيهيّة والفلسفة الاجتماعيّة والممارسات، تُصدّرُ إلى جميع أنحاء العالم.

حاول المجتمعُ الغربيُّ أن يعتنقَ رأيين مُتناقضين حول الجنس في آنٍ معاً. ويرى الرّأيُ الأوّل أنّ الجنس أمرٌ خاصٌّ للغاية، وهو المتعةُ الأعلى التي يجب أن يختبرها كلُّ فردٍ بأيِّ ثمن، فيمكن اعتبارها تجربة فائقة الأهمّيّة. أصحاب وجهة النّظر هذه يُؤلّهون الجنس تماماً، بينما يرى الرّأي الآخر أنّ الجنس مجردٌ وظيفة بيولوجيّة هدفها إرضاء الدوافع البيولوجيّة. وفي هذا الرّأي يُقلّون من أهمّيّة الجنس ويعتبرونه ممارسة لا تختلف كثيراً عن الممارسة التي يقوم بها الحيوان، ولا فرق بينه وبين غريزة الأكل أو حكّة الجلد. فيصير الجنس وفقاً لهذا الرّأي شيئاً غير مُميّز على الإطلاق. وعليه، فإنّ المجتمع الغربي يتناول موضوعَ الجنس تناولاً مُتناقضاً، فيرى أنّ له أهمّيّة خاصّة وأيضاً لا قيمة له على الإطلاق. وبصرفِ النّظر عن ذلك، يوجد حقيقة واحدة واضحة، ألا وهي أنّ الجنس فكرةٌ مُسيطرّة على المجتمع الغربيّ.

تعدُّ حريّة ممارسة الجنس دون تحمّل عواقب الإنجاب واحدةً من الحُجج النسائيّة الرئيّسة للإجهاض القانوني. ولكن، متى أصبح حقّ الانخراط في السلوك الجنسيّ منفصلاً عن نتائجه الطبيعيّة؟ إذ تُعتبر محاولة فصل الجنس عن السّؤوليّة كارثة. يمكن أن تُؤدّي عواقب السلوك الجنسيّ غير المسؤول إلى هدم البيوت، الطلاق، الشّعور بالذنب، الشّعور بالرّفص، العار، الحمل غير المرغوب فيه، الإجهاض، المرَض والموت. ولكي لا نعتقد أنّ الموت عنصرٌ مُتطرّف فقد أُضيف إلى القائمة، فنحن بحاجة إلى تذكر أعداد الأشخاص الذين أُصيبوا بفايرس نقص المناعة (الإيدز) من جرّاء العلاقات الجنسيّة. وأنا (ستيف) كنتُ في ماوئى لمرضى الإيدز في أفريقيا، ورُرت الأشخاص الذين كانوا يموتون من المرَض الذي أُصيبوا به من خلال الاتّصال الجنسيّ. لا يختلف اثنان على أنّه يمكن أن تكون الأخلاق الجنسيّة مسألة حياة أو موت حقيقيّاً.

الأخلاق الجنسيّة

إذا أردنا فهمَ ماهيّة الأمور غير الأخلاقيّة جنسيّاً، يجب أولاً فهمَ ماهيّة طبيعة الجنس والنشاطات الجنسيّة. وبالتأكيد، هذا يتطلّب العودة إلى التّفكير

على مستوى النظرة الكونية. تُعدُّ طبيعة البشر ذات أهمية بالغة في التوصل إلى استنتاجات صحيحة بشأن الأخلاق الجنسية. كما يجب علينا أيضاً أن نفكر في وجود الله وطبيعته. وبما أن الله هو خالقنا، فنحن لسنا مستقلين عنه، كما أن أجسادنا تنتمي إليه، مثلها مثل كل شيء آخر في الخليقة (١كورنثوس ٦: ١٩). نحن وكلاء على أجسادنا، لذلك نصبح مسؤولين عن استخدامها في ما يُكرّم الله (وليس بأن نستخدمها لنفعل ما نشعر به أو نرغب فيه). وبناءً على ذلك، إذا لم يكن هناك من إله، وإذا لم يكن هناك أي معنى لوجود الإنسان، فلا ضرورة البتة لوجود مبادئ الأخلاق الجنسية (أو أي أخلاقيات أخرى).

إذا كان وجود البشر هو نتيجة عرضية للتطور المادي، فسيصير الجنس حكماً مجرد وظيفة حيوانية. ومن المثير للاهتمام في هذه النقطة، أنه يمكن القول منطقياً إن بعض المُلحدين أخطأوا خطأ فادحاً في رفض الزواج الأحادي في أخلاقياتهم الجنسية. إذا صَحَّت القصة الإلحادية للتطور الطبيعي، فمن الممكن أننا نتطور لنزدهر حين يقتصر الجنس على العلاقات الأحادية والتي تستمر مدى الحياة. وفي الحقيقة، إننا مهَيَّأون نفسياً وعاطفياً للوحدة الجنسية، وهذا يعني أنه سيكون أمراً مؤذياً أن تكون لنا علاقات جنسية مُتعددة. ربّما يقلل المُلحد من الجنس لدرجة اعتباره وظيفة حيوانية وحسب، إلا أن ذلك التوصيف غير متوافق كلياً مع التجربة الإنسانية المعقدة. (وفي نهاية الأمر، إن هؤلاء يرفضون الاعتصاب وغيره من أشكال العنف الجنسي واللاجنسي، ولكن مثل هذه الممارسات يمكن أن تنتقص من شأن الجنس إلى حدّ اعتباره مجرد وظيفة حيوانية فقط). وإذا تفحصنا الأمر بنظرة شاملة، نجد أنه على المُلحد أن يندّر الآخرين من تعدد العلاقات الجنسية غير المشروعة. فكيف يُمكن للمُلحد أن يتيقن من أن أفكاره مفيدة أكثر من كونها ضارة، في ضوء المكاسب التي سيحصل عليها البشر؟ وليس من الضروري أن نستنتج أن التطور في عالم مادي يعني أننا قد تطورنا لكون أصحاء نفسياً وعاطفياً خارج الزواج الأحادي.

يجب أن نفهم
الجنس على أنه

شيء خلقه الله
كهدية حسنة
للخليقة

لكننا كمؤمنين نرى الأمور الجنسية عبر عدسة النظرة الكونية الكتابية. يوجد العديد من الاعتبارات الأولية التي من الهام أخذها بعين الاعتبار. أولاً، بما أن الله خلق الكل، فهو الذي خلق البشر بصفتهم

كائنات جنسية. وعليه، تُعدّ الممارسات الجنسية والاتصال الجنسي جزءاً من تصميم الله الأصلي للإنسان، الذي قال عنه أنه حسن جداً. وبالتالي، يجب أن نفهم الجنس على أنه شيء خلقه الله كهدية حسنة للخليفة. ثانياً، صُممت العلاقات الجنسية لإتمام الوظيفة البيولوجية للتكاثر. فكان من الممكن أن يقرّر الله أن يكون الإنجاب بطرق كثيرة، لكنّه اختار طريقة الاتصال الجنسي باعتبارها الوسيلة الأفضل لولادة حياة جديدة. ثالثاً، حتمّ الله أن تكون العلاقة الجنسية بين الزوج والزوجة اللذين يشتركان في عهد الزواج. وهذا الأمر ليس لغرض المحافظة على التناسل في إطار العهد وحسب. يُعدّ الإنجاب واحداً من أغراض الاتصال الجنسي، ولكن من الخطأ التقليل من أهميته إلى اقتصار دوره على الإنجاب فقط. فهو أيضاً وسيلة للترباط واختبار المتعة المقدسة. فالأخلاق المسيحية لن تُخفف من أهمية مقاصد الله في هذا الصدد.

نصوص كتابية حول صلاح الجنس ١. (تكوين ٢: ٢٤-٢٥)

لِذَلِكَ يَتْرُكُ الرَّجُلُ أَبَاهُ وَأُمَّهُ وَيَلْتَصِقُ بِأَمْرَأَتِهِ وَيَكُونَانِ جَسَداً وَاحِداً. وَكَانَا كِلَاهُمَا عُرْيَانَيْنِ، آدَمُ وَأَمْرَأَتُهُ، وَهُمَا لَا يَخْجَلَانِ.

يُشكّل الزوج والزوجة في الزواج نواة علاقة جديدة، وبهذه العلاقة يصيران جسداً واحداً. فلم يكن آدم وحواء مجرد شخصين عاريين، بل كان لهما نظرة شفافة عاطفياً واحدهما نحو الآخر (قبل دخول الخطيئة لم يكن هناك أي شيء غير شفاف سواء كان ظاهرياً أو ضمناً). وهذا أمر واضح في تصميم الله للزواج والجنس كجزء هامّ من الخبرة الإنسانية قبل دخول الخطيئة إلى العالم. لذلك، لم تكن الخطيئة الأصلية هي العلاقة الجنسية كما يعتقد البعض خطأً.

٢. (عبرانيين ١٣: ٤)

لَيْكُنِ الزَّوْجُ مَكْرَماً عِنْدَ كُلِّ وَاحِدٍ، وَالْمُضْجَعُ غَيْرِ نَجِسٍ. وَأَمَّا الْعَاهِرُونَ وَالزَّانَاةُ فَسَيَدِينُهُمُ اللَّهُ.

يحدّرُ هذا النصّ بوضوح من الممارسات الجنسيّة اللاأخلاقية، ومن الاتّصال الجنسيّ غير المشروع، ويقوم هذا التحذير على الحقيقة الإيجابية لقداسة ونقاء الجنس في إطاره الصحيح. كما يحتاج المؤمنون إلى تذكّر أنّ الأخلاق الجنسيّة الكتابية تنظرُ بشكلٍ إيجابيٍّ إلى التعبيرات والممارسات الجنسيّة في الإطار الصحيح، حيث يَنْجُ عنها فرح وسرور حقيقيّ. لكن، الخطيئة تُحرّف وتشوّه العطايا الجيدة. لهذا السبب تُعدّ الأخلاق الجنسيّة هامةً بدرجة عالية.

٣. (نشيدُ الأنشاد ٧: ١-١٣)

مَا أَجْمَلُ رَجُلَيْكَ بِالنَّعْلَيْنِ يَا بِنْتَ الْكَرِيمِ! دَوَائِرُ فَخْدَيْكَ مِثْلُ الْحَلِيِّ، صَنْعَةٌ يَدَيَّ صَنَاعٌ.

سُرَّتْكَ كَأْسٌ مُدَوَّرَةٌ، لَا يُعَوِّزُهَا شَرَابٌ مَمْرُوجٌ. بَطْنُكَ صُبْرَةٌ حِنْطَةٌ مُسَيِّجَةٌ بِالسُّوسِنِ

. تَدْيَاكَ كَحَشْفَتَيْنِ، تَوَامِي طَبِيَّةٌ. عَفْكَ كَبِرْجٍ مِنْ عَاجٍ.

عَيْنَاكَ كَالْبِرْكِ فِي حَسْبُونٍ عِنْدَ بَابِ بِنْتِ رَبِّيمِ. أَنْفُكَ كَبِرْجٍ لُبْنَانَ النَّاطِرِ تُجَاهَ دِمَشْقٍ.

رَأْسُكَ عَلَيْكَ مِثْلُ الْكِرْمَلِ، وَشَعْرُ رَأْسِكَ كَأَرْجُوانٍ.

مَلِكٌ قَدْ أَسْرَ بِالْخَصْلِ. مَا أَجْمَلُكَ وَمَا أَحْلَاكَ أَيُّهَا الْحَبِيبَةُ بِاللَّدَاتِ! قَامَتْكَ هَذِهِ شَبِيهَةٌ بِالنَّخْلَةِ، وَتَدْيَاكَ بِالْعِنَاقِيدِ.

قُلْتُ: «إِنِّي أَصْعَدُ إِلَى النَّخْلَةِ وَأَمْسِكُ بَعْدُوقِهَا».

وَتَكُونُ تَدْيَاكَ كَعِنَاقِيدِ الْكِرْمِ، وَرَائِحَةُ أَنْفِكَ كَالنَّفَّاحِ، وَحَنَكُكَ كَأَجُودِ الْخَمْرِ. لِحَبِيبِي السَّائِغَةُ الْمُرْفَرَقَةُ السَّائِحَةُ عَلَى شِفَاهِ النَّائِمِينَ.

أَنَا لِحَبِيبِي، وَإِلَيَّ اسْتِيَاقُهُ.

تَعَالِ يَا حَبِيبِي لِنَخْرُجْ إِلَى الْحَقْلِ، وَلِنَبِتْ فِي الْفَرَى.

لِنَبْكُرَنَّ إِلَى الْكِرْمِ، لِنَنْظُرَ: هَلْ أَزْهَرَ الْكِرْمُ؟ هَلْ تَفْتَحُ الْقُعَالُ؟ هَلْ نَوَّرَ الرُّمَانَ؟ هُنَالِكَ أَعْطِيكَ حَبِي

. اللَّفَّاحُ يَفُوحُ رَائِحَةً، وَعِنْدَ أَبْوَابِنَا كُلِّ النَّفَّاسِ مِنْ جَدِيدَةٍ وَقَدِيمَةٍ، دَخَرْتُمَا لَكَ يَا حَبِيبِي.

على الرغم من أنّ اللغة المجازية لا تنتقل تماماً من ثقافة إلى أخرى، ومن

زمن إلى آخر، فإن هذا النص يربط بين لغة الشعر والاستعارة المجازية من جهة والوصف المادي لجسد المرأة من جهة أخرى. حيث يتغزل الرجل بجسد المرأة وجمالها، وهي تستمتع به. وفي نصوص أخرى من سفر نشيد الأنشاد، تُعبر المرأة أيضاً عن سعادتها بجسد حبيبها. يتحدّث النص المذكور أعلاه بوضوح عن الجنس. وتكشف دراسة الاستعارات العبرية عن مدى وضوح الكثير من هذه الصور (وهو ما لا يمكن تفسيره بطبيعة الحال من جانبنا، لأننا لا نستخدم التعبيرات المجازية نفسها في مفرداتنا الجنسية). ومع ذلك، وبصرف النظر عن دراسة الاستعارات المجازية، فلا شك في مضمون الآيتين (٧، ٨). كما أنّ شجرة النخيل لديها جذع نحيف يجعلها تثمر مجموعة من عناقيد الفاكهة، وكما أنّ تسلق الشجرة يتطلب الالتفاف حولها، كذلك أيضاً يلتف الرجل حول المرأة ويُمسك بعناقيد الفاكهة. يجب ألا نكون شديدي الاحتشام أكثر من الله. وأيضاً، يجب ألا نكون حمقى ونقلل من الخبرة الجنسية إلى حدّ اعتبارها وكأنها لا شيء أو حتى أنها شيء تافه. فينبغي أن يكون هناك حجاب من القداسة والوقار ليغلف الخبرة الجنسية الشخصية، لكنّ هذا الحجاب يجب أن يكون متوازناً بصدق من خلال نقاش صريح بين الشريكين. فالكتاب المقدس يتمتع بتوازن مثالي، فهو منفتح وصادق وشفاف فيما يتعلق بالجنس، لكنّه أيضاً يتحدّث عن الجنس بكل احترام ووقار. فهو ليس موضوعاً غير مطروح للنقاش، لكنّه موضوع يجب مناقشته بلياقة.

فالكتاب المقدس

يتمتع بتوازن

مثالي، فهو

منفتح وصادق

وشفاف فيما

يتعلق بالجنس

إذاً، الجنس هو إتمام الإلتزام الذي يترسخ في عهد الزواج، وهو مُصمّم لإدخال الزوج والزوجة إلى مستويات متزايدة من الحميمية (أي الوحدة). فإنّ الوضع الأمثل يشتمل على تجربة جنسية مستمرة في الزواج، وعلاقة من القبول يملؤها الأمان والحب. فلا ينبغي أن يكون الجنس مجرد علاقة يسودها الأخذ، بل أيضاً العطاء المتبادل. فينبغي على المرء أن يفكر في شريك حياته بدلاً من التفكير في نفسه. كما يتحتم أن يصير الاتّصال الجنسي تعبيراً عن المحبة والاهتمام المتبادل، إذ يكون تركيز الشريك منصباً على شريكه الآخر. عندما يحدث هذا داخل الزواج هناك يُختبر الأمان. فالجنس لا يتعلق فقط بالأداء الفعلي له لأنّ

له علاقة وثيقة بمشاركة الحب. فبولس الرسول يتحدث في (١كورنثوس ٧: ١-٧) عن المبادلة والعطاء الذي ينبغي أن يُمَيِّزَ الجنس في الزواج. لذا، يلزم على الزوج والزوجة أن يقدمًا واحدًا للآخر في كل شيء. بعبارة أخرى،

يتعين على
الزوجين النظر
إلى جسديهما
باعتبارهما عطية
من الله لخيرهما،
حيث ينبغي على
كل شريك أن
يخضع رغباته
لصالح ما هو
أفضل لشريك
حياته.

لا يختلف الجنس عن أي شيء آخر في الزواج، فالأنانية لا مجال لوجودها بين الزوجين في أي ناحية من نواحي الحياة! كما يتعين على الزوجين النظر إلى جسديهما باعتبارهما عطية من الله لخيرهما، حيث ينبغي على كل شريك أن يخضع رغباته لصالح ما هو أفضل لشريك حياته.

وبما أن الدافع الجنسي قويٌّ للغاية، والسلوكيات الجنسية لها عواقبٌ بدنية، عقلية، عاطفية وروحية قوية جداً (سواء للخير أو للشر)، فإن الممارسات الجنسية في المجتمع سيكون لها تأثيرٌ هائل على صحة الفرد والمجتمع. فحين يُستخدم الجنس في الإطار السليم، يمكنه توفير جوٍّ من الترابط الإيجابي والنمو العلاقاتي، وحين يُستخدم في الإطار غير الصحيح، سيعاني الناس جرأً ذلك. إذ أن

السلوكيات الجنسية الصحيحة تقوي وتحمي المجتمع، بينما السلوكيات الجنسية غير الصحيحة تضعف وتضرُّ به. تحتاج الطاقة الجنسية إلى توجيهها توجيهاً سليماً، ليس من أجل مصلحة الفرد وحسب، بل أيضاً من أجل مصلحة المجتمع ككل. فلن يتمكن المرء من محبة أقرابه إذا استغلوه أو ألحقوا به ضرراً جنسياً، وهذا الضرر يمكن أن يحدث له حتى إذا تم هذا الأمر الجنسي برضا الطرفين. وعليه، ينظر الكتاب المقدس إلى الجنس في إطاره الصحيح على أنه مقدس وظاهرٌ وجيد. وبالتالي، إذا أخرجناه من إطاره الصحيح سيحدث ضرراً بالغا. لأنه يُعدُّ في هذه الحالة شراً كبيراً.

الممارسات الجنسية اللاأخلاقية

من الضروري أن نأخذ بعين الاعتبار احتمال إساءة استخدام الجنس. وللأسف، نرى هذا الاحتمال واقعاً، حيث تنفّس الممارسات الجنسية اللاأخلاقية اليوم على مستوى العالم. فالعالم الغربي يحتفل فعلياً بهذا الأمر من خلال انتهاكه لشريعة الله. شارك شابٌ مؤخراً في مدينتنا باختباره مع مجموعة من الرعاة، حيث كان يبحث عن فرصة الانضمام إلى الخدمة الرعوية، فقال: «كنت أعيش حياتي لأجل المتعة واللذة».

وهذه الحياة جعلته يشعر بالفراغ (وهذا هو الشيء الذي يختبره كثيرون، ولكن وسائل الإعلام والعالم يتجاهلون ذلك). ثم استطرد في حديثه قائلاً: «إنه حين ينظر اليوم إلى ماضيه، يرى نفسه بأنه لم يكن يبحث عن المتعة، بل عن جماعة وعلاقات يرتبط بها. فهذا الأمر يستحق التفكير والتأمل بعمق. لأن ما يحتاج إليه الناس حقاً هو المحبة والوجود في جماعة تقبله. (تتكرر هذه الفكرة كثيراً في هذا الكتاب).

إن واحدة من النتائج الرهيبة والمحنة للممارسات الجنسية اللاأخلاقية هي أنها تكسر العلاقة الحميمة الحقيقية، وتزيد من الشعور بالوحدة والانقسام عوضاً عن إرساء الترابط.

إن واحدة من النتائج
الرهيبة والمحنة
للممارسات الجنسية
اللاأخلاقية هي
أنها تكسر العلاقة
الحميمة الحقيقية،
وتزيد من الشعور
بالوحدة والانقسام
عوضاً عن إرساء
الترابط

صممت العلاقة الجنسية باعتبارها إعلاناً ضمناً عن الإلتزام مدى الحياة، لذلك ليس غريباً أنه حين تُمارس في إطار غير صحيح تولد الشعور بالخيانة والوحدة. في بعض الأحيان، يدرك الناس تماماً هذه الحقيقة، ويختبر البعض الآخر ببساطة الشعور بعدم الارتياح النفسي والعاطفي أو الروحي. فنحن لم نصمم لنختبر الهجر من الشريك الجنسي. ويعد الانخراط في ممارسات جنسية متعددة مع أشخاص لا إلتزام معهم مدى الحياة، أمراً غير أخلاقي. يحتاج هذا الإلتزام إلى التأكيد عليه بعهد الزواج، وقبل أن يتم الزواج لا يوجد تأكيد على هذا العهد. إن العديد من الناس حصلوا من شركائهم على وعود بالإلتزام قبل الزواج، ممّا جعلهم

ينخرطون في سلوك جنسي، وبعد ذلك لم يتم الزواج مطلقاً. تُعد قيادة السيارة بدون رخصة أمراً غير قانوني في العديد من الأقطار، فمن غير المقبول من وجهة نظر القانون أن تقود سيارة بحجة أنك ستحصل على الرخصة غداً. وبالمثل، فإن الوعد بالزواج غداً، لا يعطي تصريحاً بالانخراط في علاقة جسدية اليوم.

يساعدنا العدد الهائل من الإشارات الكتابية في كلا العهدين القديم والجديد بشأن السلوكيات الجنسية اللاأخلاقية لنرى شيوع وأهمية هذا الموضوع. حيث تحرّم العهارة، الزنى، الفجور وسفاح القربى تحريماً صريحاً وقاطعاً. ببساطة، لا يوجد نقاش أو جدال في هذه النقطة. وعلى المنوال عينه، يمكننا القول ببساطة أن الله أعطى شريعته، وكشف مشيئته الأدبية بوضوح فيما يتعلق بالجنس، لذا علينا أن نطيع ذلك. لا شيء آخر يجب معرفته غير أن الله يتكلم بسلطان ونحن مسؤولون أدبياً عن تصرفاتنا أمامه. وفي النهاية، إن السبب الذي يدفعنا إلى طاعة وصايا الله هو السعي لتقديم المجد له. وهنا تصبح الطاعة لفائدتنا أيضاً لأنها السبيل الوحيد للنمو. لذا يجب الثقة في أن الله يحفظنا من الأذى من خلال تقديم هذه الوصايا لنا.

(كورنثوس ٦: ١٢-٢٠)

تعتبر هذه الفقرة الكتابية النص الرئيسي لفهم الممارسات الجنسية اللاأخلاقية، إذ كتب الرسول:

«كُلُّ الْأَشْيَاءِ نَحَلُّ لِي»، لَكِنْ لَيْسَ كُلُّ الْأَشْيَاءِ تُوَافِقُ. «كُلُّ الْأَشْيَاءِ نَحَلُّ لِي»، لَكِنْ لَا يَسَلُطُ عَلَيَّ شَيْءٌ. الْأَطْعَمَةُ لِلْجُوفِ وَالْجُوفُ لِلْأَطْعَمَةِ، وَاللَّهُ سَيَبِيدُ هَذَا وَتِلْكَ. وَلَكِنَّ الْجَسَدَ لَيْسَ لِلزَّانَا بَلْ لِلرَّبِّ، وَالرَّبُّ لِلْجَسَدِ. وَاللَّهُ قَدْ أَقَامَ الرَّبِّ، وَسَيَقِيمُنَا نَحْنُ أَيْضًا بِقُوَّتِهِ. أَلَسْتُمْ تَعْلَمُونَ أَنَّ أَجْسَادَكُمْ هِيَ أَعْضَاءُ الْمَسِيحِ؟ أَفَأَخَذَ أَعْضَاءَ الْمَسِيحِ وَأَجْعَلُهَا أَعْضَاءَ زَانِيَةٍ؟ حَاشَا! أَمْ لَسْتُمْ تَعْلَمُونَ أَنَّ مِنَ التَّصِقِ بِزَانِيَةٍ هُوَ جَسَدٌ وَاحِدٌ؟ لِأَنَّهُ يَقُولُ: «يَكُونُ الْاِثْنَانِ جَسَدًا وَاحِدًا.» وَأَمَّا مِنَ التَّصِقِ بِالرَّبِّ فَهُوَ رُوحٌ وَاحِدٌ. أَهْرَبُوا مِنَ الزَّانَا. كُلُّ حَظِيَّةٍ يَفْعَلُهَا الْإِنْسَانُ هِيَ خَارِجَةٌ عَنِ الْجَسَدِ، لَكِنَّ الَّذِي يَزْنِي يُخْطِئُ إِلَى جَسَدِهِ. أَمْ لَسْتُمْ تَعْلَمُونَ أَنَّ جَسَدَكُمْ هُوَ هَيْكَلُ الرُّوحِ الْقُدُسِ الَّذِي فِيكُمْ، الَّذِي لَكُمْ مِنَ اللَّهِ، وَأَنْكُمْ لَسْتُمْ لِأَنْفُسِكُمْ؟ أَنْكُمْ قَدْ اشْتَرَيْتُمْ بِثَمَنِ. فَمَجِّدُوا اللَّهَ فِي أَجْسَادِكُمْ وَفِي أَرْوَاحِكُمْ الَّتِي هِيَ لِلَّهِ.

يكرّر بولس في هذا النصّ الشّعارات التي يرَدُّها البعض من أهل كورنثوس . حين يقولون: «الأطعمَةُ لِلجَوْفِ وَالجَوْفُ لِلأطعمَةِ». فهم يستخدمون كلمات مزدوجة المعاني ليقولوا إنَّ أجسادنا خُلقت لأجل الجنس، لذلك فإنَّ ممارسة الجنس عند شعورنا بالرغبة في ذلك، مع أيِّ شريك، أمرٌ طبيعيٌّ ومقبولٌ مثله مثل تناول الطعام . لكن، لاحظ أنَّ بولس يُصحِّح لهم الفرضية التي افترضوها بأنَّ أجسادهم هي ملكهم وحدهم . فالأمر ليس كذلك، بل إنَّ أجسادهم ملكٌ للرَّب . سيقبِّمُ الله أجسادنا وهذا يُظهر القيمة الكبيرة التي لهذه الأجساد باعتبارها ملكاً لله . فيصرِّح بولس بأننا إذا اتَّحدنا مع المسيح، ثمَّ اتَّحدنا بالزنى مع شخصٍ آخر، فإننا بذلك ننجسُ هذا الاتحاد بالمسيح (بطريقة مجازية) . ينطبق المبدأ ذاته على جميع الممارسات الجنسية غير المشروعة سواء كانت عهارةً أو زنى . وبناءً على ذلك، ينصحنا بولس بوضوح بالهروب من الممارسات الجنسية اللاأخلاقية! تبنّى يوسف المبدأ نفسه مع امرأة فوطيفار في (تكوين ٣٩)، حين هرب حرقياً من المكان الذي كانت تحاول إغراءه فيه .

يستمرُّ بولس في تقديم أسباب إضافية للهروب من الممارسات الجنسية اللاأخلاقية . فحين نُخطئ جنسياً، إننا بذلك نُخطئ في حقِّ أجسادنا . ففي الاتصال الجنسي غير المشروع نحن نتحدُّ مع الإنسان الذي سيكسرُ طهارتنا . (كما أننا أيضاً نَسببُ ضرراً للآخرين، وهذا الأمر دائماً ما يكون غير أخلاقيّ، وفيه انتهاكٌ لمبدأ المحبة) . إذا انخرطنا في الممارسات الجنسية اللاأخلاقية، إنما نخرط في إيذاء أنفسنا . وبالنظر إلى العدد الهائل من الأمراض المنقولة جنسياً في العالم اليوم، لا يسعُ المرءُ إلا أن يرى كيفية تطبيق هذا المبدأ روحياً وجسدياً . حيثُ أصبح المؤمنون بالمسيح في اتحادٍ مع المسيح وهم أيضاً هيكلٌ للروح القدس . هل يقبلُ الروح القدس بأن يوصفَ هيكله بأنه نجسٌ جنسياً؟ الإجابة واضحة . وخطورة هذا التشبيه، يحتاج المرءُ إلى قراءة سفر حزقيال وكتب بعض أنبياء العهد القديم أيضاً .

يتحدّث بولس أخيراً عن فدائنا . فقد اشترانا المسيح بدمه . ونحن ننتمي إليه . لذا، يجب علينا أن نمجِّد الله في أجسادنا . وببساطة، فإنَّ الممارسات الجنسية اللاأخلاقية محرّمة ، والمؤمنون بحاجة إلى الهروب منها بأيِّ شكلٍ من الأشكال .

الزنى

الزنى هو الخطيئة الجنسية التي تنتهك عهد الزواج القائم بين الزوجين، وهو أن يخرط أحد الأزواج في علاقة جنسية مع طرف آخر غير شريك حياته. ويُعدُّ الزنى جزءاً من مجموعة كبيرة من الممارسات الجنسية اللاأخلاقية، ويُعتبر شراً عظيماً في نظر الله. سمح يسوع بالطلاق في حالة الزنى،^١ لذا فهو أمرٌ خطير للغاية في عيني الله. إننا نناقش مسألة الزنى ليس لأن تعاليم الكتاب المقدس غير واضحة بهذا الشأن، ولكن لأنها تُقدِّم لنا نظرة عن كيفية بحث الأخلاق الجنسية من الجانب الإيجابي والسلبى في الأسفار المقدسة.

١. (خروج ٢٠: ١٤)

«لَا تَزْنِ».

هذا النص لا يحتاج إلى أي توضيح حيث أنه يرفض الزنى رفضاً قاطعاً. ففي بعض الأحيان، يقول بعض الأزواج المؤمنين غير السعداء في زواجهم أنهم يعرفون أن الله يريد لهم أن يكونوا سعداء، لذا فإن الله لن يعترض على إقامة علاقة جنسية مع شخص آخر غير شريك الحياة. يخدم هذا المنطق مصلحتهم الذاتية، وهو منطق غير صادق وغير كتابي. فالزنى ليس خياراً أخلاقياً مسموحاً به على الإطلاق.

٢. كُتِبَ الْأَنْبِيَاءُ

يمكن الاستشهاد بنصوص مختلفة في هذا المجال، ولكن في كُتِبَ الْأَنْبِيَاءُ غالباً ما تُقَارَنُ عبادة الأوثان بالزنى في الزواج. لأن الناس من خلال عبادة الأوثان يُعْبَرُونَ عن عدم إيمانهم بالله، وأقرب تشبيه لهذا الأمر أشار إليه الأنبياء هو الزنى. وهذا يظهر كم أن الزنى شريك في نظر الله.

٣. (تكوين ٣٩: ٩)

«لَيْسَ هُوَ فِي هَذَا الْبَيْتِ أَعْظَمَ مِنِّي. وَلَمْ يُمْسِكْ عَنِّي شَيْئاً غَيْرِكَ، لِأَنَّكَ امْرَأَتُهُ. فَكَيْفَ أَصْنَعُ هَذَا الشَّرَّ الْعَظِيمَ وَأَخْطِي إِلَى اللَّهِ؟»

١ متى ٥: ٢٧-٢٨. وللمزيد من المناقشة، أنظر الفصل ٤.

حين سنحت الفرصة ليوسف بأن يزني مع المرأة التي كان لها سلطة عليه في بيت سيده، هرب لأن الزنى معها سيكون أمراً خاطئاً وخطية عظيمة في نظر الله. من الضروري أن نتذكر أن الزنى ليس مجرد خطأ في حق شريك الحياة وحسب، أو ضد الشخص الذي يمارس معه الزنى، بل أنه خطية ضد الله نفسه، أنظر (مز ٥١: ٤).

٤. (أمثال ٥: ١-٢٣)

(تم اختيار بعض الآيات الواردة أدناه)

أَنَّ شَفَنِي الْمَرْأَةَ الْأَجْنِبِيَّةَ تَقْطُرَانِ عَسَلًا، وَحَنَكُهَا أَنْعَمُ مِنَ الزَّيْتِ، لَكِنَّ عَاقِبَتَهَا مَرَّةٌ كَالْأَفْسَنْتَيْنِ، حَادَّةٌ كَسَيْفِ ذِي حَدَّيْنِ. قَدَمَاهَا تَحْدُرَانِ إِلَى الْمَوْتِ. خَطَوَاتُهَا تَتَمَسَّكُ بِالْهَاطِيَةِ. لئَلَّا تَتَأَمَّلَ طَرِيقَ الْحَيَاةِ، تَمَّائِلَتْ خَطَوَاتُهَا وَلَا تَشْعُرُ.

أَبْعُدْ طَرِيقَكَ عَنْهَا، وَلَا تَقْرَبْ إِلَى بَابِ بَيْتِهَا، لئَلَّا تُعْطِيَ زَهْرَكَ لِآخَرِينَ، وَسِنِينِكَ لِلْقَاسِي. لئَلَّا تَشْبَعَ الْأَجَانِبُ مِنْ قُوَّتِكَ، وَتَكُونَ أَنْعَابُكَ فِي بَيْتِ غَرِيبٍ. فَتَنْوَحْ فِي أَوَاخِرِكَ، عِنْدَ فَنَاءِ لَحْمِكَ وَجِسْمِكَ.

لَنْتَكُنْ لَكَ وَحْدَكَ، وَلَيْسَ لِأَجَانِبٍ مَعَكَ. لِيَكُنْ يَنْبُوْعُكَ مُبَارَكًا، وَأَفْرَحَ بِامْرَأَةِ شِبَابِكَ، الطَّيْبَةِ الْمُحْبُوبَةِ وَالْوَعْلَةَ الزَّهِيَّةَ. لِيُرُوكَ تَدْبَاهَا فِي كُلِّ وَقْتٍ، وَبِمَحَبَّتِهَا اسْكُرْ دَائِمًا. فَلَمْ تَفْتِنُ يَا ابْنِي بِأَجْنِبِيَّةٍ، وَتَحْتَضِنُ غَرِيبَةً؟ أَلَا تَطْرُقُ الْإِنْسَانَ أَمَامَ عَيْنِي الرَّبِّ، وَهُوَ يَزِنُ كُلَّ سَبِيلِهِ.

يُعدُّ هذا النصُّ ذا أهميَّة كبيرة لأنه يحتوي على الأسباب الأخلاقية، الروحية والعملية لتجنب الزنى، لأن الزنى يجلب الخراب، العار والخزي. ويمدنا هذا النصُّ بمضادٍّ روحيٍّ حيويٍّ للسموم لمعالجة الزنى، وهؤلاء الذين ينزوجون ينبغي أن يبحثوا عن الرضى الجنسي في إطار الزواج. (وإذا تعدد ذلك بسبب المرض أو أي صعوبات أخرى، يبقى غير مسموح لشريك الحياة الآخر إيجاد منافذ جنسية خارج نطاق الزواج. لأنَّ مُتطلِّبات العزوبية الزوجية الإجبارية لا تختلف عن مُتطلِّبات العزوبية عموماً). فهنا نجد أيضاً كما في نشيد الأنشاد أن

اللغة الجنسية واضحة وليست ببذيئة. يختلف محتوى سفر الأمثال في الفصول ٩-١ (كلام عام) عن الفصول من ١٠-٣٠ (أقوال بليغة). تُظهر القراءة الدقيقة للفصول من ١-٩ اهتماماً بموضوع الزنى الذي تكررَ فيها مرّات عديدة. على سبيل المثال، في الفقرة (أمثال ٦: ٢٥-٣٥) تُحدّد عواقب الزنى بعبارات لا لیس فيها. فإنّ المساحة المُعطاة لموضوع الزنى في السفر المُخصّص للحديث عن الحياة الحكيمة، تُظهر مدى حماقة هؤلاء الذين يُمارسون الزنى. وعليه، فإنّ الحكمة تتطلّب وفاءً بالعهد.

٥. (رومية ١٣: ٨-١٠)

لَا تَكُونُوا مَدْيُونِينَ لِأَحَدٍ بِشَيْءٍ إِلَّا بَأَنْ يُحِبَّ بَعْضُكُمْ بَعْضًا، لِأَنَّ مَنْ أَحَبَّ غَيْرَهُ فَقَدْ أَكْمَلَ النَّامُوسَ. «لَا تَزِنِ، لَا تَقْتُلِ، لَا تَسْرِقِ، لَا تَشْهَدْ بِالزُّورِ، لَا تَسْتَهْ» ، وَإِنْ كَانَتْ وَصِيَّةٌ أُخْرَى ، هِيَ مَجْمُوعَةٌ فِي هَذِهِ الْكَلِمَةِ: «أَنْ تُحِبَّ قَرِيْبَكَ كَنَفْسِكَ.» «الْحَبَّةُ لَا تَصْنَعُ شَرًّا لِلْقَرِيْبِ ، فَالْحَبَّةُ هِيَ تَكْمِيلُ النَّامُوسِ .

لاحظ كيف يقرُّ هذا النصُّ بأنّ الحبّة هي تكميل للنّاموس ، لذلك فإنّ الحبّة لا تسمح بالزنى . وهذا يعني أنّه إذا أحبّ أحدٌ ما شريك حياته ، فستضاءل احتماليّة

الوقوع في الزنى . ولكنّ الإغراءات في الحياة هي أمر حقيقي وواقعي ، وحقيقة الأمر أيضاً بأنّه لا يوجد أيُّ إنسان يستطيع أن يحبّ محبّة كاملة . ويستسلم النّاس أحياناً للخطيّة ويكون ذلك بعكس إرادتهم . يوجد أوقات نفشل فيها ببساطة بسبب ضعف الإرادة . ولكن إذا كنّا نملك محبّة كاملة ، فلن نخطئ بأي شكل من الأشكال . غالباً حين يقع النّاس في خطيّة الزنى ، وهم يبرّرون ذلك قائلين بأنهم يحبّون الشّخص الذي تربطهم به علاقة زنى . ولكنّ الله يقولُ خلاف ذلك ، إذا كنت تُحبُّ شخصاً حقاً ، فهذا الحبُّ سيمنعك

لا بدّ أن نحبّ
الأشخاص محبّة
كافية كي نهتمّ
بشرفهم وسمعتهم
إلى الأبد ، عوضاً
عن أن نهتمّ
برغباتنا وشهواتنا
الآنيّة .

من الزنى معه. المحبة لا تؤذي، وبما أن الزنى يؤدي كل شخص ينخرط فيه، فإن الزنى دليل على عدم وجود محبة حقيقية. كلما أحب الشخص أكثر، أصبحت إمكانية سقوطه في الزنى أقل. إن مصاد السموم الذي يهزم الزنى ليس هو عدم المبالاة تجاه الغرباء، وإنما محبتهم. وبالتأكيد، الخطر هنا هو أننا لا نحب محبة كاملة لذا فنحن عرضة للإغراءات والفشل. يجب علينا ألا نلخط بين المشاعر والمحبة المؤسسة على الكتاب المقدس. إذ تمنع المحبة المؤسسة على الكتاب المقدس السقوط ولا تسمح بحدوث الزنى. يتطلب العيش في عالم ساقط إدارة جميع العلاقات بحكمة، صلاح، فضيلة ومحبة. لا بد أن نحب الأشخاص محبة كافية كي نهتم بشرفهم وسمعتهم إلى الأبد، عوضاً عن أن نهتم برغباتنا وشهواتنا الآنية. هذا الاهتمام هو علامة على الحب الحقيقي.

الشهوة

يقوم العالم الغربي في الوقت الراهن بكل ما في وسعه للتحرير على الأفكار والمشاعر الشهوانية. يعرف مروجو الإعلانات كيف «يبيعون الجنس». وأصبح من السهل إيقاف أي صناعة ترفيهية مثل عرض مسرحي أو أفلام أو أغنيات لا تحتوي على قدر كاف من المواد الجنسية. ففي مثل هذا المجتمع، ستكون كلمات يسوع شديدة الأهمية: «قد سمعتم أنه قيل للقدماء: لا تزن. وأما أنا فأقول لكم: إن كل من ينظر إلى امرأة ليشتتها، فقد زنى بها في قلبه» (متى ٥: ٢٧-٢٨). في هذا المقطع مبدأ ضروري وأساسي: إذا لم تشته فلن ينتهي بك الأمر إلى ممارسة الزنى. فالشهوة هي الخطوة الأولى نحو الأفعال الجنسية.

إن أولئك الذين يمتلكون القدرة على ضبط النفس حينما تظهر مشاعر أو أفكار شهوانية، سيمتلكون أيضاً المزيد من القوة لتجنب الانجراف حينما تظهر الإغراءات الأكثر خطورة. لقد أخبرنا يسوع أن الخطية



مشاهدة الأشخاص لهذه المواد الإباحية، تدمر لديهم الصلة بين الإلتزام بالعلاقة والجنس تماماً

تبدأ في قلوبنا. فما يحدث في قلب وعقل المرء سيؤدي أو يقلل من إمكانية حدوث الأفعال الخارجية. حينما تظهر نجاسة جنسية في السلوكيات الخارجية، هذا ينم

عن وجود نجاسة جنسية في القلب والعقل. يبدو أن الأفكار الجنسية أمرٌ خاص، لكنها دائماً وأبداً تمتلك طريقة ما لإظهار نفسها من خلال التصرفات الخارجية. كما أن التظاهر بأنها أمرٌ خاص يُعدُّ وهماً بالتأكيد. يعلمُ الله دائماً ما نُفكرُ فيه، والأكثر من ذلك، الطريقة التي ستُفكرُ بها ستؤثر على طريقة معاملتك مع الآخرين وردود أفعالك تجاههم.

ليست المواد الإباحية ضرورية لتوليد الشهوة، فإنَّ الناس يشتهون من دون رؤية موادَّ إباحية. لقد صُمِّمت صناعة المواد الإباحية لغرض واحد، وهو جمع الأموال من خلال إثارة شهوات المستهلكين. تُعدُّ المواد الإباحية أمراً بغيضاً في عالمنا، إذ أنها تُجرِّد المشاركين فيها من إنسانيتهم. وينخرط أولئك الذين يعملون في المواد الإباحية في الخطيئة. ومشاهدة الأشخاص لهذه المواد الإباحية، تُدمر لديهم الصلة بين الإلتزام بالعلاقة والجنس تماماً. كما تُقلُّ من قيمة الأشخاص الذين يعملون في المواد الإباحية إلى حدِّ اعتبارهم

حين يعتاد
الناس على
الشهوة، فهذا
يغيّر نظرتهم
ورؤيتهم
للآخرين

مجرد صورة أو عرض لا أكثر، فهم يُعاملون أولئك الأشخاص بطريقة غير إنسانية. لا يُنظر إليهم باعتبارهم بشراً، بل يتحوَّلون إلى أجساد أو آلة لممارسة الجنس فقط. لا يعرف الشخص الذي يُشبع شهوة المشاهد، من سيكون المشاهد. من المفترض أنه يعرف أن شخصاً ما سيُشاهده، لكنه لا يعرف من أو متى أو كيف. فلا يوجد تبادل ولا عشرة ولا دفء ولا محبة. لا يوجد سوى الأنانية والاستغلال والتجسيد للإنسانية. فلا يمكن أن يكون الشخص الغريب الذي على شاشة الحاسوب شريكاً في التعبير الجنسي المبني على عهد.

إنَّ مشاهدة المواد الإباحية باستمرار تجعل الذهن مرتبطاً بصورة ذهنية معينة لها علاقة بالجنس. وتجعل العلاقة، التي ينبغي أن تقوم في الأصل على الوحدة، من كل شخص مُنزعلاً لا بل معزولاً بالكامل. فالجنس بالأساس يقوم على التواصل، لكن في المواد الإباحية لا وجود لهذا التواصل. فيتساوى لدى الناس الجنس بالمتعة الأنانية الفردية التي في المواد الإباحية. وفي محاولة تغذية المشاعر الجنسية من خلال هذه المواد الإباحية، فمن المؤكد أن هؤلاء الذين يشاهدون المواد الإباحية يعانون من سوء الشَّبَع الجنسي. وفي الواقع، دُمِّرت العديد من الزيجات بسبب

المواد الإباحية، وكثيرون من الذين تزوجوا وجدوا أنفسهم عاجزين بشدة وغير ناضجين عن التعبير الجنسي، إذ وقعوا في خداع المواد الإباحية. فحينما تُشكّل المواد الإباحية نظرة الناس إلى الجنس فهذا سيكون أمراً مدمراً. حين يعتاد الناس على الشهوة، فهذا يُغيّر نظرهم ورؤيتهم للآخرين. وفي الوقت الذي يُنظر فيه إلى الأشخاص باعتبارهم كائنات جنسية، فإن ذلك سيغيّر الطريقة التي يتحدثون بها، والنظرة التي ينظرون بها، وحتى اللمسة التي يلمسون بها بعضهم بعضاً. إنه لأمر مؤسف أن تعيش الفتيات والنساء في عالم غارق في المواد الإباحية عبر الإنترنت. ومن المؤسف أيضاً أن يعيش الفتيان والرجال في عالم أصبح فيه الحصول على الشيء المدمر مُتوقّراً دائماً ومتاحاً بسهولة. لذا، يتعيّن على المؤمنين مقاومة هذه الصناعة، كما يجب ألا يدعموها عن طريق عدم مشاهدة منتجاتها. إذا لم يجد صنّاع المواد الإباحية من يستهلك أو يشتري هذه المواد، فإن هذه الصناعة ستختفي تماماً. فإن المواد الإباحية تُنتج لأنها مربحة مادياً لهؤلاء الذين ينتجونها. وعليه، نحن بحاجة إلى سماع وإطاعة كلمات يسوع واقتلاع جميع الشهوات من قلوبنا.

تخيل أننا نعيش في عالم يحيا فيه الناس بحسب كلمات بولس لتيموثاوس:
 «لَا تَزُجِرْ شَيْخاً بَلْ عِظْهُ كَأَبٍ، وَالْأَخْدَاتِ كِأَخَوَاتٍ، وَالْعَجَائِزَ كَأُمَّهَاتٍ،
 وَالْحَدَثَاتِ كَأَخَوَاتٍ، بِكُلِّ طَهَارَةٍ» (١ تيموثاوس ٥: ١-٢).

تتسم الوصايا الموجهة إلى الفئة الأخيرة من النساء الأصغر سناً فيما يتعلق بالشهوة بالأهمية الكبيرة. فحين تعيش النساء بجانب الرجال، لا ينبغي أن يشعرن أنهن يُنظر إليهنّ باعتبارهنّ مجرد أدوات جنسية. يلزم على الرجال المؤمنين معاملة الشابات باعتبارهنّ أخوات في المسيح. ويمكنهم الاعتراف بأن أخواتهم جميلات وجذابات، لكن يجب ألا يشتهوهنّ ويضعوهن كأهداف جنسية. فمعاملة الشابات باعتبارهنّ أخوات سيجعلهنّ يشعرن بالمحبة والقيمة والاحترام والإكرام، وأنهنّ لسنّ مجرد أجساد نجسة. فلا بدّ من وجود طهارة جنسية مطلقة في هذه العلاقات. فالأخ الذي يُحبّ أخته دائماً ما يُعاملها باعتبارها شخصيّة مساوية له. وهي يجب أن تعرف ذلك وتشعر به، وتحسّ بالحماية والأمان في المجتمع لأنّ أباها في المسيح لن يؤذيها، وأنه يُحبّها وهي أخته له.

ويتعيّن على الأخت أيضاً أن تُحبّ أباها في المسيح، وتسعى لحماية قلب أخيها وعقله قدرَ ما تستطيع، فلا ترتدي ثياباً مُغرية أو تحاول أن تُوقّعه في الفخّ عن طريق التباهي بحياتها الجنسية. بل يُحافظ كلُّ منهما على الآخر آمناً.

المثليّة الجنسيّة^٢

تُعتبر الممارسات الجنسية المثليّة اليوم في عددٍ من بلدان العالم أمراً غيرَ قانونيٍّ. كما يمكن أن تُؤدّي المشاركة في الممارسات المثليّة إلى المساءلة القانونية في عددٍ قليلٍ من الأقطار. في حين أنّ الأفعال الجنسية المثليّة في العديد من الثقافات صارت قانونيّة، ولكنها لا تزال تُعتبرُ أمراً غيرَ أخلاقيٍّ. وفي المقابل، شهد العالمُ الغربيُّ تحولاً تاريخياً في نظريته نحو الممارسات الجنسية المثليّة. ففي كندا، كانت الممارسات الجنسية المثليّة غيرَ قانونيّة حتى نهاية القرن العشرين بقليل. وبعد بضع سنوات، أعطت كندا الأزواج المثليين الحقّ في الزواج قانونياً. لدى الكثير من المُدن حول العالم، الكبيرة منها والصغيرة على حدّ سواء، مناسباتٌ سنويّة يُقيم فيها المثليون إحتفالات كبيرة في الشوارع. إذ يوجد العديد من الأشياء التي تقوم بها بعض المجتمعات من أجل تمرير العلاقات المثليّة وقبولها.

وعليه، فنحن نعيش في عالم تُرحّب فيه بعض الدّول بالمثليين، بينما في بعض الدّول الأخرى يُطبّق عليهم حكمُ الإعدام. لكن يوجد بعض المبادئ التي يحتاج جميع المؤمنين إلى فهمها وتطبيقها حينما يقاربون موضوع الجنسية المثليّة والأخلاق. فعلياً أن ندرك كمؤمنين بأنّ هذه القضية ستنظر إليها من خلال الكتاب المقدّس ووضعنا الثقافي. ففي بعض الأماكن، تُقبلُ نظرة الكتاب المقدّس للممارسات المثليّة على نطاق واسع في المجتمع، ولكن في أماكن أخرى يتمّ رفضها.

ماذا يقول الكتاب المقدّس عن هذا الموضوع؟ يتطلّب هذا الأمر وبشكلٍ أساسيٍّ أن نقوم بتفسير صحيح لما يقوله الكتاب المقدّس. يكشف العهد القديم عن نظرة الله للممارسات الجنسية المثليّة، حيث لم يوجد هناك أيُّ أمّة على الأرض خاضعة

٢ تُعدّ واحدة من الصّعوبات في كتابة هذا الجزء هي اختيار الكلمات المناسبة بدقّة. ففي أميركا الشماليّة، من الشائع الإشارة إلى المجتمع الميم "LGBTQ" (مجتمع الميم هو اصطلاح يُشير إلى الشخص مثلي الجنس، مزدوج التوجّه الجنسي، متحوّل جنسياً، مُغاير الهوية الجنسية، متحير بشأن هويته الجنسية). ولكن بعض الناس يجدون أنّ هذا المصطلح محدود للغاية، وهم يربدون إدراج أنواع أخرى من الهويّات الجنسية. والنتيجة هي أنّ المفردات المقبولة دائماً ما تتغيّر. وبالنظر إلى هذا الكتاب الذي كتب لجمهور من مختلف البلدان، قرّرنا استخدام أبسط المفردات الممكنة. وما لم يدل السياق على خلاف ذلك، فإنّ مصطلح "مثلي جنسياً" سيتضمّن كل شخص يجذب إلى شخص من جنسه نفسه. وببساطة، لا توجد مفردات موحّدة نفهم في كل ثقافة ولغة. نحن نعي هذا الأمر، ولكننا نتق بأنّ المعاني ستكون واضحة.

لحكومة دينية مثل إسرائيل القديمة. فإذا لم نرفض سلطة كلمة الله، سنرى أن هذه الكلمة نفسها تُعلن التطور التدريجي لهذه القضية عبر الزمان. كان عهد الله مع إسرائيل (بحكمها الديني) عهداً وطنياً وقانونياً، وهذا الأمر لا ينطبق على العهد الجديد. يستطيع المؤمنون التمسك في العهد الجديد اليوم بالحق القائل بأن الممارسات الجنسية المثلية غير أخلاقية، لكنهم يرفضون في الوقت نفسه العقوبات القانونية التي تكلم عنها العهد القديم لمثل هذا السلوك، والتي كانت تُنفذ بواسطة الحكومة والنظام القانوني لدولة إسرائيل قديماً. كما أن عدم احترام يوم السبت قديماً كان يؤدي إلى عقوبة الموت. فرغم ذلك، لا يوجد اليوم بين مؤمني العهد الجديد من يعتقد بأنه يجب أن تفرض هذه الوصية على أي من الأمم اليوم في العالم. ورغم ذلك، فإن التفسير الموحد لفهم ما يجب على الكنيسة المسيحية أن تفعله عبر تاريخها، هو أن كلا العهدين القديم والجديد واضح بشأن رفض الله للممارسات الجنسية للأخلاقية. وفي الواقع، عبر تاريخ التفسير اليهودي والمسيحي، نجد أنه من الغريب جداً طرح هذه القضية، لأن النصوص التي تتناول هذا الموضوع واضحة للغاية. حتى أن غير المؤمنين يدركون أن الكتاب المقدس لا يوافق على الممارسات الجنسية المثلية. سنقدم مجموعة مختارة من النصوص الكتابية مع بعض من التعليقات ومن ثم في نهاية هذه الجزئية، سنضيف بعض الأمور التي يتعين أخذها بعين الاعتبار.

إن تصميم
الله الأصلي
هو الارتباط
للأزواج
المغايرين جنسياً
مثلما
يظهر في جسد
الذكر والأنثى

١. (تكوين ١-٢)

خلق الله الجنس البشري ليتكون من ذكور وإناث، حيث خلق آدم وحواء ودخلا في علاقة زوجية جنسية. فطبيعة العلاقة الجنسية بين رجل وامرأة تؤكد وجود وظيفة بيولوجية وتناسب تشريحي مع الجنس المغاير، وهذا غير ممكن في العلاقات الجنسية المثلية. وعلى الرغم من أن النص لا يتحدث عن الجنسية المثلية، فإن تصميم الله الأصلي هو الارتباط للأزواج المغايرين جنسياً، مثلما يظهر في جسد الذكر والأنثى.

٢. (تكوين ١٩)

دائماً ما يُذكر في التاريخ أن السبب الجزئي في تدمير سدوم وعمورة، يعود إلى الحقيقة بأن سبب قضاء الله عليها هو السلوكيات الجنسية المثلية. بلى، إن خطايا سدوم وعمورة تتضمن أكثر من مجرد سلوكيات جنسية شاذة، لكن لا يمكننا تجاهل الممارسات المثلية في المعادلة. ففي اللغة الإنجليزية معنى كلمة لوطي تُعد دليلاً لغوياً على كيفية تفسير الفصل (١٩) من سفر التكوين على مر التاريخ. وهناك كثيرون اليوم يحاولون مراجعة التفسير التاريخي وجعل جانب الشذوذ الجنسي غير متصل بموضوع قضاء الله عليهم، لكن حُججهم ببساطة لا تتناول تفاصيل النص.

٣. (اللاويين ١٨: ٢٢) أنظر أيضاً (اللاويين ٢٠: ١٣)

«وَلَا تَضَاجِعْ ذَكَرًا مُضَاجَعَةَ امْرَأَةٍ. إِنَّهُ رِجْسٌ.»

يُعد هذا التحريم لهذا الفعل اللاأخلاقي واضحاً في الكتاب. تُعتبر الممارسات الجنسية المثلية مُحَرَّمَةً في شريعة الله. وهي أمرٌ بغيض (أو نجس) في نظر الله. ومن الجدير ذكره بأن الشريعة حرمت أيضاً الممارسات الجنسية مع مُغايري الجنس. كما أن الغالبية العظمى من الخطايا الجنسية في عالمنا تأتي من المنجذبين إلى الجنس الآخر أكثر من الأشخاص المثليين، ولكنها أيضاً بغيضة في عيني الله.

٤. (رومية ١: ٢٦-٢٧)

لِذَلِكَ أَسَلَمَهُمُ اللَّهُ إِلَى أَهْوَاءِ الْهَوَانِ، لِأَنَّ إِيَّانَهُمْ اسْتَبَدَّلْنَ الاسْتِعْمَالَ الطَّبِيعِيَّ بِالَّذِي عَلَى خِلَافِ الطَّبِيعَةِ، وَكَذَلِكَ الذُّكُورُ أَيْضاً تَارِكِينَ اسْتِعْمَالَ الْأُنْثَى الطَّبِيعِيَّ، اسْتَعَلُوا بِسَهْوَتِهِمْ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ، فَاعْلَيْنِ الْفَحْشَاءَ ذُكُوراً بِذُكُورٍ، وَنَائِلِينَ فِي أَنْفُسِهِمْ جَزَاءً ضَلَالِهِمِ الْحَقِّ.

على الرغم من محاولة تفسير هذا النص بطريقة مؤيدة للأفعال الجنسية المثلية، فإن جميع هذه الجهود باءت بالفشل. يُعَلِن هذا النص بوضوح أن أعمال المثليين والمثليات هي أعمال غير طبيعية وخطئة. فيجب قراءة باقي

تتبع كل خطية من مشكلة القلب الخاطيء.

المقطع من (رومية ١: ١٨ - ٣٢) في هذا السباق لتبيان الصورة الكاملة. فهنا يؤكد بولس بوضوح أن الأعمال الجنسية الشاذة ليست هي الأعمال الجنسية الوحيدة التي يعتبرها الله خطيئة. فضلاً عن ذلك، يوضح بولس أيضاً أن كل خطية تتبع من المصدر نفسه الا وهو القلب الخاطيء الذي يرفض معرفة الله من خلال البر. وأيضاً، ينبع الانخراط في نشاط جنسي مثلي من قلب خاطيء مثله مثل الانخراط في نشاط جنسي مع شخص مغاير الجنس، أو حتى خطايا النعمة أو الكبرياء أو الفشل في المحبة، كلها تتبع من مشكلة القلب الخاطيء.

٥. (تيموثاوس ١: ٨ - ١١)

وَلَكِنَّا نَعْلَمُ أَنَّ النَّامُوسَ صَالِحٌ، إِنْ كَانَ أَحَدٌ يَسْتَعْمَلُهُ نَامُوسِيًّا. عَلِمًا هَذَا: أَنَّ النَّامُوسَ لَمْ يُوضَعِ لِلْبَارِّ، بَلْ لِلْأَثَمَةِ وَالْمُتَمَرِّدِينَ، لِلْفَجَّارِ وَالْخَطَاةِ، لِلدَّسِيسِ وَالسُّنْبِيحِينَ، لِقَاتِلِي الْآبَاءِ وَقَاتِلِي الْأُمَّهَاتِ، لِقَاتِلِي النَّاسِ، لِلزَّنَاةِ، لِمُضَاجِعِي الذُّكُورِ، لِسَارِقِي النَّاسِ، لِلْكَذَّابِينَ، لِلْحَانِثِينَ، وَإِنْ كَانَ شَيْءٌ آخَرَ يُقَاوِمُ التَّعْلِيمَ الصَّحِيحَ، حَسَبَ إِنْجِيلِ مَجْدِ اللَّهِ الْمُبَارَكِ الَّذِي أَوْثَمْتُ أَنَا عَلَيْهِ.

تتضمن هذه القائمة أعلاه الممارسات المثلية الجنسية، والنص يوضح أن كل ما ذكر في هذه القائمة هو شر في نظر الله. لاحظ مرة أخرى أن هذه القائمة ليست شاملة بالتفصيل، إذ يضيف بولس أن أي شيء لا يتوافق مع المسيح فهو شر. فقد لا تكون خطية الشخص بسبب سقوطه في ممارسة الشذوذ الجنسي، لكن بإرتكابه أي خطية لا تجعله بريئاً في نظر الله.

٦. (اكورنثوس ٦: ٩ - ١١)

أَمْ لَسْتُمْ تَعْلَمُونَ أَنَّ الظَّالِمِينَ لَا يَرِثُونَ مَلَكُوتَ اللَّهِ؟ لَا تَضَلُّوا: لَا زِنَاةٌ وَلَا عِبْدَةُ أَوْثَانٍ وَلَا فَاسِقُونَ وَلَا مَأْبُوثُونَ وَلَا مُضَاجِعُو ذُكُورٍ، وَلَا سَارِقُونَ وَلَا طَمَّاعُونَ وَلَا سَكِيرُونَ وَلَا سَتَامُونَ وَلَا خَاطِفُونَ يَرِثُونَ مَلَكُوتَ اللَّهِ.

وَهَكَذَا كَانَ أَنَا مِنْكُمْ. لَكِنْ اغْتَسَلْتُمْ، بَلْ تَقَدَّسْتُمْ، بَلْ تَبَرَّرْتُمْ بِاسْمِ الرَّبِّ
يَسُوعَ وَبِرُوحِ الْهِنَا.

يُعَدُّ النَّصُّ واضحاً، ولا يوجد أدنى لبس في إدراج (مضاجعو الذكور) في قائمة الخطاة (الذي يضعهم مرة أخرى في السفينة نفسها مع هؤلاء الذين يمارسون الأفعال للأخلاقية مع مغايري الجنس). تُرجمت عبارة (مُضاجعو الذكور) التي استخدمها بولس من اللغة اليونانية، حيث استعملها بولس لكي تشير إلى الشريك الفاعل أو المفعول به على السواء في النشاط الجنسي المثلي. فكلا الشريكين يعتبر مذنباً.

لكن هذا النص هام جداً لأنه يتناول أيضاً كيفية تعامل المؤمنين مع مثليي الجنس. لم يخش بولس من وصف الخطية بكونها خاطئة جداً. فهو يتكلم بالحق ولكن بكل محبة. ورغم ذلك، فهو يقول أيضاً أن بعضاً من الكورنثيين كانوا يُحسبون في الماضي ضمن أعضاء تلك القائمة. ولكنهم بنعمة الله تابوا وتحولوا بعيداً عن خطاياهم ولم يعودوا إلى ممارستها. فلم يعد يُطلق عليهم التعريف نفسه الذي كان يُطلق في الماضي، لأنهم اغتسلوا وأصبحوا أطهاراً وقادرين على الدخول في جماعة العهد الجديد. وبما أنهم تقدسوا أيضاً، فقد أصبحوا قديسين ووضِعوا في خانة القديسين، وبذلك صاروا مكرّسين دائماً لله الذي هو (قدوس، قدوس، قدوس). وبما أنهم أيضاً تبرّروا، أعلنت براءتهم في عيني الله وكُفّر عن آثامهم وأزيلت خطاياهم في المسيح الذي أخذ عقوبتهم ومات عوضاً عنهم. أصبح الآن هؤلاء المثليون، سابقاً، خليفة جديدةً وقديسين ومقبولين عند الله، وذلك من خلال المسيح بواسطة الروح القدس. لقد أصبحوا جزءاً من جسد المسيح. ففي المسيح، يُعدُّ المثليون والمثليات للذين نالوا الفداء إخوة وأخوات. ومثلاً يتعين علينا أن نحبّ الضالين بصرف النظر عن خطاياهم السالفة، يُلزم علينا أن نحبّ أولئك الذين ينخرطون في سلوكيات وممارسات مع أفراد من الجنس ذاته. لقد أحبهم المسيح وسفك دمّه من أجلهم. وبالتالي، بما أن المثليين نالوا الخلاص بغسل دم المسيح فالمسيح إذاً أحبّ الضالين من المثليين وكذلك الضالين من مغايري الجنس. وعليه، لا يمكننا كأعضاء في جسد المسيح أن نفعل أقل من ذلك من جهة محبتهم.

أفكار إضافية

ما هي العلاقة بين التوجُّه الجنسي والاستعداد الوراثي للانجذاب إلى الجنس ذاته؟ يُجادل الكثيرون اليوم بقولهم أنَّ المثليين يجب أن يكونوا قادرين على الانخراط في أعمال جنسية مثلية بحرية، لأنهم ولدوا بجاذبية جنسية طبيعية للجنس نفسه. قبل أي شيء، نحن بحاجة إلى رفض الموقف الذي تبناه بعض المؤمنین، والقائل بأن الأشخاص الذين لديهم ميول جنسية للجنس ذاته دائماً ما يتخذون الخيار الأسهل ليكونوا مثليين. هذا الموقف خاطئ. ورغم ذلك، لا يوجد دليل علمي قوي يدعم الرأي القائل بأن المثليين يولدون بهذا التوجُّه الجنسي للانجذاب إلى الجنس ذاته المتأصل في حمضهم النووي DNA بل يوجد مجموعة من الاستدلالات الاجتماعية تشير إلى أنَّ العوامل البيئية تساهم في انجذاب الشخص إلى شخص آخر من نفس جنسه. ومع ذلك، فإن كل هذه الادعاءات (لكل من الوراثة والبيئة) يتم الاعتراض عليها. ربّما يكون الموقف غير المثير للجدل الذي يمكن اتخاذه في هذا المجال هو القول بأنه: ربّما يمتلك بعض الأشخاص استعداداً وراثياً للانجذاب إلى الأشخاص من الجنس نفسه، التي قد تنشأ بسبب عوامل بيئية معينة. لاحظ كلمة (ربّما) و (قد) في الجملة السابقة. وعليه، يجب جمع المزيد من المعلومات، ويلزم تحليلها بعناية شديدة بعيداً عن الأجندات السياسية.

لا يمكن إضافة أي شيء على الرأي المتعلق بالأخلاق والممارسات الجنسية المثلية. ففي حقيقة الأمر، يمكننا الذهاب أبعد من ذلك في استماعنا إلى الرأي القائل بأن: ترتبط الميول الجنسية المثلية بالجينات الوراثية عند الشخص، وأن هؤلاء الأشخاص مُقدّر لهم وراثياً الانجذاب إلى أشخاص من الجنس نفسه. هل هذه الحقيقة تُبرّر التورط في ممارسات جنسية مثلية؟ بالطبع لا. فإن الغالبية العظمى من الناس حول العالم لديهم ميول جنسية مُغايرة (وهم لم يختاروا ذلك أيضاً). لكن هل هذا يعني أنه يمكن للناس المشاركة في أي نشاط جنسي يريدونه؟ بالتأكيد لا. إن الكتاب المقدس واضح تماماً في هذه النقطة إذ حرم العهارة تماماً. إذا كان هناك امرأة مُتزوِّجة لديها ميول لعلاقة جنسية مع شخص آخر غير زوجها، هل يمكن تبرير هذا الزنى على أساس أنها وُلدت ولديها ميول جنسية مُغايرة؟ لقد حرم يسوع الشهوة بشكل قاطع. فيجب علينا أن نتحكّم في أجسادنا، وهذا يتضمّن أيضاً التحكّم في أذهاننا، وليس في أعضائنا الجنسية وحسب. وهناك أيضاً

فإذا كان
الأشخاص غير
متزوّجين، فإن
الله يتوقّع منهم
الإمتناع عن
الممارسات الجنسية
مهما كانت وجهة
رغبتهم سواء
للجنس المغاير أو
للجنس عينه.

الكثير من المؤمنين الذين لديهم رغبات جنسيّة صحيّة وطبيعيّة، ولديهم أيضاً ميول جنسيّة قويّة، لكنهم غير متزوّجين، وبالتالي لا يمكنهم الدخول في نشاط جنسيّ من دون الخروج عن شريعة الله. فما الذي يجب عليهم القيام به إذا؟ يجب أن يكونوا مخلصين لله ويتدربوا على ضبط النفس. لذا، فإنّ غير المتزوّجين الذين لديهم ميول جنسيّة مُغايرة ليسوا أكثر قدرة على الحفاظ على أنفسهم من الدخول في ممارسات جنسيّة غير مقدّسة أكثر من المثليين.

فالأعراض الذي قد ينشأ هو أنّ الشخّص المُشتهي للجنس الآخر يمكنه أن يتزوَّج. وعلى الرُغم من صحّة هذا الاعتراض بشكل عامّ، إلّا أنّنا نجد أنّ بعض المؤمنين غير المتزوّجين وبعض المؤمنين الذين لن يتزوَّجوا قاموا بذلك

بقرار من ذاتهم، وبذلك سيتعيّن عليهم الامتناع عن ممارسة الجنس مدى الحياة. وفي الواقع، يوجد عددٌ أكبر بكثير من المؤمنين العازبين الذين لديهم ميول مُغايرة جنسيّاً قويّة من عدد المؤمنين المُفدّيين الذين يصارعون ضدّ الانجذاب الجنسيّ المثليّ، ويُتوقّع من كليهما الامتناع عن الممارسة الجنسيّة. فإذا كان الأشخاص غير متزوّجين، فإنّ الله يتوقّع منهم الامتناع عن الممارسات الجنسيّة مهما كانت وجهة رغبتهم سواء للجنس المغاير أو للجنس عينه. يُعدّ الانجذاب نحو العلاقة الجنسيّة ليس بخطيّة في حدّ ذاته. فقد جرّب الشيطان يسوع، لكنّه لم يستسلم للخطيّة. لا بدّ أن يُجرّب الأشخاص من مُغايري الجنس أو من المثليين لكن هذه التجربة بذاتها لا تعني أنّهم وقعوا في الخطيّة.

إنّ جزءاً من مشكلتنا في العالم الغربيّ هو نظرنا المُشوّهة لطبيعة الجنس وأهميّته. وفي الثقافة المسيحيّة، نحن نميل أيضاً إلى امتلاك نظرة مُشوّهة لطبيعة الزّواج وأهميّته (أنظر الفصل الخاصّ بأخلاقيات الأسرة). وللأسف، يؤمن العديد من الأشخاص في مجتمعنا بأنّ الحياة بدون سلوك جنسيّ نشيط يمكن أن تكون غير مُرضية للرّب. لكنّ هذا المنظور خاطئٌ تماماً. فيسوع نفسه كان

إن الكنيسة
هي المكان
الذي يشعر فيه
الناس، الذين
يريدون إكرام
الله، بالحب
عوضاً عن
روح الإدانة.

غير مُنزَوِّج وعازب. فيمكن أن تكون العزوبية عطية عظيمة من نعمة الله. حتى أن هؤلاء الذين سينتروجون يوماً ما هم بحاجة إلى ممارسة ضبط النفس، والامتناع الجنسي لسنوات ما قبل الزواج. فالكنيسة تحتاج إلى توصيل رسالة قوية ومُضادّة للأعراف الاجتماعية السائدة، وبأن تحافظ قولاً وفعلاً على حقيقة أن الجنس هو عطية من عطايا الله وليس أسماها. فيمكن أن تكون الحياة بلا جنس مرضية تماماً. ورغم كل شيء، فإن رحمة الله أفضل من الحياة (مزمور ٦٣: ٣). وللأسف، توجد حقيقة اكتشفها كثيرون وهي أن العديد ممن لديهم

الكثير من التجارب الجنسية يشعرون بوحدة وعدم الرضا.

إن الكنيسة هي المكان الذي يشعر فيه الناس، الذين يريدون إكرام الله، بالحب عوضاً عن روح الإدانة. فهناك العديد من المؤمنين الذين مارسوا الشذوذ الجنسي قبل نوال نعمة الخلاص. فهؤلاء الأشخاص الذين اختبروا الخلاص قد يجدون أنفسهم منجذبين جنسياً إلى آخرين من الجنس نفسه (تماماً مثل الشخص الذمّن على المواد الإباحية الذي يجذب إلى مُغاير الجنس، بعيد نواله الخلاص يظل يُصارع مع تلك الإغراءات). إن امتلاك ميول جنسية مثلية لا يمكن أن تحرم أحداً ما من نعمة الله الخلاصية. فيتعيّن ألا تكون الكنيسة مكاناً يشعر فيه أي فرد بالخجل أو الصغر على أساس ميوله. فنحن نعرف أشخاصاً يُصارعون مع الانجذاب الجنسي المثلي طيلة حياتهم، وهم ليسوا بحاجة بأن يجعلهم الآخرون يشعرون بالذنب أو الخجل، بل تحتاج الكنيسة إلى تزويدهم بالعطف والشفقة والمحبة، وخاصة أولئك الذين يختبرون هذا النوع من الصراع.

نعود مرة أخرى إلى الفكرة المشتركة بين فصول هذا الكتاب ألا وهي أن الجميع يحتاجون إلى المحبة والشعور بالانتماء إلى جماعة ما. ففي المقابل، لا يُعدّ الجنس هو الشيء الوحيد الذي يحتاج إليه كل إنسان. فهل يُعتبر ضبط النفس والامتناع الجنسي أمراً يسيراً؟ يمكنك الإجابة عن هذا السؤال عن نفسك. لكن المحبة هي الشيء الأكثر أهمية على الإطلاق. فمن المحزن أن الكثير من الممارسات الجنسية في عالمنا اليوم أصبحت مثلية تماماً بالأنانية وعدم المحبة. هل ممارسة النشاط

الجنسي بين شخصين من جنسين مختلفين، حيث يُسيء أحد الطرفين إلى الآخر عن سابق تصور وإصرار ويتخلص منه في الصباح التالي، أقل إدانة في نظر الله من الاتصال الجنسي المثلي بين شخصين صديقين استسلما للإغراء في لحظة ضعف؟ طرح هذا السؤال لا يبرر ممارسة الجنسية المثلية، ولكنه يعطي أهمية للعلاقة التي تسودها المشاعر والاهتمام، فضلاً عن التركيز على الممارسة في حد ذاتها. فمن الجائز بدرجة كبيرة أن تكون الممارسات الجنسية مع الجنس المغاير أسوأ من الممارسات الجنسية المثلية، وبخاصة حين يكون بين الطرفين حقد أو أنانية أو نقص في المحبة أو حتى كراهية. فالجنس بالتأكيد ليس هو المخلص، فمخلصنا لم يختبر الجنس قط بل قدم لنا شيئاً أعظم، ألا وهو المحبة.

العاهرة والعبودية الجنسية

حين ننظر إلى الأخلاق الجنسية الكتابية عموماً، يصبح من المستحيل منطقياً تبرير العاهرة. يُصرخ بولس بقوة: «أأخذ أعضاء المسيح وأجعلها أعضاء زانية؟ حاشاً!» (١ كورنثوس ٦: ١٥). إن استنجار غانية أمرٌ مُسيء. ليس الممارسة



تعتبر العبودية الجنسية واحدة من قضايا العدالة الاجتماعية الرئيسية في عصرنا.

الجنسية التي تتم في العاهرة هي التي تُعدّ خطية وحسب، بل كل الإطار الذي يحدث فيه ذلك. تختزل العاهرة إلى مجرد كونها جسد، والعاهرات بالتأكيد لا يُقدّم لهنّ الاحترام لكونهنّ بشر، إذ يُجرّدن من إنسانيتهم وتقلّ قيمة أجسادهنّ، ولا يتمّ التفكير إلا فيما يمكن أن تفعله أجسادهنّ لإشباع العميل. ولا يمكن إنكار حقيقة أنّ الغانيات في كثير من الأحيان يهربن من هذه الأوضاع البذيئة (وكثيراً ما يتعرّضن للإيذاء الجنسي مثل الأطفال)، ممّا يجعلهنّ في معظم الأحوال، يتجهنّ إلى

شرب الكحول والمخدرات لتخدير مشاعرهنّ. من المفترض أنّ الجنس يزيد من المشاعر، لكنه في الحقيقة يُميت قلب الغانية. كثيرات ممن يلجأن إلى العاهرة يفعلن ذلك بدافع اليأس الشديد. لذا، تحتاج الكنيسة إلى تقديم الرجاء لهنّ. إذا لم تبحث الكنيسة عن الشخص الذي يختبئ في العاهرة، من سيقوم بذلك؟ يمكن أن

يحصل الغايات على الأموال من ممارسة الجنس، ولكن من أين سيحصل على الحب الحقيقي؟

والأسوأ من ذلك، أن عددًا كبيراً من الغايات هنّ من العبيد، إمّا بصفة رسمية أو غير رسمية. في جميع أنحاء العالم، يجب محاربة العصابات التي تعمل في العهارة عن طريق التخويف والمخدرات والعنف والاعتصاب والقتل. حيث يصعب حساب التكلفة البشرية لهذه الممارسة. وقد تأسست إرساليات ومنظمات مسيحية للتصدّي لهذا الواقع، لكن لديها الكثير والكثير لتقوم به. تُعتبر العبودية الجنسية واحدة من قضايا العدالة الاجتماعية الرئيسية في عصرنا. ولا يمكن للمؤمنين تجاهلها، ويجب على الكنائس الثرية ألاّ تخزن مواردها. فنحن نشكر الله لأجل كنيستنا الوطنية التي أقامت شراكة مع المنظمات للمساعدة في مكافحة العبودية الجنسية للأطفال في الفيليبين، من خلال محاكمة البالغين المذنبين وإنقاذ الأطفال الضحايا وإعادة تأهيلهم. تكون مساهمتنا بمثابة قطرة في المحيط، لكنّها

أفضل من لا شيء. إذا استطعنا إنقاذ حياة واحدة من هذا الكابوس فإنه أمرٌ يستحقّ العناء. تُعتبر عهارة البالغين أمراً سيئاً بما فيه الكفاية، ولكن حين يضطر الأطفال إلى القيام بنشاطات جنسية لجلب الأموال لذويهم البالغين، نكون بذلك وصلنا إلى قمة الفساد، كما أن وجود سوق لمثل هذه الممارسات يُعدُّ أمراً بغيضاً، إذ إنّ دفع الأموال لاستخدام الأطفال في إشباع الرغبات الجنسية شراً لا يمكن وصفه.^٣

لا يحتاج ضحايا العهارة، إن كانوا أطفالاً أو بالغين على حدّ سواء، إلى الانقاذ من هذه التجارة وحسب بل إلى المشورة والرعاية. فهم

بحاجة إلى الأموال والمساعدة وإلى التعليم والرجاء والمحبة. فحقيقة أن جميع المأسورين في هذه التجارة لم يختبروا الحب قطّ هو أمرٌ مؤسف. فلا يحدث شيء في حياتهم سوى الاستخدام والاستغلال وإساءة المعاملة والتجريد من الإنسانية.

٣ يجب الاعتراف بأنّه في بعض الأماكن يكون الدافع لعهارة الأطفال ممارسات دينية. على الرغم من أنه أمر غير قانوني، إلا أنه في الهند الديفاداسيون هم الأطفال المتزوجون من آلهة العبيد. والعايدون يخرطون في ممارسات جنسية دينية معهم. لذا، يلزم على المؤمنين التصدي لجميع هذه الممارسات، وأن يصرّوا قدر الإمكان على تطبيق القوانين لحماية الضحايا ومقاضاة الجناة.

... يجب أن
تكون مكافحة
الاستغلال الجنسي
للأطفال الأبرياء
على قائمة
أولويات المشاركة
الأخلاقية للكنيسة
في العالم اليوم.

وعليه، فهم يحتاجون إلى محبة المسيح، وهذه المحبة لن تصلهم إلا عن طريق الكنيسة. وعلى غرار مكافحة تشويه الأعضاء التناسلية للإناث، يجب أن تكون مكافحة العبودية الجنسية والاستغلال الجنسي للأطفال الأبرياء على قائمة أولويات المشاركة الأخلاقية للكنيسة في العالم اليوم.

الخاتمة

كتبتُ العديد من الكتب حول جميع الموضوعات التي تناولها هذا الفصل. يحتاج المؤمنون إلى إدراك أن الأخلاق الكتابية المتعلقة بالجنس تُعلن أن الجنس عطية صالحة ونقية حين يكون في إطاره الصحيح. لكن كثيراً ما يساء استخدام الجنس وتشويهه، مما يؤدي إلى نتائج مؤلمة. ينغمس العالم في جميع أنواع الممارسات الجنسية اللاأخلاقية، لذا يلزم على المؤمنين التصدي لذلك. لكن هذا لن يحدث عن طريق الإدانة وحسب، بل عن طريق الحب الحقيقي. ففي العالم الذي أصبح فيه الجنس أكثر أهمية من العلاقات، والرغبات الحيوانية أكثر أهمية من كرامة الإنسان المخلوق على صورة الله، ينبغي على كنيسة المسيح أن تكون نوراً ساطعاً من أجل حياة أفضل. فالإنسان لم يكن قط مجرد هدف جنسي، كما أن الجنس ليس هو أفضل خير أو عطية. حين نحب الناس الآخرين حقاً، فلن نقوم باحتقارهم أو بمعاملتهم بأنانية. فبسبب قصورنا وخطيئتنا، لا يمكننا أن نكون كاملين في أي دائرة من دوائر حياتنا، بما في ذلك حياتنا الجنسية. ونتيجة لذلك، علينا التحلي بالرحمة والرأفة والشفقة حيال أولئك الذين يقعون في الإغراءات والخطايا الجنسية. وعلينا توجيههم إلى الغفران والشفاء والمحبة التي في المسيح. وبنعمة الله، سنحفظ أنفسنا من الممارسات الجنسية اللاأخلاقية وسنبقى أُنقياء جنسياً وننق في دم المسيح الذي فدانا. إن كان أحد في المسيح فهو جزء من الخليقة الجديدة. وبناءً على ما سبق، فيسوع هو الشخص الوحيد الذي لن يُسيء معاملتنا على الإطلاق، ولن يستغلنا أبداً، ولن يُجرّدنا من صفاتنا الإنسانية مطلقاً، ولن يختزلنا أبداً في مجرد كوننا جسد. الله محبة.

أسئلة للتفكير:

١. ما هي نظرة مجتمعك إلى الجنسية المثلية؟ وكيف تعكس هذه النظرة وجهة النظر الكتابية، وبأي طريقة تجد أنها تنحرف عن الكتاب المقدس؟
٢. هل تمتلك كنيستك فرصاً عملية لتساعد بائعات الهوى أو الذين تحت العبودية الجنسية (سواء في مدينتك أو في الخارج)؟ إذا كان الأمر كذلك، ما الذي يمكنكم القيام به؟
٣. وبالنظر إلى الكسور في حياتنا الجنسية، كيف يمكن للكنيسة أن تجلب الشفاء لهؤلاء الذين يرتكبون الخطايا الجنسية؟
٤. ما هو الموضوع الكتابي واللاهوتي الذي يمكنك أن تقدمه من أجل فهم أفضل لموضوع الجنس في سياقه الصحيح؟



الإجهاض

على الرغم من اختلاف الإحصائيات يمكننا القول، وبكل تحفظ، بأنه تُجرى سنوياً ما بين ٤٠ إلى ٥٠ مليون عملية إجهاض في جميع أنحاء العالم. وللتوضيح، إن تقديرات العدد الإجمالي للوفيات الناجمة عن الحرب العالمية الثانية تتراوح ما بين ٥٠ إلى ٨٠ مليون نسمة، إذ استمرت الحرب العالمية لست سنوات. ممّا يعني أنه كلّ ست سنوات، تحدث وفيات بسبب الإجهاض أكثر من أربعة إلى ستة أضعاف تقريباً من إجمالي عدد الوفيات الناجمة عن أكثر الحروب دموية في التاريخ البشري. فمن الناحية الحسابية، قد نجد أنه في فترة ست سنوات يُجرى ٣٠٠ مليون عملية إجهاض في عالمنا. وبما أنّ هؤلاء الأطفال الذين أجهضوا هم بشر، فهذا يمثل خسارة في الأرواح لا يمكن تصوّرها. انتهت الحرب العالمية، وتوقّف القتال، لكنّ الإجهاض مستمرّ سنة تلو الأخرى. تُعدّ الأمور المتعلقة بالحياة والموت على قدر كبير من الأهمية، فلذلك من الضروري أن يأخذ المؤمنون قضية الإجهاض بجدية بالغة. كما أنّنا بحاجة إلى أن نُصلي لأجل هذه القضية، ونفكر فيها، وننبئ أيضاً موقفاً حاسماً حيالها.

إنَّ عمليَّات الإِجهاض لا تُجرى للأسباب والرغبات والدوافع نفسها. فبعض الحكومات فرضت قيوداً على حجم عدد أفراد الأسرة، ولذلك تُصبح النساء الحوامل عُرضة للعقوبات الكبيرة. وثمة حُجَّة رئيسة للإِجهاض في أميركا الشماليَّة تتمثل في أنَّ النساء يتمتَّعن بحريَّة واستقلاليَّة كاملة في أن تُقررن الانخراط في ممارسات جنسيَّة، أو السَّعي وراء وظيفة معيَّنة أو القيام بأيِّ شيءٍ آخر ترغب فيه دون تغيير خطِّها بسبب حمل أو احتمال مجيء طفل غير مرغوب فيه. وبالتالي، أولئك الذين يؤيدون الإِجهاض في أميركا الشماليَّة يُطلقون على أنفسهم «حركة حقوق الإِجهاض» أو أنهم (يدعمون حقوق المرأة في الاختيار) سواء كانت تريد الاحتفاظ بالطفل الذي تحمله في أحشائها أم لا. في حين نجد عدداً كبيراً من النساء في البلدان النامية يخضعن لعمليَّات الإِجهاض لأنَّهنَّ يشعرن بأنَّهن في وضع اقتصادي لا يسمح لهنَّ بإعالة عدد أكبر من الأطفال. كما أنَّه هناك أيضاً حالات كثيرة من الإِجهاض للتستير على الزنى أو النشاطات الجنسيَّة غير المشروعة. فيصير الشَّعورُ بالعار والذنب والخوف هو الدافع لهذا الأمر مع اختلاف الثقافات.

استنتاج بسيط

بالطبع لدينا موقف أساسي حيال قضية الإِجهاض، فنحن بحاجة إلى التفكير ملياً في سؤالين هامين في هذا السياق. السؤال الأوَّل: هل قتلُ إنسان بريء هو خطأ أخلاقي؟ ويُفترض دون جدال أن تكون الإجابة الأساسيَّة على هذا السؤال هي «بلى». وبعد أن نقرَّ بهذا المبدأ، علينا التفكير في السؤال الثاني: هل هذا الجنين هو حقاً إنسان؟ فإذا كان الأمر كذلك، فإنَّ قتل هذه الأجنَّة هو عمل من أعمال القتل غير المُبرَّرة. فوفقاً لهذا التفكير البسيط، من المُدهش أن نكتشف بأنَّ العديد من الحجج المؤيِّدة للإِجهاض لا تتفق مع هذه الحقيقة البسيطة. فإذا كان الجنين إنساناً، يُعتبَر إنهاء حياته خطأً أخلاقياً، كما يُعتبَر أيضاً قتلاً لشخص بريء حين تقرر أمُّ ما أن تمارس الجنس من دون نية للحمل، فهذا أيضاً غير مقبول أخلاقياً. كما يُعتبَر أيضاً قتلاً لإنسان بريء لأنَّه حين لا ترغب أسرة ما في تحمُّل مسؤولية إطعام شخص آخر، فهذا أيضاً

إذا كان الجنين
إنساناً، فإنَّ إنهاء
حياته هو خطأ
أخلاقي.

أمرٌ غيرُ مقبولٍ من النَّاحية الأخلاقية. إضافةً إلى ذلك، يُعْتَبَرُ أيضاً إنهاءُ حياةِ أرواحٍ بريئةٍ بسببِ أنَّ هذه الأخيرة تعتمدُ أثناءَ الحَمَلِ على أجسادِ الأمهاتِ التي قد تَرَى بأنَّ عمليةَ الحَمَلِ متعَبَةٌ، فهذا أيضاً أمرٌ غيرُ مقبولٍ أخلاقياً. لذا، حين يُناقشُ المؤمنون قضيةَ الإجهاضِ، فعليهم باستمرارٍ أن يَصْعُوا في اعتبارهم بأنَّ الجنينَ هو إنسانٌ كاملٌ وهذا أمرٌ بالغُ الأهمية.

حقائقٌ كتابيةٌ

بما أنَّ الكنيسة
الإنجيليةَ تعترف
بسُلطةِ الكتابِ
المقدسِ، فيجبُ أن
تقاومَ الإجهاضَ
بشكلٍ حاسمٍ.

تبنَّت كنيسةُ المسيحِ طوالَ تاريخها وجهةَ نظرٍ موحَّدةٍ رافضةً للإجهاضِ، وهي نفسها التي اشتركت فيها بشكلٍ عامٍّ مع مفهومِ شعبِ الله لهذا الأمرِ في العهدِ القديمِ. ويتمثَّلُ هذا الرَّأيُ الذي يتعلَّقُ بوجهةِ النَّظَرِ اليهوديةِ / المسيحيةِ التقليديةِ في أنَّ الإجهاضَ أمرٌ خاطئٌ أخلاقياً. ويمكنُ للمرءِ القولُ بأنَّه في كلا العهدينِ القديمِ والجديدِ، كما في جماعةِ شعبِ الله في العهدِ القديمِ والكنيسةِ المسيحيةِ على حدِّ سواءِ كان الإجهاضُ

أمراً مستحيلاً. وذلك لأنَّ وجودَ الأطفالِ في إسرائيل كان بركةً كبيرةً، وكانت النساءُ في ثقافةِ شعبِ الله في العهدِ القديمِ تعطي قيمةً كبيرةً للحَمَلِ أكثرَ من القيمةِ التي يُقدَّرُ بها الحَمَلُ اليومِ في جميعِ أرجاءِ العالمِ. فصارت رغبةُ المرأةِ في إنجابِ الأطفالِ في إسرائيل القديمة رغبةً بيولوجيةً، فطريةً، عمليةً ومدفوعةً بعواملٍ اجتماعيةٍ قويةٍ جداً. فلم يكن الإجهاضُ أمراً ترغب فيه النساءُ الإسرائيلياتُ في العالمِ القديمِ. وبذلك فالمرأةُ الوحيدةُ التي دُكِرَ فيها الإجهاضُ داخلَ الكنيسةِ الأولى أظهر رفضاً كاملاً لشرعيتهِ. فقد أُدينَت حينئذٍ ممارسةُ الإجهاضِ إدانةً كاملةً. وعلى الرَّغمِ من أنَّ البعضَ حاولَ إثباتَ أنَّ الكتابِ المقدَّسَ يسمحُ بالإجهاضِ، إلا أنَّ الحُجَجَ التي أوردوها كانت تُضعِفُ مصداقيتهم. ممَّا لا شكَّ فيه أنَّ الكتابِ المقدَّسَ لا يدعمُ الإجهاضَ، والأكثرُ من ذلك أن روحيةَ الكتابِ المقدَّسِ كاملةً هي ضدُّه تماماً. لذا، تصبح القضيةُ الحقيقيةُ كالتالي: هل سيقبلُ النَّاسُ سلطةَ الكتابِ المقدَّسِ؟ يُدركُ المعارضونُ للإجهاضِ والغالبيةُ العظمى من المؤيدين له أنَّ الكتابِ المقدَّسَ بالكامل ضدَّ الموقفِ المؤيِّدِ للإجهاضِ. وبما أنَّ الكنيسةَ الإنجيليةَ

تعترف بسلطة الكتاب المقدس، فيجب أن تقاوم الإجهاض بشكل حاسم.

١- (تكوين ١: ٢٧-٢٨)

فَخَلَقَ اللَّهُ الْإِنْسَانَ عَلَى صُورَتِهِ. عَلَى صُورَةِ اللَّهِ خَلَقَهُ. ذَكَرًا وَأُنْثَى خَلَقَهُمْ. وَبَارَكَهُمُ اللَّهُ وَقَالَ لَهُمْ: «أَثْمُرُوا وَكَثُرُوا وَأَمَلُوا الْأَرْضَ...».

فَهَمَّ الْمَفْسَّرُونَ الْآبَاءَ هَذَا النَّصَّ عَلَى أَنَّهُ يُمَثِّلُ بَرَكَةً وَوَصِيَّةً عَلَى حَدِّ سِوَاءٍ. فَعَلَى الرَّغْمِ مِنْ عَدَمِ وَجُودِ أَيِّ ذِكْرِ مُبَاشِرٍ لِلْإِجْهَاضِ، فَهِنَاكَ ذِكْرٌ لِمَبْدَأِ الْخَلْقِ الَّذِي يَدْعُمُ فِكْرَةَ الْحَيَاةِ. وَبِنَاءٍ عَلَيْهِ، يُوْجَدُ الْكَثِيرُ الْكَثِيرُ الَّذِي يُمْكِنُ قَوْلُهُ عَنْ أَهْمِيَّةِ هَذَا النَّصِّ لِلدِّرَاسَاتِ اللَّاهُوتِيَّةِ وَالْكِتَابِيَّةِ، إِذْ أَنَّهُ يُمَثِّلُ النُّعْمَةَ الْأُولَى فِي الْأَسْفَارِ الْمَقْدَسَةِ الْإِجْبَابِيَّةِ الْمُتَعَلِّقَةِ بِمَوْضُوعِ الْإِنْجَابِ. فَهَذِهِ النُّعْمَةُ تَنْسَجِمُ مَعَ بَاقِي الشَّرِيْعَةِ الَّتِي تَرَى بِأَنَّ الْحَيَاةَ وَالْإِثْمَارَ هُمَا بَرَكَاتٌ مِنَ بَرَكَاتِ اللَّهِ. إِذْ يَبَارِكُ اللَّهُ الْحَيَاةَ وَيَأْمُرُ الْجِنْسَ الْبَشَرِيَّ بِالْتِكَاثُرِ، وَعَلَيْهِ فَإِنَّ الْإِجْهَاضَ يَتَعَارَضُ مَعَ هَذَا الْمَبْدَأِ.

٢- (خروج ٢٠: ١٣)

«لَا تَقْتُلْ». تَبْدَأُ الْوَصَايَا الْعِشْرَةَ^١ بِتَوْجِيهِهِ انْتِبَاهِ الْمُسْتَمْعِينَ إِلَى الْإِلَهِ الْقُدُّوسِ مُخْلِصِ إِسْرَائِيلِ. وَتُعْتَبَرُ هَذِهِ الْكَلِمَاتُ هِيَ كَلِمَاتُ اللَّهِ نَفْسِهِ وَلَيْسَتْ كَلِمَاتُ مُوسَى. وَعَلَى الرَّغْمِ مِنْ أَنَّ الْوَصَايَا الْعِشْرَةَ لَا تَخْتَزِلُ كُلَّ الشَّرِيْعَةِ فَهِيَ لَيْسَتْ شَامِلَةً لِكُلِّ إِرَادَةِ اللَّهِ الْأَدْبِيَّةِ، فَالْيَهُودِ وَالْمَسِيحِيِّينَ يُدْرِكُونَ عَلَى السَّوَاءِ الْمَكَانَةَ الْخَاصَّةَ الَّتِي تَحْتَلُّهَا الْوَصَايَا الْعِشْرَةَ فِي وَحْيِ اللَّهِ الْمَعْلَنِ. تُعَدُّ هَذِهِ الْوَصِيَّةُ وَاضِحَةً تَمَامًا فِي مَعْنَاهَا، فَهِيَ تَمْنَعُ قَتْلَ رُوحِ شَخْصٍ بَرِيءٍ، كَمَا أَنَّهَا تَحْمِي حَيَاةَ كُلِّ إِنْسَانٍ سِوَاءِ كَانِ فِي الرَّحْمِ أَوْ خَارِجَهُ. وَوَقْفًا لِبَعْضِ التَّعَالِيمِ الْمَسِيحِيَّةِ، لَا تَقْتَصِرُ الْوَصَايَا الْعِشْرَةَ عَلَى تَقْيِيدِ الْمَارَسَاتِ السَّلْبِيَّةِ وَحَسَبِ، بَلْ تَقْرُضُ أَيْضًا السَّلُوكِيَّاتِ الْإِجْبَابِيَّةِ. وَعَلَيْهِ، إِذَا اتَّبَعْنَا ذَلِكَ التَّفْسِيرَ، فَإِنَّ الْوَصِيَّةَ بِعَدَمِ الْقَتْلِ سَتُفْصِي حُكْمًا إِلَى تَقْدِيمِ الْعَوْنِ لِلضَّعْفَاءِ مِنْ خِلَالِ الرَّعَايَةِ وَالْحِمَايَةِ الْإِجْبَابِيَّةِ.

١ الوصايا العشرة. أنظر (خروج ٢٠: ١-١٧)، (تثنية ٥: ٦-٢١).

٣- (خروج ٢١: ٢٢-٢٥)

وَإِذَا تَخَاصَمَ رَجَالٌ وَصَدَمُوا امْرَأَةً حَبْلَى فَسَقَطَ وَلَدُهَا وَلَمْ تَحْضَلْ أذْيَةً، يُعْرَمُ كَمَا يَضَعُ عَلَيْهِ زَوْجُ الْمَرْأَةِ، وَيُدْفَعُ عَنْ يَدِ الْقَضَاةِ. وَإِنْ حَصَلَتْ أذْيَةٌ تُعْطِي نَفْسًا بِنَفْسٍ، وَعَيْنًا بِعَيْنٍ، وَسِنًا بِسِنٍّ، وَيَدًا بِيَدٍ، وَرِجْلًا بِرِجْلٍ، وَكَيًّْا بِكَيٍّْ، وَجُرْحًا بِجُرْحٍ، وَرَضًا بِرَضٍ.

يُعَدُّ هذا النَّصُّ المتعلِّق بالإجهاض الأكثر إثارة للجدل في الشريعة، حيث نواجه صعوبة بالغة في ترجمته وتفسيره. فيؤمّن بعض المفسرين بأن هذا النصّ يشير إلى الحقيقة التالية: إذا صدم أحد امرأة حاملاً وتعرّضت للإجهاض، فلا بد أن يُعاقب المعتدي وفقاً لمبدأ (عين بعين، وحية بحية)، وذلك على أساس ما حدث للطفل. ولكن يقول بعض المفسرين الآخرين: إذا مات الطفل يُعْرَمَ الجاني، وإذا ماتت المرأة في ذلك الوقت، يُطبّق مبدأ العين بالعين. يمكن فهم أيّ من الرأيين بشكل صحيح بناءً على القواعد اللغوية للنصّ العبري، إذ يُعتبر الرأي القائل بأنّ حدوث إجهاض وفقدان الطفل ليس بالخطورة نفسها لفقدان الأمّ، وهذا الرأي يُعتبر إلى حدّ كبير رأي الغالبية في تاريخ التفسير. ويُدعم هذا الرأي بحقيقة أنّ الصدمة القويّة قادرة على تحفيز المخاض الذي سيؤدّي إلى موت الجنين أو إلى إصابة بالغة بالخطورة. فمن الصعب التأكيد على صحّة هذا السيناريو لأنّه يصور ضرب امرأة حامل بقوة كافية تؤدّي إلى المخاض، وتبقى الأمّ وجنينها بخير وصحة كاملة.

إنّ معرفتنا للقواعد اللغوية العبريّة وتطبيقها الصحيح يساعدنا على فهم مبدأ العين بالعين في حالة وقوع ضرر بالغ للجنين أو الأمّ. ولكننا سننخذ الموقف القائل بأنّ الجاني يُعْرَم حين يحدث إجهاض، ويخضع لمبدأ العين بالعين إذا حدث ضررٌ للأمّ. يُعطي هذا التفسير قيمة أعلى لحياة الأمّ من قيمة حياة الجنين. أترى يقترح هكذا تفسير أنّ الطفل الذي لم يولد بعد ليس إنساناً؟ بالطبع لا، إذ يُقدّم سفر الخروج (٢١: ١٨-٣٦) العقوبات التي تنتج عن إيذاء الآخرين في شتى المواقف. إذا كان هناك ثورٌ معروف بالخطورة، نطح شخصاً حراً وأودى بحياته، فيقتل صاحب الثور بسبب إهماله الإجرامي المتعمّد. ولكن إذا نطح الثور عبداً وقتله، فإنّ صاحب الثور يُعْرَم وكفى. ورغم حقيقة أنّ إحدى الواقعتين

أدت إلى تطبيق مبدأ العَيْن بالعَيْن والواقعة الأخرى أدت إلى الغرامة وحسب، فهذا لا يعني أن العبيد لا يُعْتَبَرُونَ بَشَرًا (في الحقيقة، تُوكِّدُ شريعة إسرائيل أنه يوجد فرق بين العبد ومالكه). كما نجد في أسفار الشريعة أيضاً تمييزاً بين الرجال والنساء، ولكن هذا لا يعني حكماً أن الرجال أكثر بشريّة من النساء.

وبالنظر إلى هذا الأساس في التقييم، فمن غير المنطقي القول إنَّ الطُفْل الذي لم يولد بعد لا يُعْتَبَرُ إنساناً لأنَّ قاتله عُوقِبَ بغرامةٍ ماديّة، بينما قاتل الأمِّ عُوقِبَ بالإعدام. في الحقيقة كونُ الجاني عُرِّمَ في حالة إلحاق ضررٍ بالطُفْل يُشير إلى أنَّ حياة الطفل موضع تقدير. حيث تُكون خسارة حياة الجنين أمراً خطيراً لكلِّ من الوالدين. ولكن فقدان حياة الأمِّ والزوجة يُعْتَبَرُ خسارة أكبر للزوج والأسرة، فيُعاقب القاتل عليها بأكثر حَزْماً.

ربّما يُعطي هذا النصُّ بعض التأييد للموقف القائل بأنَّ الإجهاض مسموح به في الحالات النادرة حين تكون حياة الأمِّ في خطر بسبب حملها، لكن لا يُمكن بأيِّ حال من الأحوال الإشارة إلى أنَّ الكتاب المقدس يؤيّد حرية اختيار القيام بالإجهاض. ويُمثّل السيناريو الوارد في هذا النصِّ واحداً من أفسى أنواع العنف والخسارة المساوية، فهو ليس خياراً يرغب فيه المرءُ أو يبحث عنه أو يختاره بإرادته الحرّة.

٤- (مزمور ٢٢: ٩-١٠)

أَنَّكَ أَنْتَ جَدَّبْتَنِي مِنَ الْبَطْنِ. جَعَلْتَنِي مُطْمَئِنًّا عَلَى تَدْيِي أُمِّي. عَلَيْكَ أُلْقَيْتُ
مِنَ الرَّحِمِ. مِنْ بَطْنِ أُمِّي أَنْتَ إِلَهِي.

يبدأ (مزمور ٢٢) بصرخة رثاء، إذ يُنادي داود الربَّ لأنَّه شعرَ بأنَّ الله قد تَرَكَه. يتحدّث أيضاً (مزمور ٢٢: ١) ببُعْدِهِ المِسيانيّ عن صرخة يسوع على

الصَّليب. بينما يُعاني داود ويتعذَّب منذُكَراً يدُ الله عليه منذُ تكوينه في رحم أمه. ففي الحقيقة، أن الله يرى داود حتى قبل أن يُولد، وهو يهتمُّ به وهو في الرحم. فلم يُعتبرِ اللهُ داودَ إنساناً ذا شخصيَّةٍ وقيمةٍ بعد ولادته فحسب بل أيضاً خلال تكوينه في رحم أمه.

٥- (مزمو ٥١: ٥)

«بِالْإِثْمِ صُوِّرْتُ، وَبِالْخَطِيئَةِ حَبَلْتُ بِي أُمِّي». في مرحلة توبة داود عن خطيئته مع بنشبع، نظر إلى حياته الماضية التي عاشها بحسب الظاهر من دون خطيئة. ففي الحقيقة أن حياة داود كانت مليئة بالخطيئة منذ لحظة الحمل به. فالخطأ لم يكن بالحمل الناتج عن الاتصال الجنسي لوالديه لكنّه ورث تلك الطبيعة الخاطئة منذ لحظة الحمل. يمكن لأي إنسان أن يُجادل بهذا الأمر بالقول: إن كلمات دواهي مجرد شعر وبلاغة، ولكن يبدو بأنّه قد صرّح في هذه الآية بأنّ حياته الشخصيّة كائنة في الخطيئة منذ تصوّره في الرحم. كما يُصرّح بولس في (رومية ٥) أنّ جميع البشر قد ورثوا الطبيعة الخاطئة من آدم، ويُصرّح داود في هذا المزمور على حقيقة كونه خاطئاً منذ لحظة الحمل به. حين نضعُ هذين الرأيين جنباً إلى جنب، نرى أنّ الكتاب المقدّس يُعلّمنا:

١- ورث جميع البشر الطبيعة الخاطئة من آدم

٢- تتكوّن الطبيعة الخاطئة في الإنسان منذ لحظة الحمل

وبما أنّ جميع البشر ورثوا الطبيعة الخاطئة، وبما أنّ كلّ إنسان يحصل على هذا الميراث منذ لحظة الحبل به، فبالتالي تبدأ الحياة البشريّة منذ لحظة الحمل^٢.

٢ هناك آراء مختلفة عن خلق الرّوح في اللاهوت النّظامي. إنّ مذهب "خلق الرّوح soul creationis" يقول أنّ الله خلق كلّ روح إنسانيّة بشكل خارق ووضعها في الجسد. بينما يقول مذهب "النقائيد Traducianism" أنّ الرّوح البشريّة تولد منذ لحظة الحمل بالطريقة نفسها التي يتم بها تكوين الأجسام البشريّة. فوفقاً لمذهب النقائيد Traducianism، يمنح الآباء الأبناء الجينات الوراثيّة لتكوين الجسد، وأيضاً الجينات لتكوين "الروح". هناك حُجج لكل من الرأيين اللذين سوف نتحدّث عنهما الآن. ولكن يكفي القول أنه ربّما الذين يؤيدون مذهب "خلق الرّوح soul creationis" يؤمنون نظرياً بأنّ الله يعرّس الرّوح في لحظة الحمل الجسدي، أو في أي وقت آخر (مثل الوضع أو الإحياء). لكن مؤيدي "النقائيد" يؤمنون بأنّ الرّوح والجسد يُحبل بهما في الوقت عينه. وفقاً لهذا النصّ الأخير، لا يُدّ أن تبدأ الحياة البشريّة من الحمل. ولكن وفقاً لمؤيدي "خلق الرّوح soul creationis"، ربّما تتكوّن الرّوح وقت الحمل أو في وقت آخر. ولكن ينبغي على المؤيدين لمذهب "خلق الرّوح soul creationis" أن يأخذوا كامل وجهه نظرهم حول أصل الحياة البشريّة من الحقائق الكتابيّة وليس من الأفكار الفلسفيّة. وعليه، ينبغي على المؤيدين لمذهب "خلق الرّوح soul creationis" التأكيد على عدم وجود أسباب للاعتقاد بأنّ الرّوح البشريّة تأتي إلى الوجود في أي وقتٍ آخر غير الحمل.

٦. (مزمو ١٣٩: ١٣-١٦)

لَأَنَّكَ أَنْتَ اقْتَنَيْتَ كُنْيَتِي . نَسَجْتَنِي فِي بَطْنِ أُمِّي . أَحْمَدُكَ مِنْ أَجْلِ أَنِّي قَدْ
امْتَزْتُ عَجَبًا . عَجِيبَةٌ هِيَ أَعْمَالُكَ ، وَنَفْسِي تَعْرِفُ ذَلِكَ يَقِينًا . لَمْ تَخْتَفِ عَنكَ
عِظَامِي حِينَمَا صُنِعْتُ فِي الْخَفَاءِ ، وَرَفِئْتُ فِي أَعْمَاقِ الْأَرْضِ . رَأَتْ عَيْنَاكَ
أَعْضَائِي ، وَفِي سَفَرِكَ كُلَّهَا كُنَيْتَ يَوْمَ تَصَوَّرْتِ ، إِذْ لَمْ يَكُنْ وَاحِدٌ مِنْهَا .

إن هذه الآيات هي الأكثر اقتباساً من قبل أولئك المعارضين للإجهاض من منظور الكتاب المقدس . من الواضح أن كاتب المزامير يستخدم لغة شعرية لا تؤخذ حرفياً (فبالتأكيد، لا يُجمَعُ الطفل حرفياً من باطن الأرض). ولكن من الواضح أيضاً أن كاتب المزامير يرى سيادة الله على العمل وتكوينه وتشكيله له حتى قبل أن يولد . يُعدُّ عملُ الله في تكوين الأطفال في الرَّحِمِ عملاً رائعاً . وحتى في الرَّحِمِ ، صَنَعَتْ يَدُ اللَّهِ الْحَيَّةِ جَسَدَ الْإِنْسَانِ بطريقة عظيمة ومُدْهَشَةٌ جَدًّا . فهناك سبب وراء اقتباس هذه الآيات باستمرار لتدعيم قُدْسِيَّةِ الْحَيَاةِ الْإِنْسَانِيَّةِ ، حتى وهي لا تزال في الرَّحِمِ . وتكشف القراءة الصَّادِقة لهذا النَّصِّ عن روحٍ لا تتوافق مع موقف أولئك الدَّاعِمِينَ لِلْإِجْهَاضِ .

٧- (إرميا : ٤-٥)

فَكَانَتْ كَلِمَةُ الرَّبِّ إِلَيَّ قَائِلًا: «قَبْلَمَا صَوَّرْتُكَ فِي الْبَطْنِ عَرَفْتُكَ ، وَقَبْلَمَا
خَرَجْتَ مِنَ الرَّحِمِ قَدَّسْتُكَ . جَعَلْتُكَ نَبِيًّا لِلشُّعُوبِ » .

كان إرميا معروفاً بصورةٍ شَخْصِيَّةٍ مِنْ قَبْلِ الرَّبِّ قَبْلَ أَنْ يُولِدَ . وفي حقيقة الأمر ، أن الله عرفه قبل الحمل به . فقد عُيِّنَ لِيَكُونَ نَبِيًّا لِلَّهِ قَبْلَ مِيلَادِهِ . فهناك استمرارية في ذهن الله بين الشَّخْصِ الَّذِي يَتَكَوَّنُ فِي الرَّحِمِ وَالْإِنْسَانَ الَّذِي يَقُومُ بِدَوْرِهِ كُنْيَتِي . حين يقول الله أنه «يعرف» إرميا ، استخدم لغة مملوءة بالتعبير عن عمق العلاقة الحميمة . وهي الكلمة نفسها المستخدمة للتعبير عن معرفة آدم لحواء (تكوين ٤ : ١) ، وعن علاقة الله الحميمة مع شعب إسرائيل من دون جميع أمم الأرض الأخرى .

حين يقولُ اللهُ أَنَّهُ
«يَعْرِفُ» إرميا،
استخدمَ لغةً مملوءةً
بالتعبير عن عمق
العلاقة الحميمة.

قد يُجادل البعض بالقول أن الله يعرف الأشخاص الذين سيولدون من الرَّحِم أكثر من معرفته للأجنة الموجودة في الرَّحِم والتي قد تولد أو لا. ولكن هذه الاحتمالية المنطقية لا تعكس الحقيقة الواضحة بأنه حين كان إرميا في رحم أمه، كان معروفاً من قِبَل الله. فعلى الأقل هذا الأمر يوضِّح بأن الله يَعْتَبِرُ أن بعضاً من الأجنة الموجودة في الرَّحِم هي إنسان كامل. فما هو الدليل على أن بعض الأجنة الأخرى لا يعتبرها الله هكذا؟ فالكتاب المقدس لا يعلن عن مثل هذه الفكرة.

إن تيقناً أو إن لم تتيقن من حقيقة كون الجنين إنساناً كاملاً منذ تكوينه في الرَّحِم، فإن إنهاء حياته يبقى أمراً غير مسؤول وغير أخلاقي. فعلى سبيل المثال في كندا، حين يطلق الصياد النار في الغابة ويقتل شخصاً عن غير قصد يكون مسؤولاً عن هذا الأمر أمام القانون. إذ ينص القانون في كندا على أنه لا يمكن للصياد إطلاق النار إلا حين يعرف على وجه اليقين ما يهدف إليه. إذا لم يكن الصياد يعلم يقيناً ما وراء الشجيرة، إن كان هناك غزال أو دب أو كلب أو إنسان، ويطلق النار، فإنه مسؤول جنائياً إذا أصاب شخصاً ما. ينبغي تطبيق هذا المبدأ الواضح بشأن المسؤولية على النقاشات المتعلقة بالإجهاض. فإن كان هناك أي شك على الإطلاق (ما إذا كان الجنين إنساناً كاملاً أم لا)، فبالتالي يكون قتله استهتاراً أخلاقياً وربما جريمة أيضاً.

٨. (لوقا ١: ٢٦-٥٦) وبالتحديد الآيات من ٤١-٤٥

فَلَمَّا سَمِعَتْ أَلْيَصَابَاتُ سَلَامَ مَرْيَمَ ارْتَكُضَ الْجَنِينُ فِي بَطْنِهَا، وَامْتَلَأَتْ أَلْيَصَابَاتُ مِنَ الرُّوحِ الْقُدُسِ، وَصَرَخَتْ بِصَوْتٍ عَظِيمٍ وَقَالَتْ: «مُبَارَكَةٌ أَنْتِ فِي النِّسَاءِ وَمُبَارَكَةٌ هِيَ ثَمَرَةٌ بَطْنِكَ! فَمِنْ أَيْنَ لِي هَذَا أَنْ تَأْتِيَ أُمُّ رَبِّي إِلَيَّ؟ فَهَذَا حِينَ صَارَ صَوْتُ سَلَامِكَ فِي أذُنِي ارْتَكُضَ الْجَنِينُ بِابْتِهَاجٍ فِي بَطْنِي. فَطُوبَى لِلَّتِي آمَنْتَ أَنْ يَتِمَّ مَا قِيلَ لَهَا مِنْ قِبَلِ الرَّبِّ.»

لا يوجد أفضل من هذا النصّ الكتابيّ الوارد في إنجيل لوقا، نُعلّمنا عن أهميّة وقيمة وإنسانيّة الجنين. كانت أليصابات في الشهر السّادس من حملها، وقفّر الجنين (باليونانيّة: brephos) في بطنها تجاوباً مع الرّوح وحضور ابن الله المتّجسّد. يوضّح (لوقا ١: ٤١) أنّ جنين أليصابات إمتلأ بالرّوح القدس وهو لا يزال في الرّحم. ذهبت العذراء مريم لزيارة نسيبتها أليصابات، وحينما تقابلتا، كانت مريم العذراء في مرحلة مُبكرة من حملها. فقفّر يوحنا المعمدان وهو لا يزال جنيناً في بطن أمّه، لأنّ الرّوح القدس دفعه ليشهد عن وجود الرّب، الذي لا يزال بعد في بطن القديسة مريم! كان دور يوحنا المعمدان النّبويّ هو أن يُهَيئ الطّريق أمام الرّب، وقد نال البركة لأنّه كان ذلك الشّخص الذي أشار إلى يسوع باعتباره حمل الله الذي يرفع خطيّة العالم. لقد تنبأ أنبياء آخرون بمجيء المسيح، لكن يوحنا المعمدان أشار إليه بشكل مباشر وشخصيّ، كما أعلن عنه أيضاً بشكل شفهيّ. وهذه المهمّة النّبويّة لم تظهر للمرّة الأولى في حادثة معموديّة يسوع، لكنّها ظهرت في هذا النصّ، حين كان كلّ من يوحنا المعمدان ويسوع جنينين في رحمي والدتيهما.

حين صرّحت أليصابات بأنّ الجنين (brephos) قد تحرّك في أحشائها، استخدمت الكلمة ذاتها التي استخدمتها الملائكة في (لوقا ٢: ١٢، ١٦) حين أعلنوا للرعاة بأنّهم سيجدون طفلاً (brephos) مقمّطاً ومضججاً في المذود. في ذلك الوقت كان يوحنا المعمدان لا يزال جنيناً في أحشاء اليصابات، وكان يسوع في الوقت نفسه طفلاً مقمّطاً في المذود. وبذلك يكون لدينا تفويض كتابيّ للتحدّث نيابة عن الأطفال الذين لم يولدوا بعد. لذلك لم تبدأ حياة يوحنا المعمدان أو يسوع كإنسانيّين كاملين بعد ولادتهما البتّة. لكن كان يسوع، ربّ المجد، إنساناً وإلهاً كاملاً قبل الحمل به بطريقة معجزيّة من خلال حلول الرّوح القدس في رحم العذراء مريم. فعلى هذا الأساس، إذا أجهّزت أليصابات طفلها فإنّها بذلك ستقتل نبيّ السّيّا، وإذا أجهّزت العذراء مريم طفلها يسوع فكانت أيضاً ستقتل المسيح ابن الله المتّجسّد. فإنّ الهويّة الشّخصيّة وحياة وعمل الرّوح في ميلاد كلا الطّفلين مثبت في هذه القصة. لقد كان يسوع جنيناً في المراحل الأولى من نموّه حين تحرّك الرّوح في يوحنا المعمدان وجعله يرتكض اعترافاً به كالمسيح.

الحُجَجُ المؤيِّدة والمُعارضة للإجهاض

ينبغي لنا أن نوضِّح بأنَّ الإجهاض هو تعدُّ على مشيئة الله، وذلك وفقاً لمنظور الكتاب المقدَّس. كما ينبغي الإشارة بأنَّه لا يوجد إجماعٌ أو موافقةٌ كاملة على وجهة نظر الكتاب المقدَّس هذه، أو حتى إحترامها. ففي كلِّ قضيةٍ أخلاقيةٍ، توجد مجموعة أساساتٍ مميَّزة وشاملة نحتاجُ أن تؤخِّدَ بعين الاعتبار، (ناقشنا البعض من هذه القضايا في الفصل الثاني). ومن الجدير التنبُّه أيضاً إلى أنَّه ليست كلُّ وجهة نظر لها قيمةٌ أدبيةٌ وأخلاقيةٌ تتضمَّن مفهوماً صحيحاً لحقوق الإنسان. فحين يصرُّ شخصٌ ما على أنَّ المرأة لها الحقُّ في اختيار الإجهاض، يكون من المفيد السؤال: من أين يأتي هذا الحقُّ؟ أو لماذا يعتبرُ تصرُّفُ المرأة مقبولاً أخلاقياً؟ بعبارةٍ أخرى، غالباً ما ننسى أنَّ المناقشات الأخلاقية يجب أن تؤسَّس وفقاً لإطار أخلاقيٍّ مناسب، إذ لا يمكن لكلِّ أساس أن يدعمَ الحقوقَ الأخلاقية. نحن بحاجةٌ إلى أن نكونَ حكماً فيما نقوله وفي الطريقة التي نعبرُ بها. ولكن في بعض الأحيان نحتاج إلى معالجة الأساس الأخلاقية قبل أن نتمكن من معالجة قضايا أخلاقية محدَّدة. وهذا هو الحال بالتَّحديد حين تولِّدُ الرُّؤية الكونية الأخلاقية للإنسان تناقضاتٍ داخلية. وكما ذكرنا سابقاً، أنَّ الإنسانية العلمانية غيرُ قادرة على تقديم سرِّ ثابتٍ وقويٍّ للعلاقة بين طبيعة البشر وحقوقهم الأخلاقية المزعومة. ونتيجةً لذلك، فإنَّ العديد من الحُجج التي يستخدمها دعاة الإجهاض لن تنهار بسببِ النقاشات الفعلية وحسب، لكنَّها ستفشلُ أيضاً في أن تكونَ متماسكة منطقياً من الدَّاخل بالنسبة إلى وجهة نظرٍ مؤيدي الإجهاض.

١. الحُجج الإحترازية

يؤمن بعضُ المعارضين للإجهاض أنَّه يمكن تقديمُ قضيةٍ مقنعة ضدَّ الإجهاض على أساس الآثار الضارة التي قد تُعاني منها المرأة. على سبيل المثال، هناك الكثير من المضاعفات الجسدية التي يمكن أن تحدث للمرأة، ويمكن أن تتأثَّر الخصوبة في المستقبل تأثراً سلبياً. يؤكِّد العديد من المعارضين للإجهاض أنَّ عدداً كبيراً من النساء يختبرن (صدمةً ما بعد الإجهاض)، وأخريات يمكن أن يُعانين من أمراضٍ نفسيةٍ تظهر في صورة كوابيس، شعور بالذنب الشديد، اضطرابات في الثقة بين الآباء وحتى ارتفاع نسبة الانتحار. في حين، يرفضُ العديد من أولئك المؤيدين للإجهاض هذه الادِّعاءات ويعتبرونها وهمية.

حتى ولو كان
موتَ الطفل الذي
لم يولدَ بعد قد
حدثَ من غير
ألم فإنَّ هذا الأمر
لنَّ يجعلَ من
الإجهاض عملاً
مقبولاً أخلاقياً.

إنَّ إحدى الصَّعوبات المتأصلة في جميع الحجج الاحترازية تعتبرُ بأنَّ الأشخاص ذوي الآراء المختلفة يعرفون (الضرر) الناتج عن الإجهاض بطرق عديدة. فبالنسبة إلى بعضهم البعض، يمكن أن يكون الضرر الخفيف الذي يسببه الإجهاض مقبولاً لديهم أكثر من الحبل غير المرغوب فيه، والذي يعطل استقلاليتهم الاقتصادية أو حياتهم المهنية. وهؤلاء يشددون على أنه حتى إذا نتج عن الإجهاض ضررٌ معين للمرأة فإنَّ هذه الكلفة تستحق العناء لأنَّ الإجهاض سيحررُ المرأة عموماً. وعلى حساب هذه المنفعة، يمكن تعويض الضرر الذي تعاني

منه بعض النساء بالخير الذي تكسبه غالبيةن. ومن الممكن أيضاً أن تصبح إجراءات الإجهاض آمنة أكثر وأكثر وبالتالي تقلل من المضاعفات الجسدية المحتملة. كما يمكن أيضاً لخدمة المشورة والدعم أن تساعد النساء على التعافي بسرعة كبيرة والتقليل من حدة الصدمة. فعلى الرغم من أنَّ الإجهاض يمكن أن يؤدي في الواقع إلى ضرر جسدي وعاطفي ونفسي لبعض النساء، فإنَّ هذا النمط من الحجج الاحترازية يمكن أن يكون له نتائج مختلفة وفقاً لكيفية تعريف المصطلحات، وماهية أولويات المرء وكيفية وضع هذه النظرية قيد التنفيذ.

إنَّ الإعتبارات التي لها علاقة بمناقشة الحجج المعارضة للإجهاض هي نفسها، إذ تتحدث عن عنف الإجراء الخاص بالإجهاض عوضاً عن التركيز على نتائجه (الذي هو موت الطفل). فمن السهل تقديم وصف دقيق لما تنطوي عليه إجراءات الإجهاض المختلفة، لكننا سنجد أنفسنا مُقيدين بالحديث عن هذه الإجراءات بعيداً عن النتائج. يكفي القول بأنَّ عمليات الإجهاض تنطوي على تمزيق حرفي للطفل أو حرقه بالمواد الكيميائية أو نزعه بعنف من الرحم، حيث أنَّ الحقائق المؤكدة علمياً وطبياً تشير إلى أنَّ عمليات الإجهاض تتمُّ بعد وقت من زمن الحبل، إذ يمكن للجنين أن يشعر بالألم. وحتى ولو تمَّ التأكيد بشدة على وحشية الإجراءات، فهذا الأمر قد يضيِّع أهم نقطة حول هذا الموضوع. فلو كان موتَ الطفل الذي لم يولدَ بعد قد حدثَ من غير ألم فهذا الأمر لنَّ يجعلَ من الإجهاض عملاً مقبولاً أخلاقياً.

٢. حقائق علمية



يكشف الفحص بالموجات ما فوق الصوتية لجنين يبلغ من العمر ١٨ أسبوعاً في الرحم مدى تقدم التطور البدني منذ الحمل

كشَفَ علمُ الأجنَّة حقائقٌ مُدهشةٌ عن تطوُّر الحياةِ الإنسانيَّةِ داخلِ الرَّحِمِ. فيفضل هذا التَّطوُّرُ يمكننا مشاهدةً ومتابعةً الطَّريقة التي يتطوَّرُ فيها الجنينُ خلالَ فترةِ الحَبْلِ. نحن نعلمُ الآنَ أنَّه في لحظةِ الحَمَلِ، تظهرُ جميعُ الرَّموزِ الوراثيَّةِ للطفل. ففي كلِّ مراحل التطوُّرِ لا تَقفُرُ البُويضةُ المُخصَّبةُ، حتى ولو لوقتٍ قصيرٍ، إلى جزءٍ ضئيلٍ من المادَّةِ الوراثيَّةِ الكاملةِ. وبما أنَّ المادَّةَ الوراثيَّةَ هي التي تقودُ إلى نموِّ الكائنِ الحَيِّ، فمن المستحيلِ

القولُ بأنَّ الكائنِ الحَيِّ الذي لديه رموزٌ وراثيَّةٌ كاملةٌ يمكنُ أن يملكَ بأيِّ حالٍ من الأحوالِ رموزاً وراثيَّةً مختلفةً، فعلميًّا لا يمكنُ أن يطرأَ أيُّ تغييرٍ على حالةِ الرَّموزِ الوراثيَّةِ. ومهما كانت مرحلةُ نموِّ الجنينِ (زيجوت، مضغة، جنين) فلا يمكننا إلاَّ أن نعتبِرَه إنساناً كاملاً. هذه الحَقِيقَةُ لا تنفي وجودَ مراحلٍ لنموِّ الجنينِ التي تشبهُ مراحلَ نموِّ الإنسانِ. ففي مرحلةٍ من المراحلِ يكونُ فيه الجنينُ ثمانِي خَلايا فقط، وفي مرحلةٍ أُخرى يكونُ الجنينُ فيها من دونِ قلبٍ نابضٍ، وفي مرحلةٍ أُخرى أيضاً لا يكونُ دماغُه كاملَ التكوِينِ الوظيفيِّ. لكن في الحَقِيقَةُ أنَّ هذه المعالمِ سوفَ تنموُ مع مرورِ الوقتِ، وهي لا تعني أنَّ هذا الكائنِ الحَيِّ ليس إنساناً إلى أن تكتمَلَ هذه المعالمِ. وأنَّ السَّببَ الوحيدَ لنموِّ عقلِ هذا الجنينِ هو أنَّه إنسانٌ كاملٌ من الناحيةِ الوراثيَّةِ.

يقولُ بعضُ مؤيِّدي الإجهاضِ في أميركا الشماليَّةِ إنَّه لا ينبغي للنساءِ أن يشاهدنَّ صوَرَ الموجاتِ الصَّوتيَّةِ لأطفالهنَّ الذين لم يولدوا قبلَ اتِّخاذهنَّ لقرارِ الإجهاضِ. والسَّببُ في ذلك، هو أنَّ رؤيةَ النساءِ لأطفالهنَّ وسماعهنَّ لنبضاتِ قلوبهنَّ وما إلى ذلك، غالباً ما يُعيقُ إمكانيَّةَ إنهاءِ حياةِ هؤلاءِ الأطفالِ. فإنَّهن يدركنَّ وجدانياً أنَّ ثَمرةَ أرحامهنَّ هذه ليستُ جامداً لا روحَ فيه وإنما هي كائنٌ حَيٌّ. ومن المُزعجِ أنَّ المؤيِّدين (لحرَكَةِ حقوقِ الإجهاضِ) يرغبون في الحدِّ من إمكانيَّةِ حصولِ الأمِّ على المعلوماتِ ذاتِ الصَّلَةِ التي قد تُؤثِّرُ على صنعِ قرارها. هناكُ البعضُ من الذين يؤمنونُ بأنَّ المرأةَ ليس لها الحقُّ في الإجهاضِ إلاَّ

في الأشهر الثلاثة الأولى من الحمل، وذلك بسبب حالة الجنين البدنية والعقلية غير النامية نسبياً. ولكن، كما ذكرنا قبلاً، أنه منذ اللحظة الأولى للحبل يصير الجنين إنساناً كاملاً على أساس جيناته الوراثية. وفي الشهر الأول من الحبل، ينغرس هذا الإنسان في رحم الأم، ويبدأ في اختبار انقسام الخلايا الحيوية والنمو العضوي. وتظهر الموجات الدماغية للطفل في الشهر الثاني، يبدأ قلبه ينبض ويصير حساساً للتأثيرات البيئية المحيطة. ويمكن للطفل أن يبدأ في مص إبهامه في الشهر الثالث وأن يشعر أيضاً بالألم. ويمكن التعرف كذلك على شكله كطفل رضيع. لا تُعتبر هذه النقاط الوجيزة نظرة شاملة للتطور المذهل الذي يحدث في الثلث الأول من الحمل. ومع ذلك، فمن المؤكد تماماً أنه لا يوجد وقت ولا مرحلة ما ينتقل فيها الطفل من كونه (لا إنساناً) إلى مرحلة (الإنسان). وبالتالي، فمن الناحية العلمية تُعتبر اللحظة الأولى من الحمل هي بداية وجود إنسان كامل يختبر نمواً وتطوراً في الأعضاء البشرية.

من الناحية

العلمية، تُعتبر

اللحظة الأولى

من الحمل هي

بداية وجود

إنسان كامل يختبر

نمواً وتطوراً

في الأعضاء

البشرية.

٣. جودة الحياة

يُعد مصطلح (جودة الحياة) هاماً للغاية في مناقشة موضوع الإجهاض والقتل الرحيم، إذ يُحدث انقساماً كبيراً بين أولئك الذين يرون أن (جودة الحياة) تفوق مفهوم (قدسية الحياة) الموجود بالفطرة. وبعيداً عن ذلك، فمن المستحيل الحصول على تعريف واضح لما تعنيه (جودة الحياة) فعلياً. فالاعتبارات المتعلقة بجودة الحياة عادة ما تكون نسبية، وبذلك لا يمكن فرضها على الآخرين. وبما أن (جودة الحياة) هذه تبدو وكأنها متقلبة من أي تعريف نهائي لها، نجد دراسات لأمثلة وحالات افتراضية كثيرة متعلقة بها. فإذا ولد الجنين بحالة مرضية، مثل مرض (تي - سس)، قد يكون أمراً رحيماً إجهاضه لتفادي المعاناة لفترة قصيرة بعد ولادته. كما اقترح آخرون إجراء عمليات إجهاض الأجنة التي من المؤكد ولادتها بإعاقة جسدية أو عقلية خطيرة. قال الملحد الشهير

ريتشارد دوكنيز Richard Dawkins بمجاهرة إنّه من غير الأخلاقي عَدَمُ إجهاض الجنين المصاب بمتلازمة داون إذا كان الخيارُ متاحاً. ولكن، شكراً لله، لأنّ الاعتراضات على تصاريحه كانت هائلة جداً.^٣

يجب أن يشعر مؤيدو نظريّة (جودة الحياة) بالنتشج، لأنّ لا مفرّ من كون حقيقة فهمهم لما تعنيه هذه النظرية هو نسبياً وغير موضوعي. ومن ناحية أخرى، يمتلك مؤيدو نظريّة (قدسية الحياة) أرضية موضوعية يمكن البناء عليها. ووفقاً لوجهة نظرهم، فإنّ كلّ إنسان يستحقّ أن يحيا ولا ينبغي قتل أي إنسان بريء. لذا وفي المقابل، ينبغي النّظر إلى مفهوم (جودة الحياة) بعين التّفهيم الموضوعي. لأنّ الأمر الذي يراه أحد مؤيدي (جودة الحياة) غير مقبول، ربّما يقبله شخص آخر من مؤيدي هذه النظرية. فهناك مجموعات كثيرة من مؤيدي هذه النظرية تعمل مع مصابين بمتلازمة داون، وليس هناك أي فئة من هذه المجموعات تؤيد قتل الأجنة، أو الأطفال أو المراهقين أو الرّاشدين، على أساس وضعهم هذا. إذا كان إجهاض الطّفل المصاب بمتلازمة داون الذي لم يولد بعد أمراً مبرراً وفقاً لمؤيدي جودة الحياة، فلماذا لا يمكن قتل مصاب بهذه المتلازمة بعد ثلاثة أشهر من ولادته؟^٤ فإن كان هذا الأمر يقوم على آراء مؤيدي جودة الحياة، فليس صعباً القول بأنّ منظور مؤيدي جودة الحياة يتغيّر تجاه هذه القضية لمجرد أنّ الطّفل قد ولد بالفعل في هذا العالم. وكما هو الحال مع العديد من الحجج الخاصة بالإجهاض، فإنّ المبدأ الذي من المفترض أنّه يُبرّر الإجهاض يُبرّر أيضاً قتل الرضيع.

٤. الأجنة ليسوا أشخاصاً كاملين

يزعم بعض الفلاسفة بأنّ كون الشّخص إنساناً كاملاً هذا يعني بأنّه يمتلك وعياً ذاتياً. ونظراً لأنّ الأجنة التي لم تولد بعد لا تمتلك وعياً ذاتياً كاملاً أو فهماً لطبيعة وجودها، فينبغي ألاّ تعتبر إنساناً كاملاً. ففي تعاليم الكتاب المقدّس لا نجد التّمييز المبتايزيقي الواضح بين (الإنسان) و(الشّخص) كما يدّعي أولئك الفلاسفة. تُعدُّ

٣ بالطبع، يتساءل المرء من أين يحصل دوكنيز على أخلاقه العالية. فمن المدهش، باعتباره ينتمي إلى مذهب المادية، أن يقبل وجود أخلاق حقيقية.

٤ ولكن من الواضح أنّه يعرف أنّ الفشل في إجهاض طفل مصاب بمتلازمة داون عمل غير أخلاقي. ولم يكن اقتراحه عديم الإحساس وينم عن جهل وحسب، لكنّه أيضاً كان سخيلاً من حيث رؤيته الكونية. ويُعد هذا وفقاً من الأوقات المفيدة لتغيير النظرة لشخص ما، وكشف إفلاس معتقداته الأخلاقية فيما يتعلق بأسس رؤيته الكونية.

هذه الأفكار بكاملها أفكاراً فلسفيةً وذاتيةً. فمن يقول أن الوعي الذاتي شرطٌ ضروريٌّ لشخصية الإنسان الكامل؟ وهنا نعود ونردّد بأنه إذا كانت الحياة البشرية موجودة منذ لحظة الحبل، فيحق لنا منطقيًا القول بأن الوعي الذاتي ليس ضرورةً لكي يكون الإنسان كاملاً. ففي بعض المراحل من نمو الإنسان لا يكون فيها الوعي الذاتي مُكتملاً لديه، لكن يبقى هذا الشخص إنساناً كاملاً تتطوّر فيه القدرات العقلية.

وبطبيعة الحال، هناك أوقات يُمكن أن يفقد فيها البعض الوعي الذاتي. على سبيل المثال، يمكن لأمرض الدماغ التنكسية أن تُدمر الوعي الذاتي، فيمكننا حينئذ القول بأننا غيرُ واعين ذاتياً حين نغيب عن الوعي، وهذا قد يشتمل أيضاً على أوقات نومنا! فليس مقبولاً بأي حال من الأحوال أن تقتل الناس أثناء نومهم. ورداً على ذلك، قد يقول البعض أن اتخاذ قرار بقتل شخص أثناء غيبوبته أمرٌ خاطئٌ أخلاقياً لأنه يجرد هذا الشخص من خبرته المستقبلية المحتملة، إذا ما استيقظ (أي عاد إلى الوعي الذاتي) فسيرفض بالتأكيد هذا القرار. وبالمثل، لماذا نفترض بأن الأجنة سيختارون الموت ويرضون سلب مستقبلهم؟ عوضاً عن التفكير أنهم مثلنا نحن الأحياء سيختارون الحياة إذا أعطيناهم فرصة القرار؟ وعندما ننظر إلى الموضوع من خبرتنا الخاصة، سنكون سعداء حتماً لأنه قد سُمح لنا بأن نتطوّر لنصبح أشخاصاً واعين ذاتياً.

إن هذه القضية تُثير مرةً جديدة مسألة قتل الأطفال، حيث جادل بعض الفلاسفة مثل بيتر سنجر Peter singer ومايكل تولي Michael Tooley بأن قتل الأطفال أمرٌ مقبول أخلاقياً. إذ صرّحاً بالقول إن الحجاج التي تؤيد الإجهاض يمكن تطبيقها منطقيًا على قتل الأطفال حديثي الولادة أيضاً. وبما أن الطفل المولود منذ شهر ليس لديه وعي ذاتي كامل، إذا كانت حجة الوعي الذاتي صحيحة، ينبغي أن يكون قتل الطفل جائزاً وقانونياً. فهؤلاء الفلاسفة يمتلكون

بمجرد أن تقيم
إنسانية الشخص
على أساس سلم
التقييم النسبي
لهؤلاء الفلاسفة،
تشرّع بذلك
الأبواب لإمكانية
قتل جميع الذين
لا يرقون إلى
مستوى نسبة هذا
السلم.

أيضاً سلماً من المقاييس المتغيرة لقيمة سائر البشر. والسؤال الذي يطرح نفسه هنا، ما مدى الوعي الذاتي الذي تحتاجه كي تكون مؤهلاً لاعتبارك شخصاً كاملاً؟ فوفقاً لآراء أولئك الفلاسفة إن الشخص ذا ثلاث سنوات يكون واعياً أكثر من الشخص ذي العام الواحد. وتعد أيضاً المرأة ذات العشرين عاماً أكثر وعياً من الفتاة ذات الثماني سنوات. فربما وفقاً لهذه المقاييس، قد يفقد شخص مريض بالألزهايمر في المراحل المتقدمة هويته الشخصية حين يتدهور عقله، وفي نهاية المطاف يصل إلى مرحلة من الوعي الذاتي المتدني، وهذا ما قد يسمح لعائلته باتخاذ قرار بقتله. فبمجرد تقييم إنسانية الشخص على أساس سلم التقييم النسبي لهؤلاء الفلاسفة، تُشرع بذلك الأبواب لإمكانية قتل جميع الذين لا يرقون إلى مستوى نسبة هذا السلم. وفي الواقع، لقد شهد التاريخ على الأنظمة التي قتلت ملايين الأبرياء على أساس أساليب تفكير مماثلة.

٥. الحمل غير المرغوب فيه يقود إلى سوء معاملة الطفل

تعد هذه الواقعة المؤلمة شائعة على نطاق واسع، والفكرة من ذلك أن المرأة ينبغي أن تكون قادرة على إجهاض طفلها إذا أرادت، لأنه ربما يتعرض الأطفال غير المرغوب فيهم إلى الإساءة في المعاملة أو الإهمال. فالاستنتاج والفرضية التي تستند عليهما هذه الواقعة نادراً ما يمكن إثبات صحة منطقتها. فإن الأم التي تحبل، هل يمكن حقاً ألا تحب طفلها حينما يولد؟ علاوة على ذلك، هل يصح الادعاء بأن الوالدين اللذين لا يريدان الطفل هما فاسدان أخلاقياً وشريران لدرجة أن يُسيئا إلى طفلهما بعد الولادة؟ إن عدم الرغبة في الحمل شيء وإساءة معاملة الأطفال بعد ولادتهم شيء آخر تماماً. فهناك قوانين لمواجهة إساءة معاملة الأطفال نحتاج إلى تفعيلها. ومن المؤكد أنه لا يمكن لقاض أن يبرئ أحد الوالدين إذا أساء معاملة طفله، حتى ولو اعترف أمام القاضي بأنه فعل ذلك لأنه لا يريد الطفل في المقام الأول. وتفتقر هذه الواقعة لتبرير فكرة الإجهاض برمتها، لأنه إذا أجهض طفلاً ما، فهو قد عانى بذلك أسوأ أشكال الإساءات الممكنة أي القتل بعنف. وفي النهاية، إذا أدرك الوالدان أنهما لا يستطيعان رعاية طفلهما رعاية مناسبة، فما زال هناك فرص كثيرة أمام الطفل لكي ينمو في بيئة تسودها المحبة في مكان آخر.

٦. حاجة النساء إلى إجهاض آمن

غالباً ما يزعم أولئك الذين يؤيدون الإجهاض على أن للمرأة الحق في الإجهاض الآمن والقانوني. فالعديد من النساء يفقدن حياتهن بسبب الإجهاض غير القانوني والخطير إذا لم يُسمح لهنَّ بإجراء إجهاض تحت القانون. إنَّ هذه الحجَّة المجدولة بالعواطف، ومع شيوعها على نطاق واسع، تبقى ضعيفة جداً. فحقيقة الأمر أنه إذا كان الإجهاض غير قانوني، فسيبقى عدد النساء اللواتي يلجأن إلى الإجهاض أقلَّ بكثير ممَّا إذا تمَّت قوننة هذا الأمر. ولكن حين تقوم الدولة بقوننة الإجهاض، ستزداد حتماً عمليَّات الإجهاض. ومن الخطأ الإصرار على أن جميع عمليَّات الإجهاض ستجرى في أماكن غير آمنة. فإذا كانت النساء تُردن الإجهاض فإنهنَّ لن يُخاطرنَّ ويُعرضنَّ أنفسهنَّ للعقوبات القانونية (تماماً مثل الذين يريدون الخروج من المتجر دون دفع ثمن الأشياء، لكنَّ الخوف من المقاضاة يمنعهم من ذلك). ففي الواقع، قد تكون النساء الحوامل ذكيات بما يكفي

لعدم إجراء عمليَّة الإجهاض في مكان غير قانوني لأنهنَّ يعرفنَّ النتائج والمخاطر المحتملة. إنَّ الفكرة الأكثر أهمية هي أن هذه الحجَّة تقوم على فكرتين خاطئتين. الفكرة الأولى هو السؤال الذي يطرح نفسه: هل هناك ما يُسمى (بالإجهاض الآمن)؟ فعند حدوث إجهاض ما، ينتج عن ذلك موت أناس أبرياء. لذلك، يُعدُّ مصطلح (الإجهاض الآمن) إستخداماً لغوياً خاطئاً. الفكرة الثانية تفترض أن الحكومة ستحرص على أمان الناس عند قيامهم بأفعال مُعيَّنة فاسدة أدبياً وغير قانونية. إذا كان

إذا كان الإجهاض
غير قانوني
فسيبقى عدد النساء
اللواتي يلجأن إلى
الإجهاض أقلَّ
بكثير ممَّا إذا تمَّت
قوننة هذا الأمر.

الإجهاض يقتل أناساً أبرياء، فهل على الدولة مسؤولية أدبية لضمان إتمام هذا القتل بطريقة لا تضرُّ القاتل؟ إنَّ هذه الكلمات قاسية، لكننا نحتاج أن نقولها. تخيل أنه هناك ٥٠ مليون جريمة قتل قانونية سنوياً حول العالم، وهناك البعض من الناس الذين يعتقدون أن هذه الجرائم بشعة ويجب عدم قوننتها. فإذا أصرَّ المدافعون المؤيدون للقتل على مسؤوليتنا الأخلاقية في تأمين الأمان للقتلة بقتل ضحاياهم، فبلا شك لن نكون مقتنعين أو مقتنعين بذلك. فمن المنطقي أن يهتَمَّ معظم

حين يحدث إجهاض، ينتج عنه موت أناسٍ أبرياء.

الناس بالصّحايا الأبرياء أكثر من القتلة. وبالتالي، إذا اختار شخص ما الانخراط في جريمة قتل غير قانونية وأصيب في ذلك الوقت، فستقع المسؤولية والذنب عليه. إنَّ الاهتمام بموضوع قوتنة (عمليات الإجهاض في الأماكن غير القانونية) لصالح القاتل، مقترناً بفكرة أنَّ الدولة عليها أن توفر عيادات قتل ممولة وأمنة لضمان أمن لِموتِ الضحية، وهذا أغرب موقف يمكن اتخاذه أو التفكير به على الإطلاق. وعليه، فهذه الفكرة برُميتها معيبة للغاية، وتفترض أنَّ الأجنة ليسوا أناساً كاملين.

٧. ينبغي على النساء التّحكّم في أجسادهنّ

على المستوى عينه، من الصّعب رفض المبدأ القائل بأنّه ينبغي على النساء التّحكّم في أجسادهنّ. كما ينبغي أيضاً على الرّجال التّحكّم في أجسادهم. ولكنّ التّحكّم في أجسادنا مُقيدٌ بالقانون لأنّه أمر له علاقة بكيفية تأثير أجسادنا هذه على الأشخاص الآخرين. فعلى سبيل المثال، لدينا حقّ قانوني في تحريك أذرعنا في الهواء، ولكن ليس إذا كان هناك وجهٌ لشخص ما يشغل الفضاء الذي نلوح فيه بهذه الأذرع. كما يُعتبَر أيضاً موضوع الانتخاب في العديد من الأقطار أمراً غير قانوني، وأولئك الذين يحاولون القيام به هم مُقيدون بقوة القانون. فإنّ أولئك الذي يحاولون تجريح أجسادهم وإلحاق الضّرر الشّدِيد بها هم أيضاً مُقيدون بالقانون. فببساطة، ليس لدينا حرية غير مقوتنة بالمطلق لنفعل ما نريده في أجسادنا. كما لدينا أيضاً مسؤولية حيال نتائج ما نفعله بأجسادنا. فعلى سبيل المثال، إذا انخرطت امرأة ما في نشاط جنسيٍّ وأصبحت حاملاً، فهي بحاجة إلى تحمّل المسؤولية الناتجة عن أفعالها. وبكل تأكيد، يجب على شريكها تحمّل المسؤولية أيضاً. فمن الأسهل على الشريك الرّجل النخلي عن مسؤوليته أكثر من المرأة (على الرّغم من أنّ ذلك لا يعني أنّ الرّجل غير مسؤول أخلاقياً عن فشله في التصرف بشكل صحيح). وعلى المرأة التي أصبحت حاملاً أن تعتني بطفلها تسعة أشهر، وبعد ذلك لديها إمكانية إمّا أن تُقدّم له الرّعاية اللازمّة، أو تعطي الطفل لشخص آخر قادر على تلبية احتياجاته. إنّ هذا الامر سيؤثر بالطبع على ذلك الطفل وعلى جسديّ المرأة، وربّما على وضعها الاقتصاديّ وخطتها

التعليمية ومركزها الاجتماعي وأشياء أخرى مختلفة. ولكن من الضروري أن نتذكر أن تأثير الوضع الاقتصادي للمرأة لا يُبرر قتل شخص بريء. فالمرأة التي تمارس النشاط الجنسي معرضة لخطر أن تصبح حاملاً، حتى وإن اتخذت الاحتياطات اللازمة لمنع حدوث هذا الحمل. فإذا حملت، تصير مع شريكها مسؤولين ومسؤولية كاملة، حيث لا يجوز قتل الجنين البريء لمجرد أن الشريكين لا يرغبان في تحمل مسؤولية وليتهما.

يمكننا القول مرة أخرى أنه إذا بررت هذا الحجة الإجهاض فإنها حتماً ستفتح الباب أيضاً لتبرير قتل الأطفال حديثي الولادة. بطبيعة الحال، يعتمد الطفل اعتماداً كلياً على الأم لمدة طويلة، فماذا لو قررت الأم بأن إطعام طفلها ورعايته هو عبء ثقيل عليها؟ وماذا لو لم ترغب هذه الأم في استخدام ساقها في السير إلى سرير الطفل أو استخدام ثديها لإرضاعه، أو استخدام يديها لتغيير حفاظاته؟ فإذا امتلكت المرأة

ببساطة ليس
لدينا حرية غير
مقوّنة بالمطلق
لنفعل ما نريده
في أجسادنا

حرية مطلقة بلا ضوابط على جسدها فهي بذلك مطلقة الحال في عدم استخدام جسدها لرعاية رضيعها الذي لا تريده. فلا يوجد فرق من الناحية الأخلاقية ما إذا كان الطفل يعتمد عليها في الرّحم أو إذا كان الطفل يعتمد عليها خارج الرّحم. وهذا يقودنا إلى نقطة بالغة الأهمية، وهي أن تغيير الموقع في الجسد المادي لا يُغيّر ماهية أو طبيعة الإنسان. فما الاختلاف الذي يحدث لطبيعة الطفل سواء كان في الرّحم أو خارجه؟ فكما ذكرنا سابقاً، إن بعض المدافعين عن الإجهاض منطقيين بما يكفي للإعتراف بأن موقفهم يدعم أيضاً قتل الأطفال حديثي الولادة. وقد أدى عدم مراعاة هذه النقطة إلى بعض الحالات المشوِّشة والمتناقضة بشكل لا يُصدق في بعض المستشفيات ودور الرعاية. حيث يُستدعى الطبيب في بعض

المستشفيات لقتل جنين عمره تسعة أشهر، ثم يتوجه إلى العمل من أجل إنقاذ حياة طفل مولود قبل الأوان عمره أصغر من الطفل الذي لم يُولد بعد، والذي أنهى حياته للتوّ. تتضمن العملية التي يُطلق عليها (الإجهاض الجزئي للولادة) قتل الجنين عند خروجه من قناة الولادة الخاصة بالأم قبيل إكمال عملية

إن تغيير الموقع
في الجسد المادي
لا يغيّر ماهية أو
طبيعة الإنسان

كيف يُمكن لهذه المسافة الصَّغيرة من البوصات أن تصنَع فرقاَ بين القتل غير المُبرَّر والقتل القانوني؟

الولادة الطبيعيَّة. فهل من الممكن حقاً القول أنَّ الطفلَ، إذا خرج جزءٌ من جسده فقط من قناة الأمِّ، هو إنسانٌ غيرُ كاملٍ لذا يُمكن قتله؟ ولكن إذا خرج النصف الآخر من جسده، يتحوَّل ويصير إنساناً كاملاً يحتاج إلى حماية بواسطة القانون؟ كيف يمكن لهذه المسافة القصيرة، والتي هي عبارة عن بوصات قليلة في قناة الولادة، أن تصنع فرقاَ بين كون الطفل يمتلك حقوق الإنسان الكاملة وبين إمكانية التخلص منه

بالكامل؟ وكيف يُمكن لهذه المسافة الصَّغيرة من البوصات أن تصنَع فرقاَ بين القتل غير المُبرَّر والقتل القانوني؟ فلا يمكن أن تتغيَّر طبيعة الإنسان وفقاً لموقعه في الجسد المادِّي. فإنَّ السَّمكة تبقى هي نفسها سواء كانت في الماء أو في السفينة، كذلك أيضاً الإنسان هو إنسان سواء كان في الرَّحِم أو خارجه.

٨. الإجهاض في حالة الاغتصاب

هناك مؤمنون يرفضون الإجهاض الاختياري برُمَّته، في حين أنَّ آخرين يعتقدون بأنَّ الإجهاض يمكن تبريره إذا كان الطفل قد حَبَلت به الأمُّ من جرَّاء فعل اغتصاب. يجب ألا نُخفِّف من شأن الرُّعب والصدمة التي تتعرَّض لها ضحيَّة الاغتصاب. لذا، ينبغي أن تنال النساء اللواتي تعرَّضن للاغتصاب الكثير من العناية والدَّعم. فهنَّ بحاجة إلى المحبَّة والعدالة على السَّواء، لذا يتعيَّن على المؤمنين أن يقودوا هذا الطريق. ومن المؤلم والمُحزن أن تشعر المرأة التي حبلت بطفل من جرَّاء الاغتصاب بالعار حتى إذا كانت بريئة وبلا لوم تماماً. فأتساءل فترة الحبَل، سيساءلها النَّاس عن والد الطفل، وسيفكِّرون بفضيَّات مختلفة وخصوصاً بظروفها. لأنَّه لا يمكن للحبَل أن يكون أمراً مخفياً، وربَّما يكون بمثابة أداة لتذكيرها دائماً بفاجعة الاغتصاب. فليس هناك أي كلمات تفي بوصف هذا الوضع لأنَّه أمر بالفعل مُدمرٌ.

رغم ذلك، يجب علينا أن نكون مرهفي الحسِّ قدر الإمكان فيما نقارب هذه المسألة، كما نحتاج إلى دراسة إمكانية تبرير إجهاض الحَمَل النَّاتج عن الاغتصاب. فهناك أسباب متنوِّعة تُوَدِّي إلى الحَمَل، لكنَّ نسبة الحَمَل الذي ينتج

عن الاغتصاب تشكّل جزءاً ضئيلاً من النسبة المئوية التي لا تتعدّى ١٪ من إجماليّ عدد حالات الإجهاض التي تنتج عن حالات الاغتصاب أو ضحايا سفاح القربى . وهذا يعني أنّ ٩٩٪ من حالات الإجهاض التي تحدث لم يكن سببها الاغتصاب ولكن يتمّ الإجهاض لأسباب متنوّعة . وبالتالي لتحدّث رويداً رويداً قدر الإمكان عن الظروف التي سبّبت الحمل والتي ليس لها علاقة بواقع حدوث الحمل . فإذا ما بدأت حياة إنسان بالحمل ، لا يمكن للظروف التي تسبّبت في هذا الحمل أن تُغيّر حقيقة وجود هذا الإنسان . لذا يمكن أن تؤدّي الأفعال الفاسدة أخلاقياً إلى الحمل ، ولكن هذا لا يُغيّر أو يحوّل طبيعة الطفل الذي حُبِلَ به . فبمجرّد وجود الأجنة يُحتّم علينا حمايتهم من القتل غير المُبرّر لأنّ لديهم الحقّ في الحياة . يُعدّ إجهاض الجنين عقاباً له بالموت بسبب التصرف الذي قام به المعتصّب ، ويجب عقاب المعتصّب وليس الطفل ، وبذلك لا يُصحّ الخطأ بخطأ آخر . كما أنّه لا ينبغي أن يُصبح إنهاء حياة طفل بريء مقبولاً أخلاقياً ، وذلك لمجرّد أن المعتصّب ارتكب جريمة مروّعة وعنيفة . ومن ثمّ ، إذا رأَت الأم أنّ وجود الطفل أمرٌ صعب ومؤلّم للغاية ، يمكن عندها أن تتخلّى عنه وتتركه للتبني .^٥

٩ . الإجهاض في سبيل إنقاذ حياة الأم

تعدّ هذه الحالة هي الأصعب على الإطلاق بالنسبة لأنصار (قُدسيّة الحياة) . فهناك بعض الحالات (مثل حالات الحبل خارج الرّحم) ، التي يتمّ فيها موت الطفل ، بصرف النّظر عمّا يمكن القيام به لإنقاذه . وفي بعض الأحيان ، يُهدّد وجود الطفل حياة الأم . فهل من الجائز القيام بعملية الإجهاض إذا كان هذا الأمر ضرورياً لإنقاذ حياة الأم؟ يؤمن العديد من (المعارضين للإجهاض) أنّه يمكن القيام بذلك ، وليس هناك أي ظرف آخر يُبيح الإجهاض . فمن الهامّ ملاحظته هنا أنّه حتى وإن سُمح بالقيام بعملية الإجهاض تحت هذه الظروف ، فسيتمّ هذا الأمر بشعور يملأه الأسى . إذ تُعبّر خسارة حياة أي جنين أمراً مأساوياً ، حتى وإذا كانت ضروريّة .

كما رأينا سالفاً في (خروج ٢١) ، فإنّ الكتاب المقدّس يعطي بعض الدّعم للرأي

^٥ إذا رأَت الأم أنّ الجنين الذي في رحمها مؤلم لها لأنه يُذكرها بالاغتصاب ، فيقول المؤيدون للإجهاض أنّ الأم ينبغي أن يكون لها الحقّ في إنهاء حياة الجنين . ولكن يمكن تطبيق المبدأ عينه بعد ولادة الطفل . ماذا لو قرّرت الأم الاحتفاظ بالطفل ، ولكن بعد شهرين من ولادته وجدت أنه يُذكرها بالاغتصاب الذي تعرّضت له؟ إذا كانت تستطيع قتل الطفل عندما يكون في رحمها لهذا السبب ، فلماذا لا ينطبق المبدأ نفسه بعد الولادة؟ مرّة أخرى نقول: إنّ المسألة تتعلّق بطبيعة هذا الكائن الحيّ ، فيما أنّ هذا الجنين هو إنسان كامل ، ينبغي حمايته سواء كان داخل الرّحم أو خارجه .

القائل بأنَّ حياةَ الأمِّ تفوقُ أهميَّةَ حياةَ الطفلِ . ولكن بالنظر إلى غموض هذا النصِّ ، وحقيقة أنَّ شريعةَ العهد القديم تعطي قيمةً مختلفةً للذكور عن الإناث ، ممَّا يُنبئ بطريقة ما أيضاً بأنَّ الطفل له قيمة أقل . فحاجتنا هنا هي الحفاظ على قُدسيَّةِ حياة كُلِّ من الأمِّ والطفل الذي لم يولد بعد . ولكن إذا كان الطفل سيموت لسبب ما ، وهناك إمكانيَّةٌ لإنقاذ حياة الأمِّ فقد يُبرَّرُ الإجهاضُ على أساس مبدأ (التأثير المزدوج) . إذ يُنصُّ هذا المبدأ المتعلِّق بأخلاقيَّات الطبِّ على أنَّه يمكن إجراء العمليَّات عند الضَّرورة إن كانت ستحقِّق أهدافاً ونتائج إيجابیَّة أكثر قيمةً من النتائج السلبیَّة . ويُعدُّ الشَّيءُ الهامَّ في هذا المبدأ هو أنَّ النتائج السلبیَّة تكون غير مرغوب فيها أو غير مقصودة ، ولكن بكلِّ أسف لا يمكن تجنُّبها . وحين نعود للقضية الأساس ، فإنَّ تطبيق هذا المبدأ يركز على أنَّ الطبيب لا يحاول قتل الطفل إنَّما يحاول إنقاذ حياة الأمِّ . فإذا أدَّى إنقاذ حياة الأمِّ إلى موت الطفل ، على الرُّغم من أنَّ هذه النتيجة مُحزنة وغير مرغوب فيها ، فإنَّها تُبرَّرُ على أساس حقيقة أنَّ موت الطفل ضروريٌّ لإنقاذ حياة الأمِّ . فإذا كان كُلُّ من الأمِّ والطفل سيموتان فالظرف الوحيد الذي يُسمَح فيه بإجراء عمليَّة الإجهاض هو لإبقاء الأمِّ على قيد الحياة . ومن المؤكَّد ، أنَّ عمليَّات الإجهاض التي تُجرى لهذا السبب نادرة جداً ، ويكون وقعها قاسياً جداً على الأمَّهات اللواتي يجدن أنفسهنَّ في هذا الموقف .

١٠ . من يَعتني بالطفَّل؟

يجب على المؤمنين عدَمُ الاكتفاء بمعارضة الإجهاض وحَسب ، بل يتعيَّن عليهم تقديم المحبَّة والدَّعم للنساء اللواتي يُكافحن في حَمَلهنَّ وفي تربية أبنائهنَّ . فيجب ألاَّ تشعر أيُّ امرأةٍ باليأس أو بأنَّها في مأزقٍ إذا أصبحت حاملاً ، سواء كانت مُتزوِّجة أم لا . كما ينبغي على الكنائس والمؤمنين التأكيد على أنَّ قلوبهم وأيديهم مفتوحة لمساعدة الضَّعفاء . ففي أميركا الشماليَّة ، هناك منظمات عديدة أنشئت لمساعدة النساء لتلقي المشورة والدَّعم العمليِّ أثناء فترة حملهنَّ ، وحتى بعد أن يضعن أطفالهنَّ . فالمحبَّة مطلوبة ، وهناك احتياجٌ أيضاً للمنظمات والبنى الاجتماعيَّة التحتيَّة للرعاية . فأولئك الذين يؤمنون بكرامة وقُدسيَّة الحياة البشريَّة ينبغي عليهم إظهار ذلك ليس عن طريق التعبير النَّظريِّ وحَسب لكن عن طريق التطبيق العمليِّ . إذ نحن غير مدعوِّين لأنَّ نحبَّ البشريَّة بشكل عامٍّ وحَسب بل دُعينا أيضاً لأنَّ نحبَّ أفراداً مُعيَّنين محبَّة خاصَّة . وقد يكون بعض النساء من

أقاربنا حوامل وفي حاجة إلى المساعدة فيجبُ مدُّ يد المساعدة إليهنَّ وإلى أطفالهنَّ .

يُعدُّ التبني خياراً رائعاً ونبيلاً عوضاً عن الإجهاض، كما يُعتبر أحد أروع البركات اللاهوتية التي لنا في المسيح. فقد تبنا الله الأب وجعلنا أبناء له وورثة (أفسس ١: ٥). لذا، فإنَّ تبني الأطفال سواء كانوا حديثي الولادة أو أكبر سناً، يعكس قلب الله. فإذا لم تقم النساء بالإجهاض، ستحفظ الكثيرات منهنَّ بأطفالهنَّ، ويُمكن لكثيرات أيضاً أن يتخلين عن أطفالهنَّ لكي يتبناهم أناس آخرون. لذا تحتاج كنيسة المسيح أن تُشارك محبة الله في التبني ضمن اختبارات الإيمانية. لذلك، نحن بحاجة إلى بذل قصارى جهدنا لتقديم المحبة والرعاية والمشورة

يجب على
المؤمنين عدم
الاكتفاء بمعارضة
الإجهاض
وحسب، بل يتعين
عليهم تقديم المحبة
والدعم للنساء
اللواتي يكافحن في
حملهنَّ وفي تربية
أبنائهنَّ .

والدعم والموارد العملية لكل من النساء والأطفال. وهذا يشتمل على مشاركتهم بالغفران والكفارة اللتين يقدمهما دَم المسيح.

يُعدُّ الإجهاض شراً عظيماً، ولكنه في الوقت عينه ليس أمراً لا غفران له. لذا تحتاج الكنائس بأن تؤكد للنساء بأن إنجيل المسيح أعظم من جميع خطايهنَّ أيّاً ما كانت.^٦ ففي يسوع، يوجد غفران لخطية الإجهاض.

لا زلت أتذكرُ (ستيف) حين كنت أعيش في الأحياء الفقيرة لإحدى المدن الكبرى في أفريقيا، الإعلانات الورقية الرخيصة المعلقة على الأعمدة والجدران، والتي تُعلن عن تقديم خدمات للإجهاض. وقد أشارت هذه الإعلانات عن جودة الخدمة المقدمة، إذ أظهر وجود العديد من هذه الإعلانات (من المجموعات المنافسة) مدى شعبية وانتشار هذه الخدمات. فما هو الحل؟ هل هو قوتنة القتل؟ أو ضمان موت الأجنة التي لم تولد بعد في بيئة صحية؟ بالطبع، لا. إنما الحل هو أن نحب،

٦ نحتاج إلى معرفة أنَّ الرجال أيضاً يمكنهم اختبار الشعور بالذنب والعار من جرّاء الإجهاض. ربّما يكون الرجال هم المسؤولون عن الضغط على شركائهم لإجراء عملية الإجهاض، وربّما يؤولون هذه العمليات. ولكن حتى إذا كان الرجل ضدَّ عملية الإجهاض، فربّما يشعر بالذنب من كونه غير قادر على إيقاف حدوثها. وبالطبع، إنّه مسؤول عن دوره في حدوث هذا الحمل. وربّما تكون صدمة إنهاء حياة طفل، في حال رغب في ذلك أم لا، تنقل عليه بمرور الوقت. ولكن في المسيح وحده، يمكن نوال الغفران والشفاء التام لكل من الرجال والنساء، ويوجد نعمة لكل الذين يطلبونه.



إنَّ تبنِّي الأطفال سواء كانوا
حديثي الولادة أو أكبر سنًّا،
يعكسُ قلبَ الله.

نخدّم، نعطي، نعمل ونُصَلِّي. يُعدُّ الإجهاض
شرًّا أخلاقيًّا عظيمًا، حيث أنَّ حصيلة المُجهضين
لا توصف، لكنّه لا يحدث خارج البناء الاجتماعيّ
الأوسع والعلاقات الإنسانيّة. لذا، نحن بحاجة
إلى إحداث تغيير في قلوب الأفراد وفي بنية
المجتمع على حدّ سواء. فقط، عندما تُصبح محبّة
المسيح أكثر واقعيّةً، ونابطةً بالحياة للناس أكثر
من اليأس والخوف، وعندما تعني لنا قدسيّة حياة
الأشخاص أكثر بكثير من تعليمنا ومن أموالنا ومن
راحتنا ومن سعادتنا وتقديرنا لحياة الآخرين أكثر
من أنفسنا، حينئذٍ فقط سينتهي الإجهاض.

أسئلة للتفكير:

١. في رأيك ، ما هي أقوى حُجَّة داعمة للإجهاض؟
٢. في رأيك ، ما هي أقوى حُجَّة ضدَّ الإجهاض؟
٣. هل يمكنكُ تقديم حُجَّة ضدَّ الإجهاض من وجهة نظر إنسان مُلحد؟
٤. ما الذي يمكنكُ أنت وكنيستك القيامُ به لوقف الإجهاض؟ ما الذي يمكنك القيام به لمساعدة النساء الحوامل؟ وماذا عن الأطفال ، الذين ولدوا والذين لم يولدوا بعد؟
٥. ما هي النصوص الكتابية الأخرى المتعلقة بهذه القضية؟



إنهاء الحَيَاة

إعتاد النَّاسُ عبر تاريخ العالم الغربيّ على القول بأنَّ المؤمنين يعرفون كيف يموتون بشكل جيّد». في حقيقة الأمر، إنّ هذه العبارة دقيقة وصحيحة، فهي لا تعني البتة أنّ كلّ إنسان مؤمن لا يخاف الموت. فحتى وإن لم يخف المؤمنون من الموت نفسه، فهم غالباً ما يخافون من الألم الذي ربّما يُرافق عمليّة الموت. فقد يشكّ أحدهم أيضاً في الثقة التي له في المسيح والكافية لخلاصه. ورغم ذلك، عرف المؤمنون كيف يموتون بشكل جيّد مقارنةً بالآخرين. فموتهم لم يكن بيأس أو بغضب أو بشجاعة طائشة، كما أنّهم لم يتظاهروا بعدم المبالاة بموضوع الموت، كما أنّهم لم يتمرّدوا على النهاية التي حدّدت لهم. يعرف المؤمنون الذين هم في المسيح أنّ الموت هو آخر عدوّ يُبطل وأنه بالفعل هُزم بموت المسيح وقيامته (١كورنثوس ١٥: ٥٥-٥٧). فالموت هو آخر أثر للّعنة التي اختبرها المؤمنون، وهو بمثابة البوّابة التي وضعت نهايةً لرحلتهم في هذا العالم. فبدخولهم من هذه البوّابة هم يعبرون إلى ديار سيّدهم، ويصلون أخيراً إلى نهاية الرحلة، إلى بيتهم الأخير.

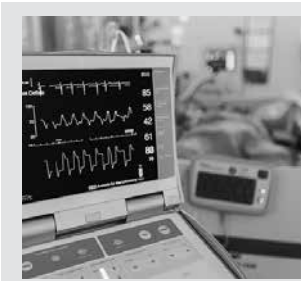
إن إدراك الانسان لكيفية الموت بشكل جيد هو الذي يسمح له بالعيش بطريقة جيدة. وهذا ما يُعتبر أيضاً أمراً ضرورياً لصنع أحكام أخلاقية مناسبة بشأن مبدأ قدسية الحياة والرعاية الطبية السليمة. فالنكولوجيا الطبية موزعة في جميع أنحاء العالم بطريقة غير متكافئة. إذ نجد أن بعض الناس في بعض الأحيان يمكن أن يبقوا على قيد الحياة إلى أجل غير مُسمى بواسطة أجهزة تُمنها ملايين الدولارات، والبعض الآخر في أماكن أخرى من العالم لا يستطيعون حتى الوصول إلى مستشفيات بدائية. فهناك خيارات طبية متاحة للأثرياء في بعض البلدان لا يمكن للفقراء في أماكن أخرى الحصول عليها. ورغم ذلك، لا يُعدُّ كلُّ تطوُّر طبيٍّ بركةً حقيقة. ففي الواقع، يمكن لأنظمة الرعاية الطبية العملاقة أن تقدِّم الكثير من الأشياء الجيدة، لكنها أيضاً يمكن أن تُسبب الكثير من الضرر. فيمكنها مثلاً أن تجعل الحياة مُصطنعة عن طريق التقليل من قيمة الإنسان وجعله مجرد مجموعة أعضاء بيولوجية تعمل على الأجهزة، عوضاً عن رعايته باعتباره كياناً حقيقياً كاملاً. وهي بالإضافة إلى ذلك، تُبعد الناس عن محيط الحب والرعاية، وتستبدل الدفء بجفاف جناح المستشفى الذي يديره طاقمٌ يعملُ بجهدٍ ولكنه يفتقرُ إلى التقدير. ويمكن أيضاً التقليل من قيمة المريض وتحويلهم إلى مجرد مصدر للمكاسب الاقتصادية للمستشفيات الخاصة أو مصدر خسائر اقتصادية للمستشفيات العامة. عندما يُنظرُ إلى المريض من منظور المادي البحت فعندها تكون أخلاقيات الهيئات الطبية مُعرَّضة للخطر. فقد تنسُم المنظومات الطبية في أبهى صورها بالرحمة والإنسانية، حين يحظى مُقدِّمو الرعاية الطبية والمريض (وأهل المريض) بالحب والاحترام، غير أن هذا النموذج ليس هو الواقع في الكثير من الأماكن.

ما هي الرسالة التي ينبغي أن يتحدَّث بها المؤمنون بشأن الموت وبشأن المُشرفين عليه؟ وكيف يمكن للكنايس أن تدرِّب شعبها على الموت بشكل جيد؟ ومتى يمكن للمؤمنين تبني التكنولوجيا الطبية أو التراجع عنها؟ سواء كنا أغنياء أو فقراء، هل نسلك المسلك المُضادُّ للأعراف الاجتماعية السائدة حين يتعلَّق الأمر بكيفية التعامل مع نهاية الحياة؟ ينبغي أن نكون كذلك. فيجب أن تكون أولوياتنا وقيمتنا ووجهة نظرنا ورجاؤنا مختلفة تماماً عن العالم من حولنا. وبما أن هذا هو الحال الذي ينبغي أن نكون عليه، فإنَّ التزاماتنا الأخلاقية فيما يخص الحياة والموت يجب أن تكون أيضاً مختلفة. فيجب علينا تجنبُّ قبول معايير

الثقافات المحيطة بنا من دون التّدقيق فيها. بالتالي، وبناءً على دعوتنا التي في المسيح يجب أن نعيش حياتنا كاملةً في القداسة، وأن نموت باعتبارنا شعباً مُقدّساً مُكرّساً لله القدّوس.

الطّب، الحياة والموت

متى يُمكننا اعتبارُ شخص ما ميتاً بالفعل؟ يبدو هذا سؤالاً غريباً للوهلة الأولى. فهذا النوع من الأسئلة لا يُمكن أن يطرحه غير الشّخص الذي فقد تواصله مع النظام الطبيعي للحياة. فوفقاً للتّاريخ، يُعدُّ الموت أمراً عالمياً مثله مثل الولادة.



يمكن للطب الحديث، وخاصة في العالم الغربي، أن يتخذ قرارات أخلاقية تتعلق بنهاية الحياة معقدة للغاية وغالباً ما يكون من الصعب على العائلات التعامل معها.

هناك لحظة يكون فيها الإنسان حياً (ربّما بالكاد يتنفس)، وبعد ذلك يتوقف عن التنفس ويموت. فعند الوفاة لن يكون الإنسان قادراً على القيام بحركات واعية، ولا قادراً على التّجاوب مع المُثيرات المحيطة، وكذلك سيفقد النّور الذي في عينيه. يُدرك الأشخاص الذين يعيشون حياتهم بالقرب من الأرض، في الزّراعة والصّيّد ورعاية المَرَضَى في القرى عَوْضاً عن المستشفيات الحديثة، الفرقَ بين الحياة والموت. في المقابل، فإنّ النّاس وخصوصاً في العالم المتحضّر الغربي يتباعد إدراكهم هذا لحقيقة الموت بشكل

متزايد. حيث يمكن للتدخّل الطّبي أن يجعل الخطّ الفاصل بين الحياة والموت غير واضح. فُحافظ الأجهزة الطّبية على نبضات القلب وعمل الرئتين والكلية. كما يمكن وضع الطّعام والماء مباشرةً في معدة المريض وفي مجرى الدّم من خلال الأنابيب والحقن. فهذه الإجراءات جعلت بعض النّاس يتساءلون عمّا إذا كان المريض على قيد الحياة أم هو في غيبوبةٍ طويلة، وليس قادراً بذلك على الاستجابة للتأثيرات الخارجيّة، لأنّ الأجهزة التي هي من صنع الإنسان تحافظ على وظائف أعضاء جسمه الحيويّة.

في ظلّ غياب التكنولوجيا الطّبية المتقدّمة والبُنية التّحتيّة الخاصّة بها، يُصبح هذا السيناريو وهذه الأسئلة المطروحة غير ذات صلة. هناك أناسٌ يقفون في

أروقة المستشفيات محاولين تحديد ما إذا كان أحبائهم المطروحون على الأسرة والمتصلون بالأجهزة والشاشات هم على قيد الحياة بالفعل، وهذا أمر له دلالة هامة، أم أنهم في عداد الموتى فعلياً. فواحدة من صعوبات هذا السيناريو هي غياب علامات الوفاة الطبيعية الواضحة بسبب الأجهزة التي تصطنع مؤشرات الحياة هذه. على سبيل المثال، في الوضع الطبيعي والشائع وحين يتوقف إنسان ما عن التنفس ويتوقف نبضه، يُصرح بأنه قد فارق الحياة^١. فإن هذه العلامات كانت دائماً وأبداً عبر تاريخ البشرية هي المؤشر الذي يدل على نهاية حياة الإنسان. لكن اليوم، يُمكن لشخص ما أن يكون في غيبوبة عميقة ويعتمد بالكامل على الأجهزة الاصطناعية ولا يعرف من هم الذين حوله إن كان على قيد الحياة أم لا. ففي مثل هذه الحالة، هل لا يزال هذا الإنسان حياً حقاً أم أنه في حالة حياة اصطناعية تؤخر حدوث الموت؟ تُعد الإجابة عن هذا السؤال أمراً بالغ الأهمية لأخلاقيات الحياة والموت.

الرعاية الطبية: الإيجابيات والسلبيات

تعد البلدان التي تتوفر فيها الرعاية الطبية الممتازة أقطاراً مباركة حقاً. أظهرت حياة يسوع وخدمته أن الله يقف بجانب الرحمة والشفاء. فليس هناك أسباب تكنولوجية تجعلنا نتراجع عن توفير الأدوية لمن يحتاجونها. يأتي كل شفاء من عند الله، ويُمكن أن يشفي بطرق معجزية، لكنه أيضاً يشفي من خلال منح النجاح للوسائل الطبية العادية. فهو يُعطي الأطباء والمرضى معرفة وحكمة. فمن الصواب استخدام هذه العطايا لجلب الشفاء والسلامة على قدر استطاعتهم. من الممكن بل من الضروري محاربة الذاء والمرض والموت. لذا، تُعد جودة الرعاية الطبية التي تُعيد الصحة وتوقف أو تبطئ التدمير الذي يُحدثه المرض شيئاً لا بد أن نشكر الله عليه.

إن أولئك الذين لديهم إمكانية الوصول إلى الأدوية والجراحات والعيادات

١ أضافت القدرة على المسح فوق الصوتى لدماغ الإنسان لمعرفة نشاطه مُعضلة جديدة للمناقشة. يقبل معظم علماء الأخلاق اليوم أنه حين لا نجد نشاطاً دماغياً (أي حين يكون الشخص في حالة موت دماغي)، حينئذ يكون الشخص ميتاً. ولكن على مر التاريخ وفي الغالبية العظمى من الحالات اليوم، لا يتم توصيل الأفراد بأجهزة فحص الدماغ. ولكن لا زال توقف النبض والتنفس هما المؤشرين الرئيسيين لحدوث الوفاة، حتى في البلدان ذات التكنولوجيا الطبية المتقدمة. نحن بحاجة إلى إعادة النظر في حقيقة أن الموت ليس مسألة قانونية أو فلسفية في المقام الأول، فهو موجود قبل الفلسفة، ويعبر عن الطبيعة الإنسانية. وحين تغيب الطبيعة والإنسانية عن الأنظار، يتعين علينا استنباط خطواتهما حتى نجهما مرة أخرى. فيجب أن تكون جميع وسائل التكنولوجيا، بما فيها التكنولوجيا الطبية خادمة لنا، وليست سيداً علينا.

تُعتبر الرعاية الطبية التي تُحافظ على الحياة وتُحسنها أمراً جيداً أخلاقياً.

والمستشفيات الجيدة لا يرغبون في العيش بدون تلك الإمكانيات. يُعدُّ متوسطُ العمر المتوقع في البلدان ذات الرعاية الطبية الممتازة أعلى بكثير مما هو في الأماكن التي لا تتوفر فيها هذه الرعاية. فيمكن أن تُحسن العمليات الجراحية وأقراص الدواء كثيراً من جودة الحياة. في حقيقة الأمر، يمكن للعمليات الجراحية والأدوية أن تزيد بعض الناس عقوداً في العمر «الإضافي»

على الأرض، إذ نجت أعداد كبيرة من الناس في العالم المتقدم من الثوبات القلبية ومن مرض السرطان والصدّات الكارثية وجميع أنواع الحالات المرضية المحتملة بسبب الحصول على رعاية طبية متقدمة. كما نجا الأطفال الميسورون وترعرعوا، ونجت أمهاتٌ كثيرات أثناء الولادة من الموت أكثر من أمهات أخريات تعرّضن لأوضاع مماثلة في أوقات وأماكن مختلفة لم تتوفر فيها تلك الإمكانيات. وأنقذت حياةً أجداد أكثر من خلال تدخل طبي بطولي، فسمح لهم برؤية أحفادهم وهم يكبرون، وربما شاهدوا أيضاً ولادة أبناء أحفادهم. فإنه للأمر مرحّب ومرغوبٌ به أن نرى هكذا رعاية طبية لأنها تُحافظ على الحياة وتحسنها، وبالتالي فهي أمرٌ جيدٌ أخلاقياً ويجب أن نكون شاكرين لله عليها.

إن الاهتمام بجودة الرعاية الصحية هو أمرٌ غيرٌ مُثير للجدل، فليس هناك أنصارٌ كثيرون يُطالبون بالتقليل من جودتها! لكن يأتي وقتٌ حيث تصل التكنولوجيا والإجراءات الطبية إلى نقطة لا يمكن فيها تمديد حياة الشخص إلى حدٍّ يتم فيه تأخير الموت. هناك طرقٌ بشريةٌ جيدةٌ تساعدنا على العيش في العالم، ويمكن للطبيعة أن تكون دليلاً، وإن لم تكن هذه الطرق معصومةً عن الخطأ لأننا نعيش في عالمٍ ساقط. ولكن، لأن الطبيعة تعتبر شيئاً مخلوقاً يجب أن نتعلم العيش معها في وئام. وبالمثل، ليس لأن القلب يمكن أن يستمر في العمل بواسطة جهاز اصطناعيٍّ يعني أنه يجب أن يستمر كذلك أو حتى ينبغي أن يكون هكذا. فهناك حقيقةٌ مجردةٌ هي أنه يمكننا أن نقوم بأشياء ليست مُبررة بما يكفي للقيام بها.

لكن مع إدراكنا بأن الرعاية الصحية المتقدمة، من حيث المبدأ، جيدةٌ أخلاقياً، نحتاج أيضاً إلى الاعتراف بأن وجودها واستخدامها يمكن أن يخلق مُعضلات أخلاقية. متى يُسمح للناس أن يموتوا؟ وهل ينبغي القيام بإجراءاتٍ مكثفة، وعلى

درجة عالية من المخاطرة، ومؤلمة وباهظة التكلفة على المرضى الذين يحضرون وكبار السن الذين بقي لهم وقت محدود للعيش على الأرض، حتى لو كان هذا الإجراء الطبي ناجحاً؟ نحن نعلم أن بعض الأدوية التي تُحارب السرطان يمكن أن تُنتج بعض الآثار الجانبية الصعبة في الجسم. إذا كان شخص ما مصاباً بالسرطان في المرحلة النهائية ومُقدراً له العيش ثلاثة أشهر ما لم يأخذ العلاج، فهل عليه أخذ هذه الأدوية الصعبة كي يعيش ستة أشهر عوضاً عن ثلاثة أشهر؟ ربّما تقوم الأدوية بالحد من نمو السرطان وتسمح بإطالة أمد حياة المريض قليلاً. ولكن هل من الأفضل للشخص حقاً تناول هذه الأدوية؟ هل ستة أشهر من المعاناة والألم وربّما الاضطراب العقلي أفضل من ثلاثة أشهر تكون فيها وظائف الجسم طبيعية إلى حدّ ما؟

علاوة على ذلك، هناك العديد من الحالات التي يظن فيها الأشخاص على قيد الحياة بسبب وضعهم على الأجهزة، الأجهزة التي يمكن أن تُساعد في استمرار الدورة الدموية وفي إطعامهم وفي القيام بعملية التنفس بالنيابة عنهم، بينما هم فاقدو الوعي تماماً ودون أمل بالرجوع. فإذا كان قلب أحدهم لا ينبض من تلقاء ذاته ولا تستطيع رئتاه أن تتنفسا بشكل طبيعي ولا يستطيع أن يأكل أو يشرب بذاته، هل يجب الاستمرار بوضعه على الأجهزة التي تقوم له بكل هذه الوظائف بشكل إصطناعي؟ حتى إذا كان وضعهم على الأجهزة الطبية من الناحية الأخلاقية أمراً مقبولاً فهل من الملزم أخلاقياً القيام بذلك؟ ما هو الغرض أو الهدف من ذلك؟ هل من الجائز مثلاً ألا تُقرّر أن

هل من الجائز
ألا تُقرّر أن تأخذ
بعض العلاجات
الطبية المعينة
وعوضاً عن ذلك
أن تموت؟

تأخذ بعض العلاجات الطبية المعينة عوضاً عن ذلك أن تموت؟ على الرغم من الفرصة المتاحة للناس لتناول العلاج الطبي إذا أرادوا، فلا يوجد إلزام أخلاقي لاستخدام كل علاج طبي متاح. تُعدّ الحياة جيّدة، ولكن في هذا العالم الساقط نحتاج أن نأخذ في عين الاعتبار الدمار الذي تسببه الخطيئة وحمية الموت. وكذلك أن ندرك بأنه في المسيح وحده هُزِمَ الموت، وإلى أن يعود المسيح ثانية، فكل من يولد سيخضع للموت مما يعني أن حياتنا الأرضية محدودة ويتعين علينا أن نقاوم الموت وأيضاً أن نستسلم له. يوجد «لِلوَلَادَةِ وَقْتُ وَلِلْمَوْتِ وَقْتُ» الجامعة ٣: ٢.

القتل الرَّحِيم

تقودنا الاعتبارات السابقة إلى قضية القتل الرَّحِيم (المصطلح الذي يعني «القتل الجيد»). يمكن وفي بعض من الأحيان تأجيل الموت لفترة زمنية طويلة في العديد من الأقطار حيث التكنولوجيا الطبيّة مُتقدّمة. ولكن متى يمكن للشخص أن يُقرّر أنّه يرغّب في الموت؟ متى تصير الحياة غير مستحقّة أن يُحافظ عليها بأيّ ثمن؟ هذه هي الأسئلة التي تتضمنها فكرة (جودة الحياة). فإننا نقيس صلاح الحياة ليس على أساس طول العُمُر (الوقت الذي يحيا فيه الإنسان) وحسب بل أيضاً على أساس جودة الوقت. إذا أُعطي إمتياز الاختيار هذا للنّاس، فربّما يُفضّل معظمهم أن يموتوا عوضاً عن قضاء أشهر أو سنوات في ظروف صحيّة صعبة. حين يتمّ تشخيص الحالة المرصّية باعتبارها غير قابلة للشفاء بشكل نهائيّ، يؤدّي هذا إلى الانهيار الجسدي والعقلي بشكل غير عاديّ، ويفضّل حينها الكثيرون الموت بسرعة وبلا ألم. غالباً ما يقول مؤيدو القتل الرَّحِيم في هكذا حالات بأنّهم

... أو لئلك
المدافعون عن
(الموت بكرامة)
يميلون إلى
المجادلة بشأن
نوع من القتل
يُسمّى القتل
الرَّحِيم النّشط.

يفضّلون (الموت بكرامة). هذا يعني أن يكون الشخص قادراً على اختيار لحظة وفاته قبل أن تتدهور حالته تدهوراً شديداً وتسبب له معاناة نفسيةً وألماً جسدياً. فبمجرد وصول جودة الحياة إلى نقطة محدّدة لا نجد فيها أيّ توقع للشفاء (ولا يوجد سوى توقع لمزيد من الألم)، يؤمن أولئك الذين يدعمون (الموت بكرامة) أنّه من الجائز أخلاقياً أن يختار الشخص الموت.

لكن الأمر المُثير للجدل إلى حدّ كبير هو أنّ أولئك المدافعين عن (الموت بكرامة) يميلون إلى المجادلة بشأن نوع محدّد من القتل يُسمّى القتل الرَّحِيم النّشط. يجب التمييز بين القتل الرَّحِيم

النّشط والقتل الرَّحِيم السّليبي (وإن كان من الصّعب الفصل بينهما بصورة كاملة في الحالات الصّعبة). ففي القتل الرَّحِيم النّشط، يقوم الفرد بفعل مُعيّن يكون هو السبب المباشر في حدوث الوفاة. فالقتل الرَّحِيم النّشط يحدث بواسطة الطّبيب أو المرصّة أو أي طرف آخر، ومن ثمّ يكونون هم الواسطاء الذين تسببت أفعالهم في الموت الفوريّ للشخص. على سبيل المثال، ربّما يعطي الطّبيب حقنةً منومة

تؤدّي إلى توقّف القلب لمرضى يحتضر، ومن دون هذه الحقنة سيبقى الشخص على قيد الحياة، وعليه فإنّ تفعيل موته حدث من خلال هذه الحقنة. وربما يقوم الطبيب بإعطاء المريض أقرصاً لابتلاعها ويكون لها التأثير ذاته، ولكن المريض هو الذي يأخذها وابتلاعها ممّا يؤدّي إلى وفاته.

يمكن أن يأخذ القتل الرحيم السّلبي أشكالاً مختلفة حيث يكون بعضها مقبولاً أخلاقياً أكثر من غيرها. فكما هو الحال في الكثير من الأحيان، يعتمد معنى القتل الرحيم السّلبي جزئياً على كيفية تعريف المصطلحات. في حين أنّ القتل الرحيم

النشط ينطوي على القيام بشيء ما يؤدّي إلى الموت، فإنّ القتل الرحيم السّلبي يتضمّن حجب الأدوات اللازمة لبقاء المريض على قيد الحياة. على سبيل المثال، إذا كان شخص ما يحتاج إلى أنبوب التغذية لعدم قدرته على البلع، فإنّ إزالة هذا الأنبوب يضمن عدم حصوله على الغذاء وبالتالي سيواجه في النهاية الموت. ولأنّ الطعام هو احتياج طبيعي ولا غنى عنه للحياة، فإنّ إزالة الأنبوب الذي يحتاجه الفرد لإدخال العناصر الغذائية يؤدّي إلى الموت السّلبي. وفي حالة أخرى أقلّ إثارة



يؤدي القتل الرحيم النشط إلى الموت بطريقة استباقية ومصطنعة غير طبيعية

للجدل، قد يدخل شخص ما في حالة غيبوبة لمدة طويلة ولا يُتوقع مطلقاً شفاؤه، حيث لا تستمرّ وظائفه الجسدية في العمل إلاّ لأنها مُتصلة بالأجهزة، فإنّ القتل الرحيم السّلبي في هذه الحالة ينطوي على فصل الشخص عن الأجهزة. يُشير البعض في هذه الحالة الأخيرة إلى أنّ هذا الموت لا يُدرج تحت خانة القتل الرحيم السّلبي بل هو موتٌ عاديّ. كما يُصرّ آخرون على أنّه بسبب الامتناع عن تقديم الرعاية الطبيّة اللازمّة التي كان من الممكن أن تُطيل العمر فإنّ هذا الامتناع يُعتبر بمثابة فعل قتل رحيم سلبيّ.

إنّ عبارة (دع الطبيعة تأخذ مجراها) تُظهر فرقاً رئيسياً بين القتل الرحيم النشط والسّلبي. فإذا لم يتمكّن شخص يرقد في سرير المستشفى من البقاء على قيد الحياة بحالة غير واعية بالاتكال على الأجهزة الطبيّة، فحياته هذه مستمرة من خلال وسائل غير طبيّة بحتة. ففي هذه الحالة لا يوجد شيء طبيّ في الطريقة

التي تستمرُّ بها حياته. ومن ثمَّ، فإنَّ فصله عن الأجهزة يجعلُ (الطبيعة تأخذ مجراها). ولكن في القتل الرحيم النَّشْط، لا يُسَمَّح للطبيعة بأن تأخذ مجراها. ففي حقيقة الأمر، إنَّ القتل الرحيم النَّشْط يؤدي إلى الموت بطريقة غير طبيعِيَّة واستباقِيَّة ومصطنعة. لقد منحنا الله الحَقَّ بأن نصارعَ ضدَّ المرَض والألم والدَّاء، لكن لم يعطنا السَّمَّاح بقتل المريض. وبما أنه من الطبيعي أن نسعى ككائنات حيَّة إلى البقاء على قيد الحياة، فعلينا أن نصارعَ طويلاً للحفاظ عليها، ويجب أن لا نجاهدَ ضدَّ ما هو طبيعِي سعيًّا وراء الموت. ففي الحالة الأولى، إننا

يُعدُّ القتل الرحيم
النَّشْط قتلًا لإنسان
بريء، وبالتالي
فهو بحُكم تعريفه
إمَّا عمليَّة إنتحار أو
عمليَّة قتل.

نحاول استعادة الانسجام مع الصِّحَّة الطبيعِيَّة والكمال والسَّلام، ولكن في الحالة الثانية، نحن نسعى فعليًّا إلى مؤازرة آثار اللعنة (التي هي الموت). يُعدُّ القتل الرحيم النَّشْط قتلًا لإنسان بريء وبالتالي فهو بحُكم تعريفه إمَّا عمليَّة إنتحار (إذا قامَ به المرءُ بنفسه) أو عمليَّة قتل (إذا قامَ به شخصٌ آخر سوى المريض). وعليه، فإنَّ القتل الرحيم النَّشْط غيرُ طبيعِي وغيرُ أخلاقيِّ على حدِّ سواء.

ولكن، يجب أن يكون الحُكْم على الوَضع الأخلاقيِّ للقتل الرحيم النَّشْط متوازنًا مع الرَّحمة. للأسف فإنَّه في بعض الحالات، من المُمكن أن يتمنَّى أفرادُ العائلة الموتَ للشَّخص المُسنِّ والعجوز حتى يتمكَّنوا من الحصول على ممتلكاته. وهناك إمكانيَّة أيضًا بأن يُشجَّع الأطباء المرَضى على الموت لتفادي إهدار الموارد الطبيَّة الشحيحة. فمن المُحزن أن كلا الاحتمالين يحدثان في الأقطار التي تسمَّح بالقتل الرحيم. ولكن الأمر الأكثر شيوعًا هو أن الأسرة والأحباء الذين يُحيطون المرَضى والمحتضرين بمحبَّتهم يخبرون أيضاً الضيق الشديد عند رؤية معاناتهم. فالكثير من الناس، حين تقترب حياتهم من نهايتها يصرِّحون بأنهم مستعدون للموت. وفي المقابل، يصرِّح البعض الآخر ليس بجُهورِيَّتِهِم للموت وحسب بل أيضاً برغبتهم الشديدة به. ففي مثل هذه الحالات، قد تُقرَّر الأسرة بأن إعطاء الحُقنة القاتلة للمريض هو الموقِف الأكثر إنسانيَّة والمليء بالمحبَّة الذي يمكن أن يُتَّخذ. وهذا الأمر يتوافق مع رغبة أحبائهم لأنهم لا يريدون بأن يحيا أحبائهم في ألمٍ ووجع. هذا الموقِف لا يُبرِّرُ بالطبع فعلَ القتل لأننا سنكون غير أمناء إن

فَلَمَّا أَنْ الدَّوَّاعِ هِيَ نَفْسُهَا لِأَوْلَئِكَ القَتْلَةَ الذِّينَ لَا يَعْرِفُونَ الرَّحْمَةَ. فَهِنَا يَمَكُنُ أَنْ يُسَاءَ تَطْبِيقَ الرَّحْمَةِ وَالرَّأْفَةِ، إِذْ لَا تَقْوَدُ دَائِمًا النُّوَايَا الحَسَنَةَ الصَّادِقَةَ إِلَى قَرَارَاتٍ أخْلَاقِيَّةٍ صَحِيحَةٍ. وَلَكِنْ تَحْتَاجُ هَذِهِ النُّوَايَا إِلَى أَنْ تَتَوَازَنَ مَعَ تَقْيِيمِ الوَضعِ الأخْلَاقِيِّ لِلْفِعْلِ.

لا توجَدُ في الإلحادِ أسُسُ حَقِيقِيَّةٍ لِقُدْسِيَّةِ الحَيَاةِ.

تَكشِفُ قَضِيَّةَ القَتْلِ الرَّحِيمِ مَدَى أَهْمِيَّةِ الرُّؤْيِ الكُونِيَّةِ وَالأَنْظَمَةِ الأخْلَاقِيَّةِ. غَالِبًا مَا يُؤَشِّرُ أَوْلَئِكَ الذِّينَ يَدْعُمُونَ القَتْلَ الرَّحِيمَ النَّشِطَ فِي العَالَمِ الغَرِيبِي إِلَى العَائِلَاتِ الَّتِي تُرَبِّي الكِلَابَ وَالهَرَّرةَ بِاعتبارها حيوانات أليفة. وَحِينَ تَصَلُّ هَذِهِ الحَيَوَانَاتِ الأَلِيفَةَ إِلَى نَقْطَةِ مُعَيَّنَةٍ مِنَ الأَلَمِ وَالمَرَضِ، يَقُومُ أَصْحَابُهَا بِالمُوافَقَةِ عَلَى قَتْلِهَا رَحْمَةً بِهَا. فَنَحْنُ نُدْرِكُ أَنَّ قَتْلَ حَيَوَانَاتِنَا الَّتِي تُعَانِي بِسَبَبِ المَرَضِ أَفْضَلَ مِنَ السَّمَّاحِ لَهَا بِالعِيشِ فِي حَالَةٍ مِنَ الأَلَمِ. بِكَلَامٍ آخَرَ، حِينَ تَتَدَهَوَّرُ (جُودَةَ الحَيَاةِ) عِنْدَ الحَيَوَانَاتِ بَعِيدٍ مَرِحَلَةَ مُعَيَّنَةٍ مِنَ المَرَضِ، فَإِنَّا نَعْتَقِدُ أَنَّهُ مِنَ الرَّحْمَةِ أَنْ نَمِيَّتْهَا بَدَلًا مِنَ السَّمَّاحِ لَهَا بِالبَقَاءِ عَلَى قَيْدِ الحَيَاةِ. وَعَلَيْهِ، لِمَاذَا عَلَيْنَا أَنْ نَكُونَ أَكْثَرَ رَحْمَةً مَعَ الحَيَوَانَاتِ مِمَّا نَحْنُ عَلَيْهِ مَعَ البَشَرِ؟ وَبِالتَّأَكِيدِ، يَجَاهِرُ مَوْدُو القَتْلِ الرَّحِيمِ النَّشِطِ بالقَوْلِ: إِنَّهُ لِأَمْرٍ غَيْرٍ أخْلَاقِيٍّ أَنْ نُعَامَلَ الحَيَوَانَاتِ بِشَفَقَةٍ أَكْثَرَ مِمَّا نُعَامَلُ أَحِبَّاءَنَا البَشَرِ. فَإِذَا مَنَحْنَا الحَيَوَانَاتِ الأَلِيفَةَ الفُرْصَةَ (للموت بِكرامةٍ)، لِمَاذَا نَرْفُضُ القِيَامَ بِالْأَمْرِ نَفْسِهِ مَعَ البَشَرِ؟

مَا الذِّي قَدْ نَقَوْلُهُ رَدًّا عَلَى هَذَا الكَلَامِ؟ إِنَّ المَوْضُوعَ الأَسَاسِيَّ هُنَا هُوَ الطَّبِيعَةُ الخَاصَّةُ لِلجِنْسِ البَشَرِيِّ. فَإِنْ كَانَ المَذْهَبُ الإلْحَادِيَّ صَحِيحًا، وَإِنْ لَمْ يَكُنْ هُنَاكَ أَيُّ هَدَفٍ حَقِيقِيٍّ لِلحَيَاةِ، وَحَتَّى إِنْ كُنَّا نَتَاجَأُ عَرَضِيًّا لِعَمَلِيَّةٍ غَيْرِ عَاقِلَةٍ، فَعِنْدَهَا لَيْسَ بِالْأَمْرِ الهَامُّ إِذَا عَشْنَا أَوْ مَتْنَا. فَإِنْ كُنَّا كَانِتَاتٍ حَيَوَانِيَّةً بَحْتَهُ يَمَكُنُ حِينَئِذٍ التَّعَامُلُ مَعَنَا عَلَى أُسَاسِ هَذِهِ الطَّبِيعَةِ الحَيَوَانِيَّةِ. (وَمَعَ ذَلِكَ، هَذَا مَبْدَأٌ قَدْ يَرِغِبُ المَرءُ فِي التَّفَكِيرِ فِيهِ طَوِيلًا قَبْلَ المُوافَقَةِ عَلَى تَنْفِيزِهِ. هَلْ هَذَا حَقًّا مَبْدَأٌ حُكْمِ نَوْدٍ أَنْ نَرَاهُ قَيْدَ التَّنْفِيزِ فِي عَالَمِنَا؟) إِذَا لَمْ يَكُنْ هُنَاكَ إِلَهٌ، فَلَنْ نَكُونَ مَسْؤُولِينَ فِي النِّهَايَةِ أَمَامَ أَيِّ شَخْصٍ وَلَنْ يَكُونَ لِدُنْيَانَا أَيُّ التَّزَامِ بِالاستمرارِ عَلَى قَيْدِ الحَيَاةِ. فَيَالنَّظَرَ إِلَى المَذْهَبِ الإلْحَادِيِّ، يَبْدُو أَنَّ لَدَى النَّاسِ القُدْرَةَ عَلَى إِنْهَاءِ حَيَاتِهِمْ إِذَا أَرَادُوا ذَلِكَ. إِذَا اعتقدَ شَخْصٌ مَا بِأَنَّ حَيَاتِهِ لَا تَسْتَحِقُّ أَنْ تُعَاشَ، فَبأَيِّ حَقِّ يَسْتَطِيعُ أَيُّ شَخْصٍ مَنَعَهُ مِنَ إِنْهَاءِ حَيَاتِهِ؟ وَإِذَا كَانَ المَتَخَصِّصُونَ فِي الطَّبِّ قَادِرِينَ عَلَى مَسَاعَدَتِهِ فِي حَقِيقِ رِغْبَاتِهِ، فَلْيَكُنْ ذَلِكَ. وَعَلَيْهِ، لَا تَوْجِدُ فِي الإلْحَادِ أُسُسٌ حَقِيقِيَّةً لِقُدْسِيَّةِ الحَيَاةِ.

على أي حال هناك في المسيحية قديسة للحياة، وهناك أيضاً إله نحن مسؤولون أمامه. فحياتنا وأذهاننا وأرواحنا وأجسادنا ليست ملكاً لنا. فإن الإنسان في شخصه هو حاملٌ لصورة الله، وهو ليس مخلوقاً لاتخاذ قرار بإنهاء حياته. علاوة على ذلك، نحن مسؤولون عن التمسك بشريعة الله الأخلاقية التي تحظرُ وضع حدٍّ لحياة الأبرياء. لذلك، لا يمكن للمؤمن المسيحي بأن يدعم أي شكل من أشكال القتل، حتى لو كان قراره بالقتل مبنياً على دوافع الرحمة. فنتيجة لذلك، لا يمكن للمؤمن المسيحي أن يدعم القتل الرحيم النشط. ولكن بكل رحمة ومحبة ووقار عميق، يمكن للمؤمن في بعض الظروف القاهرة بأن يدعم قرار فصل المريض عن الأجهزة الطبية الاصطناعية، حيث يُفسح في المجال لطبيعة الحياة بأن تأخذ مجراها. لأنه لا يوجد مبدأ أخلاقي يعطينا الحق بالحفاظ على قلب نابض بشكل اصطناعي إلى أجل غير مسمى. فإذا توقف القلب بشكل طبيعي بعيداً عن الأجهزة الطبية، وإذا توقفت الرئتان بمعزل عن هذه الأجهزة، وإذا لم يتجاوب المريض مرةً أخرى، فعندها يمكن للمؤمن المسيحي أن يؤيد سحب الأجهزة ومنع التدخل الاصطناعي والسماح للشخص بالموت بشكل طبيعي.

لقد التقيتُ (أنا ستيف) مع عائلات وأطباء في غرف المستشفيات لتحديد ما يجب القيام به في مثل هذه الظروف. فبعد محاولة الاستماع والفهم، وبعد السماح لكل فرد من أفراد الأسرة بالتعبير عن مخاوفه ورأيه، وبعد الاستماع بانتباه إلى تشخيص الطبيب، كانت هناك أوقات أُخبرت فيها العائلة أنهم إذا أرادوا فصل الأجهزة عن المريض، فهم بذلك لا يفعلون أي شيءٍ غير أخلاقي. لقد قمت بذلك بكل وعي مني قديسة الحياة وإدراك لحُب العائلة لهذا المريض، وحقيقة أن الله هو القاضي. فهناك وقتٌ للولادة ووقتٌ للموت. ونحن فعلياً لا نقتل الأشخاص، لكن هناك أوقات يمكننا فيها إيقاف الصراع مع حتمية الموت وترك الطبيعة تأخذ مجراها.

مواجهة الألم في الحالات غير القابلة للشفاء

هناك قضيةٌ أخرى ذات صلة بهذا الموضوع، تدور حول مواجهة الألم للمرضى الذين يقبعون في دور الاحتضار. فهناك أدوية فعالة للغاية تُعطى في الوقت الراهن لأولئك المرضى تساعد على مواجهة الألم. في حين أن هذه الأدوية يمكن أن ينتهي بها الأمر أيضاً إلى تسريع الموت، إذ لا تؤدي إلى

الموت في الحال، ولا تُسبب الموت مباشرةً، لكنها تُضعف مع الوقت وبشكل متزايد جسد المريض. فهل يجوز إعطاء الأشخاص المتألمين والمُشرفين على الموت أدويةً للتخفيف من الألم، مع العلم أنه قد ينتج عن استخدامها تقصيرٌ للفترة الزمنية التي يمكن أن يعيشوها؟ إننا نعتقد بأن هذا الأمر مقبول أخلاقياً وذلك للأسباب التالية: يُعتبر مبدأ الأثر المزدوج الناتج عن استخدام الأدوية مقبولاً أخلاقياً إذا كانت آثاره الجيدة تفوق نتائجها السلبية غير المقصودة. فحين نقارب موضوع مواجهة الألم، وفي سبيل السيطرة على ألم المريض المحتضر، فإن إعطائه هذه الأدوية يكون بقصد مساعدته على تحمل هذا الأمر. بالرغم من حقيقة أن هذه الأدوية ستقصر فترة حياته، إلا أن تقصير الحياة ليس هو الهدف من إعطاء الأدوية للمريض، وبذلك يُعتبر الموت المبكر تأثيراً سلبياً غير مقصود. إن الهدف من القتل الرحيم النشط هو إنهاء الحياة في الحال، ولكن توفير دواء يساعد على تخفيف الألم في الحالة المذكورة أعلاه، ليس له الغرض عينه كما في أدوية القتل الرحيم النشط، حيث لا يملك التأثير الفوري نفسه. فإذا كان شخص ما يعاني من حالة طبية ميؤوس منها، فتخفيف الألم هنا هو هدف نبيل وجيد، فإذا كان هذا العلاج سيساعد في أن يعيش هذا الشخص تسعة أيام من دون ألم عوضاً عن عشرة أيام مؤلمة، ففي هذه الحالة يُعتبر إعطاء الدواء مبرراً أخلاقياً.

يُعتبر مبدأ الأثر
المزدوج الناتج عن
استخدام الأدوية
مقبولاً أخلاقياً إذا
كانت آثاره الجيدة
تفوق نتائجها السلبية
غير المقصودة.

الجسد عند الموت

كيف يجب على المسيحيين أن يتعاملوا مع جسد الإنسان بعد الموت؟ يختلف المسيحيون بمقاربتهم القانونية حول هذه المسألة من الناحية العملية، حتى عندما يتفقون على كيفية تعاملهم مع الموتى. فلا يُعامل الجسد في أي وقت من الأوقات على أنه مجرد قمامة، بل يلزم دائماً أن يُعامل بكل احترام. فالناس هم ذوو قيمة على الدوام بما في ذلك أرواحهم وأجسادهم على حد سواء. حيث أن حقيقة انفصال الروح في وحدتها عن الجسد لا تعني البتة أن جسد الإنسان فقد كرامته وتقديره. فيمكن توضيح هذه النقطة على النحو التالي: إن تشويه جثة المتوفي

وتمزيقها كنوع من الاستهزاء يُعتبر حقاً انتهاكاً للمقدّسات . فإننا نعلم بالفطرة أنه يتعيّن علينا كبشر احترام جثة الإنسان المتوفّي ، وإنّ طريقة معاملتنا لها هي مسألة لها علاقة بالقيم الأخلاقيّة .

التبرّع بالأعضاء

في بعض البلدان يمتلك النّاس الحقّ بإعطاء الإذن لوهب أعضاءهم بعد الموت لإستخدامها في عمليّات زرع الأعضاء . ففي عمليّة زرع الأعضاء ، يُستأصل العضو المريض أو المعطل من جسد الإنسان الحيّ ويُستبدل بعضو مماثل أكثر صحّة من جسد الإنسان المتوفّي عن طريق عمليّة جراحية . في حال موت شابّ ذي صحّة جيّدة في حادثة ما ، فربّما تُستخدم جميع أعضائه لإنقاذ حياة أشخاص آخرين . ويتعيّن علينا باعتبارنا مؤمنين أن نحبّ الآخرين ، وأن نكون على استعداد للموت من أجلهم . إذا لا بُدّ أن نكون مستعدين للتضحية . فإن كان علينا تقديم أجسادنا الحيّة للموت من أجل إنقاذ الآخرين ، فلا يوجد أيّ شيء خاطئ في تقديم أعضاء أجسادنا بعد الموت لإنقاذ حياة النّاس . لذا نجد أن اتّخاذ القرار بشأن التبرّع بالأعضاء كلّما كان ذلك ممكناً هو قرارٌ جيّدٌ أخلاقياً . قد لا يكون قراراً ضرورياً ، لكنّه مقبولاً تماماً . علاوة على ذلك ، تُعدّ حقيقة إعطاء حياة للآخرين من خلال أعضاء أجسادنا المائتة أمراً جيّداً ، وبالتالي إنبثاق الحياة من الموت يُعتبر أمراً جميلاً وطبيعيّاً . فالعالم الطبيعيّ يعتمدُ بكامله على دورة الحياة والموت . وباعتبارنا أناساً يحملون صورة الله ، يمكننا أن نُحضر حياة من الموت وبالتالي نسير في وفاقٍ مع عالمنا الطبيعيّ .

العناية بالجسد: الدفن أم الإحراق؟

إنّ المسيحيّين في جميع أنحاء العالم يمتلكون مجموعةً من العادات المتنوّعة حول كيفية التصرف بالجسد بعد موته . يحتاج الجسد المائت الذي لم يخضع لإجراءات التّحنيط في بعض الأماكن حيث المناخ الحارّ إلى عمليّة دفنٍ سريعة . بينما هنا في كندا على سبيل المثال ، غالباً ما تُحفظُ جثث المتوفّي في قبو ، ومن ثمّ تُدفن في فصل الربيع بعد ذوبان الثلج والجليد . فقد كانت الأجساد ، في إسرائيل في زمن المسيح ، تُوضع في قبر وبعد ذلك تُجمّع عظامها في معظّمة (أي صندوق حجريّ صغير) . إذ كان الدفن هو الممارسة الثقافيّة الشائعة في اليهوديّة وبعد ذلك انتقلت

إلى المسيحية. يؤمن المسيحيون أن الأجساد لا بد أن تُدفن بعناية في انتظار لحظة المجيء العظيم للرب وقيامه الأموات.

اعتبرت مراسم الدفن نظاماً معيارياً لمعظم المسيحيين عبر التاريخ، ولكن هل ذلك أمرٌ إلزامي؟ ففي حال وفاة شخص ما خلال الإبحار، كانت الممارسة الشائعة بإطلاق جسده في الماء. يُعد هذا (الدفن في الماء) ممارسةً غير مثيرة للجدل. فبالنظر إلى هذه الظروف، لا يوجد ما يدعو إلى عدم احترام الجسد الذي دُفن في الماء تماماً كالذي دُفن في المقبرة أو في باطن الأرض.



اعتبر الدفن معياراً لمعظم المسيحيين عبر التاريخ ولكن هل هو إلزامي؟

وهنا يأتي السؤال، هل يجوز للمسيحيين أن يُحرقوا جسد الإنسان المتوفي؟ في حالة إحراق الجسد الميت، يتم وضعه سليماً في نار شديدة فينحمر مع مرور الوقت من شدة الحرارة ويتحول إلى رماد. وهنا يمكن جمع هذا الرماد بعناية والاحتفاظ به. مع مرور الوقت، أصبح الكثير من الناس ومن بينهم المسيحيون، يفضلون حرق الجثث عن الدفن التقليدي. فبالرغم من ذلك، لا يزال بعض المسيحيين يجاهدون لقبول فكرة الإحراق كبديل مقبول.

يجب علينا ألا نفرط بالتفكير في التفاصيل، لكن حين يتأمل المرء ملياً بما سيحدث للجسد بعد الموت سيصل حتماً إلى الخلاصة بأنه لا يوجد طريقة للتخلص من الجسد دون الحؤول من تعفنه وفساده كاملاً. سيتعفن الجسد سواء دُفن في الأرض أو في أعماق البحر، وسيتآكل بواسطة مخلوقات المائية أو الديدان. وحتى وإن وُضع الجسد في نعش باهظ الثمن سيفسد الخشب في النهاية. وفي جميع الأحوال ستتواجد البكتيريا داخل هذا الجسد، ولذلك يُعد تحلله حقيقة لا مفر منها. فالكثير منا لا يرى مطلقاً ما يحدث للأجساد المدفونة، لذلك نعتقد أنها ستبقى كما هي حينما دُفنت في باطن الأرض.

يميل المسيحيون الذين يؤمنون بأن حرق الجثث خيار مقبول إلى الاعتقاد بأن عملية الحرق لا تتضمن عدم الاحترام، تماماً كالسماح لتترك هذه الجثث لتتحلل

في باطن الارض . إذ يعتقدون أن جزءاً هاماً من هذا الموضوع له علاقة بعنصر الزّمن (إنّ الحرق عمليّة تتمّ بسرعة، بينما التّخلّل في القبر يأخذ وقتاً طويلاً)، ومعرفتنا بحالة الجسد (أي أننا نرى الرّماد بعد الحرق، لكننا لا نرى تعفن الجثة بعد الدّفن). فعند الموت، يكون المصير الحتميّ لأجسادنا هو التّراب، كما قال الله: «لأنّك تُرابٌ، وِإلى تُرابٍ تُعودُ» (تكوين ٣: ١٩). غالباً ما يقومُ الخادم في خدمة مراسم الدّفن في الأقطار الغربيّة بإستيداع الجسد في الأرض مردداً هذه العبارة: «من الأرض إلى الأرض، ومن الرّماد إلى الرّماد، ومن التّراب إلى التّراب».

**بصرف النظر
عن طريقة الموت
أو ما سيحدث
للجسد بعد ذلك،
لا يوجد أمام
قدرة الله أي
عائق يمنعه من
أن يكسو ذلك
الجسد ويوقفه
ممجداً أمامه في
المجد.**

فالكثير من المسيحيين اليوم يعتقدون بأنّ حرق الجثث يُحوّل الجسد إلى عناصره الأصليّة التي هي رَمادٌ وتُراب، وهو الطّريق الأسرع للوصول إلى حالة ما بعد الموت بالعودة إلى التّراب. فحقيقة إنّ ما تفعله البكتيريا والديدان في وقتٍ طويلٍ في الجسد تفعله النيران سريعاً.

بالإضافة إلى ذلك، يُشيرُ مؤيدو حرق الجثث بأنّ معاملة بقايا الجثة المحروقة بكرامة واحترام هي أمرٌ متاح. إذ يُجمع رَمادُ الجسد المحروق بعناية حيث يمكن دفنه في الأرض أو وضعه في قبو. بعض الناس يبنّون الرّماد في مكان له دلالة خاصّة بهم، لاعتقادهم أنّ جميع ذرّات الأجساد ستنتشرُ مع مرور الزّمن في جميع أنحاء العالم. فلا حُجة للقائلين بأنّ الله لا يستطيع إقامة تلك الاجساد التي تمّ حرقها لأنّ الله الكلّي القدرة هو

فوق كلّ شيء. وبغضّ النّظر عن طريقة الموت أو ما سيحدث للجسد بعد ذلك، لا يوجد أمام قدرة الله أيّ عائقٍ يمنعه من أن يكسو ذلك الجسد ويوقفه ممجداً أمامه في المجد.

هناك عاملٌ آخر يقود بعض المسيحيين نحو الاتّجاه إلى حرق أجساد الموتى، ألا وهو التّكلفة العالية لمراسم الدّفن في بعض دول العالم. عادة ما تُقدّر تكلفة الجنازات في العالم الغربيّ بالآلاف الدُولارات. كما يُمكن أن تكون كلفة النعش وقطعة الأرض التي يُدفن فيها الجثمان باهظة الثّمّن. ومع ذلك، ورغم التّكلفة

المالِيَّة هناك أيضاً مخاوف بيئيَّة متزايدة. فالأمر لا يتعلَّق فقط بدفن الجثمان وحسب، بل هناك أشياء أخرى أيضاً تملأ الأرض مثل الخرسانة، الفولاذ، الخشب المعالج، القطن، النسيج وطلاء النعوش. فحين تُحنطُ الأجسام، تمتلئ الأرض أيضاً بالمواد الكيماويَّة. ربّما نحتاج إلى التفكير ملياً وبعناية أكثر في هذه الممارسات. يعيش الملايين من البشر في معظم المُدن الكبرى، فكيف يُمكن أن يُدفنَ ملايين النَّاس داخل ملايين الصناديق؟ ففي الحقيقة، يتهرَّب النَّاس في بعض المُدن الكبرى من الدفن بالطريقة التَّقليديَّة. (تلجأ بعض الدُول حول العالم الى اعتماد طريقة الإحراق لأنَّه لا يوجد مساحات كافية من الأرض للدفن. وفي مثل هذه الظروف، يُمكن للمسيحيين أن يكونوا على يقين من أنَّ الحرق ليس عملاً خاطئاً حتى ولو لم يكن الخيار المثالي).

يُعَدُّ المَوْتُ واحداً
من آخر الخبرات
الإنسانية المتبقية
التي تدفعنا إلى
مواجهة حتمية
نهاية حياتنا
البشريَّة وفنائها.

هناك بالتأكيد خيارات أخرى، حيث يمكن العودة إلى طُرُق الدفن الطبيعيَّة والبسيطة. فليس هناك حاجة بأن تكون النعوش مُقنَّة ومُزخرفة ومُكلفة. فيمكن أن يكون النعش البسيط العادي (الصغير) المصنوع من المواد الطبيعيَّة أكثر ملاءمة باعتباره رمزاً للموت، فضلاً عن كونه مفيداً من الناحية العمليَّة. حين تُقيَّم جميع المعطيات، يمكننا أن نستنتج أن لدى المسيحيين الحرِّيَّة ليقرُّروا أن يدفنوا الجثامين أو

أن يحرقوها. لكننا نرغب بأن نرى تقييماً لكلا القرارين بأكثر عناية وشموليَّة. فيمكن تبرير تحنيط الجسد كي تتسنى الفرصة للأشخاص بإلقاء النظرة الأخيرة على أحبائهم وتوديعهم فيما يملؤهم الشعور بالحزن والأسى. لذا، يلزم علينا احترام حزن أولئك الذين يتألون لخسارة أحبائهم. إذ يُعَدُّ الموت واحداً من آخر الخبرات الإنسانية المتبقية التي تدفعنا إلى مواجهة حتمية نهاية حياتنا البشريَّة وفنائها. فهو أيضاً فرصة للتفكير في أولويات الحياة. لذا، يجب أن نحرص كثيراً على ترتيب هذا الوقت المهيِّب لمن فقدوا أحبائهم.

تُعتبر مرحلة نهاية الحياة وقتاً ثميناً للتفكير بنهاية هذه الحياة وأبديتها، بصرف النظر إن أحرقت الجثامين أو حنطت أو دُفنت على الفور. وبالتالي،

يجب أن نُقَيِّ ممارساتنا الجنائزية من الأمور التي تُصرف الانتباه عن ذلك المبدأ، وأن نعطي الفرصة لجمال وآداب البساطة الطبيعية بأن تأخذ مجراها. حيث يسهل الحب، الحزن، البكاء والرَّجاء في تلك البيئات الطبيعية، فكما كانت البيئة المحيطة مصطنعة تضالَّت قدرتنا على فهم حقيقة الحياة والموت.

الرَّجَاءُ الْمَسِيحِي وَالْإِنْتِظَارُ

استُخدمت كلمات الرسول بولس التالية لتعزية المؤمنين لأكثر من ألفي عام:

ثُمَّ لَا أُرِيدُ أَنْ تَجْهَلُوا أَيُّهَا الْإِخْوَةُ مِنْ جِهَةِ الرَّاقِدِينَ، لَكِي لَا تَحْزَنُوا كَالْبَاقِينَ الَّذِينَ لَا رَجَاءَ لَهُمْ. لِأَنَّهُ إِنْ كُنَّا نُوْمِنُ أَنَّ يَسُوعَ مَاتَ وَقَامَ، فَكَذَلِكَ الرَّاقِدُونَ بِيَسُوعَ، سَيُحْضِرُهُمُ اللَّهُ أَيْضًا مَعَهُ. فَإِنَّا نَقُولُ لَكُمْ هَذَا بِكَلِمَةِ الرَّبِّ: إِنَّا نَحْنُ الْأَحْيَاءُ الْبَاقِينَ إِلَى مَجِيءِ الرَّبِّ، لَا نَسْبِقُ الرَّاقِدِينَ. أَنَّ الرَّبَّ نَفْسَهُ بِهِتَافٍ، بِصَوْتِ رَئِيسِ مَلَائِكَةٍ وَبُوقِ اللَّهِ، سَوْفَ يَنْزِلُ مِنَ السَّمَاءِ وَالْأَمْوَاتُ فِي الْمَسِيحِ سَيَقُومُونَ أَوَّلًا. مَّ نَحْنُ الْأَحْيَاءُ الْبَاقِينَ سَنُخْطَفُ جَمِيعًا مَعَهُمْ فِي السَّحْبِ لِلْمَلَاقَاةِ الرَّبِّ فِي الْهَوَاءِ، وَهَكَذَا نَكُونُ كُلَّ حِينٍ مَعَ الرَّبِّ. لِذَلِكَ عَزُّوا بَعْضُكُمْ بِبَعْضٍ بِهَذَا الْكَلَامِ (١ تسالونيكي ٤: ١٣-١٨).

تُشرِّح هذه الفقرة حزن المؤمنين ورجاءهم، فبحسب هذه الآيات لنا الحق بأن نحزن حين يموت الناس. وعلى الرغم من أن الموت هو حقيقة لا مفرَّ منها، فإنه يعدّ عدوًّا مزعجاً، وينبغي على المؤمنين، أكثر من غيرهم، أن يدركوا ألم الموت. فليس من المقدر لنا الانفصال عن أحبائنا، ومن المفترض أيضاً أن تظل الأرواح والأجساد متّحدة وغير منفصلة. حين يموت الأشخاص الذين هم حاملو صورة الله، غالباً ما يُجَدَّف على الله، وهذا بالتأكيد يُسبب غضباً شديداً. يظهر ذلك بوضوح أكثر من خلال ردِّ فعل يسوع عند قبر لعازر. فعلى الرغم من أن يسوع أرجأ سفره عمداً إلى ما بعد موت لعازر، لكنّه حين إنتقل إلى مشهد الموت والحزن، يقول النصّ أنه: «إنزَعَجَ بِالرُّوحِ وَاضْطَرَبَ» (يوحنا ١١: ٣٣)، ثمّ «بَكَى يَسُوعُ» (الآية ٣٥). وبعد ذلك، يقول النصّ مرّةً أخرى: «انزَعَجَ يَسُوعُ» (الآية ٣٨). تُشير هذه العبارة، في اللغة اليونانية الأصلية لإنجيل يوحنا إلى الغضب والسخط. فالانطباع المعطى هو أن يسوع يقف أمام وجه الموت،

إِنَّ حُزْنَنا مَمْرُوجٌ بِالرَّجاءِ الْمُنْتَظَرِ

وينظرُ إلى أَلَمٍ وفقدانِ أَحِبائِهِ وهو في حالة غضبٍ. فالعالمُ المحيطُ والذي كان جميلاً وحلواً، أصبح الآن مشوهاً بفعلِ قِوَاتِ العَدُوِّ التي تُنهي كلَّ حياةٍ وتبعُدُ بينَ الأَحِبَّاءِ.

خَلَقَ البَشَرُ لأجلِ الحَياةِ وليس لأجلِ المَوتِ. يُقصدُ بكلمةِ المَوتِ في معناها الأَصْلِيِّ بالشرِّ. فهو في ذاته شرٌّ عظيمٌ وهو نَتيجَةُ للشرِّ. ينبغي أن يتمثَلَ المؤمنونَ بِرَبِّهِمْ ومُخْلِصِهِم عن

طريقِ كراهيةِ حَقِيقَةِ المَوتِ. فكم هو مُحزَنٌ أَنَّهُ من الحَتمِيِّ إنْتِهاءُ الحَياةِ، وَأَنَّهُ لا بدَّ من حَقِيقَةِ انفِصالِ الأَحِبَّاءِ عن بعضِهِم البَعْضُ! لذا، يمكنُ أن يصيرَ الحُزْنُ العميقُ والأَسَى رَدَّ فِعْلٍ صحيحِ حَيالِ المَوتِ. وأولئك الذين يحزنونَ يجبُ ألاَّ يخرجوا سريعاً من حزنِهِم بسببِ العباراتِ المبتذلةِ التي تحاولُ تَهْدِئَةَ الخواطرِ عندَ المَوتِ.

ورغم ذلك، يُخبرنا الرَّسولُ بولسُ بألاَّ نحزنَ مثلَ بقيةِ النَّاسِ الذين لا رجاءَ لهم. فَإِنَّ حُزْنَنا مَمْرُوجٌ بِالرَّجاءِ الْمُنْتَظَرِ وربَّما يكونُ مَمْرُوجاً بِالْفَرَحِ، ذلك، ليس لأنَّ المَوتَ أمرٌ جيِّدٌ، بل لأنَّ يسوعَ قد انتصرَ عليه. كما يُعدُّ المَوتَ الطَّرِيقَ للوصولِ إلى حَضْرَةِ اللهِ القَدَّوسِ من خلالِ يسوعِ. ففي لحظةِ المَوتِ، تذهبُ أرواحنا لتكونَ معِ الرَّبِّ وذلكَ أَفضلُ جِداً (فيلبِّي ١: ٢٣)، (٢ كورنثوس ٥: ٨). حينَ يموتُ المؤمنونَ، تَنجِبُهُ أرواحُهُم في الحالِ إلى حَضْرَةِ سَيِّدِهِم ومُخْلِصِهِم. أخبرَ يسوعُ اللِّصَّ الذي كان مُعلِّقاً بجانبِهِ على الصَّليبِ بأنَّهُ سيكونُ معه في ذلكَ اليومِ في الفردوسِ (لو ٢٣: ٤٣). لا وجودَ لعالمِ المَطَهَّرِ في إيماننا، فقد يحزنُ المؤمنونَ الأحياءُ في هذا العالمِ عندما يفقدونَ أَحِبَّاءَهُم، لكن يمكنَهُم أيضاً أن يفرحوا لأنَّ أَحِبَّاءَهُم سيكونونَ في حَضْرَةِ الرَّبِّ المَجيِّدَةِ. فالمَوتُ نَفْسُهُ أضعفُ من أن يواجهَ حَقَّ الرَّجاءِ الذي في إنجيلِ المَسيحِ.

على الرُّغمِ من أنَّ أرواحَ المَوتى الأبرارِ ستذهبُ إلى حَضْرَةِ الرَّبِّ، فليست هذه حالتهم الأَخيرةُ والنهائيةُ. فسيكونونَ دائماً معِ الرَّبِّ، ولكن ليس باعتبارِهِم أرواحاً بلا أجسادِ. فكما أوضح بولسُ بإسهابٍ في ١ كورنثوس ١٥، فَإِنَّ قِيامَةَ المَسيحِ هي الضَّمانُ بأننا سنشهدُ أيضاً قِيامَةَ للأجسادِ. حينَ يعودُ الرَّبُّ، سَتتحدُّ أرواحنا الطَّاهرةُ معِ أجسادنا المُمجَّدةِ. فلن تكونَ حالتنا الأبديةُ مجردَ أرواحِ في السَّماءِ بل على العكسِ من ذلكِ، سنكونُ أناساً روحيينَ ذوي أجسادِ مُمجَّدةِ في السَّماءِ الجديدةِ والأرضِ الجديدةِ. سيجدُّ اللهُ الكونَ بكاملِهِ ويُقيمُ مدينةَ

مُقَدَّسَةً لشعبه على الأرض . هذا هو رجاؤنا العظيم المجيد . عبَّرَ الرَّسولُ بطرس عن هذه الحقيقة بالقول: «وَلَكِنَّا بِحَسَبِ وَعْدِهِ نَنْتَظِرُ سَمَاوَاتٍ جَدِيدَةً ، وَأَرْضاً جَدِيدَةً ، يَسْكُنُ فِيهَا الْبَرُّ» ٢ بطرس ٣: ١٣ . تُعَدُّ خَلِيقَةُ اللَّهِ الْجَدِيدَةِ مَسْكناً لِلْبَرِّ فَلَئِنْ يَسْكُنَهَا غَيْرُ الْأَبْرَارِ الَّذِينَ تَبَرَّرُوا فِي الْمَسِيحِ وَبِوَسْاطَتِهِ . لَنْ نَنْتَظِرَ هُنَا إِلَى شَرْحٍ تَفْصِيلِيٍّ لِرُؤْيَا ٢١ وَ ٢٢ ، لَكِنْ يَنْبَغِي قِرَاءَةَ هَذَيْنِ الْفَصْلَيْنِ بَعْنَايَةٍ وَتَأْمُلَ . فَاَلْمُؤْمِنُونَ يَحْزَنُونَ بَلَى ، وَلَكِنْ مِنْ خِلَالِ هَذَا الْحُزْنِ سَوْفَ يَشْخَصُونَ إِلَى الْمَجْدِ الْأُخْرَوِيِّ الْمُؤَكَّدِ وَالْيَقِينِيِّ . وَعَلَيْهِ ، فَإِنَّهُ يُعَدُّ إِنْكَاراً لِلْمَسِيحِ حِينَ نَحْزَنُ دُونَ أَنْ نَنْتَظِعَ إِلَى رَجَاءِ الْقِيَامَةِ .

من الهام أن نكون على يقين بأن اشتياقنا للحياة الأبدية يتعلَّق بالمسيح وليس بأحبائنا الذين رحلوا . كم هو رائع رؤية أحبائنا الأرضيين بلا خطيئة أو ألم ومعاناة ، وهذا سيحدث حينما نراهم في النهاية يزهرن مثل الصورة التي خلقهم الله ليكونوا عليها دائماً ، لكن ليس هذا ما يدورُ حوله المجد . لا يتعلَّق المجد بنا أو بخبرائنا أو بعبادتنا بل يتعلَّق بيسوع . لذلك ، على الرغم من أننا نتوق إلى لقاء أحبائنا وكم سيكون ذلك مفرحاً! فَإِنَّ الْفَرَحَ الْحَقِيقِيَّ موجودٌ فِي مُحَضَّرِ الرَّبِّ . فهناك ، كما يذكرنا سي أس لويس ، سنعيشُ في حالة حُب .^٢ وقد عبَّرت أن روس كوزن عن هذه الحقيقة بترتيلة جميلة كتبتها في القرن التاسع عشر بعنوان «رمال الزَّمن تغرق» . فكتبت ما يلي:

١ رمال الزَّمن تغرق ،
شَقَّ فَجَرَ السَّمَاءِ صَبَاحُ الصَّيْفِ
الذي تنهدت من أجله .
يَسْتَيْقِظُ الصُّبْحُ الْجَمِيلُ الحلو ،
الظلام . . . كَانَ الظلامُ فِي مِنتَصَفِ اللَّيْلِ .
لَكِنَّ الرَّبَّيْعَ قَرِيبَ ،
والمجد ، المجد يُحُلُّ
فِي أَرْضِ عَمَانُوئِيلِ .

٢ أه! المسيح هو اليبوع
بئرُ الحُبِّ العذب!

الجداولُ على الأرض قد تَدَوَّقَتْ ،
بعمقٍ أكثرٍ سأشربُ من فوق
هناك . . . حتى امتلاء المحيط .
تتسعُ رَحْمَتُهُ
والمجدُ . . . المجدُ يحلُّ
في أرضِ عَمَانُوئِيلِ .
٣ أه! أنا لحبيبي

وحبيبي لي!
فهو يجلبُ الضعفاءَ والخطاةَ
إلى (بيتِ الخمرِ) .
أنا أستندُ على استحقاقه
ولا أعرفُ أيَّ سندٍ آخر ،
ولا يوجد مكانٌ يحلُّ فيه المجدُ
إلا في أرضِ عَمَانُوئِيلِ .

٤ ليستَ عينا العروس على ثوبها
بل على وجهِ عريسها .
لا أنظرُ إلى المجدِ
بل إلى ملكِ النعمة .
ليس إلى الأكليلِ الذي يمنحُه
بل إلى يدهِ المثقوبةِ
الحملُ هو كلُّ المجدِ . .
مجدِ أرضِ عَمَانُوئِيلِ .

رعاية المشرفين على الموت

تفوقُ المؤمنون عبر التاريخ البشري في تقديم الرعاية اللائقة للمشرفين على الموت . خلال إنتشار العديد من أسوأ الأوبئة التي اجتاحت مدينة روما ، لاحظَ الوثنيون أنهم عند هروبهم من المدنِ خوفاً من الوباءِ وتركوا الجماهيرِ المُصابَةِ وراءهم ، بحثَ المؤمنون عن المرضى والمُحتضرين ليقدّموا لهم العونَ والرعاية . فيمكن أن يكون سببٌ من أسباب قيامهم بهذا الأمر أن المؤمنين

عاشوا حياتهم وأعيُنهم مثبتة على الرجاء الأبدى . فالْموتُ الجسدِي لم يكن (ولن يكون) الكلمة الأخيرة للحياة ، ولأنَّ أجسادهم وأرواحهم ستختبرُ مجدَّ القيامة في المستقبل ، لذا فهم يتحمَّلون مخاطرة احتمال الإصابة بالمرَض أو حتى الموت وهم يعتنون بالمتألِّين . فالْمؤمنون لا يموتون بشكل جيِّد وحَسب ، بل يعملون بمحَبَّة كي يساعدوا الآخرين كي يموتوا بأخْرة حَسنة أيضاً . لذا ، قدَّمَ المؤمنون الرِّعاية الصحيَّة البدائيَّة من خلال تقديم كوب ماء أو بطانيَّة أو لقمة من الطَّعام ، وتعاملوا مع المحتضرين برأفة ورحمة وقوَّة ومَحَبَّة . إنَّ المُستشفيات في الغرب ودور الرِّعاية الصحيَّة الحديثة متجذِّرة في مبادئ التعاليم المسيحيَّة . لذلك ، يتعيَّن على المؤمنين أن يكونوا خُدَّاماً في الحياة والموت على حدِّ سواء .

تُعتبر المحبَّة أمراً لا غنى عنه أثناء توفير الرِّعاية الطبيَّة المناسبة . فالخبرة والتكنولوجيا أمران هامان في نطاق الرِّعاية الطبيَّة ، لكن يجب على المؤمنين أن يتعاملوا مع المرَضى والمحتضرين مثلما يتعامل الإنسان مع أخيه الإنسان . وعليه ، يجب أن تهتمَّ المحبَّة بالشكل والهيكلية ، حيث أنَّ الهيكلية ضرورية لتحقيق أقصى قدر من الرِّعاية الفعَّالة . لذلك ، يهتمُّ المؤمنون بنوعية الرِّعاية التي توفِّرها ثقافتهم ومجتمعهم . تحتاج المجتمعات أن تكون مجالاً صحياً لكلِّ مراحل الحياة من الولادة إلى الموت . كما ينبغي توفير الرِّعاية الخاصَّة والاحتياجات اللازمة للمحتضرين . وبالمثل ، يجب التفكير باحتياجات أولئك الذين يخدمون أحبَّاءهم المحتضرين . وبالتالي ، يمكن مواجهة الموت بسُمُو اللِّمسة الإنسانيَّة ونقاء قوَّة المحبَّة .

في العديد من أقطار العالم ، يولد النَّاسُ ويعيشون حياتهم ومن ثمَّ يموتون في منازلهم وعلى فراشهم . فإنَّ السَّمَّاح لشخص ما بأن يموت في منزله ، مع توفير الحدِّ الأدنى من الرِّعاية الطبيَّة من خلال أشخاص آخرين غير الأعضاء الأساسيين للأسرة ، هو الشَّيء الذي ترغب فيه الكثير من العائلات في العالم الغربي . ولكن ، نحن نعلم تماماً أنَّ العديد من العجائز في العالم الغربي لا يعيشون مُطلقاً مع أسرهم ، فهم يقضون سنواتهم الأخيرة إمَّا بمفردهم أو في دور الرِّعاية أو في المُستشفيات . فهناك مشاكل هيكلية متجذِّرة في المجتمع الغربي بما يتعلَّق بمعنى ودور الأسرة ، وكذلك الطَّابع المؤسَّساتي لكلِّ خدمات الرِّعاية الصحيَّة . ولكن في بلدانٍ أخرى ، الأسرة هي التي تهتمُّ بالأشخاص المُشرفين على الموت ، ففي هذه الحالة تختبرُ الأسرة كُلاً من الولادة والموت .

أدركت الكثير من الثقافات فائدة وجود دُور أو أماكن خاصة للمشرفين على الموت. فعلى الرغم من أنه في أوقات كثيرة، تُعطى للناس المحترمين كرامة في بيوتهم، فإن البيوت الخاصة أو الأماكن المخصصة للمُحترمين كثيراً ما تُستخدَم في مختلف الثقافات والمجتمعات المحليّة. تتميز هذه الأماكن الخاصة بالميل إلى البساطة والقدسيّة، على النقيض من غرفِ المُستشفيات المُعمّمة. (بالتأكيد، يجب القول أن بعض الظروف ستؤدي إلى حدوث الوفاة في غرفة المستشفى العادية، وإن حدث ذلك هو أمر مقبول). حينما تكون هناك فرصة لبناء أماكن بسيطة ومُخصّصة للمشرفين على الموت، فهذا الأمر يشكّل بركةً حقيقيّةً.

حينما تكون
هناك فرصة
لبناء أماكن
بسيطة
ومُخصّصة
للمشرفين على
الموت، فهذا
الأمر يشكّل
بركة حقيقيّة.

يُعدُّ الموت حدثاً كبيراً، لذلك يمكن أن يكون الموت في الأماكن المُخصّصة لهذا الغرض وبكلّ صراحة مفيداً في بعض الأحيان للمُحترمين ولأحبائهم المُحيطين بهم على حدّ سواء. يجب أن يُوفّر دارُ العجائز جواً من الجمال البسيط ومناخاً يُكرّم المُحترمين، ولا بدُّ أن يكون هادئاً. يعرف الناس الذين يدخلون إلى هذه الدُور أنهم قد يكونون في أيامهم الأخيرة. لذا، هناك متسع من الوقت للسكون والبكاء. ولكن أيضاً للفرح والاحتفال، فهو المكانُ المقدّس للتعبير الأخير عن الحبّ الأرضي، لذا يلزم حماية الخصوصية فيه، وهذا أمرٌ أساسي، ويجب بالتالي العملُ أيضاً على وجود مكان متاح لكلّ من يريد أن يكون هناك. نحن بحاجة إلى إيجاد السبيل لإستحضارِ الحبّ إلى تلك الأماكن لكي تكون مجالاً مؤثراً وفائضاً بالحبّ. فكما قال المهندس المعماري الشهير فرانك لويد رايت Frank Lloyd Wright: «الشكل يتبع الوظيفة، وهذا ما قد أسيء فهمه». يجب أن يكون الشكل والوظيفة متفقين ومُرتبطين في اتحادٍ روحيّ». نحتاج إلى رؤية العلاقات الأساسية والأرضيّة والروحيّة والسماويّة تتلاقى عند نهاية الحياة، كما أننا بحاجة إلى رؤية النموذج الذي صمّمه الله لكيفيّة محبّتنا لأولئك الذين يحتضرون، وكيفيّة دعم أحبائهم في هذا الوقت. نحتاج، على الأقل في العالم الغربي، إلى إعادة توجيه أنفسنا وممارساتنا للعيش دورة الحياة الكاملة

التي تشمل على الولادة والحياة والموت. ٣

يؤدي الشعور بالموت والاحتضار إلى التغيير

يتعين علينا أيضاً بأن نتذكر بأن الله يستطيع أن يعلمنا ويطور شخصياتنا من خلال كل مرحلة وخبرة في الحياة. يفضل الكثير من المؤيدين للقتل الرحيم في إدراك أن الله يستطيع أن يعمل في أعمق جزء من حياة الإنسان، حتى في وسط التدهور الجسدي والعقلي والألم. ففي واقع الأمر، قد يؤدي المرض الذي طال أمده إلى تجريدنا من كبرياننا والثقة بالنفس. ويمكن أن يجعلنا أن نتشبث بالمسيح ونتمسك به، وبه وحده، بطريقة لم ندرناها ونحن في كامل صحتنا. فالهائم في الحياة ليس العيش في رفاهية مبهجة والتمتع باللذات، بل هناك أشياء هامة أراها الله لنا في هذه الحياة عوضاً عن ذلك. علينا أن نتعلم بأن نعتمد على الله في كل نفس نتنفسه. يجد بعض الأشخاص الذين يؤمنون بأن عليهم القيام ببعض الأعمال لكي يقبلهم الله صعوبة بقبول الفكرة بأن الله يحبهم حتى حين لا يكونون قادرين على المساهمة في أي عمل لأجل الملكوت، لأن حبه لنا لا يعتمد على قوتنا. فكما قال بولس: «تَكْفِيكَ نِعْمَتِي، لِأَنَّ قُوَّتِي فِي الضَّعْفِ تُكْمَلُ» (٢كورنثوس ١٢: ٩). كما يمكن لله، بالنعمة، أن يعلمنا ويُقينا حتى وإن كانت حياتنا وقوتنا في مرحلة التلاشي. فإن محبة الله الثابتة ونعمته كافية وأفضل من الحياة. فمن السهل قول ذلك حينما نكون أصحاء وأقوياء، ولكن هل يمكننا أن نكون على يقين من محبة الله حين نكون عجائز أو مرضى؟

في نهاية قصيدتها والتي هي بعنوان (سنة اليوبيل)، أجابت آن بورتير عن هذا التساؤلات بأسلوب جميل وغير معهود:

هو يرغب بنا

بأن نكون أبناءه.

كما قلت لنا يا أبانا

أنك ستباركنا أكثر من أي وقت مضى،

٣ على الرغم من إدراكنا أنه من المستحيل تحقيق الصورة المثالية في كل شيء، فإننا نعتقد أنه من الأفضل أن تكون البيوت ودور العجائز المخصصة للمشرفين على الموت يسهل الوصول إليها وشبه معزولة. وإلى جانب هندسة البناء وتوزيع الأقسام والغرف، تعد البيئة الطبيعية هامة للغاية. إذ يعد بستان من الأشجار أو الأحراج ذات ممرات للمشى؛ وبركة أو مجرى ماء، وحديقة، أنواعاً من الجمال الطبيعي الذي يمكن أن يساعدنا على العودة للتواصل مع العالم الطبيعي. وعليه، حين يتعلق الأمر بالأمور العظيمة التي تخص الحياة والموت، يمكن أن يكون التواصل مع الطبيعة بمثابة شفاء ومرساة للنفس.

حتى حين نكونُ ضعفاءً وأوهاناً.

لذا حين تشيخُ أجسادنا
وتمتلئُ رؤوسنا بالاضطراب،

فهو لا يحبُّنا.. حتماً..
أقلَّ ممَّا كان يحبُّنا قبلاً؛

نهايةُ الحياة

لا يمكننا أن نعرفَ ما هو المقصود بالموت إلا إن عرفنا معنى التعبير (نهايةُ الحياة). يمكن أن تشير الجملة (نهايةُ الحياة) إلى نقطةِ النهايةِ (أي الموت)، ولكنَّها يمكن أن تشير أيضاً إلى هدف الحياة. فعندئذٍ فقط يمكن أن نعرفَ معنى نهايةِ الحياة التي يمكن أن نحيها حقاً ونستعدُّ بذلك للموت. فإنَّ نهاية حياتنا في هذا العالم هي الموت، لكنَّ الهدفَ النهائيَّ للحياة هو الحياة! أي الحياة الأبدية. وهناك سيستمرُّ حُبنا مع إلهنا إلى الأبد.

تعدُّ رعاية الناس في أيامهم وساعاتهم الأخيرة دعوةً ثمينة ومقدَّسة. هي دعوة مجتمعية لا يمكن تفويضها إلى المتخصِّصين في المؤسسات الجميلة والمعقَّمة. ينبغي على المشرفين على الموت أن يموتوا وهم يشعرون بالحبة. في المسيح، يذهبُ الأموات إلى مكان أفضل حيث ينتظرون شيئاً أفضل جداً. فدعونا كمؤمنين نظهر لهم المحبة خلال مسيرتهم نحو الموت وحين يعبرون مياة الموت. نحنُ بقينا على هذا الجانب من الحياة بينما هم وصلوا إلى الجانب الآخر، لكن نحن نعلمُ أنه في يوم قريب سيأتي وقتنا ونحن أيضاً سنعبُر. لذا، لنُعامل المشرفين على الموت كما نرغبُ أن نُعامل حين يأتي وقتنا. فدعونا نتذكَّر نهاية حياتنا. فهؤلاء الذين في المسيح سيمجدون الله وسيستمتعون معه إلى الأبد.

أسئلة للتفكير:

١. هل تعتقد أنه يوجد اختلاف أخلاقي بين القتل الرحيم النشط والقتل الرحيم السلبي؟
٢. ما هي تقاليد ثقافتك عندما يتعلّق الأمر بتقديم الرعاية للمُشرفين على الموت؟ هل هي رعاية مبنية على المبادئ الكتابية؟
٣. هل تعتقد أنّ المؤمنين يتصرفون بطريقة مختلفة عن الناس الآخرين عند مواجهة الموت؟ ولماذا؟ إذا كانت الإجابة «لا»، كيف يمكن العمل على تجهيز المؤمنين لمواجهة الموت وفقدان الأحباء؟
٤. إذا كان بإمكانك تصميم أماكن مُخصّصة للمُشرفين على الموت في أيّامهم الأخيرة، ما هي العناصر التي ستوفرها في هذه الأماكن؟ ولماذا تُودُّ أن تكونَ بتلك المواصفات؟
٥. هل تُفضّل دفن الأجساد أم إحراقها؟ هل تعتقد أنّ كلا الخيارين مقبولين أخلاقياً للمؤمنين؟ ما هي النصوص الكتابية التي تدعم رأيك؟



الأخلاق في المجتمع

يمكننا أن نقول الكثير بشأن حقيقة كوننا جميعاً أعضاء في المجتمع العالمي. فقد أدت التكنولوجيا ووسائل النقل إلى تحويل مجتمعات العالم إلى قرية صغيرة، بطريقة كان من المستحيل التفكير فيها حتى قبل فترة وجيزة. فُيعتَبَر الاقتصادُ هو القوة الدافعة وراء العولمة، إذ تتطَّع الشركات المتعددة الجنسيات إلى إيجاد الموارد وتحقيق الأرباح في كلِّ مترٍ مربعٍ من المسكونة. ونتيجةً لذلك، نتَّجه بأن نكون أكثر إدراكاً من أيِّ وقت مضى بأهميَّة العلاقات المتبادلة القائمة بين البلدان. فما يحدث في الجانب الآخر من العالم يؤثر علينا تأثيراً مباشراً. لذا يُشجِّع الكثيرون النَّاسَ على التَّفكير في مصطلح (المواطنة العالمية) والتي تتضمَّن كلاً من العوامل السياسيَّة والاقتصاديَّة والبيئيَّة. فالعيش في (القرية العالميَّة) جزءٌ من واقع هذا القرن. لذلك، لا يحتاج المرءُ إلى أن يكون على دراية بهذه الحقائق العالميَّة المستجدة لكي يتأثر بها.

إننا جميعاً، وبدون أيِّ استثناء، أعضاء في المجتمع العالمي الكبير، بالإضافة

إلى كوننا أيضاً أعضاء في مجتمعات محلية صغيرة. فالبشر هم جزءٌ من عائلة ومجموعة أقارب. وباتساع الدائرة، نجدهم جزءاً من عشيرة كبيرة أو مجموعات قروية ومدنية. وبالتالي هناك مستويات محلية وإقليمية ودولية وعالمية للمجتمعات، وجميعها لديها متطلباتٌ من حولنا. لقد عشنا (نحن مؤلفي هذا الكتاب) في المدينة نفسها في كندا، وبالتالي نحن جزءٌ من المقاطعة والدولة والقارة نفسها. فهناك حتماً مسؤولياتٌ مُصاحبة لكل دائرة من دوائر المجتمع. في كندا على سبيل المثال، هناك ضرائبٌ على الساكنين في البلدات والأقاليم والفدراليات، ومن المفترض أن تُقدّم كلُّ جهةٍ من جهات الحكومة خدماتٍ مُعيّنة مقابل هذه الضرائب.

كون المرء عضواً في المجتمع يستجلب الكثير من الإلتزامات. فأحياناً قد نكون على توافق مع حكومة بلدنا ونحبها، ولكن في أوقات أخرى قد نرى بأن البعض من حكامنا أشراراً ونحتاج إلى معارضتهم. لكن وبصرف النظر عما نشعر به، يجب أن ندرك بأننا نعيش في مجتمع وعالم مُسيّس، ولهذه الحقيقة تأثيرٌ على كلِّ جزئيةٍ من حياتنا. وفي واقع الأمر، إنها تؤثر تأثيراً كبيراً لدرجة أننا غالباً ما نعتبر ذلك أمراً مسلماً به. فالبيئة السياسية لها تأثير مثل البيئة المادية، لكن عادةً لا نلاحظ ذلك. والقرارات التي نتخذها والفرص التي نمتلكها في كلِّ يوم من أيام حياتنا تتشكل جزئياً بواسطة المجتمع الذي نحيا فيه والاقتصاد المحلي لبلداننا، وتأثير من المواطنين الذين من الوطن الواحد، بالإضافة الى مجموعة من العوامل المدنية الأخرى. وبما أننا نعيش حياتنا في مجتمع محدد، وبما أن البشر كائنات إجتماعية، فنحن بحاجة إلى التفكير ملياً في بعض القضايا الأخلاقية التي تُلزم هذه الحقائق. فالقضايا السياسية الكبيرة مثل الانضمام إلى جيش البلد والقتال في الحرب، بالإضافة الى الأنشطة العادية مثل الذهاب إلى العمل يومياً تحتم علينا أن نتعامل مع هذه الواجبات المدنية بجدية. وللقيام بذلك، نحتاج إلى رؤية ما أعلنه الله لنا بشأن العيش في المجتمع المدني.

الحكومة: خادمة الله

كما سنرى لاحقاً، إن الكتاب المقدس واضح بأنه لا يمكن لأي حكومة بشرية أن تكون السلطة العليا والنهائية للمؤمنين، فيمكن أن يكون الحكام فاسدين ومُذنبين

كما هو الحال
دائماً، يتعيّن
علينا تشكيل
وجهة نظرنا
الخاصّة
بالحكومات
الأرضية على
أساس النظرة
الشاملة لتعاليم
الكتاب المقدس .

يجب ألا
تُحلُّ سُلْطَةُ
الحكومات
الأرضية محلَّ
سلطة الله في
حياتنا، وبذلك
يجب علينا أن
نخضع للمساءلة
أمامه في المقام
الأوّل .

من خلال ارتكابهم للجرائم المروعة والأعمال
الوحشية. في بعض الأحيان تُصوّر لنا الأسفار
الرؤيوية والنبوية (مثل أجزاء من سفر دانيال وسفر
الرؤيا) الأمم والحكام على أنهم وحوش مفترسة
ومتعطشة إلى الدماء. وعلى الرغم من ذلك، لا
يُشير الكتاب المقدس إلى أن جميع الحكومات البشرية
والمنظمات السياسية شريرة، ولكنّه في الحقيقة يُشير
إلى عكس ذلك تماماً. فنحن بحاجة إلى أن ندرك بأنّ
الإعلان الكتابي المتعلّق بشؤون الحكومات السياسيّة
له جوانب متعدّدة. ويمكن أن يكون هناك فارق
كبير بين ما يجب أن تكون عليه الحكومة من الناحية
النظريّة، وما هي عليه في الواقع العمليّ، أو ما هي
عليه في بعض الأوضاع والظروف المختلفة. ولكن
كما هو الحال دائماً، يتعيّن علينا تشكيل وجهة نظرنا
الخاصّة بالحكومات الأرضية على أساس النظرة
الشاملة لتعاليم الكتاب المقدس. ففي هذا العالم الساقط
يمكن أن تقوم الحكومات بدور بناء، ولكنها يمكن
أن تكون فاسدة وتُصبح بذلك قوّة للشرّ.

لو كانت فكرة الحكومات البشرية شريرة في ذاتها
لما قام الله بتعيين قادة على شعبه وجعلهم أمة. فبعد
خروج شعب إسرائيل من مصر، شكّل الله شعبه
ونظّمه في كيان أمة. كما عين موسى قادة آخرين
لقيادة هذه الأمة وتوجيهها، وبعد موت موسى
أصبح يشوع بن نون قائداً لها. فحتى قبل فترة
حكم الملوك في إسرائيل، كانت الأسباط منظمّة في
مجموعات قومية، حيث كان لكلّ سبط قائده الذين
كانوا مسؤولين أمام موسى أو يشوع. كانت إحدى
أكبر المشكلات التي واجهت شعب إسرائيل في سفر
القضاة هي عدم وجود قيادة مركزيّة (كما أنّ وجود

الحكم المَلَكِيّ في إسرائيل أظهرَ بأنَّ وجودَ مَلِكٍ على مملكةٍ ليس ضماناً للنَّجاح أيضاً). لقد اختار الله أن يَحْكَمَ شعبه من خلال سُلالةِ الملوكِ الدَّأودِيَّةِ. فإنَّ نظامَ حُكْمِ الملوكِ ليس أمراً خاطئاً بحدِّ ذاته، وإنما إخلاصُ الملكِ الفرديِّ للرَّبِّ أمرٌ في غاية الأهميَّةِ للحكم. وبالكيفيَّةِ نفسها نستطيع القول بأنَّه لا يوجد اليوم شيءٌ خاطئٌ في وجود الحكومات، لذا يجب ألاَّ تَحُلَّ سُلْطَتُهَا محلَّ سُلْطَةِ اللهِ في حياتنا، وبذلك يجب علينا أن نخضعَ للمساءلةِ أمامه في المقامِ الأوَّلِ.

هناك الكثير من النصوص الكتابيَّةِ التي يمكن النَّظَرُ إليها لدعم الموقفِ القائلِ بأنَّ الكتاب المقدَّسَ ينظرُ نظرةً إيجابِيَّةً إلى الحكوماتِ البشريَّةِ. لكن سيقصِّرُ نقاشنا حول هذا الموضوع بناءً على أربعةِ نصوصٍ كتابيَّةِ حاسمةٍ.

١. بطرس ٢: ١٣-١٧

فَاخْضَعُوا لِكُلِّ تَرْتِيبٍ بَشَرِيٍّ مِنْ أَجْلِ الرَّبِّ. إِنْ كَانَ لِلْمَلِكِ فَكَمَنْ هُوَ فَوْقَ الْكُلِّ، أَوْ لِلْوَلَاةِ فَكَمُرْسَلِينَ مِنْهُ لِلانْتِقَامِ مِنْ فَاعِلِي الشَّرِّ، وَلِلْمَدْحِ لِفَاعِلِي الْخَيْرِ. لِأَنَّ هَكَذَا هِيَ مَشِيئَةُ اللهِ: أَنْ تَفْعَلُوا الْخَيْرَ فَتَسْكُنُوا جِهَالَةَ النَّاسِ الْأَغْيَاءِ. كَأَحْرَارٍ، وَلَيْسَ كَالَّذِينَ الْحُرِّيَّةُ عِنْدَهُمْ سُنْرَةً لِلشَّرِّ، بَلْ كَعَبِيدِ اللهِ. أَكْرَمُوا الْجَمِيعَ. أَحْبَبُوا الْإِخْوَةَ. خَافُوا اللهُ. أَكْرَمُوا الْمَلِكَ.

إنَّ معنى هذا النَّصِّ واضحٌ بما فيه الكفاية، حيث يُوجبُ المؤمنين بالخضوع لِكُلِّ سُلْطَةِ حُكُومِيَّةٍ شَرِيعَةٍ وذلك من أجل الرَّبِّ. بكلامٍ آخر، إنَّ إحدى طُرُقِ الخضوعِ للرَّبِّ وإكرامه هي في إطاعة وإكرام السُلْطَاتِ البشريَّةِ الشَّرِيعَةِ. فإنَّ الملكَ على سبيلِ المثالِ هو السُلْطَةُ العُلْيَا للدولة، والوَلَاةُ معيَّنون في المراكزِ الإقليمِيَّةِ للإشرافِ على شؤونِ الشَّعبِ. وبهذه الكيفيَّةِ يعطي الكتابُ الشَّرِيعَةَ الإلهيَّةَ لاحترامِ نظامِ الحكمِ على جميعِ المستوياتِ. يقدِّمُ الرَّسُولُ بطرسُ وصفاً موجزاً لأحدِ أدوارِ الحكومة، فهي مولجةٌ بمعاقبةِ المذنبينِ والثَّناءِ على كلِّ مَنْ يفعلُ الصَّوابَ. كما نلاحظُ أيضاً بأنَّ بولس الرَّسُولِ ذَكَرَ الكلامَ والمفهومَ نفسه في رومية ١٣. ففي تقديمِ بطرسٍ لِحُجَّتِهِ، أوردَ بأنَّ إحدى الأسبابِ التي لأجلِها يجب علينا الخضوعَ للحكوماتِ البشريَّةِ هي بالأَّ نعطِي فرِصَةً للنَّاسِ بأن يتَّهَمُونَا بالعصيانِ أو المعاداةِ للنَّظامِ الاجتماعيِّ. يجب ألاَّ يندمَرَ المؤمنون باستمرارٍ

من الدَّولة، ولكن يجب عليهم أن يكونوا أكثرَ المواطنين احتراماً وقبولاً للنظام والقوانين فيها. يُخبرنا بطرس في الآية ١٧، بأنه يتعيَّن علينا أن «نُكرِّم الجميع» كما يجب علينا بأن «نُكرِّم» الملك (تبدأ الآية وتنتهي بالكلمة اليونانية نفسها، لكنَّ التَّرجمة تحجُب المعنى الحقيقيّ ألا وهو «أظهروا إكراماً لائقاً») كما يتعيَّن علينا أيضاً أن نحَبَّ الإخوة ونخافَ الله. تُعتبر النُّقطة الأخيرة ذات أهمية كبيرة، حيث يبدأ بطرس هذا المقطع بقوله أنه يجب أن نخضع للسلطة البشرية المعينة من أجل الربِّ، ويُنتهي حديثه بتذكير قُرَّائه بضرورة مخافة الله وإكرام الملك. وعليه، يجب ألا نبتعدَ الله أبداً عن قضايا الحكومة المدنيَّة.

٢. تيموثاوس الأولى ٢: ١-٤

فَأَطْلُبُ أَوَّلَ كُلِّ شَيْءٍ، أَنْ نَقَامَ طَلِبَاتٍ وَصَلَوَاتٍ وَابْتِهَالَاتٍ وَتَشَكُّرَاتٍ لِأَجْلِ جَمِيعِ النَّاسِ، لِأَجْلِ الْمُلُوكِ وَجَمِيعِ الَّذِينَ هُمْ فِي مَنْصِبٍ، لِكَيْ نَقْضِيَ حَيَاةً مُطْمَئِنَّةً هَادِئَةً فِي كُلِّ تَقْوَى وَوَقَارٍ، أَنْ هَذَا حَسَنٌ وَمَقْبُولٌ لَدَى مُخْلِصِنَا اللَّهُ، الَّذِي يُرِيدُ أَنْ جَمِيعِ النَّاسِ يَخْلُصُونَ، وَإِلَى مَعْرِفَةِ الْحَقِّ يَقْبَلُونَ.

يوصي بولس المؤمنين في هذا المقطع بالصلاة والتشعُّع لأجل الملوك وجميع الذين هم في منصب. لا بدُّ بأن نُصَلِّي الكنائس، بناءً على كلمة الله، من أجل الحكومات وتطلب من الله أن يُخلص نفوس الحكام ويساعدهم لكي يحكموا بالحكمة والعدل. فمن الصَّواب أن نُصَلِّي لكي يمنح الله قادتنا الحكمة، ومن المقبول بالتأكيد على أن نُصَلِّي من أجل خلاصهم. لكن في كثير من الأحيان نتجاهل بأنه يجب علينا أيضاً أن نُصَلِّي ونُقدِّم الشُّكر لله لأجل حكوماتنا. حين كتب بولس هذه الرسالة، لم يكن الحكام والذين هم في منصب يعاملون المسيحيين بلطف، ورغم ذلك توقع بولس من قُرَّائه أن يكونوا شاكرين من أجلهم لأنَّ كفاءة الحكام أمرٌ ضروريٌّ لنجاح الحكم.

يجب علينا أيضاً
أن نُصَلِّي ونُقدِّم
الشُّكر لله لأجل
حكوماتنا.

يربط بولس بين الصلاة لأجل القادة وتقدُّم الإنجيل وهذا الأمر بالغ الأهمية. إنَّ السَّبب الرئيسي الذي يدفعنا للصلاة لأجل حكوماتنا ليس لكي ندفع

ضرائب أقل، أو من أجل زيادة الخدمات التي تُقدّمها لنا، بل إنَّ تقدُّم الإنجيل هو السبب الذي لأجله نُصلي لأجل هذه الحكومات وليس لأجل الراحة الشخصية. فبولس يشير بأن نُصلي لكي نستطيع العيش بطريقة هادئة ومُقدَّسة. بتعبير آخر، إننا نُصلي لأجل حوكمة المجتمع بطريقة تُمكننا من القيام بمهمتنا في مشاركة الإنجيل بحرية مع الصّالين. فهذا تشخيص ممتاز للفكر السياسي اللاهوتي السليم. وهنا نسأل: هل نحن نُصلي لأجل السلطة الحاكمة لأننا مهتمون براحتنا الشخصية، أم أننا نُصلي لأجل قادتنا لأننا مهتمون بتقدُّم الإنجيل؟

٣. رومية ١٣: ١-٧

لَتَخْضَعْ كُلُّ نَفْسٍ لِّلسَّلَاطِينِ الْفَائِقَةِ، لِأَنَّهُ لَيْسَ سُلْطَانٌ إِلَّا مِنَ اللَّهِ، وَالسَّلَاطِينُ الْكَائِنَةُ هِيَ مَرْتَبَةٌ مِنَ اللَّهِ، حَتَّىٰ إِنْ مَن يَقاومُ السُّلْطَانَ يَقاومُ تَرتِيبَ اللَّهِ، وَالْمَقاومُونَ سَيَأْخُذُونَ لِأَنفُسِهِمْ دَينَوتَهُ. فَإِنَّ الحُكَّامَ لَيَسْأَلُوا خَوْفاً لِلأَعْمَالِ الصَّالِحَةِ بَلْ لِلشَّرِيرة. أَفَتَريدُ أَنْ لا تَخافَ السُّلْطَانَ؟ أَفَعَلِ الصَّالِحَ فَيَكُونُ لَكَ مَدْحٌ مِنْهُ، أَنَّهُ خَادِمُ اللَّهِ لِلصَّالِحِ! وَلَكِنْ إِنْ فَعَلْتَ الشَّرَّ فَخَفْ، لِأَنَّهُ لا يَحْمِلُ السَّيفَ عَبَثاً، إِذْ هُوَ خَادِمُ اللَّهِ، مُنْتَقِمٌ لِلغَضَبِ مِنَ الَّذِي يَفْعَلُ الشَّرَّ. لِذَلِكَ يَلْزَمُ أَنْ يُخْضَعَ لَهُ، لَيْسَ بِسَبَبِ الغَضَبِ فَقَطْ، بَلْ أَيْضاً بِسَبَبِ الضَّمِيرِ.

فإنكم لأجل هذا توفون الجزية أيضاً، إذ هم خدام الله مواطنون على ذلك بعينه. فأعطوا الجميع حقوقهم: الجزية لمن له الجزية. الجباية لمن له الجباية.

يُمثل هذا النصُّ أهمية كبيرة بالنسبة إلى بولس، حين يتعلّق الأمرُ بفهم صحيح لدور السلطات الحاكمة. نشكرُ الله لأنَّ هذا النصُّ ليس صعب التفسير. يجب علينا أن نخضع للسلطات لأنها مرتبة من قِبَلِ الله. فعلى المؤمنين ألا يكونوا مُتمردين، فوضويين أو حتى عديمي الاحترام تجاه حكوماتهم أو حكامهم. لكن بولس هنا يقول بصراحة بأنَّ عدم

على المؤمنين
ألا يكونوا
مُتمردين،
فوضويين أو
حتى عديمي
الاحترام تجاه
حكوماتهم أو
حكامهم.

الخشوع للسلطات يُعتبر عدم خضوع لله. إنَّ الله أوصانا بوجوب الخضوع لشخص ما، وتجاهل ذلك يُعدُّ تجاهلاً لأوامر الله. وتاماً كما بطرس، يؤكد بولس أيضاً أنَّ الحكومة يجب أن تمدح الذين يفعلون الصواب وتُعاقب الذين يفعلون ما هو خاطيء. فإذا قمنا بعمل خاطيء، يكون لنا الحق في الخوف من المحاسبة القضائية. يُطلق بولس بوضوح على السلطات الحاكمة تسمية «كهنة لله» أو «خدّام الله» (يمكن ترجمة المصطلح بكلتا الطريقتين، ولكنه حرفياً «كهنة») هذه التسمية هي تأكيد إيجابي للغاية بشأن طبيعة الحكومة. فالعمل بمنطق أن الحاكم هو خادم لله أو كاهنه يُعدُّ أمراً نبيلاً وجيداً على السواء. لهذا السبب يتعين علينا أن نكرم الحكومة ونُدعمها.

٤. متى ٢٢: ١٥-٢٢

حينئذ ذهب الفريسيون وتساوروا لكي يضطادوه بكلمة. فأرسلوا إليه تلاميذهم مع الهيروديسين قائلين: «يا معلم، نعلم أنك صادق وتعلم طريق الله بالحق، ولا تبالي بأحد، لأنك لا تنظر إلى وجوه الناس. فقل لنا: ماذا تظن؟ أيجوز أن نعطى جزية لقيصر أم لا؟» فعلم يسوع خبتهم وقال: «لماذا تجربونني يا مراؤون؟ أروني معاملة الجزية». فقدموا له ديناراً. فقال لهم: «لن هذه الصورة والكتابة؟» قالوا له: «لقيصر». فقال لهم: «أعطوا إذا ما لقيصر لقيصر وما لله لله». فلما سمعوا تعجبوا وتركوه ومضوا.

علينا أن

نعطي للقيصر

الضرائب

والعملة التي

تحمل صورته،

وبالكيفية نفسها

أن نعطي الله ما

يحمل صورته.

كثيراً ما كانت كلمات الرب يسوع هذه ذات أهمية كبيرة في تحديد كنيته وماهية العلاقة بين المؤمنين والسلطات الحاكمة. يبدو أن يسوع يُعزِّز الدور الخاص بالقيصر (الحكومة) كحاكم في هذا النص، لكن هذه ليست النقطة الرئيسية، فهناك العديد من الفوارق الدقيقة في هذا النص حيث يقود يسوع معارضيه إلى ملاحظة صورة القيصر المنقوشة على العملة. كيف يمكننا معرفة الشيء الذي يخص

القيصر؟ لأنَّ الشَّيءَ وبكلِّ بساطةٍ يحملُ صورَتَه. وكيف بالتالي نعرف ما هو مُلكٌ لله؟ الإجابة هي نفسها. وبالتالي، فعلينا أن نعطيَ للقيصرِ الضَّرَائِبَ والعُمَّلَةَ التي تحملُ صورَتَه، وبالكيفيةِ نفسِها أن نعطيَ الله ما يحملُ صورَتَه. فَمَنْ ذا الذي يحملُ صورَةَ الله تماماً؟ نحن! لقد خلقَ اللهُ البَشَرَ على صورَتِه، لذا يلزم علينا إعطاءَ القيصِرِ ما يخصُّه وإعطاءَ أنفسنا بالكاملٍ لله. يجب علينا أن نحِبَّ الله من كلِّ قلوبنا وأفكارنا وأرواحنا وقوَّتنا، متى ٢٢: ٣٧. فمن الخطأ عَدَمُ إعطاءِ الضَّرَائِبِ لأولئك الذين ندينُ لهم بها، ومن الخطأ أيضاً عَدَمُ إعطاءِ أنفسنا بالكاملٍ لله. يُرسي هذا المبدأُ كلاً من الأولويةِ المنطقيةِ للسلطةِ والتسلسلِ الهرميِّ ذي الأهميةِ الأخلاقيةِ. فلا بُدَّ أن ينالَ القيصِرُ (الحكومة) حَقَّهُ، ولا بُدَّ أيضاً من أن ينالَ اللهُ حَقَّهُ. هذا كلُّ ما ينبغي أن نكون عليه، فلا يوجد تناقضٌ في فهمِ مسؤولياتنا تجاه القيصِرِ والله حيث أن مسؤولياتنا واضحةٌ في هذا السياقِ.

العصيانُ المدنيُّ

يُقدِّم لنا الكتابُ المقدسُ أمثلةً إيجابيةً عن العصيانِ المدنيِّ. ففي الأسفارِ المقدَّسةِ، هناك إشارةٌ إلى أحداثٍ تعارَضت فيها قوانينُ الحاكمِ وأوامرُه مع وصايا الله فاختارَ شعبُ الله بصدقٍ عصيانَ حكومتهِ وطاعةَ الله. لكنهم كانوا أيضاً على استعداد تامٍّ لتلقي العقابِ المدنيِّ بسببِ عصيانهم هذا. سَجَلٌ مثالٌ واضحٌ على ذلك في دانيالَ ٣، حيث بنى ملكُ بابل تمثالاً ضحماً وأمرَ أن يسجدَ له كلُّ إنسانٍ. رفضَ شدرخ وميشخ وعبدنغو السجودَ لهذا التمثالِ، لذا تمَّ رميهم في أتون النارِ المحمى سبعةَ أضعافٍ. فأنقذَ اللهُ حياتهم لأجلِ أمانتهمِ. وأيضاً عصى دانيال تحت حكم الملكِ داريوس المرسومِ الذي أصدره الملكُ الذي يمنعُ فيه الصلاةَ للربِّ وكانت النتيجةُ أنه أُلقيَ في جُبِّ الأسودِ، دانيال ٦. فنجَّى اللهُ أيضاً حياةَ دانيال لأجلِ أمانتهِ. بالإضافة إلى ذلك، هناك مثلٌ آخرٌ مشهورٌ في العهدِ الجديدِ، حيث يُخبرنا العهدُ الجديدُ في سفرِ الأعمالِ والفصلِ الرَّابعِ كيفَ أنَّ القادةَ الدينيينِ في أورشليم حاولوا إيقافَ التلاميذِ عن الكرازةِ باسمِ يسوع. فأمرَ هؤلاء التلاميذُ بالتوقفِ عن الكرازةِ

لكي يبرر
العصيان المدني
لا بد أن يكون
القانون ظالماً
ظلماً واضحاً
حيث ينتج عنه
أيضاً عواقب
شريرة.

«قَدَعُوهُمَا وَأَوْصُوهُمَا أَنْ لَا يَنْطَقَا الْبَيْتَةَ، وَلَا يُعَلِّمَا بِاسْمِ يَسُوعَ . فَأَجَابَهُمْ بَطْرُسُ وَيُوحَنَّا وَقَالَا: «إِنْ كَانَ حَقًّا أَمَامَ اللَّهِ أَنْ نَسْمَعَ لَكُمْ أَكْثَرَ مِنَ اللَّهِ، فَأَحْكُمُوا . أُنَّا نَحْنُ لَا يُمَكِّنُنَا أَنْ لَا نَتَكَلَّمَ بِمَا رَأَيْنَا وَسَمِعْنَا، أَعْمَالُ ٤: ١٨-٢٠، وعند وضع ما ذُكِرَ في دانيال إلى جانب هذا النص من سفر الأعمال، يتضح لنا أنه هناك أوقات يجب فيها عصيان السلطات الحاكمة كي نحافظ على ولائنا لله . فالله وحده سلطتنا العليا وأي سلطة أخرى تستمد منه ولا بد أن تخضع له .

هناك جدل بسيط دائر بين المسيحيين بشأن هذه النقطة، ولكن من الصعب تحديد متى تكون المعارضة المدنية أو العصيان المدني مقبولاً في بعض المواقف . في بعض البلدان التي تحظر الكرازة بالإنجيل أو تمنع عبادة الرب، يكون عصيان توجيهات الحكومة بهذا الموضوع أمراً صحيحاً لا بد من القيام به . ولكن كم مرة تحاول حكومة ما بالقوة إجبار الناس على فعل أمر خاطئ وبوضوح مثل الانحناء للأصنام المصنوعة؟ وماذا لو سمحت الحكومة المحلّية بالممارسات الشريرة (مثل: الإجهاض)، ولم تمنع الأعمال الشريرة (مثلما حدث حين أمر فرعون القابلات بقتل جميع الأطفال الذكور عند ولادتهم)؟ كيف نحدّد ما إذا كانت قضية الحقوق المدنية تستحق المعارضة؟ والأكثر إثارة للجدل هو موضوع أشكال العصيان المدني المقبولة أخلاقياً والتي ينبغي المشاركة فيها؟

عادة ما تعتمد الإجابة عن هذه الأسئلة على البدهة العاطفية والأخلاقية لشخص ما أكثر من اعتمادها على التحليل العقلائي . وبالنظر إلى وصايا الله الإيجابية بطاعة السلطات الحاكمة، نجد أنفسنا بأننا لسنا أحراراً في عصيان القانون مجرد أننا لا نتفق معه . فلكي يبرر العصيان المدني لا بد أن يكون القانون ظالماً واضحاً حيث ينتج عنه أيضاً عواقب شريرة . فحين يضطهد شخص ما أو مجموعة من الأشخاص في المجتمع بموجب القانون، ويحرمون من حقوقهم التي منحهم إياها الله عندئذ يكون للعصيان المدني ما يبرره . إذا، ينبغي مكافحة السياسات القانونية القائمة على الاستغلال والقهر . فإذا عولمت الأقليات من جانب السلطات الحاكمة بشكل ظالم، فإن الأمر المثالي هو أن تقوم المجموعات التي تتألف من الأغلبية بالعصيان . ولكن نظراً لأننا نبتنا واهتمامنا بمصالحنا الذاتية وحرصنا على حمايتها فنادرًا ما يحصل هذا . ومن المؤسف ذكره بأن السياسات الحكومية التي تحيز ضد الأقليات لا تنجح إلا لأنها تحظى بدعم معظم السكان . يجب ألا يكون العصيان المدني الخطوة الأولى التي يتعين علينا اتخاذها لمواجهة

القوانين أو السياسات الاجتماعية الظالمة. لكن، وبحسب الإمكانيات المتاحة، ينبغي اتباع السبل القانونية والسياسية العادية لمعرفة ما يمكن تغييره بالقانون أو بنظام الحكم. وبحسب الهيكلية السياسية والقانونية للبلد (من الناحية النظرية والعملية على حد سواء) قد تشمل سبل التغيير اتخاذ إجراءات مثل التصويت لصالح حزب مختلف، ممارسة الضغط على الحكومة، تقديم الالتماسات والشكاوى القانونية في المحاكم. ففي حالات معينة لا يمكن اتباع أيًا من هذه الاستراتيجيات، لكن في أماكن أخرى قد يكون العمل بهذه الاستراتيجيات فعالاً.

وإذا كانت احتمالات السبل المذكورة أعلاه غير متاحة أو مغلقة، فقد يُسمح بأشكال أشد وأقوى من طرق الاحتجاج. عندما نشأت حركات الحقوق المدنية في أميركا، كان واحد من أشكال الاحتجاجات الشائعة تنظيم التجمعات والمسيرات. جذبت هذه التجمعات الجماهيرية الانتباه العام إلى السلطات ودفعتها إلى الاهتمام بالقضايا المطروحة. كما قامت هذه الحركات أيضاً بأشكال مختلفة من المقاطعات واستخدمت ذلك كوسيلة ضغط. وبما أن الناس لديهم الحق في التجمع العام، فإن هذه التجمعات لا تمثل في الواقع عصياناً مدنياً. فالعصيان المدني يأخذ مكانه حين يكسر الناس القانون. على سبيل المثال، هناك قوانين في أميركا تفرض الفصل والتمييز العنصري. فقد فرض على الأمريكيين الأفارقة الجلوس في مؤخرة الحافلات، وتم منعهم من تناول الطعام على المائدة نفسها مع الأمريكيين البيض أو حتى الشرب من الوعاء ذاته. وبالنظر إلى الطبيعة التمييزية الصارخة لهذه القوانين، بدأ بعض الأمريكيين الأفارقة في رفضها وعدم الالتزام بها وكسروا القوانين علناً، من أجل جذب الانتباه إلى الطبيعة الظالمة لهذه القوانين. وفي وضع مشابه، قامت عائلات ألمانية بكسر القانون في ألمانيا النازية عن طريق إخفاء وحماية اليهود في منازلهم. كانت هذه الأفعال عملاً من أعمال العصيان المدني، ولكنها أنقذت حياة الكثيرين من البشر. وعليه، حين تقوم الحكومات بفرض قوانين غير أخلاقية، شريرة و صارّة، عندها تكون التدابير المختلفة للعصيان المدني مقبولة أخلاقياً.

حين تقوم
الحكومات
بفرض قوانين
غير أخلاقية،
شريرة و صارّة،
عندها تكون
التدابير المختلفة
للعصيان المدني
مقبولة أخلاقياً.

لعلّ التساؤلات الأكثر إثارةً للجدل الخاصة بقضية العصيان المدني هي ما إذا كانت القوة والعنف مقبولين أم لا في النضال ضدّ القوانين غير العادلة. بكلام آخر، هل يجب أن يكون العصيان المدني سلمياً دائماً؟ إن الإجابة عن هذا التساؤل تتطلب في الواقع إثارة عدد من القضايا الأخلاقية والفلسفية واللاهوتية المترابطة. فإذا كان الشخص المعترض مسالماً بقناعاته، فسيكون الجواب الحتمي بأنّ العنف غير مقبول على الإطلاق في جميع الأحوال. لكن إذا كان المرء غير مسالم فقد لا تكون الأمور بهذه البساطة، حتى وإن انتهى به الأمر إلى الاستنتاج بأنّ العنف لا مكان له في أعمال العصيان المدني المشروعة. وعلاوة على ذلك، إذا اعتقد شخص آخر بأنّ العنف قد يكون أداة مشروعة في مكافحة الاضطهاد والظلم الاجتماعي، فهناك قضايا نوعيّة ذات صلة يتعيّن علينا أيضاً النظر إليها (بمعنى، إلى أي مدى تكون القوة مقبولة؟). سنعرّج مرّة أخرى على هذه القضايا، لكن من المفيد الرجوع أولاً خطوة إلى الوراء للنظر إلى القضايا المتعلقة بالحكومة والحروب.

الحروب

إن الاعتراف بحقيقة تبنّي المؤمنين، عبر تاريخ الكنيسة، وجهات نظر مختلفة حول شرعية الحرب هو أمر بالغ الأهمية. إذ يؤمن المؤمنون المسلمون بأنه لا ينبغي على أيّ دولة الدخول في حرب حتى وإن هوجمت من قبل جيش غاز. بينما يعتقد البعض الآخر بأنّ للحكومات الحقّ في شنّ الحروب (في بعض الظروف)، لكن يجب على المؤمنين عدم التورط مطلقاً في أعمال القتال التي ربّما يضطرونّ فيها لقتل أناس آخرين. ففي أوضاع مشابهة، ربّما يكون أمراً مفضلاً بأن يخدم المؤمن في سلاح الإسعاف ولكن ليس في سلاح المشاة. حيث يُنظر إلى المؤمنين كمواطنين ينتمون إلى ملكوت السموات، بينما سيقاتل مواطنو مملكة العالم كما يفعل أهل العالم. وهناك أيضاً رأي آخر شائع يقول بأنّ الحكومة لها الحقّ في شنّ الحرب (في بعض الظروف) والمؤمنون لديهم الحقّ في المشاركة باعتبارهم مقاتلين فعّالين في الحروب العادلة. وأكثر من ذلك، يعتقد البعض أنّ المؤمنين ليس لديهم الحقّ في القتال في الحروب العادلة وحسب، بل عليهم واجب أخلاقيّ للقيام بهذا إذا طلبت منهم حكومتهم ذلك. فعلى الرغم من أنّنا قد نتبنّى رأياً محدداً من الآراء المذكورة أعلاه، ولكن يجب أن نقوم بذلك مع إحترامنا

لضمائِرِ إِخْوَتِنَا وَأَخْوَاتِنَا الَّذِينَ يَخْتَلِفُونَ مَعَنَا فِي الرَّأْيِ .

ما يجب أن يتفق عليه جميع المؤمنين وبدون إستثناء هو أن الحرب هي دائماً نتيجة من نتائج الخطيئة . ففي عالم خال من الخطيئة تكون إمكانية نشوء الحروب مُستبعدة منطقياً . كما أنه من الطبيعي منطقياً، أن يكون كل طرف مشارك في الحرب له ما يبرر قيامه بذلك . هذه حقيقة واقعية، خصوصاً حينما ن فكر في مدى جنوحنا وبسرعة لتبرير مواقفنا . ف دائماً ما تكون الحروب أمراً مفزعاً لأنها حالة رهيبة لا يمكن تخيلها ووصفها . إن حجم العنف والدمار والموت والألم الذي تولده الحروب يفوق إدراك الإنسان . فحين



في عالم خال من الخطيئة تكون إمكانية نشوء الحروب مُستبعدة منطقياً .

ن فكر في كل الخير الذي كان يمكن القيام به في حالة توجيه الموارد البشرية والإقتصادية التي أهدرت في الحروب والاستعداد للحروب إلى مجالات أخرى ، فإننا ندرك أنه لا يمكننا تخيل مقدار الخير الضائع . حتى وإن كان خوض الحرب أمراً مبرراً تماماً ، تبقى الحرب أمراً شنيعاً لا بُد من القيام به ببالغ الأسف باعتباره الملاذ الأخير الذي لا مفر منه .

١. السلمية

يُشيرُ المؤمنون من أنصار السلمية إلى أن أخلاقياتِ محبة يسوع لا تتوافق مع العنف ، فيستشهدون بكلمات يسوع في الموعظة على الجبل «سَمِعْتُمْ أَنَّهُ قِيلَ: عَيْنٌ بَعَيْنٌ وَسَنْ بَسَنٌ . وَأَمَّا أَنَا فَأَقُولُ لَكُمْ: لَا تَقَاوَمُوا الشَّرَّ، بَلْ مَنْ لَطَمَكَ عَلَى خَدِّكَ الْأَيْمَنِ فَحَوِّلْ لَهُ الْآخَرَ أَيْضاً» ، متى ٥: ٣٨-٣٩ . ثمّة دليل آخر يستند على حديث يسوع لتلاميذه وطلبه منهم التخلي عن سيوفهم في إنجيل لوقا ٢٢: ٣٨ ، لكن في الوقت نفسه هناك غموض في هذا النص لأنه يتبع الآية الأخرى التي يطلب فيها يسوع أيضاً من تلاميذه بيع عبااتهم لشرَاءِ سيوف في لوقا ٢٢: ٣٦ . إن الحقيقة الواضحة في العهد القديم بوصية الله لشعبه إسرائيل بشأن الحروب

تُمثِّل مشكلةً لدى أنصار السِّلْمِيَّةِ. ولكنَّهُم وفي سبيل تبرير هذه المُعضلة يقولون بأنَّ يسوع استبدل القانون الأدنى بالأخلاقِ الأسمى القائمة على المحبَّة ونبذ العُنف. بالإضافة إلى ذلك، يوكِّدُ معظم أنصار السِّلْمِيَّةِ بأنَّ الحرب ربَّما كانت أمراً مسموحاً به لإسرائيل ولكنَّها غيرُ مسموحٍ بها في الكنيسة.

٢. بعضُ الحروبِ لها ما يُبرِّزها

يعتقدُ الذين يؤمنون بإمكانيةِ السَّمَّاحِ بالقتال في بعض الحروبِ وليس كلِّها، بأنَّ الموقفَ السِّلْمِيَّ خاطئٌ وذلك لعدة أسباب: أولاً، لأنَّهم يرون بأنَّه هناك عددٌ ليس بقليل من الأدلَّةِ التي تدعم الموقفَ السِّلْمِيَّ. ثانياً، يعتقدون أنَّه قد يكون النصُّ الرِّئاسِيَّ الذي يستخدمه أنصارُ السِّلْمِيَّةِ في متى ٥: ٣٨-٣٩ يتحدَّث عن الإهانة الشخصية وليس عن القتال بين الدُّول. فكفرد يجب عليَّ ألا أُضربَ أيَّ شخصٍ يُهينني، ولكن إذا كان هناك من يوشك على قتل جميع جيراني فهذا أمرٌ مختلفٌ. في المقابل هناك دليلٌ إيجابيٌّ يدعُمُ الرَّأْيَ القائل بأنَّ القتالَ مُباحٌ في بعض الحروبِ حيث يستند على حَقِيقَةٍ أنَّ الله نفسه أمرَ إسرائيلَ بِشَنِّ الحَرْبِ (بالتأكيد، لن يرسل الله شعبه إلى الحرب إذا كان ذلك أمراً شريراً). بالإضافة إلى ذلك،

هناك دليلٌ
إيجابيٌّ يدعُمُ
الرَّأْيَ القائل
بأنَّ القتالَ
مُباحٌ في بعض
الحروبِ حيث
يستندُ على حَقِيقَةٍ
أنَّ الله نفسه
أمرَ إسرائيلَ
بشَنِّ الحروبِ.

حين سأل بعضُ الجنودِ الرومان يوحنا المعمدان عمَّا يجب عليهم أن يفعلوه كي يعيشوا حياةً تليق بالتوبة؟ لم يأمرهم بتركِ الجيش، بل أشار عليهم بأن يكتفوا بأجرهم ولا يسرقوا الأبرياء، لوقا ٢: ١٤. علاوة على ذلك، تفاعل يسوع مع قائد المئة، حيث صرَّح بأنَّ إيمانه أعظم من إيمان أيِّ إنسانٍ في إسرائيل، متى ٨: ٥-١٣. فهناك حُجَّةٌ داعمة صامته في بناء يسوع لوظيفة قائد المئة، وبذلك نرى بأنَّه لا يوجد في النصِّ ما يُشيرُ إلى أنَّ كونه جزءاً من الجيش الروماني أعاق إيمانَ هذا الرَّجُلِ، أو أنَّه كان في حاجةٍ إلى تغيير وظيفته هذه. فكما رأينا بالفعل، يذكرُ بولس في رومية ١٣ أنَّ السُّلطاتِ الحاكمةِ تحملُ السَّيْفَ والسَّيْفَ رمزٌ للموت. وفي يومنا هذا، إذا صرَّح أحدُهم بأنَّ السُّلطاتِ الحاكمةِ مكلفَةٌ من

قَبِلَ اللهُ بِحَمْلِ السَّلَاحِ ، فَلَنْ يُفَسَّرَ ذَلِكَ عَلَى أَنَّ (الْأَسْلِحَةَ) هِيَ أَسْلِحَةٌ فِي الْحَقِيقَةِ ، بَلْ هِيَ رَمْزٌ لِلسُّلْطَةِ وَالْعَدَالَةِ السَّلْمِيَّةِ . وَعَلَى الرَّغْمِ مِنْ أَنَّ سِفْرَ الرُّؤْيَا يَسْتخدِمُ أَسْلُوباً رَمَزيّاً ، فَإِنَّهُ يَسْتخدِمُ صَوَراً تُشْبِهُهُ مَذْهَلَةٌ عَنِ اللهِ الَّذِي يَشُنُّ الْحُرُوبَ وَيَسْفِكُ دَمَاءَ أَعْدَائِهِ فِي الْمَعَارِكِ .

٣ . ما هي المعايير المستخدمة للتحقق من عدالة حرب ما؟

إِنَّ الْاِعْتِقَادَ بِأَنَّ الْحَرْبَ مُبْرَرَةٌ مِنَ النَّاحِيَةِ النَّظْرِيَّةِ شَيْءٌ ، وَوُجُودَ مَعَايِيرٍ يَنْبَغِي مَعْرِفَتُهَا تَعَلُّقٌ بِالسَّمَاخِ بِالْحُرُوبِ وَبَعْدَالَتِهَا وَتَوْقِيتِهَا شَيْءٌ آخَرَ . فِي الْحَقِيقَةِ ، قَدْ يَعْتَقِدُ الْمَرْءُ بِأَنَّهُ هُنَاكَ مَا قَدْ يَبْرُرُ الْحَرْبَ ، لَكِنَّهُ فِي الْوَقْتِ عَيْنِهِ قَدْ يَرَى بِأَنَّهُ لَا تَوْجِدُ حَرْبٌ اِنْدَلَعَتْ عَبْرَ التَّارِيخِ وَصَلَتْ إِلَى الْمَعَايِيرِ الصَّحِيحَةِ الَّتِي تُبْرِرُهَا . فَعَلَى الرَّغْمِ مِنْ وَجُودِ مَسَاحَاتٍ كَبِيرَةٍ لِلْفَوَارِقِ الدَّقِيقَةِ ، إِلَّا أَنَّ الْمَعَايِيرَ الْأَسَاسِيَّةَ لِنظريَّةِ الْحَرْبِ الْعَادِلَةِ تَتَضَمَّنُ النَّقَاطَ التَّالِيَةَ: أَوَّلًا ، يَجِبُ

أَنْ تَكُونَ الْحَرْبُ هِيَ الْمَلَاذُ الْأَخِيرُ بَعْدَ نَفَادِ جَمِيعِ الْحُلُومِ الدِّبْلُومَاسِيَّةِ وَالْعُقُوبَاتِ الْمُخْتَلِفَةِ . ثَانِيًا ، يَجِبُ أَنْ يَتِمَّ الْإِعْلَانُ عَنِ حَالَةِ الْحَرْبِ مِنْ قِبَلِ الْحُكُومَةِ الرَّسْمِيَّةِ لِلدَّوْلَةِ . ثَالِثًا ، يَجِبُ أَيْضًا التَّأَكُّدُ مِنْ تَوْفُرِ فَرَصٍ مَعْقُولَةٍ لِنَجَاحِ هَذِهِ الْحَرْبِ . رَابِعًا ، لَا بُدَّ مِنْ بَذْلِ قِصَارَى الْجُهْدِ لِلتَّمْيِيزِ بَيْنَ الْمُقَاتِلِينَ وَالْمَدَنِيِّينَ . خَامِسًا ، يَنْبَغِي أَنْ تَحْرَصَ الْاِسْتِرَاطِيَّةُ الْمُسْتخدِمَةُ فِي الْحَرْبِ عَلَى التَّخْفِيفِ مِنَ الْأَضْرَارِ الْجَانِبِيَّةِ النَّاجِمَةِ عَنْهَا إِلَى أَقْصَى الْحُدُودِ . سَادِسًا ، يَنْبَغِي أَنْ تَكُونَ الْحَرْبُ دِفَاعِيَّةً ، فَلَا يُمْكِنُ تَبْرِيرُ الدَّهَابِ إِلَى الْحَرْبِ إِذَا كُنْتَ أَنْتَ الْجَانِبُ الْمُعْتَدِي . (تَثِيرُ النَّقْطَةُ الْأَخِيرَةُ مَسْأَلَةَ تَبْرِيرِ قِيَامِ دَوْلَةٍ

معايير تقييم الحرب العادلة:

- (١) أَنْ تَكُونَ قَدْ اسْتَهْلَكْتَ جَمِيعَ الْحُلُومِ الدِّبْلُومَاسِيَّةِ وَالْعُقُوبَاتِ الْمُخْتَلِفَةِ
- (٢) يَجِبُ عَلَى الْحُكُومَةِ الرَّسْمِيَّةِ لِلدَّوْلَةِ أَنْ تَعْلَنَ حَالَةَ الْحَرْبِ
- (٣) لَا بُدَّ مِنْ تَوْفِيرِ فَرَصٍ مَعْقُولَةٍ لِنَجَاحِ الْحَرْبِ
- (٤) لَا بُدَّ مِنْ بَذْلِ قِصَارَى الْجُهْدِ لِلتَّمْيِيزِ بَيْنَ الْمُقَاتِلِينَ وَالْمَدَنِيِّينَ
- (٥) يَنْبَغِي أَنْ تَحْرَصَ الْاِسْتِرَاطِيَّةُ الْمُسْتخدِمَةُ فِي الْحَرْبِ عَلَى التَّخْفِيفِ مِنَ الْأَضْرَارِ الْجَانِبِيَّةِ النَّاجِمَةِ عَنْهَا إِلَى أَقْصَى الْحُدُودِ
- (٦) يَنْبَغِي أَنْ تَكُونَ الْحَرْبُ دِفَاعِيَّةً

ما بضرية استباقية في مواجهة تهديد خطير وشيك أم لا. يرفض الباحثون بشؤون الحرب العادلة إمكانية تصنيف الضربة الأولى «بالدفاعية». كما أنه هناك فرق كبير بين الحرب الدفاعية التي تشنها لأجل مصلحتك والحرب الدفاعية التي قد تخوضها من أجل مصلحة الآخر. على سبيل المثال، إذا ذبح الناس على يد جيش غاز في الجانب الآخر من العالم، فهل يمكن تبرير تدخل دولة ما بقوات مسلحة لوقف هذه المذابح؟ وفقاً للمنظور المسيحي، فبالكيفية التي استطعنا فيها تبرير الدفاع عن أنفسنا يمكننا أيضاً أن نبرر الدفاع عن أرواح الآخرين أينما كانوا.

٤. الحرب العالمية الثانية - حالة دراسية

إن الحرب العالمية الثانية في تاريخنا المعاصر تُقدّم المثال الأكثر منطقية للحرب العادلة. إعتدى النازيون على البلدان المحيطة بهم وقاموا بغزوها من دون وجود مُبرّر منطقي، كما عمدوا إلى تصفية المدنيين الذين صنّفهم بغير المرغوب بوجودهم (مثل اليهود). قام العالم السياسي بمناشدة إنسانية كبيرة لوقف الحرب، ولكنها بقيت جميعها من دون جدوى. ففي مواجهته للأعمال

العدوانية التي قام بها النازيون قال الفيلسوف برتراند راسل، والذي كان من دُعاة السلام في الحرب العالمية الأولى، أنه لا بد من وجود قوة أعظم من قوة النازيين لتمنعهم من تدمير العالم وقتل عشرات الملايين من الأبرياء. ففي الحقيقة أنه لا يوجد شيء غير أخلاقي في إيقاف قاتل على وشك قتل جيرانك. وفي واقع الأمر، من الصعب الادعاء أنك تحب جيرانك إذا وقفت متفرجاً ومكتوف اليدين ولم تفعل أي شيء لتساعدهم. فهذا المنطق لا يعني البتة أنه يمكن تبرير القيام بأي شيء خلال الحروب. لقد ارتكبت الأعمال الوحشية من كلا الجانبين في هذه الحرب، ولم يكن قذف القنابل العشوائية أمراً مُبرراً أخلاقياً. ومع ذلك، وإذا كان بإمكان المرء أن يُلقي نظرة



أسفرت حملة أدولف هتلر القاتلة خلال الحرب العالمية الثانية عن مقتل ملايين الأشخاص. كان منعه أحد الأهداف الرئيسية لقوات التحالف

صداقة على الحرب العالمية الثانية ويبقى مسالماً، فمن المحتمل النظر الى الحروب بأن ليس هناك ما يبررُها. وإذا اعتقدَ بأنه لا يوجدُ مبررٌ لهذه الحرب، حتى وإن كانت حرباً مروّعة، فإنه يكون بذلك براءً من الادعاء بالسّلام. وعليه، فإنّ دراسة هذا المثال الواقعيّ مفيدة في توضيح موقف المرء الأخلاقيّ الحقيقيّ (ربما أكثر من دراسة الحجج الفلسفيّة لعلماء الأخلاق).

٥. الأسلحة النوويّة

تثيرُ مسألة الأسلحة النوويّة الجدلَ حتى بين مؤيدي نظريّة الحرب العادلة. يُمكن التمييز مرّة أخرى بين نظريّة امتلاك واستخدام الأسلحة النوويّة، وبين الطريفة التي جمعت بها الدُول هذه الأسلحة واستخدمتها عبر التاريخ. لكن، وبكل بساطة ليس هذا هو الوقت المناسب لتقييم السياسات النوويّة للولايات المتحدة وروسيا خلال حقبة الحرب الباردة، كما أنه ليس المكان المناسب أيضاً لإثارة مخاوفٍ أوسع بشأن الطّاقة النوويّة عامّة، بما في ذلك إنتاجها وتخزينها والتخلّص من نفاياتها.^١ لكنّ السؤال الحاليّ الذي يثيرُ اهتمامنا هو: هل استخدام الأسلحة النوويّة بشكل دائم مبررٌ أخلاقياً؟

تجدُر الإشارة إلى أنّ التطوّر العسكريّ الكبير والمتسارع للأسلحة عبر التاريخ كان مروّعاً لدرجة أنه لم يكن للبشر القدرة على استخدامها جميعها. لقد كان هذا هو الحال مع بعض تقنيّات الأسلحة كالقوس والنشاب واختراع المدفع الرشاش والآن مع الأسلحة النوويّة. يميل أولئك الذين يُعارضون الأسلحة النوويّة إلى الإشارة إلى أنّ امتلاك أسلحةٍ يمكنها تدمير سكّان العالم بكامله ليس بالأمر الحكيم. كما يُصرّحون بأنّ مثل هذه الأسلحة المُدمرة تجعل من المستحيل التمييز بين المدنيّين والمقاتلين، وبالتالي فهي لا تحترّم معايير الحرب العادلة. كما أنّ الآثار الطويلة الأجل المترتبة على الأسلحة النوويّة تختلف تماماً عن المتفجرات التقليديّة.

يميل مؤيدو استخدام الأسلحة النوويّة للإشارة إلى أنّ استخدام قنبلتين ذريّتين في اليابان أنهى الحرب العالمية الثانية وأنقذ حياة الملايين من الأرواح الأخرى. كما لاحظوا أنّ الضّرر الذي تسببته القنابل التقليديّة هو أكثر بكثير من الضّرر الذي تسببته القنابل الذريّة. وفي عالمٍ يمكن أن تمتلك فيه الأنظمة الشريرة

١ يجب التعامل مع هذه القضايا من أجل الحصول على وجهة نظر أخلاقيّة كاملة وشاملة، لكنّ بحثها الآن بإسفاضة قد يأخذنا بعيداً عن الاطار العام للكتاب.

مصانع لصناعة الأسلحة النوويّة، قد يكون من الحكمة أن تمتلك الدول الأخرى أسلحةً نوويّةً للردع الاستراتيجي، كما يمكن صنع رؤوس حربيّة نوويّة صغيرة لاستخدامها في الأهداف العسكريّة المحدّدة والدقيقة. وبصرف النظر عن الموقف الذي يتبنّاه المرء فيما يخصّ الأسلحة النوويّة، فإنّ وجودها واستخدامها يُعتبران من المسائل الصّعبة التي تواجه نظريّة الحرب العادلة والأشخاص أصحاب الضّمائر الواعيّة.

٦. المقاتلون والمدنيون

يمكن أن تكون إمكانية فصل المقاتلين عن المدنيين في الحرب العصريّة أمراً عسيراً. فإذا كان المدنيون يعملون في مصانع الحديد الذي يُستخدم في الجهود الحربيّة، فهل يمكن تصنيفهم بالمقاتلين؟ وماذا يحدث عندما تجلب الحكومات المدنيين إلى مناطق أهداف عسكريّة وتستخدمهم «كدروع بشريّة» حيث يؤدي تدمير الأهداف إلى موت أشخاص أبرياء؟ لذلك، فإنّ الحفاظ على مبدأ التمييز بين المقاتلين والمدنيين ليس بالأمر السهل كما يبدو للوهلة الأولى. وخصوصاً عندما يرتدي الجنود لباس المدنيين، أو حتى عندما يعمل المدنيون كفدائيين. فوفقاً لنظريّة الحرب العادلة ينبغي حماية المدنيين قدر الإمكان، ويجب عدم استهدافهم البتة. كما يتعيّن في الوقت نفسه ألا يكون الهدف الرئيسي من الحروب هو الإبادة، بل يجب وبحسب الإمكان إنقاذ الأرواح. ربّما يكون من المستحيل فعلياً تطبيق هذا المبدأ في الحرب الحقيقيّة، لكنّه التزام قائم لدى المبادئ الأخلاقيّة والتي لا بدّ من التمسك به.

٧. الجنود الأطفال

إنّ تجنيد الأطفال في الحروب يُعدّ شراً بشعاً. أُجبرَ الأطفال على الانضمام إلى الجيش في رواندا وأوغندا (في صفوف جيش الرّب للمقاومة) وفي أقطار أخرى من العالم. وكثيراً ما أُجبروا على ارتكاب أعمال وحشيّة، في بعض الأحيان يُجبرون على قتل أو تقطيع أو اغتصاب والديهم أو أشقائهم، وغالباً ما يتعرّضون للاعتداء الجنسيّ والضرب. كما يُعطى لهم عقاقير تؤدّي إلى

إنّ تجنيد
الأطفال في
الحروب يُعدّ
شراً بشعاً.

الإدمان، وبذلك يتم السيطرة عليهم عن طريق التخويف والشعور بالذنب والمخدرات. لا مجال للجدال في موضوع تبرير استخدام الجنود الأطفال البتة، إذ لا يمكن تبرير هذا الأمر مطلقاً. فإننا ندرج هذا الجزء ليس لمناقشته من الناحية الأخلاقية بل لنسلط الضوء على المشكلة، ولا بد من القيام بكل ما في وسعنا لإنهاء هذا الأمر المرعب. وبالإضافة إلى ذلك، يتعين إنشاء ودعم البرامج الدولية التي تساعد في إنقاذ هؤلاء الأطفال وإعادة تأهيلهم. فباعتبارنا مؤمنين، يجب علينا أن نتذكر أن لا شيء غير قوة يسوع المسيح الكفارية تقدر أن تشفي الطفل الذي أسيء التعامل معه بهذه الطريقة.

عودة إلى العصيان المدني

إذا اعتقد إنسان ما أنه يمكن تبرير الحرب، فلا بد له أن يؤمن أيضاً بأنه هناك أوقات يكون فيها العنف مقبولاً أخلاقياً (حتى لو لم يكن أمراً مثالياً أو مرغوباً فيه). وفقاً لنظرية الحرب العادلة، يتعين على الحكومة المتعترف بها إصدار مرسوم الحرب. ولكن بحكم الواقع، لا تستطيع أي حكومة إصدار مرسوم حرب ضد ذاتها بمواجهة العصيان المدني! فهل يمكن أن تقسو حكومة ما في يوم من الأيام على مواطنيها لدرجة أن يصبح عيشهم في ظل نظامها خطيراً كالعيش في منطقة حرب؟ في بعض الأقطار يبدو الأمر كذلك! فإذا كان هذا هو الحال، هل يمكن تبرير قيام المدنيين بالعصيان أو بالثورة لتغيير نظام الحكم؟ يقول بعض علماء الأخلاق المسيحيين «بلى»، كما يقول البعض الآخر «لا». هذا الموضوع تجربة فكرية لا اختبار البداهة. فإذا كنت تعتقد أنه من الصواب أن تقاوم جيوش الحلفاء ضد النازيين، فهل كان من الصواب بالنسبة إلى الألمان أن يقاوموا هتلر أيضاً؟ وإذا قام الجنود النازيون بتجميع اليهود وإعدامهم، فهل كان من الصواب أن يدافع الشعب الألماني عن اليهود بالقوة المسلحة؟ ماذا يجوز للمواطنين الإنجليز استخدام السلاح ضد النازيين، ولكن ليس لدى المواطنين الألمان الحق في ذلك؟ بكل تأكيد نصرح بأن الله وحده وليس أي حكومة، حتى حكومتنا، هو سُلطاننا العليا النهائية. إن الثورات العنيفة في المجتمع دائماً ما تكون مروعة، ولكن هل هي دائماً لا أخلاقية ومنافية للقيم؟ يلزم على المؤمنين التفكير في هذه الأسئلة بعناية فائقة.

عقوبة الإعدام

حقيقة أن
الله أوصى
بعقوبة الإعدام
كعقاب للعديد
من الجرائم
في شريعة
العهد القديم،
تُظهر أن هذه
العقوبة ليست
شراً بطبيعتها
في جميع
الظروف.

في بعض البلدان لا يُعمل إطلاقاً بعقوبة الإعدام، ولا يُقَارَب موضوعها حتى على مستوى التفكير. في حين أنها تُعتبر عقوبة قضائية عادية في بلدان أخرى، ونادراً ما يتم التفكير فيها لأن وجودها أصبح مقبولاً ومسلماً به على نطاق واسع في المجتمع. رغم ذلك، تحدثم النقاشات في أماكن أخرى كثيرة حول الوضع الأخلاقي لهذه العقوبة. يتبنى المؤمنون وجهات نظر مختلفة حيال تبني التنفيذ القضائي لعقوبة الإعدام، مثلما يتبنون آراءً مختلفة تجاه موضوع الحروب. فهناك بالفعل أسس عديدة تربط موضوع عقوبة الإعدام بموضوع الحرب. وإحدى هذه الأسس الرئيسية هو حيازة الناس على الميزر لاستخدام القوة المميّنة للقضاء على حياة إنسان ما. لكن إذا لم يكن الأمر كذلك، فعندها سيتم استبعاد الحرب وعقوبة الإعدام على الفور. لكن إذا كان الله يسمح بإزهاق الأرواح في ظروف معيّنة، فعندها تصبح عقوبة الإعدام احتمالاً نظرياً.

حين تنتقل إلى البيانات الكتابية في الكتاب المقدس نرى بأن الله وبدون أي شك سمح بعقوبة الإعدام. وفي الحقيقة، لقد أمر بها. كانت عقوبة الإعدام هي العقوبة التي وُجِبَ تطبيقها على العديد من الجرائم في وصايا العهد القديم. فلا تعارض بين الوصية الكتابية «لا تقتل» وتطبيق عقوبة الإعدام. لأن القتل يتضمّن إزهاق أرواح الأبرياء، ولكن الله ميّز بوضوح بين القتل وإجراء الإعدام القضائي للمُذنب. فالكنيسة ليست تحت عهد الشريعة الثيوقراطي لإسرائيل (ولا تحت شريعة أي أمة أخرى). والأهم من العهد مع إسرائيل، الذي أمر الله فيه بعقوبة الإعدام، هو العهد مع نوح الذي قال الله فيه بوضوح في تكوين ٩: ٥-٦:

«وَأَطْلُبُ أَنَا دَمَكُمْ لِأَنْفُسِكُمْ فَقَطْ. مِنْ يَدِ كُلِّ حَيَوَانَ أَطْلُبُهُ. وَمَنْ يَدِ الْإِنْسَانِ أَطْلُبُ نَفْسَ الْإِنْسَانِ، مَنْ يَدِ الْإِنْسَانِ أَخِيهِ. سَأَفَكُ دَمَ الْإِنْسَانِ بِالْإِنْسَانِ يُسْفِكُ دَمَهُ. لِأَنَّ اللَّهَ عَلَى صُورَتِهِ عَمِلَ الْإِنْسَانُ.»

يُعلنُ اللهُ بذاته في هذا النصِّ أنه لا بُدَّ من إعدامِ القاتلِ. يُعدُّ الأمرُ الهامُّ في تطبيقِ هذا المبدأ أنَّه عامٌّ ويخصُّ الخليقةَ كُلَّها، وليس وصيةً لأُمَّةِ إسرائيلِ وحدها (فهو يسبقُ شريعةَ موسى). يُشيرُ أولئك الذين يدعمون عقوبةَ الإعدامِ أنَّ النَّاسَ ما زالوا يحملون صورةَ الله، ورغم ذلك فإنَّ كلامَ الله في هذا النصِّ يأمرهم بإعدامِ القاتلِ. وعليه، لا يرتبطُ تطبيقُ هذا النصِّ بزَمَنٍ معيَّنٍ.

يُستأنفُ الحديثُ عن هذا الأمرِ في العهدِ الجديدِ في رومية ١٣ إذ يقول بولس: يَتَعَيَّنُ علينا الخضوعُ لسلطاتِ الحاكمِ، وأنهم يحملون السَّيفَ (أي أنه رمزٌ للحياةِ والموتِ). علاوة على ذلك، خضع يسوعُ لعقوبةِ الإعدامِ التي أقرَّها بيلاطس (رغم أنَّ هذه حالةٌ خاصَّةٌ). لا توجد في العهدِ الجديدِ أيَّةُ واضحةٍ تعترضُ على عقوبةِ الإعدامِ. بالإضافة إلى أنه ليس هناك أيُّ تعارضٍ بين أخلاقيَّاتِ مَحَبَّةِ يسوعِ وهذه العقوبةِ، وخصوصاً إذا تطلَّبتِ مَحَبَّةُ أقرابنا إعدامِ القاتلِ. ومرةً أخرى نقول: حقيقة أنَّ الله أوصى بعقوبةِ الإعدامِ كعقابٍ للعديد من الجرائمِ في شريعةِ العهدِ القديمِ، تُظهرُ أنَّ هذه العقوبة ليست شرّاً بطبيعتها في جميع الظروف.

غالباً ما تُثارُ المخاوفُ من استخدامِ عقوبةِ الإعدامِ في بعض الأحيان ضدَّ إنسانٍ بريءٍ. فإذا حدث ذلك، لا توجد إمكانيَّةٌ للتَّراجعِ عن الخطأ. هذه حُجَّةٌ عاطفيَّةٌ قويَّةٌ ولا بُدَّ من أخذها بجديَّة. تُعدُّ إدانةُ الأبرياء، حتى وإن كانت بالخطأ، أمراً سيئاً للغاية، مهما كانت نوعيَّةُ العقوبةِ. ورغم ذلك، أمرُ الله بعقوبةِ الإعدامِ رغم علمِهِ بحدوثِ أخطاءٍ في بعض الأحيان. في الحقيقة، يَعلمُ الله أنَّ إيزابيلَ الملكةَ الشريرةَ سترتَّبُ لتقتلِ نابوتَ البريءِ عن طريقِ تليفيقِ جريمةٍ له، وإساءةِ استخدامِ القوانينِ التي تنصُّ على عقوبةِ الإعدامِ، ١ ملوك ٢١. لذا، فإنَّ شريعةَ الله تفرضُ تعدُّدَ الشهودِ في قضايا الإعدامِ، وهذا يدلُّ على أنَّ مستوى الأدلَّةِ في قضيةِ الإعدامِ لا بُدَّ أن يكون مرتفعاً للغاية، لذا يجب الحرصُ على ضمانِ تحقيقِ العدالةِ.

هناك طريقةٌ
أخرى للمضيِّ
قُدماً، تتمثَّلُ
في الإبقاء على
عقوبةِ الإعدامِ
كخيارِ قانونيِّ،
والعملُ على
إصلاحِ تحيِّزاتِ
النِّظامِ القضائيِّ
التي تولدُ هذا
التفاوتِ.

هناك اعتراضٌ مماثل على إمكانية تطبيق عقوبة الإعدام على نحو غير متكافئ على الأقليّات. تُسمَع هذه الحجّة باستمرار في الولايات المتّحدة، إذ يُمكن الاستشهاد بالإحصائيات التي تُشير إلى أنّ الأقليّات العرقيّة هي أكثر عُرضة للإعدام من القوقازيين حينما يحاكمون على جرائم تستحقّ الإعدام. ورغم ذلك، هناك طرقٌ متعدّدة لتقييم هذه المعلومات. يمكن للمرء أن يُشير بأنّ الحلّ يكمن في وجود عدالة أكثر في تحديد عقوبة الإعدام، ممّا يؤدي إلى تلقّي المزيد من القوقازيين لعقوبة الإعدام أكثر من ذي قبل. فمنطقيّاً، يوجد ما يبرّر زيادة تطبيق عقوبة الإعدام، ولكن، يوجد طريقة أخرى للمضيّ قدماً تتمثّل في الإبقاء على عقوبة الإعدام كخيار قانوني، والعمل على إصلاح تحيزات النظام القضائيّ التي تولّد هذا التفاوت. إذا كان الله قد أمرَ بأنّ عقوبة الإعدام هي النتيجة الصّحيحة للقتل، فالمشكلة ليست في العقوبة، بل في النظام القانوني الذي يستخدمها. فلا يتطلّب بالضرورة إصلاح نظام قضائيّ متحيزٍ إلغاء عقوبة الإعدام، وعليه، حين نجدُ مجتمعاً تُطبّق فيه عقوبة الإعدام تطبيقاً غيرَ عادل، فيكون من الأفضل التوقّف عن تطبيقها، على الأقلّ لبعض الوقت.

هناك نقاشٌ حادٌّ حول ما إذا كانت عقوبة الإعدام تُمثّل عقوبةً رادعةً بصورة فعلية أم لا. يصرّ البعض على أنّ الإحصائيات تُثبت أنّ الأمر ليس كذلك، في حين يصرّ البعض الآخر على أنّها ستكون رادعةً ردعاً فعّالاً إذا طبّقت على نطاقٍ واسعٍ وباستمرار. من المنظور الكتابي، لا تبرزُ القيمة الرادعة تطبيق عقاب الإعدام. فحين تحدّث الله إلى نوح، لم يقل له أنّه يجب تطبيق عقوبة الإعدام لكونها رادعة، بل قال إنّها يجب تطبيقها لأنّ القاتل قد أنهى حياةً واحد من حاملي صورة الله. ربّما علينا أن نستنتج من هذا الأساس المنطقيّ أنّ القتل ينبغي أن يموتوا لأنهم «قتلوا» الله في صورة مادّية. فإذا «قتلت» الله، فمن ثم أنت لا تستحقّ الموت وحسب، بل إنك ستموت. وبصرف النظر عن دقّة هذا الاستنتاج، وهو أمرٌ غير مؤكّد، فإنّ الكتاب المقدّس لا يفرض عقوبة الإعدام لكونها رادعة. ونحن على ثقة تامّة بأنّ المسيحيين يستمرون لفترةٍ طويلة في الخلاف حول الصّحة الأخلاقيّة الدائمة لكلّ من الحرب وعقوبة الإعدام. وبالتالي، يجب علينا الاستماع بكلّ احترام إلى آراء الآخرين، ويجب أن نحبّ بعضنا بعضاً في المسيح، حتى ونحن نبحث عن فهم ما يريده الله ويرغب فيه.

الحياة العادية

لقد وضعنا في هذا الفصل، أساساً كتابياً لطبيعة الحكومة الإيجابية، وبحثنا في القضايا الصعبة المتعلقة بالعصيان المدني وقضايا الحياة والموت (الحرب وعقوبة الإعدام). على الرغم من أن بعض الناس يَحْيُونَ فِي خِصَمِ الثورات العنيفة ومناطق الحرب، فإن معظم الناس يعيشون في سلام واستقرار نسبي في مجتمع منظم. وعليه، ما هي مسؤولياتنا الأخلاقية حيال النشاطات الاجتماعية الطبيعية مثل العمل في أشغالنا؟ كيف ينبغي أن ننظر إلى الاقتصاد والمال؟ ما هي مسؤوليتنا الأخلاقية تجاه الفقراء والضعفاء؟ قد لا يضطر الكثير منا إلى اتخاذ قرار بشأن دعم حكوماتنا في الحرب، أو قرار بشأن تحدي حكوماتنا في عمل من أعمال العصيان المدني، ولكننا جميعاً لدينا العديد من المهام الاجتماعية اليومية التي يجب المشاركة فيها.

العمل

تعد طبيعة العمل إحدى دوائر الحياة التي تأثرت بشكل واضح بالخطيئة. هناك بلا شك مجموعة متنوعة من الخبرات التي يمتلكها الإنسان في العمل، الخبرات المفرحة التي تمد الإنسان بالطاقة وتطلقه إلى العمل الشاق القائم على العبودية القمعية. لكن يمكننا القول بأنه في حياة الجميع هناك أوقات يعمل المرء فيها ويجد ذلك صعباً، وغير مريض له في معظم الأحيان. لذا، نلوم أحياناً أنفسنا على ذلك، وأحياناً أخرى نلوم الآخرين. لكن السبب وراء عدم السهولة في العمل بمتعة ورضى تام هو تأثير الخطيئة على العالم. حيث أننا نعاني من الإحباط والشعور بعدم الإنجاز وعدم الإثمار. فحن قادرين على تحقيق ما نريد أن نكون عليه في المستقبل، ونرغب بشدة في تحقيقه، بمقدار أكبر من الذي نحققه بالفعل، ولكن لا نتمكن من ذلك بسبب الضعف وندرة الموارد والمنافسة البشرية والعوامل البيئية ومجموعة متنوعة من الظروف والعوائق الأخرى.

وفي الوقت نفسه، يعد العمل أمراً جيداً. أمر الله آدم وحواء أن يعملوا في جنة عدن وأن يجعلوا ثمرتها، وذلك قبل دخول الخطيئة إلى العالم. كان من المفترض أن ينتج العمل ثماراً تتناسب مع الجهد المبذول فيه، لكن بسبب أن الخطيئة أفسدت جميع

الله يكرم العمل
لأنه يعكس
صورته فينا.

الأشياء، فصار العمل في ذاته عبئاً. «بَعَرَقَ وَجْهَكَ تَأْكُلُ» تكوين ٣: ١٩، وَيَخْرُجُ الشَّوْكَ والحسك من الأرض ذاتها كما تخرُج نباتات الأرض الجيدة. ونحن أيضاً نتمو باعتبارنا بشراً كما ينمو العشب، لكن يحدث ذلك النمو من خلال العمل على حياتنا بشكل جيد، وضبط أجسادنا وأذهاننا وأرواحنا، وبذلك نُصقل شخصياتنا لنصير أكثر شبهاً بالمسيح.

يُمثل استعدادنا الفطري للعمل دليلاً على كوننا خُلِقنا على صورة الله. لقد عمل الله ليخلق الخليفة، ثم صمّمها مع إمكانية الزراعة فيها كي تتمكن من العمل على تطويعها وتعميرها. (إذا كنا قد خُلِقنا على صورة الله من دون إعطائنا أي إمكانية للعمل في الأرض، فسيكون من الصعب علينا بالتأكيد عيش دعوتنا باعتبارنا حاملين لصورة الله! وعليه، فإن العمل أمر جيد). الله يكرّم العمل، لأنه يعكس صورته فينا.

من الواضح أن العمل هو جزء لا يتجزأ من هويتنا كبشر، ولكن لماذا يجب علينا أن نعمل؟ نحن نعمل كي نُساهم في ازدهار العالم، ولتكون أشخاصاً منتجين في المجتمع، ولنقوم بأعمال جيدة. علاوة على ذلك، إننا نعمل من أجل تلبية احتياجاتنا ومطالباتنا. يمكن أن تلبى هذه الاحتياجات مباشرة من خلال زراعة الأشياء التي تكفي لعيش الأسرة ومن خلال الأعمال المنزلية، أو بطريقة غير مباشرة من خلال جمع الأموال لتغطية نفقاتنا. فالعمل يوفر لنا المكسب ويملاً وقتنا، كما أنه يضع لأيماننا هدفاً ووجهة للسير فيها، ويمكن من خلاله استثمار أوقاتنا. إن الحصول على ثمار يتطلب الزراعة أولاً، والزراعة هي نوع من أنواع العمل. وبالمثل أيضاً نحن أداة الله للعمل الصالح في العالم، لذلك فهو يعمل فينا كي يُحقّق دعوته لنا. وعليه، إن كلمة (عمل) تعني حرفياً (دعوة).

١. كيف ينبغي أن نعمل؟

يجب أن نعطي مقداراً كبيراً من الأهمية للطريقة التي نعمل بها، وخصوصاً باعتبارنا مؤمنين. وبالتالي، كيف ينبغي أن نعمل؟

أ- بمهارة: كان لا بد أن يكون الحرفيون الذين يريد الله منهم بناء خيمة الاجتماع والهيكل ذوي (مهارة). لا يعني ذلك أننا مطالبون بأن نكون موهوبين موهبة استثنائية بما نقوم به، ولكن المقصود هنا أنه يجب أن نقوم بكل شيء بأفضل ما لدينا، مع مراعاة جميع الأشياء. «يعدّ العمل الكفوؤ شكلاً من أشكال

المحبة». ٢. كما تُعْتَبَرُ جميعُ قدراتنا ومواهبنا عطايا من الله، واستخدامها جيداً هو وسيلة لإكرام الله ذاته.

ب- بتوازن: هناك خطرٌ في القيام بالعمل بطريقة أقل مما هو مطلوب أو في الإفراط فيه. إذ تؤدي الأولى إلى الكسل والتبطل والأخيرة إلى الضغط والاضطراب. فكلاهما يعطل العمل والراحة كما حددهما الله، ويؤثران أيضاً على العديد من دوائر حياتنا. لذا، علينا أن نتذكر أن الراحة هامة لكي نستطيع بعد ذلك القيام بعمل جيد، وهي هامة بالنسبة إلينا لكوننا بشراً.

عمل الله لمدة سنة أيام واستراح في اليوم السابع، وذلك وفقاً لقصة الخلق. أمر الله شعبه بأن يقددي به، أن يعملوا وأن يستريحوا بالتوازن. لا يعد يوم الراحة علامة على الضعف أو عدم الإنتاجية، إنما علامة على أننا نتذكر قدرتنا الحقيقية، حيث أننا نعتمد على الله ليجعل عملنا مثمراً. فإننا لا نستطيع تحقيق النجاح بأنفسنا: «إن لم يبن الرب البيت، فباطلاً ينعب البناءون». مزور ١: ١٢٧. كما أننا نكرم الله أيضاً بحفظ يوم السبت، الذي هو راحة تامة في المسيح. نحن لسنا عبيداً للعمل. يعطينا الكتاب المقدس أسباباً كافية للقيام بعملنا بحماس شديد، وأيضاً يمدنا



هناك خطرٌ في القيام بالعمل بطريقة أقل مما هو مطلوب أو في الإفراط فيه، حيث تؤدي الأولى إلى الكسل والتبطل والأخيرة إلى الضغط والاضطراب.

بمعنى أعمق للراحة، فكلاهما يعكس حريتنا في المسيح، فنحن أحرار من عبودية الخطيئة، «كل ما فعلتم، فاعملوا من القلب، كما للرب ليس للناس» كولوسي ٣: ٢٣.

ج- بكل حُب: يُعْتَبَرُ الناسُ أكثرَ أهميةً من المشاريع، فيجب ألا تكون تضحيتنا تجاه الآخرين بدافع التفوق في عملنا. يجب أن يكون الدافع الدائم هو محبة الله وإيجاد هويتنا فيه ومحبة أقاربنا أيضاً، ولا بد من إظهار شخصية المسيح في عملنا، «فليضي نوركم هكذا قدام الناس، لكي يروا أعمالكم الحسنة، ويمجدوا أباكم الذي في السموات» (متى ٥: ١٦). فحين نقوم بذلك ونظهر ثمر الروح،

سنجعل عملنا في خضوع لمشيئة الله. وحين نسلك بالفضيلة، كما يأمرنا الرب، يمكننا أن نقبل النجاح أو الفشل بكل تواضع. إذا كان عملنا من أجله، فسوف نرى يده التي توجهنا في حياتنا.

٢. لأجل من نقوم بعملنا؟

لأجل من نقوم بعملنا. تصرّح (كولوسي ٣: ٢٣): «كُلُّ مَا فَعَلْتُمْ، فَاعْمَلُوا مِنْ الْقَلْبِ، كَمَا لِلرَّبِّ لَيْسَ لِلنَّاسِ.» أليس هذا أعظم دافع يمكن للمرء أن يبحث عنه للقيام بعمل جيد؟ يرى الله جميع أعمال خدمتنا ويرى دوافع القلب التي من

يرى الله جميع
أعمال خدمتنا
ويرى دوافع
القلب التي من
ورائها، ولديه
ميراث أبدي
كمكافأة لنا

ورائها، ولديه ميراث أبدي كمكافأة لنا. في حين أن أرباب العمل البشريين لا يمكنهم أن يقدموا غير مكافآت مؤقتة في أحسن الأحوال. إذا توقفنا عن البحث عن مكافآت من الآخرين لتمنحنا إحساساً بالإنجاز، حينها سنستطيع النظر إلى الله وتقييم عملنا وفقاً لمعاييره. ولكن شكراً لله، لأنه أيضاً رحيماً بنا حين نفشل، حيث يشجعنا لنقوم بالمحاولة مرةً أخرى، بالإضافة إلى أنه يقوينا بروحه لنقوم بعمل جيد حين نسعى لإكرامه. كما أن المقصود أيضاً بالعمل من أجل الله أننا نعمل من أجل

الآخرين، بدافع المحبة. فنحن أدوات الله في هذا العالم لمنفعة الآخرين جسدياً وروحياً بالسواء. يتطلب هذا أحياناً تضحيات كبيرة، ولكن الحياة التي تنفق لأجل الآخرين تنفق مع المثال الذي قدّمه لنا المسيح.

٣. هل هناك أنواع من العمل ينبغي ألا نقوم بها؟

هل يوجد أنواع من العمل ينبغي على المؤمنين عدم القيام بها؟ نعتقد أن الإجابة واضحة ألا وهي «بلى»، لكن مع وجود بعض الفروق الدقيقة. كما ذكرنا سابقاً، نحن نخضع في المقام الأول لسلطة الله. لذا، يجب ألا يتعارض أي شيء، يطلبه منا صاحب العمل أن نقوم به، مع وصايا الله وأخلاقياته. من المؤكد أن الانخراط في أي عمل يُدعم أو يُنشئ أموراً لا أخلاقية هو عمل لا ينبغي القيام به. «أنا لا أفعل شيئاً غير القيام بوظيفتي»، لا تعد هذه الجملة مبرراً للقيام بأعمال

لا أخلاقية. لقد أدى هذا الفكر إلى استمرار المواقف الضارّة في جميع أنحاء العالم لفترة طويلة جداً. أنا، (دانيل)، أعمل كمهندس معماري، وقد أثار في منذ بداية تعليمي أنه يوجد مهندس معماري تمكّن من القتل الجماعي لليهود أثناء المحرقة من خلال تصميمه غرف الغاز. وحيث عرف المهندسون المعماريون الغرض من هذه المباني، وقاموا بإنشائها بطريقة منهجية لخدمة هذا الغرض بأعلى قدر من الكفاءة الممكنة. وبالتالي، نتج بشكل غير مباشر عن أداء وظيفتهم قتل أعداد لا حصر لها من الأبرياء.

وبالمثل، يُعتبر العمل الذي يُشجّع على الاستغلال والقمع عملاً غير أخلاقي. لا يوجد أي مبرر للقيام بعمل يُفصد منه الإضرار بالناس. ومع ذلك، فإن إيذاء الناس حتى عن غير قصد يمكن أن يكون عملاً غير أخلاقي. الإهمال هو عدم استخدام العهدة استخداماً ملائماً مما يؤدي إلى الضرر، ويُعاقب عليه جنائياً في العديد من المجتمعات. يجب على العامل أن يسعى إلى التمرّن لصقل مهاراته في كل ما يفعله، وأن يعمل ذلك بجد كي يتجنّب ارتكاب الأخطاء. ورغم ذلك، هناك بعض الحالات التي يؤدي فيها نقص الخبرة أو قلة الموارد اللازمة إلى الإهمال، وفي حين أنّ الشخص يكون مسؤولاً من الناحية الفنية، قد لا يُعتبر فشله بالضرورة أمراً غير أخلاقي. ففي بعض الأوقات، نبذل قصارى جهدنا، لكن ما نتجّه يكون غير كافٍ ونرتكبُ قسراً الأخطاء. فليس جميع الأخطاء ترقى إلى مستوى الفشل الأخلاقي.

هناك أنواع أخرى من العمل التي تكون النتيجة النهائية لها غامضة أو غير معروفة. لا نعتقد أنه يوجد شيء غير أخلاقي في أن يقوم عامل مصنع بتجميع سيارات بدوره، رغم علمه أن هذه السيارات قد تقتل شخصاً ما في يوم من الأيام إثر حادث سير. لأنّه يوجد عوامل كثيرة متضمنة في هذا الأمر، وليست السيارة في ذاتها هي التي تسبب حدوث الموت، ولا هي صنعت لهذا الغرض. إذا وقعت الحادثة نتيجة لوجود جزء معيب في السيارة، ستتحمل الشركة بالتأكيد المسؤولية عن هذه الأضرار، ولكن سوف تُرتكبُ أخطاء لم يكن قصد العامل منها التسبب في حدوث ضرر، حتى لو كان الضرر ناتجاً عن خطأ في الصناعة.

الشؤون المالية والوكالة

من بين جميع أقسام هذا الكتاب، تبين أنّ هذا الجزء الخاص بالأخلاقيات

الماليّة هو الأصعب في إدراجه. لقد فكّرنا ملياً فيما إذا كان ينبغي دراسة هذا الموضوع في فصل كامل بمفرده، أو وضعه باعتباره قسماً أصغر مرتبطاً بالحياة في المجتمع. ومن الواضح، أننا تبنينا الخيار الأخير. هذا ليس لأنه لا يوجد الكثير الذي يمكن أن يُقال حول هذا الموضوع، أو لأنه غير هامّ، أو لأنّ الكتاب المقدّس ليس لديه الكثير ليقوله عن المال والاقتصاد. في النهاية، قرّرنا أنّه يوجد مبادئ كتابيّة أساسية يسهل فهمها، وبالتالي فإنّ معالجتنا لهذا الموضوع ستكون بسيطة.

تعتبر تعاليم
المسيح جديرةً
بالثقة، سواء كنّا
نعيش في مجتمع
زراعيّ أو إذا
كنّا نعيش في
مجتمع تكنولوجي
بدرجة عالية.

هناك بعض الاتجاهات والتدابير التي يطلبها الله منّا حين يتعلّق الأمرُ بأموالنا، وهذه الأمور يمكن أن يفهمها كلُّ إنسان. وإذا فالتالي، ليس وصفةً لكيفية إدارة الأموال، إنّما مناقشة قصيرة حول المواقف التي يجب أن يتّخذها أتباع المسيح حين يتعلّق الأمرُ بالشؤون الماليّة والممتلكات الماديّة.^٣ إنّ أحد الأسباب التي لأجلها نجدُ تعاليم الكتاب المقدّس بسيطةً بشأن الممتلكات، هو أنّها لا بدّ أن تكون قابلة للتطبيق عالمياً. تُعتبر تعاليم المسيح جديرةً بالثقة سواء كنّا نعيش في مجتمع زراعيّ مثلما يعيش معظمُ الناس مباشرةً على الأرض، أو إذا كنّا نعيش في مجتمع تكنولوجيّ بدرجة عالية

مثلما يعيش معظمُ الناس في المدن. يحتاج المديرين التنفيذيون الذين يتقاضون رواتب باهظة إلى الرجوع إلى الكتاب المقدّس لمعرفة كيف يتوقّع الله منهم أن يُديروا أموالهم، لكنّ ذلك ليس أقلّ من الدور الذي ينبغي أن يقوم به الصيادون الجامعيون. بالتأكيد، لدى مختلف الناس مهامّ ومسؤوليّات مختلفة حين يتعلّق الأمرُ بالاقتصاد الأوسع. حيث يتّخذ بعضُ الناس قرارات يكون لها تأثيرات كبيرة على الاقتصاد العالميّ بأسره، في حين أنّ آخرين ليس لديهم أيّ تأثير

٣ ورغم ذلك، نعتقد أنّه يوجد حاجة ماسّة وملحة لوجود علماء اقتصاد مؤمنين وقادة في الشؤون الماليّة، للمساعدة في تحويل الأنظمة الاقتصاديّة المحليّة والدوليّة والعالمية. حيث يمكن للإنجيل أن يُدَمِّر جذور الأناثيّة، كما يمكنه أن يحل محلّها بالحبّة والرعاية للآخرين. يعتبر هذا التحوّل الفرديّ بالغ الأهميّة، ولكن الأمر كذلك بالنسبة إلى تحويل الهيكلّات والأنظمة الاقتصاديّة كي تتوقف المظالم الاقتصاديّة والاستغلال المهدر للموارد الطبيعيّة. تحتاج القلوب الجيدة والأنظمة المتوازنة أن تعمل معاً. قال سي أس لويس C. S. Lewis بحق: "إذا لم تكن خبيراً اقتصادياً محترفاً، وليس لديك خبرة في الصناعة، فكونك مسيحياً لن يمنحك القدرة على حلّ المشكلات الصناعيّة" [الله في قصص الانهزام God in the Dock: مقالات عن اللاهوت والأخلاق - Essays on Theology and Ethics، (غران رابيدز: إيردمان (Grand Rapids: Eerdmans)، ٣٦]. نحن بحاجة إلى الفضائل والأولويّات المسيحيّة، بالإضافة إلى الحكمة التخصّصة والتقنيّة للتعامل مع الاقتصاد المجتمعيّ العالميّ.

تقريباً على هذا المستوى. ورغم ذلك، وبالنظر إلى الصناعة والتجارة العالمية، سيتمكن الكثيرون من قراءة هذا الكتاب من اتخاذ القرارات بشأن عملية الشراء التي يمكن أن تساعد إما في دعم ممارسة الأعمال التجارية الدولية الأخلاقية أو غير الأخلاقية. وباعتبارنا وكلاء على المال، ينبغي علينا توخي الحذر.

الأمر الأول
الذي نحتاج إلى
توضيحه هو
أن كل شيء في
النهاية ملك لله.

حين يتعلّق الأمر بالبداية في تقييم مسؤولياتنا أمام الله وبالوكالة، ربّما يكون الشّيء الأول الذي نحتاج إلى توضيحه هو أنّ كل شيء في النهاية ملك لله. وكل ما يأمّننا عليه هو ليس غير ملكية مؤقتة لنا. لذا، يتعيّن علينا توخي الحذر باعتبارنا وكلاء على الأموال والممتلكات التي تُعطى لنا. يبدو أنّ بعض المؤمنين يعتقدون أنّ الله يطلب منهم العُشور—أي أن يقدّموا ١٠٪ من دخلهم لعمَل الرّب، ولكن الـ ٩٠٪ الباقية هي ملك لهم لاستخدامها في تسديد احتياجاتهم. ويبدو أنّ البعض يعتقد أنّ الله لا يهتمّ بكيفية إنفاق باقي الأموال! يوجد الكثير من النصوص الكتابية التي تتحدّث عن أن مواردنا تنتمي بنسبة ١٠٠٪ إلى الله. ينبغي أن تؤخّذ جميع قراراتنا المالية بعين الاعتبار فيما يرضي الله. كما يجب أن تندرج الأمور الاقتصادية والمالية تحت الوصية العظمى، التي هي أن نحبّ الله بالكامل.

يجب أن نتبنّى قراراتنا المالية في ضوء الوصية العظمى الثانية، وهي أن نحبّ أقرّابنا كما نحبّ أنفسنا. فكيف يُمكن للأغنياء إكرام المسيح وهم يملؤون بيوتهم بالسلع الكمالية بينما أقرّابهم يعيشون من دون حاجاتهم الأساسية؟ كيف يُمكن لأولئك الذين في العالم الغربي أن يقولوا إنهم يحبّون أقرّابهم، حين يشتررون المنتجات التي يُنتجها الفقراء في البلدان الخارجية بأسعار زهيدة، لمجرّد أنهم يَتمكّنون من شراء سلع استهلاكية رخيصة؟ يلزم على أتباع يسوع المسيح مشاركة مواردِهِم مع الآخرين. وتظهر أولوية الله في التعاطف والعناية بالفقراء والضعفاء بوضوح تاماً في شريعة العهد القديم وكتب الأنبياء والأناجيل والرّسائل (أنظر على وجه الخصوص في سفر يعقوب)؛ لكن يجب علينا أيضاً في

٤ ستقوم بالاستشهاد بنصوص مختلفة خلال المناقشات التالية. ولا يزال يوجد المزيد من النصوص التي يُمكن الاستشهاد بها.

لا تتعطف بعض
الشركات بغير
هوامش الربح،
ولن تُغيّر هذه
الشركات
سياساتها إلا حين
يوجه المستهلكون
أموالهم إلى مكان
آخر.

المقام الأول الاهتمام بأقاربنا فيما نستهلكه. إذ يجب شراء السلع التي أنتجت في الدول الفقيرة بطريقة عادلة. إذا كانت السلع الاستهلاكية رخيصةً وذلك بسبب أنه يتم دفع أجور غير عادلة للعمال، هذا شيءٌ يوجب المؤمنين أن يتصدوا له. فدائماً ما تُدفع أثمان رخيصة جداً للبضائع، ويكون ذلك على حساب العمال.

والحقيقة أنه من المستحيل المشاركة في الاقتصاد العالمي دون التوقف عن دعم الممارسات التجارية اللاأخلاقية دعماً غير مباشر. فالأشياء شديدة الارتباط والتعقيد، إذ لا يمكننا معرفة تاريخ كل ما نشتريه. وحتى حين نعرف، يوجد بعض الضروريات التي لا بُدَّ من شرائها والتي هي نتاج

أنظمة اقتصادية غير عادلة. يمكننا محاولة التقليل من توطئنا في دعم الممارسات الظالمة، ولكن هناك أيضاً الكثير الذي يمكننا القيام به. لذلك، يتعين علينا القيام بكل ما في وسعنا لدعم الأعمال التجارية الأخلاقية. إذا وجدنا أشياء نعلم أن تصنيعها يتضمن القيام بأمور غير عادلة، فلزاماً علينا الاستغناء عنها إذا كان ذلك ممكناً. لا تتعطف بعض الشركات بغير هوامش الربح، ولن تُغيّر هذه الشركات سياستها إلا حين يوجه المستهلكون أموالهم إلى مكان آخر. وبحسب المكان الذي نعيش فيه، ومقدار ما نستهلك، وما هي المعلومات التي وصلت إلينا، تقع على عاتقنا مسؤولية محاولة اتخاذ قرارات اقتصادية مستنيرة قدر الإمكان. لأن هذه تُعتبر ببساطة طريقة أخرى من طرق محبّتنا لأقاربنا، ومساعدة الآخرين على الازدهار والحفاظ على سلامة بعضهم البعض.

في العالم الغربي (كما هو الحال في العديد من الأماكن الأخرى)، تُعد قضية الإفراط في الاستهلاك واحدةً من أكبر القضايا الأخلاقية في الاقتصاد. لأن الفلسفة الاقتصادية الحاكمة للعالم تدفع ببساطة الناس إلى المزيد من الشراء، لكنّها لا تطرح مطلقاً هذه التساؤلات، متى سنكون مكتفين؟ متى سنكون قانعين؟ وليس من المبالغة القول بأن الكثير من الناس مُدمنون شراء أشياء جديدة. ونجد أن أغنى الدول في تاريخ العالم غارقة في الديون. كما نجد أن العديد

من النَّاسِ في الولايات المتحدة وكندا، يمرّون في أزماتٍ ماليّةٍ شَخْصِيَّةٍ لأنَّهم يُففقون أموالاً أكثرَ بكثيرٍ ممَّا يدخلون. ما يُقصدُ بهذا الكلام هو أنَّ الأشخاصَ الذين يمتنعون بأعلى مستوى من المعيشة، والأشخاصَ الذين يمتنعون بأكثر قدر من الراحة، والأشخاصَ الذين لديهم أكبرُ قدر من الطعام في التاريخ، الأشخاصَ الذين يمتلكون معظمَ الأشياءِ في التاريخ، هم غيرُ راضين عن مقدارِ الأشياءِ التي يملكونها. يُبنى الكثير من إقتصادنا العالميِّ على الطَّمعِ والاستغلالِ والخوفِ والتباهي. هذا تقييمٌ صريحٌ للغاية، لكننا نعتقد أنه صحيحٌ ويمكن تبريره على حدِّ سواء. وعليه، يجب على المؤمنين أن يسلكوا مسلكاً مضاداً للعُرفِ الاجتماعيِّ السائد حين يتعلَّق الأمرُ بأولوياتنا الماليَّة، والدور الذي تلعبه الممتلكات في حياتنا. ويجب علينا أن نأخذَ كلمات يسوع بجديَّة، حين قال: «انظروا وتحفظوا من الطَّمعِ، فإنَّه متى كان لأحدٍ كثيرٌ فليست حياته من أمواله» (لوقا ١٢: ١٥).

أن نتعلَّم أن نكون قانعين هو جزءٌ من النُّموِّ في القداسة. كتب بولس في (فيلبي ٤: ١١-١٣):

«لَيْسَ أَنِّي أَقُولُ مِنْ جِهَةِ احتِياجٍ، فَإِنِّي قَدْ تَعَلَّمْتُ أَنْ أَكُونَ مُكْتَفِياً بِمَا أَنَا فِيهِ. أَعْرِفُ أَنْ أَتَضَعُ وَأَعْرِفُ أَيْضاً أَنْ أَسْتَفْضِلَ. فِي كُلِّ شَيْءٍ وَفِي جَمِيعِ الْأَشْيَاءِ قَدْ نَدَرَيْتُ أَنْ أَسْبِعَ وَأَنْ أَجُوعَ، وَأَنْ أَسْتَفْضِلَ وَأَنْ أَنْقُصَ. أَسْتَطِيعُ كُلَّ شَيْءٍ فِي الْمَسِيحِ الَّذِي يَقْوِينِي.»

لا شيء سوى قوَّة المسيح تجعلنا قانعين في جميع الظروف. وفي الحقيقة، قد يكون من الصَّعب أن نكون قانعين ونحن نمتلك وفرةً في الممتلكات عن أن نكون كذلك ونحن في حاجة. حين نمتلك الكثير، فإننا نعتبر ذلك أمراً مفروغاً منه ونفشل في أن نكون شاكرين. هذا يُثير دهشة كثير من النَّاس، لكنَّ التَّجربةَ الغربيَّة تثبتُ صحَّة ذلك. فأولئك الذين يمتلكون الكثير من الممتلكات ليسوا دائماً هم الأكثر سعادةً أو قناعةً.

لا تؤيِّد الفلسفةَ الاقتصاديَّةَ الكتابيَّةَ الرأسماليَّةَ الأنانيَّةَ أو الاشتراكيَّةَ الأنانيَّةَ، لأننا لا نستطيع أكرام الله إذا كنَّا متمسكين بأنانيتنا في أيِّ نظامٍ إقتصاديِّ. يجب ألا يكون الطَّمع هو الدافع من وراء شراء المؤمنين للأشياء وتجميع الممتلكات.

لا شيءَ غيرِ قوَّةِ المسيحِ تجعلنا قانعين في جميع الظروف .

وفي الحقيقة، يُحدِّز بولس تلميذه تيموثاوس من الرغبة في الثروة، إذ تُعدُّ أمراً شريراً. لا بد أن نكون واضحين، أن تصبح غنياً هذا ليس خطيئة في حد ذاته، ولكن الرغبة في الثراء ورفاهية العيش هي التي كذلك:

«وَأَمَّا التَّقْوَى مَعَ الْقَنَاعَةِ فَهِيَ تِجَارَةٌ عَظِيمَةٌ. أَنَّنَا لَمْ نَدْخُلِ الْعَالَمَ بِشَيْءٍ، وَوَاضِحٌ أَنَّنَا لَا نَقْدِرُ أَنْ نَخْرُجَ مِنْهُ بِشَيْءٍ. فَإِنْ كَانَ لَنَا قُوَّةٌ وَكَسُوءَةٌ، فَلَنَكْتَفِ بِهِمَا. وَأَمَّا الَّذِينَ يُرِيدُونَ أَنْ يَكُونُوا أَغْنِيَاءَ، فَيَسْقُطُونَ فِي تَجْرِبَةٍ وَفَخٍّ وَشَهَوَاتٍ كَثِيرَةٍ غَيْبِيَّةٍ وَمُضِرَّةٍ، تُغْرَقُ النَّاسَ فِي الْعَطْبِ وَالْهَلَاكِ. نَ مَحَبَّةَ الْمَالِ أَصْلٌ لِكُلِّ الشَّرُّورِ، الَّذِي إِذْ ابْتِغَاهُ قَوْمٌ ضَلُّوا عَنِ الْإِيمَانِ، وَطَعَنُوا أَنْفُسَهُمْ بِأَوْجَاعٍ كَثِيرَةٍ.» (١٠-٦:٦-١٠).

إذا أخذنا كلمات بولس جدياً، فلا يمكن أن نستنتج غير أن القوة الدافعة وراء النظريات الاقتصادية في العالم تتعارض مع التقوى. يتعين على المؤمنين أن يكونوا قانعين، وراضين بقدر كاف. يُدمر الإفراط في الاستهلاك الإنسان روحياً، لكنه أيضاً يُدمره بدنياً ونفسياً وعاطفياً. (هكذا يفعل أيضاً الطمع في صاحبه، حتى إذا لم يُطلق الشخص الطامع العنان لرغباته). يتطلب الإفراط في الاستهلاك استغلال الموارد الطبيعية بطريقة لا تُطاق. فحين نفرط في الاستهلاك في الوقت الحاضر، فإننا نحرم الفقراء من الموارد التي يحتاجون إليها، كما أننا نحرم أيضاً الأجيال القادمة من الموارد التي يحتاجون إليها فيما بعد. إذا أخذنا الوقت الكافي للبحث، سنجد أن الخسائر البيئية الناتجة عن الاستهلاك المفرط واضحة. يحتاج المؤمنون أيضاً إلى استعادة مكانتهم باعتبارهم مخلوقات مرتبطة بنظام الله في الخلق، فنحن نمارس السيادة ولكن باعتبارنا وكلاء من الله، وهناك بعض الحدود التي نحتاج إلى الالتزام بها بكل طيبة خاطر. فلا يمكن ببساطة للممارسات الاقتصادية التي تُضر بنا، وبأقاربنا، وبالأرض أن تُسر الله. والسبب الذي لأجله يتعين علينا أن نكون قانعين هو ما جاء في سفر (العبرانيين ١٣: ٥): «لَتَكُنْ سِيرَتُكُمْ خَالِيَةً مِنْ مَحَبَّةِ الْمَالِ. كُونُوا

إذا أفرطنا في
الاستهلاك
في الوقت
الحاضر، فإننا
نحرم الفقراء
من الموارد التي
يحتاجون إليها،
كما نحرم أيضاً
الأجيال القادمة
من الموارد التي
يحتاجون إليها
فيما بعد.

مُكَنِّفِينَ بِمَا عِنْدَكُمْ، لِأَنَّهُ قَالَ: «لَا أُمَّلُكَ وَلَا
أَتْرُكَكَ». فالله في قلوب المؤمنين، والله لن يتركنا
أبداً، إنه بيننا الأبدى وكل ما نملك. إذا لم نستطع
أن نكون قانعين بالله وبالمجد الأبدى، فما الذي
سيجعلنا قانعين؟ هل المزيد من الممتلكات الباهتة
المؤقتة ستجعلنا حقاً سعداء، إذا لم يكن وجود الله
في حياتنا فيه الكفاية لنا؟ وعليه، فالسر وراء
القناعة هو محبة الله ومعرفة أنه لنا إلى الأبد.

ونظراً لأن عالمنا الذي نعيش فيه ليس مكاناً
يمكننا أن نجد فيه الاتجاهات الصحيحة حيال
الممتلكات، فمن أين نأخذ قُدُوتنا؟ بالتأكيد، أننا
سننظر إلى المسيح. فنحن لا ندرس تعاليمه
وحسب، بل نتأمل أيضاً فيما فعله لأجلنا.
نجد أفضل نص كتابي يمكن قراءته بشأن هذا
الموضوع في (٢كورنثوس ٨: ١-٩: ١٥).

على الرغم من أنه لا بد من قراءة النص بكامله
وتطبيقه بعناية، فإننا سنسلط الضوء على آية
واحدة وهي: «فإنكم تعرفون نعمة ربنا يسوع المسيح، أنه من أجلكم اقتقر
وهو غني، لكي تستغنوا أنتم بفقره» (٨: ٩). المسيح هو قُدوتنا، حيث كان لديه
كل شيء في المجد، لكنه بإرادته أخلى نفسه وقدم نفسه للموت لأجلنا، ذلك
هو قُدوتنا في تعاملاتنا مع الأمور المادية. فهو لم يكن يجمع ويكسب الممتلكات،
بل كان مضحياً بنفسه ومحباً للآخرين وخادماً لهم. بعبارة أخرى، فإن المثال
الذي يُقدّمه المسيح لنا بشأن إدارتنا الشخصية لأموالنا هو مثال يتعارض تماماً
مع الطريقة التي ينظر بها العالم إلى المال والممتلكات والاستهلاك. ولا بد من
أخذ هذه المسألة على محمل الجد.

رعاية الفقراء والمساكين

علينا جميعاً أن نلتزم بالأولوية الكتابية المتمثلة في توفير الاحتياجات العملية
للفقراء والمساكين بجديّة. أمر الله شعب إسرائيل ألا يحصدوا حقولهم تماماً،

لِيَتْرَكُوا بَعْضاً مِنْ مَحْصُولِ أَرْضِهِمْ لِلْفُقَرَاءِ: «وَعِنْدَمَا تَحْصُدُونَ حَصِيدَ أَرْضِكُمْ لَا تَكْمَلُ زَوَايَا حَقْلِكَ فِي الْحَصَادِ. وَلَقَاطُ حَصِيدِكَ لَا تَلْتَقِطُ. وَكِرْمَكَ لَا تَعْلَهُ، وَنِتَارَ كِرْمِكَ لَا تَلْتَقِطُ. لِلْمِسْكِينِ وَالْغَرِيبِ تَتْرِكُهُ. أَنَا الرَّبُّ إِلَهُكُمْ» (لاويين ١٩: ٩-١٠)، (تثنية ١٥: ٧-١١)، (مزمور ٤١: ١)، (أمثال ٢٢: ٢٢-٢٣). بالإضافة إلى ذلك، سلط يسوع الضوء أيضاً على أهمية رعاية الفقراء، أنظر



عندما أراد يعقوب أن يوضح ما هو الإيمان الميت، قدّمه في صورة شخص يمكنه مساعدة الفقراء مادياً ولكنه يرفض القيام بذلك.

(متى ١٩: ٢١)، (لوقا ١٤: ١٢-١٤). يُخبرنا بولس أنه على الرغم من أن الرُّسُلَ الآخرين لم يُضيفوا أيّ شيء على رسالة الإنجيل التي بَشَّرَ بها، كان لديهم طلب واحد: «غَيْرَ أَنْ نَذْكَرَ الْفُقَرَاءَ. وَهَذَا عَيْنُهُ كُنْتُ اعْتَنَيْتُ أَنْ أَفْعَلَهُ» (غلاطية ٢: ١٠). كما يحذّر يعقوب الكنيسة بشدة من إظهار محاباة للأغنياء على حساب الفقراء (يعقوب ٢: ١-٤). وكي يوضح يعقوب ماهية الإيمان الميت، وقدّمه في صورة شخص يمكنه مساعدة الفقراء مادياً ولكنه يرفض القيام بذلك (يعقوب ٢: ١٤-١٧). وقبل هذا، أوضح يعقوب أن: «الدَّيَانَةُ

الطَّاهِرَةُ النَّقِيَّةُ عِنْدَ اللَّهِ الْآبِ هِيَ هَذِهِ: اِفْتِقَادُ الْيَنَامَى وَالْأَرَامِلِ فِي ضَيْقَتِهِمْ، وَحِفْظُ الْإِنْسَانِ نَفْسَهُ بِلَا دَنْسٍ مِنَ الْعَالَمِ» (يعقوب ١: ٢٧). كما أن أولئك الأثرياء بحاجة إلى أن يكونوا كرماءً مع الفقراء. لا يمنح الله الناس الثروة لأجل الانغماس في السرّات الذاتية، بل ليتمكنوا من اختبار بركة أن يكونوا قنوات لمشاركة المحبة والممتلكات مع هؤلاء الذين هم في حاجة. وبالتالي، تقع على عاتق المؤمنين مسؤولية العمل بجدّ ليتمكنوا من إعالة أنفسهم وإعالة عائلاتهم (إذا أمكن ذلك). ولزاماً علينا أيضاً الاعتناء بأقاربنا والفقراء والمهمّشين كلّما سنحت الفرصة.

يتعيّن على المؤمنين أيضاً أن يعطوا الأولوية في مواردكم المادية للمساعدة في تدعيم العمل الذي يتم من أجل اسم المسيح. تحتاج الكنائس والخدمات التي تركز بالإنجيل وتقوم بأعمال جيّدة إلى دعم مادّي، والمؤمنون الذين لديهم قدرة على المساعدة يجب أن يقوموا بذلك. فهل هناك أفضل من أن نصرف أوقاتنا وأموالنا في مشاركة محبة المسيح للعالم، والمساعدة في نشر الإنجيل؟! من المؤكّد

أَنَّ الْعَالَمَ لَنْ يُخَصَّصَ مَوَارِدَهُ لِلْمُسَاعَدَةِ فِي عَوْدَةِ الضَّالِّينَ إِلَى الْمَسِيحِ. إِذَا كُنَّا قَدْ انْتَفَعْنَا مِنْ كَرَمِ الْمَسِيحِ، فَيَنْبَغِي أَنْ نَقْتَدِيَ بِهِ وَنَكُونَ كُرَمَاءَ. هَلْ نَحْنُ كَذَلِكَ؟ هَلْ تَتَمَيَّزُ الْكَنِيسَةُ بِاتِّجَاهٍ مُخْتَلَفٍ جَذْرِيًّا عَنِ سَائِرِ النَّاسِ حِيَالِ الْمَمْلُوكَاتِ؟ دَعُونَا نَجْتَهِدُ لَجَعْلِ اتِّجَاهَاتِنَا وَأَفْعَالِنَا تَتَمَاشَى مَعَ كَلِمَاتِ يَسُوعَ الشَّهِيرَةِ:

إِذَا كُنَّا قَدْ انْتَفَعْنَا
مِنْ كَرَمِ الْمَسِيحِ،
فَيَنْبَغِي أَنْ نَقْتَدِيَ
بِهِ وَنَكُونَ
كُرَمَاءَ.

لَا تَكْتَنُزُوا لَكُمْ كُنُوزًا عَلَى الْأَرْضِ حَيْثُ يُفْسَدُ السُّوسُ وَالصِّدَأُ، وَحَيْثُ يَنْقُبُ السَّارِقُونَ وَيَسْرِقُونَ. بَلْ اكْتَنُزُوا لَكُمْ كُنُوزًا فِي السَّمَاءِ، حَيْثُ لَا يُفْسَدُ سُّوسٌ وَلَا صِدَأٌ، وَحَيْثُ لَا يَنْقُبُ سَارِقُونَ وَلَا يَسْرِقُونَ، لِأَنَّهُ حَيْثُ يَكُونُ كَنْزُكَ هُنَاكَ يَكُونُ قَلْبُكَ أَيْضًا. (متى ٦: ١٩ - ٢١).

أسئلة للتفكير:

١. هل تعتقد بأنه يمكن تبرير الحروب دائماً؟ لماذا بلى، ولماذا لا؟ إذا كانت الحروب مبررة، فما هي المعايير التي يجب استخدامها لاتخاذ هذا القرار؟
٢. هل دائماً ما يكون العصيان المدني مبرراً؟ لماذا بلى، ولماذا لا؟ إذا كان مبرراً، ما هي المعايير التي يجب استخدامها لاتخاذ هذا القرار؟
٣. في خبرتك الشخصية، هل الموظفون المؤمنون أفضل من غير المؤمنين؟
٤. إنَّ أحدَ أهمِّ الأمور التي يوكِّد عليها الكتاب المقدَّس هو توفير الرِّعاية للفقراء والمساكين. ما هي النصوص التي يمكن الاستشهاد بها، والتي تتحدَّث عن مسؤوليتنا في رعاية الفقراء؟ هل تقوم أنت وكنيستك بما يكفي لرعاية الفقراء، سواء على الصعيد المحلي أو الخارجي؟



الأخلاقيات البيئية

الأرضُ هي الوطنُ المشتركُ الذي نتشاركُ به مع سائر الخليفة وهي مُلكُ الله: «لِلرَّبِّ الأَرْضُ وَمِلْؤُهَا. الْمَسْكُونَةُ، وَكُلُّ السَّاكِنِينَ فِيهَا» (مزمور ٢٤: ١)، (لاويين ٢٥: ٢٣)، (تثنية ٨: ١٠، ١٠: ١٤). وهامُّ جدًّا أن ندرك ماهية مكانتنا في الخليفة وفي الترتيب الذي وضعه الله، لأننا شركاءُ الله في تقديم الرعايةِ

نحنُ شركاءُ
الله في تقديم
الرعايةِ للخليفة إذ
أوكلَ اللهُ البشرَ
مسؤولية الإعتناء
بها للبشر.

للخليفة، حيثُ أوكلَ اللهُ مسؤولية الإعتناء بها للبشر فيجب ألا نمارسَ السُّلطةَ المطلقةَ عليها كما لو أننا خلقناها، كما يجبُ ألا نضعَ أنفسنا تحت سلطانها ونجعلها موضوعاً لعبادتنا. فيجبُ ألا نحبِّها أكثرَ أو أقلَّ ممَّا يلزم. نحنُ لا نملكُ سُلطةً مطلقةَ عليها لأنها عطيةٌ من الله، فالاعتقاد بأننا نمتلكها يمثلُ شيئاً من الغرور غير المبرَّر! كما يجب علينا أيضاً ألا نكونُ قَدريين بشأن حالة الطبيعة فتخلَى عن جميع مسؤولياتنا تجاهها، لأنَّه يجب أن يكونَ

التزامنا أخلاقياً وأن نتصرفَ بمسؤوليةٍ حيالها بموجب التكاليف الأخلاقية المُلغى لنا من الله، عاملين أننا سنحاسب على خير ما فعلناه وعلى ما تقاعسنا عنه أيضاً. بالإضافة إلى ذلك، يتعين علينا الاعتراف بأننا نعيش في عالم ساقط تختبر فيه جميع المخلوقات تأثيرات الخطيئة: «فإننا نعلم أن كل الخليقة تنن وتتمخض معاً إلى الآن» (رومية ٨: ٢٢). لذلك، يتصارع البشر عبر التاريخ مع البيئـة، وغالباً ما نرى أن الطبيعة تعمل ضدنا، فنستخدم التكنولوجيا لتتغلب على التحديات التي تفرضها علينا من خلال الطقس والمناخ والحيوانات والحشرات والأمراض وما إلى ذلك. فبني أماكن نلجأ إليها لتحميـنا من بطش الطبيعة، ونقوم بتصنيع السفن والطائرات لتقلنا إلى أماكن بعيدة، ونصنع المركبات ونمهد الطرق لتتمكن من الانتقال بشكل أسرع ولمسافات أبعد، كما بنى الدفـينات كي نتحكم في بيئات إنتاج المحاصيل. فمن أجل عمل هذه الأشياء، نقوم بكبش باستخلاص كميات هائلة من الموارد الطبيعية. ولكن هل هذا ما تعنيه «السيادة»؟ هل قمنا بأفعال ضد الطبيعة بطريقة أو بأخرى؟ هل تشكيل الحياة على الأرض لا بد أن يحصل بواسطة الصراع؟ أو يمكن العمل والتناعم مع نظام الأرض الطبيعي من أجل إنتاج ثمارها وكذلك إنتاج ثمار في نفوسنا؟

تتحد البيئـة مع الحياة الإنسانية وتنفصل عنها في آن واحد. فهي تعمل من تلقاء نفسها وتؤثر علينا (على سبيل المثال، النباتات التي تنمو من البذور دون زراعة أو اندلاع البراكين)، إلا أنها أيضاً تتأثر بشدة بأنشطتنا (مثل تربية الحيوانات أو اقتلاع الغابات أو تلوث المياه). أعطى الله نظاماً وأساليباً للتعامل مع العالم الطبيعي، كما أعطى أيضاً البشر القدرة على التكيف مع هذه الأساليب، وهذا التكيف قد يكون للخير أو للشر. لا تعد البيئـة في حد ذاتها كائناً أخلاقياً ولا يمكنها إصدار الأحكام الأخلاقية، لكن نحن لدينا التزامات

هل قمنا بأفعال
ضد الطبيعة
بطريقة أو
بأخرى؟

أخلاقية حيالها لأنها ملك لله.

إن هذا التعقيد في علاقتنا مع العالم الطبيعي لا يساعدنا في اتخاذ قرارات أخلاقية واضحة في كل جانب من جوانب تلك العلاقة. قد يكون من المستحيل تقريباً تتبع الروابط العميقة بين أفعالنا وبين نتائجها على مستوى العالم. فلهذا، هناك مروحة واسعة جداً من الأسئلة الصعبة التي علينا أن نسألها: ما هي مسؤوليتنا الأخلاقية

في مثل هذا النظام المُعقّد؟ هل كلُّ قرارٍ نَنخِذُه يكون الغرض منه أخلاقياً؟ ماذا عن الأشياء التي نتجاهلها لأنها أصبحت شائعةً في بعض الثقافات؟ على سبيل المثال، يشتري الكثيرون في أميركا الشماليّة حاويات الطّعام البلاستيكيّة المُصمّمة للاستخدام مرّةً واحدةً ويتم إعادة تدوير بعضها، وأمّا البعض الآخر فينتهي به الحال في مواقع طمر النفايات أو في قاع المحيطات. هل نقوم بالموازنة بين مزايا وعيوب كلِّ خيارٍ نُقدّمُ عليه، وإن كان الأمر كذلك، فهل يمكننا أن نفعل هذا بدقة كافية؟ هل يوجد أيُّ إرشادات أخلاقية واضحة وبسيطة للطريقة التي يجب أن نتبعها خلال تعاملنا مع البيئية؟

يمكن أن تكون مروحة الخيارات «الأخلاقية» المتاحة في الدّول الغربية أوسع جداً ممّا في أقطار أخرى من العالم. هل يختلف معيارُ المسؤوليات الأخلاقية وفقاً لقدرة الفرد على الوصول إلى خيارات بديلة؟ هل من المقبول أخلاقياً لهؤلاء الذين في أميركا الشماليّة أن يقودوا سيّاراتهم إلى العمل كلِّ يوم، وهم يعرفون أنّ استخدام واستخراج الوقود يلوّث البيئية؟ لكن ماذا لو كان السكّن بالقرب من مكان العمل باهظ الثمن، أو ببساطة لا يوجد خيارات سكنية قريبة بدرجة كافية من مكان عملك؟ هل من المقبول أخلاقياً شراء الموز من دولة لديها معايير منخفضة للصحة والسلامة في أماكن العمل، حيث يتعرّض عمال المزارع للمواد الكيميائية الضّارة يومياً، بحجّة التمكّن من الحصول على الموز بأسعار

في معظم
الأحيان، يكون
الحلّ الأمثل هو
تغيير سلوكنا.

بخسة؟ أين يمكننا وضع الحدّ الفاصل بين خيارين متاحين؟ ما الذي تؤثر عليه نوايانا الحسنة؟ كيف نبدأ في اكتشاف مدى تأثير خياراتنا اليومية التي لا تحصى على البيئية؟ كيف يمكننا، في مجتمع يقوم على الاقتصاد والموارد، الاستمرار في القيام بمهامنا حين يكون لكلِّ قرارٍ نَنخِذُه آثارٌ بيئية؟ ماذا نفعل إذا كنّا لا نستطيع تطبيق المزيد من الخيارات

الأخلاقية؟ ماذا نفعل إذا كنّا نعيش في مكان تكون فيه جميع الموارد الضّرورية للحياة ملوّثة وغير قابلة للإصلاح؟ فإذا كان العيش على المستوى المحلّي وعلى نطاق صغير يُمثّل الخيار الأخلاقيّ الأفضل، فهل هذا الخيار قابلاً للتطبيق في بعض أنحاء العالم اليوم؟

لا نحتاج إلى التحليل العلميّ المتطوّر لمعرفة بأنّ للبشر تأثيرات مباشرة على

العالم الطبيعي. فهذه التأثيرات في تزايد مستمر منذ الثورة الصناعية. ربّما يكون الحلّ الطبيعيّ البسيط كافياً لحلّ مشاكل معقّدة عوضاً عن الحلول التكنولوجية التي اعتدنا أن نلجأ إليها. فهذه الحلول الجديدة في حدّ ذاتها كثيراً ما تخلق مشاكل جديدة تتطلب فيما بعد مزيداً من التدخل التكنولوجي. إذا أخذنا الوقت الكافي لمراقبة توازن الأنشطة في الطبيعة، فقد نرى أنه من الأفضل أحياناً عدم التدخل في المقام الأول، إذ يكون الحلّ المثاليّ في معظم الأحيان هو تغيير سلوكنا، بدلاً من تغيير البيئة لتتكيف مع رغباتنا. كما يجب أن تتضمن الأخلاق البيئية الإقرار والقبول ببعض القيود بتوجيه كيفية تفاعلنا مع العالم الطبيعيّ.

في ما يلي، سنقوم بشرح القصد من كلمة (البيئة) وما هي طبيعتها. ثمّ ننقل فيما بعد إلى شرح كتابيّ لما يجب أن تكون عليه علاقتنا مع البيئة، ممّا يساعدنا على توفير إطار مناسب لاتخاذ القرارات الأخلاقية. وسنكتشف هذا الأمر من خلال ثلاث فئات رئيسة للبيئة هي: الأرض والحيوانات والبشر.

ما هي البيئة؟

تتألف البيئة من العناصر المحيطة بنا، ومن الظروف التي نعيش في وسطها. فبيئتنا الطبيعية تتضمن الأرض وجميع ما عليها من مخلوقات الله، وهذا يعني الطبيعة (النباتات، الحيوانات، الماء، الهواء، الأرض وما إلى ذلك) وكذلك أيضاً البشر. على الرغم من أنّ البيئة تختلف عنّا في طبيعتها، يبقى لنا الدور الأساسي في تحديد حالتها المستقبلية إمّا للأفضل أو للأسوأ. واليوم، يمكننا ضمّ الإطار الأوسع للكون إذا قمنا بتوسيع إطار بيئتنا من خلال استكشافاتنا للفضاء الخارجي. فعلى الرغم من الحقيقة بأنّ عدداً ضئيلاً من السكّان يمكنه الوصول فعلياً إلى الفضاء الخارجي، فهذه الحقيقة أصبحت جزءاً من مجال تأثيرنا ومعرفتنا. فإننا نترك أيضاً بصماتنا

لقد تمّ خلق النظم
البيئية بطريقة
متراصة ببعضها
البعض ومعتمدة
على بعضها
البعض.

هناك (بمخلفاتنا الفضائية)، التي تتكوّن من حطام الأقمار الصناعية والصواريخ المستهلكة التي تدور حول الأرض.

إنّ الأرض هي ملك لله الذي خلقها وهي ليست إلهاً في حدّ ذاتها. فقد صنعها

الله وأعلن أنها «جيدة» (أي أنها مصنوعة جيداً)، وكان القصد منها منذ نشأتها أن تكون مثمرة (على سبيل المثال، كل نبتة حاملة للبذور من المفترض أن تثمر)، وهي بحاجة لأن تنمو، وهذا يحتاج إلى المطر لكي تنبت البذور ويحترت البشر الأرض. خلقت البيئة بكل دقة وبتوازن علائقي لكي تكون مكاناً مناسباً للعلاقات المتواجدة فيها. لقد تم خلق النظم البيئية بطريقة مترابطة ببعضها البعض ومعتمدة على بعضها البعض. فأصبح عندنا بيئة محلية لكنها أيضاً متداخلة، فما يحدث في مكان ما يؤثر على الأماكن الأخرى. ونظراً إلى أن البيئة تضم كائنات حية فمن الصعب احتواء الأضرار البيئية (مثل، التسرب النفطي، استخدام مبيدات الحشرات، تفشي الأوبئة وما إلى ذلك). لا تعرف البيئة أي حدود سياسية أو إجتماعية، لذلك تتطلب إدارتها تعاوناً دولياً، وذلك لوجود عناصر تتداخل لا حصر لها، فلا يمكننا حقاً فصل هذه العناصر، عن بعضها البعض، وحين نحاول القيام بذلك نتألمنا نتائج غير مباشرة في مجالات لم نكن نتوقعها.

ما هي أهمية البيئة؟

تمتلك الخليقة أهمية في ذاتها وأهمية نافعة على حد سواء، فقد خلقها الله ورأى أنها «جيدة» وذلك كان قبل خلق الإنسان. وبعد ذلك، أعطى كل نبتة تحمل بذوراً للناس ليستخدموها في طعامهم (تكوين ١: ٢٩)، وأمر آدم وحواء بأن يعتنيا بالأرض كي تزيد من ثمارها (تكوين ٢: ١٥): «وَأَخَذَ الرَّبُّ الْإِلَهُ آدَمَ وَوَضَعَهُ فِي جَنَّةٍ عَدْنٍ لِيَعْمَلَهَا وَيَحْفَظَهَا.» وبذلك، خلق الله علاقات نفعية متبادلة بين البشر والطبيعة. فالبينة قيمة كما للبشر، وكذلك لهما قيمة نفعية نحو بعضهما البعض.

لا يوجد
مخلوقات لا
نفع لها في
الخليقة.

صُممت الطبيعة لتكون مثمرة، لذا، وضع الله ضرورةً إيجابية لكل كائن حي. يقول الكتاب المقدس بوضوح في تكوين ١: ١١: «لَتَنْبِتِ الْأَرْضُ عُشْبًا وَبَقْلًا يُبْرِرُ بَزْرًا، وَشَجَرًا ذَا ثَمَرٍ يَعْمَلُ ثَمَرًا كَجَنَسِهِ، بَزْرُهُ فِيهِ عَلَى الْأَرْضِ.» وفي تكوين ١، حين خلق الله نوعاً جديداً من الكائنات الحية، أمره بالإثمار، لأنه يجب على النباتات والأشجار أن تحمل البذور وتكون مثمرة، كما يجب أن تكون الكائنات البحرية والطيور والحيوانات البرية مثمرة ومتزايدة في أعدادها. لذلك، واستعداداً للطوفان في تكوين ٦: ١٩ أدخل نوح إلى الفلك ذكراً

وأنتى من كل حيوان، لضمان التكاثر واستمرار الحياة لكل نوع من الحيوانات على وجه الأرض.

لكل مخلوق وظيفة معينة في البيئة، ولا يوجد أي من المخلوقات في البيئة لا نفع له. فمن أصغر أنواع البكتيريا إلى أكبر الثدييات، هناك غرض من وجودها جميعاً من أجل استمرارية الطبيعة. لقد صنّف العلماء عناصر الطبيعة وفقاً لوظائفها (على سبيل المثال، الشبكة الغذائية ودورة الكربون وما إلى ذلك)، وهو أمر مفيد في تفسير الترابط بين كل هذه العناصر. ورغم ذلك فإن فصل هذه الوظائف لا يفيد، لأن كل شيء في الخليقة متعدّد الأوجه، وهو جزء من

أنظمة متعدّدة ومُتصلة ببعضها البعض. على سبيل المثال، قد توفر الشجرة الطعام لبعض الحيوانات، ولكنها توفر أيضاً المأوى للبعض الآخر، وكذلك تقوم بمكافحة التصحر وبناء التربة كما تعمل على إمدادنا بالأوكسجين وما إلى ذلك. فإذا قُطعت جذور الأشجار لأي سبب من الأسباب، فستتغير العديد من الأنظمة البيئية الأخرى عن غير قصد. وإذا لم يتمّ مسبقاً تحديد الأنظمة التي ستتغير بسبب تدمير الغابات، فسنوات عديدة من المفاجآت



إن الغرض الحقيقي من الطبيعة لا يكمن فيما يمكن أن تفعله لأجلنا بل في إعطائها المجد لله.

الكبرى في المستقبل. إن الخليقة تقوم على الاعتماد المتبادل، حيث يعتمد كل عنصر من عناصرها على الآخر. ويمكننا أن نرى هذا في قصة الخلق، إذ بدأ الله بخلق النور ثم فصل العناصر التي في السماء وخلق الماء واليابسة والنباتات (التي تتطلب اليابسة)، ثم خلق الشمس والقمر، والكائنات البحرية والطيور (التي تتطلب الماء والهواء)، والكائنات البرية، وأخيراً خلق الإنسان.

نستطيع أن نرى وبكل وضوح بأن هناك ترتيباً هرمياً ذا قيمة نفعية في الخلق. فالأشياء التي خلقت أخيراً تعتمد على تلك التي خلقت أولاً، ومن ناحية أخرى تعتمد الأشياء التي خلقت أولاً على تلك التي خلقت أخيراً. فلا يمكن لأي شيء أو شخص بأن يبقى على قيد الحياة من دون الشمس أو الماء والهواء. وبالرغم من أن البشر يحتلون مكانة خاصة لكونهم خلُقوا على صورة الله فريدين، كما أنهم يتربعون على «قمة» السلسلة الغذائية. ولكننا نجد في الوقت عينه بأنهم الأكثر

اعتماداً على خير العناصر الطبيعية الأخرى .

صُمِّمَتِ الطَّبِيعَةُ كي تُعْطِيَ المَجْدَ والإِكْرَامَ لله . فهي تعكس قدرته الإبداعية ونوره وجماله وحكمته وفراذته . وعلى الرَّغْمِ من نفاشنا لحقيقة القيمة النفعية للطبيعة، لكن من الهامَّ بأن نتذكَّرَ بأنَّ الغرضَ الحقيقيَّ منها لا يكمنُ فيما يُمكنُ أن تفعله لأجلنا بل في إعطائها المجد لله . أنظر مزمور ١٤٨ : ٣-٥ .

إنَّ كلَّ مخلوق في الطبيعة يعكس وجهاً من أوجه عظمة الله وشخصيته، فهذه الطبيعة تعلن وباستمرار عن مجد الله (مزمور ١٩ : ١-٤) . يستخدمُ الكتابُ المقدسُ العديدَ من تشبيهات الطبيعة لوصف جوانبٍ مختلفة عن الله . لكن لا يستطيع الكائن المحدود والمخلوق بأن يعلن أو يصف بشكل كامل الإله الخالق غير المحدود . فحين ننظرُ إلى جميع الأشياء من حولنا على أنها جزءٌ من الكلِّ، وحين نتمعنُ بالأجزاء التي تؤلِّفُ هذا الكلِّ، هذا يساعدنا على فهم بعض الجوانب عن ماهية الله .

يمكننا أيضاً أن نرى بأنَّ البيئة نفسها تعاني من الآثار السلبية للخطية في العالم ، كما أنَّ عواملَ عديدةً تُعيقُ ازدهارها . فالأرض تنبتُ الشوكَ والحسكَ بالإضافة إلى أنها تُعطي الأشياءَ الصالحة للأكل . كما تحدثُ فيها المجاعاتُ والفيضانات والانهيارات الأرضية والجفافُ بشكلٍ متكرَّرٍ، وفي جميع أنحاء العالم . لذلك تُعتبرُ الأرضُ ضرورةً أولى لبقاءنا على قيد الحياة ، لكنَّها كثيراً ما تحتاج إلى تدخلنا للتخفيف من الدمار الناتج عن الكوارث الطبيعية والكوارث التي صنعها الإنسان ، كما تحتاج إلى المساعدة في الحفاظ على ديمومة إثمارها . فالطبيعة المختلة لا تعطي صورةً دقيقة عن الخالق ، ولكن حين تعملُ البيئة بالطريقة التي صمَّمها الله لتعمل بها ، فهي حتماً ستجدُّ الله .

كيف ينبغي أن تكونَ علاقتنا بالبيئة؟

كَلَّفَ اللهُ البَشَرَ بأن يكونوا وكلاءً على الأرض وأن يعملوا فيها ويحافظوا عليها . هذا ما أمرَ الله به الإنسان قبل السقوط ، ولتتبع ذلك يستلزم هذا علاقةً مثمرةً وطويلة الأمد . فباعتبارنا وكلاءً لله ، نحن نملك دوراً ومسؤوليةً فريدة تجاه الخليفة . يمكن أن تشملَ هذه المسؤولية حمايتها ، الحفاظ عليها ، استثمارها وزراعتها . فلا بدُّ بأن نكون مُنضبطين في كيفية تصرفاتنا تجاه الأرض وفي استخدامنا لها ، وكذلك أيضاً في جعلها تستريح . وعليه ، فما هي هذه الأدوار

والمسؤوليات؟ ولماذا أعطيت هذه الأدوار والمسؤوليات للبشر دون المخلوقات الأخرى؟

لقد خلقنا كبشر على صورة الله، فنحن كائنات أخلاقية ذات عقول تفكر، لنا القدرة على التصرف فخلق وندمر على حد سواء. فإن حياتنا في الأساس تقوم على استخدام الموارد المحيطة بنا. لذلك يجب علينا أن ندرك أنه بسبب أهمية الخليفة المذكورة أعلاه فإن تفاعلنا معها له نتائج أخلاقية. فنحن قادرون على رؤية عواقب أفعالنا، بالإضافة إلى الفضائل المطلوبة للعيش بروح المسؤولية في

يجب أن
نتذكر أننا
مزارعون
في الأرض
ولسنا من
خلقها.

هذا العالم. ولدنيا أيضاً إلتزامات إيجابية لجعل هذا العالم مثمراً، كما نستطيع المساعدة في الكشف عن الحياة التي وضعها الله في الخليفة. ومن أجل الحفاظ على سلامة هذه الخليفة وجعلها مثمرة، يجب أن نتذكر أننا المزارعون وليس نحن من خلقها.

الاختلال في الرعاية الجيدة

تنشأ الأرض تحت وطأة الخطيئة ويقوم عليها بشر ساقطون. فلا يمكن إنكار الحقيقة بأن البشر قد أثروا على البيئة والطبيعة بطريقة سلبية عن طريق انبعاث الغازات، إستهلاك التربة، إستخراج الموارد النفطية، إنقراض أنواع من المخلوقات، والصيد الجائر وما إلى ذلك. تؤثر خطيئتنا بشكل مباشر على علاقتنا بالبيئة. لقد أدت خطيئة قايين إلى إبعاده عن الأرض تكوين ٤: ٩-١١، كما أدت خطيئة بني إسرائيل إلى حرمانهم من أرض الموعد لمدة أربعين عاماً جالوا تائبين في برية قاحلة.

لقد رتب الله بأن يكون يوم السبت جزءاً من عملية الخلق، فقد كانت الخطوة الأخيرة والذروة في ترتيب قصة الخليفة. مثله مثل سنة اليوبيل التي كانت سنة الراحة للأرض، حيث تساهم هذه السنة في إعادة التوازن البيئي، وترسي أيضاً العدل بين الذين يستخدمونها (لاويين ١٩: ٩-١٠). كان هذا الترتيب بمثابة تذكير بأن الأرض ملك للرب، وهي بجميع ثمارها لخير كل الناس، إذ يجب ألا يحفظ بها بعض الناس إلى أجل غير مسمى ويتم بذلك إقصاء الآخرين.

من الصعب دعم الحجة القائلة بالسماح للبشر باستغلال الأرض من أجل تحقيق

تمدُّنا الأرضُ
باحْتِياجَاتِنَا،
فعلينا أخذُ ما
هو ضروريٌّ
وعدمُ استغلال
الموارد
المحدودة.

غاياتهم من دون الاعتبار لسائر الخليفة. إنَّ تشجيع السيادة المطلقة والتدمير لا يتناسب مع وجهة النظر المسيحية الثابتة. على الرغم من استخدام البعض لمصطلح «إخضاع» لتبرير الأساليب التدميرية، فإنَّ التفسير الأكثر دقة لهذا النصِّ الكتابي يُشير إلى دور الوكالة، أي أنه يتعيَّن على الإنسان أن «يعملَّ ويحفظ» الأرض التي خلقها الله تكوين ٢: ١٥. وهذا يتضمَّن الزراعة والعمل، علاوة على الرّعاية والحماية والحفظ والإشراف. تمدُّنا الأرضُ باحتياجاتنا، فعلينا أخذُ ما هو ضروريٌّ وعدمُ

استغلال الموارد المحدودة بطريقة سيئة. ولزماً، علينا أن نترك العالم في الحالة التي تسمح بالإثمار في المستقبل وذلك بدافع الاهتمام بالآخرين. يتوضَّح ذلك أيضاً أثناء الحصاد، إذ يسمح مبدأ الحصاد للفقراء بالعيش على فائض الأرض. فنحن وكلاء لأجل الله ولأجل أقرابنا وأنفسنا وللأجيال القادمة.

ويستخلص ويندل بيرري ذلك من مشهد في ملحمة الأوديسييه لهوميروس، الذي عاد فيها أوديسوس في النهاية إلى المنزل والتقى بوالده ليرتس للمرة الأولى منذ سنوات عديدة. نقرأ في شعر هوميروس ما يلي: «وجد أوديسوس أباه بمفرده في بساتين الكروم يجول حول شجرة». ١ يكتب بيرري: «في وقت الاضطراب، عاد ليرتس إلى الاهتمام بالأرض التي هي أساس الحياة والأمل. فوجده أوديسوس في عمل يرمز إلى أفضل أنواع الزراعة وأكثرها مسؤولية: رجل عجوز يعني بشجرة صغيرة». ٢

يتوجب علينا حماية الأرض وضمان استمراريتها في العطاء للأجيال القادمة، وكذلك حماية الحياة باعتبارنا حاملين صورة الله. وبالتالي علينا احترام مصلحة كل مخلوق في الخليفة وتجنب أي استخدام يؤدي إلى الفوضى.

نحن لسنا الله، لذا، لا نستطيع محو كل شيء وخلقُه من جديد وقتما نشاء. كما لا يمكننا على الإطلاق استبدال خليفة الله المعقدة المعجزة بخليفة من صنعنا. إذا دمّرنا أسس الحياة لمخلوقات معينة أو لنظام بيئي معين، فإننا سنكون غير قادرين

١ هوميروس Homer، أوديسي Odyssey، trans. E.V. Rie (ترونتوا: بينجون، ٢٠٠٣)، ٣١٦.
٢ ويندل بيرري Wendell Berry، "عدم الاستقرار في أميركا: الثقافة والزراعة: The Unsettling of America" (Berkeley: Counterpoint Press، 1977)، ١٣٣.

على إعادة خلقه مجدداً، وبالتالي سنفقد شيئاً لا يمكن تعويضه. فإذا رأى الله شيئاً ما يستحقُّ الخلق، فيجب علينا ألا نتعامل مع هذا الشيء كأنه يمكن الاستغناء عنه أو اعتباره عديم الفائدة. هناك أنواع كثيرة من الكائنات الحية قد انقرضت عبر تاريخ البشرية ولم تتمكن من إعادتها. علاوة على ذلك، لم تتمكن من استعادة بعض النظم البيئية التي دمرناها ولم نقدر على تنظيف الهواء والمساحات المائية التي لوثناها بالرغم من التطور التكنولوجي. وحتى مع مرور الوقت وبذل أقصى الجهود، لن نصبح أبداً «مثل الله» قادرين على الخلق من العدم. ولطالما كان هذا الكبرياء هو الخطيئة الأساسية، وإذا بنينا نهجاً في التعامل مع البيئة الطبيعية على أساس هذه الخطيئة سنكون حمقى إذا وثقنا في قوة إمكانياتنا.

وكما هو الحال في مجالات أخرى من مجالات اتخاذ القرار الأخلاقي، هناك حاجة إلى رؤية كونية سليمة، أي اعتماد منهج يدعّم العناية بالأرض ويدعو إلى طريقة عيش شاملة ومترابطة. وهذا سيمكن البيئة وحياتنا فيها أن يعمل على نحو أفضل. إن سلوكنا الأخلاقي يؤثر على الإثمار في العالم.

وعليه، لا بد أن نعرف ما هي القرارات البيئية الأخلاقية التي يجب أن نكون على دراية بها؟ لذلك سيدور النقاش حول ثلاث فئات: الأرض والحيوانات والناس. هناك ترابط كبير بين العديد من هذه الموضوعات، ويمكن تناولها تحت أكثر من فئة. كما يوجد موضوعات كثيرة بشأن البيئة أكثر مما يمكن تناوله في هذا الفصل، لذا سنتطرق إلى مجموعة محدودة من الموضوعات المختارة.

الأخلاقيات البيئية والأرض

إن الأرض بكاملها هي ملك لله وهي عطية منه للجنس البشري، لأنه الخالق والحافظ لجميع الأشياء، هو مالك الأرض ونحن وكلاء عليها. فما هي مسؤوليتنا تجاه الأرض بما أننا كلفنا بوكالتها؟

يمكن القول أن المياه هي العنصر الأكثر أهمية الضروري للحياة. فهي ضرورية للاستهلاك المباشر للإنسان والحيوان ولحفظ الصحة، وأيضاً ضرورية بشكل غير مباشر لكل ما تنتجه بهدف الاستهلاك. فواحدة من أكبر المشكلات المخيفة في جميع أنحاء العالم هي احتمالية نفاذ المصادر التي نعتمد عليها من المياه العذبة، حيث يوجد ستون بالمئة من المياه العذبة فقط في تسع دول^٣.

إنَّ القيمةَ الكبيرةَ (وعدَمَ الدَّيمومةِ) لهذه الموارد يُمكن تفسيرُها من خلال الأزيمة الطويلة الأمد بسبب نقص المياه التي حصلت في كيب تاون وجنوب أفريقيا، حيث وصلوا إلى أن أغلقوا الصَّانِبر عام ٢٠١٨.

هنا تكمن ضرورة الاهتمام بإدارة مواردنا المائية جيّداً، ممّا يتطلّب التفكير ملياً في استهلاكنا للماء في المناطق المتحصّرة كما في الريفيّة. يسهل الإفراط في استهلاك المياه في المُدن لأنّها متاحة بسهولة ويسهل الوصول إليها من خلال البنية التحتية. يحتاج الفرد يومياً إلى تلبية احتياجاته الأساسية حوالي ٢٥ ليترًا من المياه ويبلغ متوسط استهلاك الفرد يومياً في أميركا الشماليّة ١٩٧ ليترًا. هل يمكن تبرير ذلك في عالم يموت فيه النَّاسُ بسبب عدم الحصول على مياه الشرب النظيفة؟ على الرغم من أن انخفاض استهلاك المياه في الدُول الغنيّة لن يؤثر مباشرة على أولئك الذين يفتقرون إلى المياه، فإنّ الحفاظ الآنيّ على الموارد يمكن أن يساعد في الحماية من الشح في المستقبل. هناك الآن نقاشات فلسفيّة وإجتماعيّة حول وجوب اعتبار المياه (مورداً بيئياً مشتركاً) عوضاً عن اعتبارها سلعةً أساسيّة، وحول وجوب اعتبار الوصول إلى مياه الشرب العذبة حقاً أساسياً من حقوق الإنسان. فضلاً عن هذا النقاش، هناك سببٌ وجيهٌ لاعتبارها مورداً مشتركاً حيث أن كل شيءٍ في النهاية هو مُلك لله، ممّا يعني أن الله يريد أن تكون المياه متاحة لجميع النَّاسِ. من الواضح أنه لا يُمكن امتلاك هذا المورد أكثر بكثير من الموارد البيئيّة الأخرى، كما لا يُمكن احتواؤه إلى أجل غير مُسمّى، فهو جزءٌ من دورة يتمّ تحديثها وإعادتها باستمرار.

ما هو النهج الأخلاقي الذي نتبعه لتوزيع الموارد، على سبيل المثال في توزيع الماء؟ هل الأمر هو أن نأخذ «حصّتنا العادلة» فقط، كيف ذلك؟ يمكن أن يكون الجواب البديهي هو الاستخدام المدرّس والحافظ للماء. إنخفض متوسط استخدام المياه المنزليّة في أميركا الشماليّة بنسبة ٢٢٪ بين عامي ١٩٩٩ و٢٠١٦، وذلك يرجع إلى وجود أجهزة منزليّة متطورة مثل المراحيض وغسالات الملابس. كما هناك العديد من النَّاسِ يذهبون أبعد من ذلك حيث يستخدمون نظام (المياه الرّماديّة) الذي يُعيد تدوير المياه المنزليّة لاستخدامها في الأماكن التي لا حاجة فيها إلى المياه العذبة مثل المراحيض أو ريّ الحدائق.

٤ دانيل جيناك، وستيف وايت: "الحياة، والموت، والمياه، وكب تاون".

<https://ca.thegospelcoalition.org/article/life-death-water-cape-town>

https://en.wikipedia.org/wiki/Residential_water_use_in_the_U.S._and_Canada

تستهلك الزّراعةُ نسبةً كبيرةً جدّاً من المياه في جميع أرجاء العالم. هنا يُطرحُ السؤال: هل المحاصيلُ المزروعةُ في مناطق تتطلّب كميات هائلة من الرّي هي الأفضل للزّراعة؟ إذا سمحنا للمناخ المحليّ أن يُحدّد أنواع النباتات التي تنمو فيه جيّداً، فهناك احتمال كبيرٌ أنّنا سنعملُ ضمن حدود القدرة البيئية التي تمتلكها المنطقة. في حين أنّ هذا قد لا يكون ممكناً في كلّ منطقة، هناك بلا شكّ أماكن كثيرة من العالم حيث تُستهلك فيها المواردُ بإفراطٍ من أجل تلبية «الرّغبات» بدلاً من تلبية «الاحتياجات».

قد تكونُ التّربةُ ثاني أكثر العناصر أهميّةً التي تتعلّق بازدهار الحياة بكاملها، فهناك دليل هامّ، علميٌّ وإجماعيٌّ، يُؤكّد أنّ صحّة التّربة تُحدّد صحّة هؤلاء الذين يعيشون في محيطها ويستخدمونها ويستهلكون ثمارها.

من المفيد جدّاً التّحقّق من معايير استخدام الأراضي التي تسمحُ بأكثر قدر من الصحّة للتّربة. من منظورٍ مسيحيٍّ، نحن مهتمّون بتحديد الطريقة الصّحيحة أخلاقياً لاستخدام التّربة. إذا كان الإثمارُ هو أحد معايير الصحّة الأخلاقية للتّربة، فربّما يمكننا قياس الأساليب الزراعيّة التي لدينا من خلال مدى إثمارها. ومع ذلك، فإنّ الكمّ ليس هو المقياس الوحيد للإثمار بل الخصوبة والنشاط.

تثيرُ أنظمةُ الزّراعة التي تعتمدُ على دوراتِ نضوبِ التّربة والمُدخلات الصنّاعيّة المُكلفة (مثل الأسمدة والمبيدات الحشريّة ومبيدات الأعشاب، وما إلى ذلك) من أجل العمل بكفاءة على نطاق مُعيّن، بعض المخاوف. فهذه الأنظمة لا تسمحُ للتّربة ببناء بعض العناصر الغذائيّة والاحتفاظ بالكائنات الحيّة التي تحتاجها للحفاظ على الصحّة الطبيعيّة المعمّرة، ولكنها تستخدمها فقط كوسيلة لاستخراج المحاصيل عوضاً عن كونها مصدراً للحياة.

ومع ذلك، لا يُمكن إلقاء اللوم على الأنظمة بالكامل، لكن تقعُ المسؤوليّة أيضاً على عاتق التكنولوجيا المُستخدمة على الأرض التي تؤثر على خصوبتها. هناك طرقٌ لزراعة الأرض تُثري وتزيد من خصوبة التّربة. كما يُمكن أن تُساهم ممارساتٌ مثل تناوب المحاصيل وغطاء المحاصيل والزّراعة المتتالية في بناء جودة التّربة مع مرور الوقت.



ما هو النهجُ الأخلاقي الذي نتبّعهُ لتوزيع الموارد، على سبيل المثال في توزيع الماء؟

هناك نظامٌ بيئيٌّ ضخمٌ للكائنات الحيةِ الدقيقةِ داخلِ التربةِ، فهو ينبض بالحياة حرفياً. فالطعام الذي نتناوله يحصل على العناصر الغذائية من التربة التي ينمو فيها. وبالتالي، لكي يكون طعاماً مُغذياً يلزم أن تكون التربة غنيةً بالمواد الغذائية. وهذا يقودنا إلى موضوعنا التالي إنتاج الغذاء.

١. إنتاج الغذاء/ الزراعة

يُعدُّ إنتاجُ الغذاء اليوم واحداً من أكبرِ استخداماتِ النَّاسِ للأرض وأكثرها طلباً في جميع أنحاء العالم. سنناقش موضوع الأرض بالمزيد من التفاصيل لاحقاً، لكن هناك بعض الموضوعات التي ندرجُ تحت موضوع إنتاج الغذاء واستهلاكه التي تستحقُّ مناقشتها هنا. يُعتبر موضوع (الأمن الغذائي) و (السيادة الغذائية) من الموضوعات الهامة في السنوات الأخيرة ويتوجَّب على المؤمنين التفكير فيها. يتناولُ الأمنُ الغذائيُّ (الإمدادَ العادلَ والمنصفَ للغذاء للبشر). بينما السيادةُ الغذائيةُ هي (حقُّ النَّاسِ والمجتمعات في تقرير وتنفيذ سياساتهم واستراتيجياتهم الزراعية والغذائية من أجل الإنتاج والتوزيع المستدامين للأغذية).^٦ بعبارة بسيطة، يُمكن أن يتبع الأمنُ الغذائيُّ نهجاً تنازلياً لضمان أن يكون الإمدادُ بالأغذية عادلاً، في حين أن السيادةُ الغذائيةُ غالباً ما تتبَع نهجاً تصاعدياً حيث يمارسُ المستهلكون السيطرةَ والتأثيرَ على أنظمتهم الغذائية. نحن بحاجة إلى التفكير في دور كلٍّ من المنتجين والمستهلكين في نظامنا الغذائي المعاصر. فطريقة إنتاج الطعام وتوزيعه وبيعه واستهلاكه ليست أخلاقيةً بشكل متساو، فهناك بعضُ الأشخاص الذين ينتقدون (الأمنَ الغذائي) قائلين: أنه لا يجتهد بما يكفي لضمان العدالة على طول سلسلة الإمداد. على سبيل المثال، حتى لو تمكنا من توفير الغذاء بشكل عادل للجميع، فإن هذا لا يعني بالضرورة أن الطعام الذي يصل سيكون مُغذياً وصحياً، أو ملائماً من الناحية الثقافية أو مزروعاً بواسطة الزراعة المُستدامة. ينبغي على المستهلكين أن يحاولوا اتخاذ قرارات أخلاقية كلما كان ذلك ممكناً، لكن ما الذي يُمكن أن يفعله أولئك المستهلكون حين تغيب الشفافية

٦ كريستيان كوف Christian Cof وميشيل كورنالس Michiel Korthals وديفيد بارلينج David Barling، مقالات علمية عن "التبعية الأخلاقية واختيار الغذاء المدرس"، في التبعية الأخلاقية وتوصيل الغذاء. مقالات علمية لكريستيان كوف Coff, et آخرين، في المكتبة الدولية للبيئة والزراعة وأخلاقيات الغذاء. ١٥ (نيويورك: خريف ٢٠٠٨)، ٩.

٧ مايكل ويندفور Michael Windfuhr وجيني جونسون Jennie Jonsen، السيادة الغذائية: نحو الديمقراطية في النظم الغذائية المحلية (مقالات علمية للرجبي: ITDG Publishing، 2005)، ١٣.

على مدى السلسلة الغذائية، وتكون تكلفة الخيارات الأخلاقية في الطعام باهظة بالنسبة إلى البعض؟ لا يمكن وضع العبء بكامله على عاتق المستهلكين. تقع المسؤولية الأخلاقية على عاتق المنتجين حيث يتوجب عليهم بذل قصارى جهدهم لاستخدام الممارسات العادلة والنافعة حتى يتمكن المستهلكون من الشراء دون التورط في نظام غير أخلاقي.

من الجدير بالذكر أنه ليست جميع الأغذية متساوية، فحتى الأنواع نفسها للمنتجات يمكن أن يكون لها قيمة غذائية مختلفة تماماً، وذلك اعتماداً على كيفية زراعتها. أمّا فيما يتعلق بالحصول على الغذاء الصحي، هناك الكثير لمناقشته، ليس بشأن تناول الطعام بل بشأن الفاكهة والخضروات. إن جودة الطعام هامة فهي تعتمد على كيفية زراعتها، ويمكن أن تكون ثمرة من الطماطم مغذية أكثر من غيرها.

كيف يجب على المؤمن أن ينظر إلى الطعام والبيئة؟ ماذا عن البيئات التي تربي فيها الماشية؟ يتحكم الناس، في بعض المناطق، في الظروف المعيشية للحيوانات بدرجة كبيرة عن طريق نظام مصمم صناعياً. لكن في مناطق أخرى، يكون هذا إما غير ممكن أو غير مرغوب فيه، فتتجول الحيوانات بحرية أكثر. وتعد بعض من هذه البيئات صحية أما البعض الآخر فهو ليس كذلك. أصبحت المنتجات الحيوانية المستخرجة من ماشية قد تربت ضمن معايير أخلاقية أكثر شيوعاً في بعض أرجاء العالم، لأن المستهلكين رفضوا أساليب زراعة المصانع التقليدية التي تعتبر غير إنسانية وغير صحية. كما يبحث أيضاً الكثيرون عن منتجات خالية من الهرمونات أو المضادات الحيوية التي يمكن أن تنتقل إلى أجسامهم عند تناولها.

هناك اليوم نظام يطبق ألا وهو وضع العديد من (الملصقات) على المنتجات الغذائية مثل: «التجارة العادلة»، و«منتجات عضوية»، و«التغذية العضوية»، و«خالية من الهرمونات»، وكل من هذه الملصقات له دلالة أخلاقية. تساهم العديد من هذه الملصقات في ارتفاع سعر المنتجات، وذلك أحياناً بسبب تكلفة شهادة الجودة. ومع ذلك، يجب النظر فيما إذا كانت هذه الملصقات تضمن حقاً ممارسات أخلاقية أكثر من الأساليب التقليدية أم لا. يصعب تواجدها هذه الملصقات في جميع أنحاء العالم، لكن يمكن للمنتج أن يكون ضمن المعايير الأخلاقية ذاتها. وفي أنحاء أخرى من العالم تلك التي نجد فيها انفصلاً أكبر بين المستهلكين ومصادر الغذاء وعدم توفر تفاصيل الإنتاج، فإن التقسيم إلى فئات يكون مفيداً في معرفة

البروتوكولات التي يتم اتباعها في عملية الإنتاج. للأسف، هناك اليوم العديد من الأساليب غير الأخلاقية المطبقة والتي لا تحترم الحد الأدنى من معايير استهلاك الغذاء من قبل المنظمين. لكن إذا كان المستهلكون مُطّلعين بالكامل على المعلومات الخاصة بإنتاج الطعام، فمن المحتمل أن يفكروا كثيراً قبل تناول المنتجات. إذا أراد المرء أن يضمن أنه يدعم الممارسات الأخلاقية لصالح كل من المنتجين والمستهلكين، فيمكن أن تكون مُلصقات الطعام أداة مفيدة لذلك. على الرغم من أنها ليست الطريقة الأخلاقية الوحيدة المتبعة للأغذية.



ليست كل طريقة لإنتاج الطعام وتوزيعه وبيعه واستهلاكه أخلاقية بشكل متساوٍ.

ينبغي أن نكون دائماً على استعداد لدفع القيمة الحقيقية للشيء. إذا لم ندفع ثمناً عادلاً للمنتج، فسوف يعاني دائماً أوفر العمال بسبب ذلك. إذا كانت الطريقة الوحيدة أمام المنتجين لبيع سلعة رخيصة هو دفع أجور منخفضة للعاملين لديهم، فإنهم يصبحون بهذا مُذنبين ومستغلين. وإذا كان لدينا بدائل، ولكننا اخترنا دعم هؤلاء المنتجين عن طريق شراء منتجاتهم الرخيصة، فنحن أيضاً مُذنبون ومستغلون. يجب على أولئك الذين يتمتعون بوفرة مالية أن يراعوا العمال في كل مرحلة من مراحل الإنتاج، وليس مجرد البحث عن شراء أرخص منتج متاح. وغالباً ما تنتج لأجلنا اللحوم والسلع الأرخص ثمناً بأقل قدر من العناية، وتكون لها قيمة غذائية أقل من الخيارات الأخرى. لذا، يمكن أن يكون شراء المواد الغذائية بضمير حيّ واحداً من الطرق التي يمكننا بها أن نعامل أولئك الذين يساهمون في إنتاج أغذيتنا.

ماذا عن الأطعمة المعدلة وراثياً (الأطعمة المعدلة وراثياً، والكائنات المعدلة وراثياً)؟ تتضمن هذه العملية تغيير المادة الجينية للكائنات الحية بطرق لا تحدث طبيعياً من خلال التزاوج أو التهجين الطبيعي. إذ يتضمن هذا أحياناً دمج الحمض النووي مع نوع آخر غير مرتبط به تماماً، فقد نجد على سبيل المثال جينات حيوانية مع جينات نباتية.

هناك وجهات نظر مختلفة حول أخلاقيات هذه الطرق لإنتاج الطعام. سيقول

البعض أن التغيير في التركيب الجيني للأنواع ليس عملاً، فالله هو الخالق ويجب ألا نأخذ مكانه. ويقول سفر التكوين: «أنت خلق كل شيء كجسده» تكوين ١: ١١-١٢، لذلك فإن الهندسة الوراثية تحدث خللاً في النظام الذي خلقه الله. بينما يمتلك آخرون وجهة نظر مختلفة قائلين: «إن الله يعطينا المعرفة والقدرة على تغيير الجينات، ويمكن أن يكون لها نتائج تعمل على تحسين غلة المحاصيل أو إنتاج أصناف من المحاصيل لمقاومة الأمراض، مما يساعد في تحسين الحياة البشرية، لا سيما في البلدان النامية، حيث يمكن أن تكون موثوقة لإنتاج الغذاء أكثر نقلاً.» دعونا نفكر ملياً في الإطار الخاص بإنتاج الأطعمة المعدلة وراثياً. إن أخذ أكثر أنواع الكائنات المعدلة وراثياً المستخدمة هي المحاصيل المقاومة لمبيدات الأعشاب. وهذا يعني أنه يمكن استخدام مبيدات الأعشاب على نطاق واسع في مجال

المحاصيل لقتل الحشائش التي تنمو بين المحاصيل المرغوب فيها، كما أن المحاصيل المرغوب فيها لا تتضرر لأنها صُممت وراثياً لمقاومة مبيد الأعشاب. في حين أن هذا يبدو في البداية كطريقة فعالة لتعزيز نمو النباتات المرغوب فيها وإزالة المنافسة، إلا أنه يوجد بعض الجوانب السلبية. لقد كانت (الأعشاب الفاتكة) إحدى النتائج، فالأعشاب التي طوّرت مقاومتها أو مناعتها الخاصة ضد مبيدات الأعشاب تنمو الآن وتتكاثر. وتتزايد هذه المشكلة حيث يتعين تصنيع مبيدات أعشاب جديدة لمحاربة هذه الأعشاب القوية. هذه مشكلة مشابهة لمشكلة (الجرانيم الخارقة)

إذا لم ندفع ثمنًا
عادلاً للمنتج،
فسوف يصبح
أفقر العمال
دائماً هم الذين
يعانون بسبب
ذلك.

التي تصبح مُحصنة ضد الأدوية ويصعب بشدة السيطرة عليها. يُظهر استخدام مبيدات الأعشاب ومبيدات الآفات أيضاً أن المستهلكين قد يتعرضون لهذه المواد الكيميائية، والتي يمكن في بعض الحالات إمتصاصها في الطعام. إن نهج مقاومة مبيدات الأعشاب للكائنات المعدلة وراثياً يأخذ موقفاً مفاده أننا في منافسة مع الطبيعة، عوضاً عن إيجاد طرق للعمل مع الأنظمة الموجودة بالفعل. على سبيل المثال، يُعد تناوب المحاصيل الزراعي المتعددة (الزراعة المتزامنة لعدة محاصيل) أسلوباً يمكن أن يساعد في الحد من انتشار الأعشاب الضارة بدون مُدخلات كيميائية. لكن، نرى كيف أن المحاصيل المعدلة وراثياً تُشجع الزراعة الأحادية.

في النظام البيئي الطبيعي، يظهر التنوع البيولوجي دون عوائق، إذ يجد كل نوع ظروفه الخاصة للازدهار، وغالباً ما يكون قادراً على إفادة الآخرين من حوله. ليس لدينا حتى الآن ما يكفي من الأدلة على الآثار الصحية الطويلة الأمد للكائنات المعدلة وراثياً على الأشخاص الذين يستهلكونها. لكننا نعلم أنه يوجد أنواع لا حصر لها تتأثر سلبياً بالمبيدات الحشرية ومبيدات الأعشاب التي تُستخدم مع الكائنات المعدلة وراثياً. يُعتبر النحل من أكثر الحشرات المصابة التي يتم الحديث عنها على نطاق واسع، لأن تلقيح النحل أمر حيوي للعديد من المحاصيل لإنتاج الفاكهة. فقد حدث موتٌ كثيرٌ للنحل في السنوات الأخيرة بسبب مبيدات النيونيكوتينويد، والتي سيكون لها عواقب على نمو المحاصيل في جميع أنحاء العالم.

إحدى الإشكاليات الأخلاقية التي تطرحها الكائنات المعدلة وراثياً هي تسجيل براءة الاختراع للمعلومات الوراثية. تقوم الشركات الزراعية الكبيرة ببراءة الاختراع على جذورها ثم بيعها للمزارعين. وبسبب النظام القانوني لبراءات الاختراع، لا يُسمح للمزارعين بالاحتفاظ بالبذور من محاصيلهم لأنهم ينتمون إلى الشركة. يضطر المزارعون إلى شراء البذور عاماً بعد عام، على الرغم من حقيقة أن النباتات التي زرعوها أنتجت بذوراً قابلة للحياة مرةً أخرى. ورفعت بالفعل دعاوى قضائية ضد المزارعين الذين تم العثور على بذور حاصلة على براءة اختراع في حقولهم، إما من التلقيح المتبادل أو من خلال هبوبها من حقول أخرى، على الرغم من عدم وجود نية لدى المزارعين لزراعة هذه المحاصيل. فيمكن أن تؤدي التكلفة المرتفعة لهذه المحاصيل إلى تراكم الديون، وعدم القدرة على الاحتفاظ بالبذور يؤدي إلى زيادة في النفقات السنوية. وعليه، إذا لم يكن موسم النمو لعام واحد جيداً، فستكون خسارة عظيمة يصعب تعويضها في العام التالي بعد شراء البذور مرةً أخرى.^٨

تتميز بذور المنهي Terminator بالعقم الداخلي، وقد تم اقتراحها كبديل للمحاصيل المعدلة وراثياً الحاملة للبذور. يبدو أن هذا بطبيعته يتعارض مع نظام الخليقة الذي وضعه الله الذي فيه تحمل جميع النباتات بذوراً. ما هي الآثار الطويلة الأمد التي تحدث حين تُربى النباتات لتكون عقيمة وتفقد القدرة

٨ يُمثل مزارعو أميركا الشمالية واحداً من أعلى مُعدّل للانتحار بين فئات العمال. والأسباب والدوافع متعددة الأوجه، ولكن من الواضح أن العديد من المزارعين يشعرون بالفقر واليأس.

على التكاثر تماماً؟ يعتمد هذا النظام على نظام إنتاج غذائي يقوم تحديداً على التدخل البشري، الذي هو نظام مليء بالقضايا الاجتماعية والسياسية والإقتصادية، ناهيك عن القضايا البيئية.

بما أن البيئة عطية من الله، فإن إساءة استخدامها وتلويثها سيكون بحسب المنطق بمثابة عدم احترام لله وعدم إكرام له. هناك شعور في بعض الدول بوجود تحمّل المسؤولية فيما يخص النفايات التي تنتجها، وأن نواربها كي لا تسبب ضرراً بقدر المستطاع. وبالطبع، فإن أفضل حل في المقام الأول هو تقليل النفايات.

يمتلك الكثيرون اليوم حول العالم عقلية «الإقصاء». حيث تُصنع المنتجات لخدمة غرض معين لفترة محدودة، ثم يتم التخلص منها من أجل شيء جديد. وفي الاقتصاد الذي يُحرّكه النمو، يكون من المربح للشركات إنتاج ما يستهلك سريعاً، حتى يضطر الناس إلى شراء منتجات جديدة، بدلاً من صنع منتجات طويلة الأمد وقابلة للإصلاح. وعليه، يساهم (الأيل إلى الزوال المخطط) إسهاماً كبيراً في مدافن النفايات، وهو قرار تتخذه الشركات التي لا تدفع تكلفة التلوث الذي تسببه. ويتربّ على ذلك آثار عالمية.

أين تذهب جميع هذه النفايات؟ تدفع العديد من الدول أموالاً لتصدير النفايات إلى البلدان الأخرى، حيث القوانين المتعلقة بإدارة النفايات تكون أقل صرامة أو أقل تكلفة ويكون التلوث أكبر. على سبيل المثال، تُصدّر كندا إلى الصين كمية كبيرة من المواد القابلة لإعادة التدوير، لذلك لا نرى الآثار الناتجة عن استهلاكنا. ينتهي الحال بالكثير من نفاياتنا في النظم البيئية غير المجهزة للتعامل معها، على سبيل المثال، تُعدّ (بقعة القمامة الكبيرة في المحيط الهادي) دوامة ضخمة من النفايات البحرية (معظمها من البلاستيك) في وسط شمال المحيط الهادي. غالباً ما يعني هذا أيضاً أن الدول الفقيرة تدفع من صحتها البيئية مقابل أنماط الحياة المدمرة للدول الأكثر ثراءً، وهذا ظلم يمارس ضد هذه الدول الفقيرة.

يُعدّ استخراج الموارد واحداً من الموضوعات التي لها جوانب عديدة ويصعب

إحدى
الإشكاليات
الأخلاقية
التي تطرحها
الكائنات المعدلة
وراثياً هي
تسجيل براءة
الاختراع
للمعلومات
الوراثية.

إنه من المربح
للشركات إنتاج
ما يُستهلك
سريعاً، حتى
يضرّ الناس
إلى شراء
منتجات جديدة.

التمييز بين الصواب والخطأ فيه. يشتمل هذا المجال على أنشطة متعدّدة مثل: التعدين وقطع الغابات واستخراج المياه والوقود الحفري وإنتاج الطاقة (المتجدّدة وغير المتجدّدة)، كل هذه الأعمال تُنتج منتجات نستخدمها في حياتنا اليوميّة. إذ يوجد حالات يتم فيها الحصول على موارد معيّنّة بطريقة غير أخلاقيّة، فهل من غير الأخلاقيّ أيضاً أن يمتلك المستهلك النهائي هذه المنتجات التي تُنتج؟ هل يوجد اختلاف في المسؤوليّة الأخلاقيّة بين المنتجين والمستهلكين؟ يسأل ويندل بيرري: «هل هناك... شيء يُسمّى بقطاع المنجم من المنظور المسيحيّ؟»^٩

٢. الخطيّة تؤثر على دخول الأرض الجيدة

بشكل عام، تتضمّن الأخلاق قبول بعض القيود على كيفية تصرفنا في العالم. إذاً، ما هي حدود استخدام الأرض ومواردها باعتبارها جزءاً من زراعتنا ومسكننا على الأرض؟

غالباً ما تحدّد، في الكتاب المقدّس، علاقة الإنسان بالأرض وفقاً لأخلاقيّاته، إذ طرد آدم وحواء من جنة عدن بسبب خطيئتهم، وأعطى الله لإبراهيم ونسله كنعان كعطيّة منه «أرض تفيض لبناً وعسلاً» (أي، أرض مثمرة وخصبة). كما وعد الله شعبه المقدّي، بني إسرائيل، بأنهم سيعيشون في أرض كنعان المثمرة إذا أطاعوا وصاياهم وساروا في طرقهم. بالإضافة إلى ذلك، تُسجّل تثنية ٢٨ بركات ولعنات العهد سواء للطاعة أو للعصيان، ويتعلّق الكثير منها بخصوبة الأرض والإثمار. كما كانت لعنة العهد هي الطرد من الأرض المثمرة.

لم يرَ بنو إسرائيل، الذين عصوا الربّ وجربوا في البرية، أرض الموعد، وأيضاً لم يختبروا الإثمار والبركات التي أعدّها الله. علاوة على ذلك، أدّى العصيان ومخالفة الوصايا إلى الاستبعاد عن بركة الأرض الجيدة. فكانت المعاناة

٩ ويندل بيرري Wendell Berry. "هبة الأرض الجيدة: مقالات ثقافية وزراعية أخرى" The Gift of Good (Berkeley: Counterpoint Press (بيركلي Land: Further Essays Cultural and Agricultural ١٩٨١، ٢٩٩). قطاع منجم هو منجم يتم فيه تجريد الطبقة العليا والصخور من التربة بالكامل، ممّا يسمح بالوصول إلى المعادن الموجودة في أسفل السطح. مثل هذا المنجم يُدمر الأرض والبيئة الطبيعيّة بالكامل.

في البرية لمدة أربعين عاماً عاقبةً لذلك. وعلى الجانب الآخر، كوفى كالب لأجل أخلاقه بإعطائه جزءاً من الأرض له ولنسله يشوع ١٤: ١٣-١٤
على الرغم من أن المؤمنين هم تحت العهد الجديد عوضاً عن العهد القديم، فهناك اليوم ممارسات نشارك فيها تمنعنا من التمتع بثمار الأرض، كذلك هناك عواقب طبيعية مباشرة وغير مباشرة لاختياراتنا للأخلاقية. يقول الوحي المقدس في إرميا ١٢: ٤:

«حَتَّى مَتَى تَنُوحُ الْأَرْضُ
وَيَبِيسُ عُشْبُ كُلِّ الْحَقْلِ؟
مَنْ شَرَّ السَّاكِنِينَ فِيهَا
فَنَبَتِ الْبَهَائِمُ وَالطُّيُورُ،
لَأَنَّهُمْ قَالُوا:
لَا يَرَى آخِرَتَنَا.»

قد لا يكون هذا صحيحاً بالنسبة إلينا اليوم أيضاً؟ من الواضح أن هناك علاقة سبب ونتيجة طبيعية: إذا لوثنا المياه، فإنها لن تكون صالحة للشرب، وإذا ملأنا الهواء بمواد كيميائية سامة، فسيكون الهواء غير صالح للاستنشاق. لكن يوجد أكثر من مجرد علاقة سبب ونتيجة طبيعية، نحن نعيش في عالم هو مُلك لله، عالم أخلاقي، ويمكن لله أن يُعاقبنا على كبريائنا وحمقتنا وخطيئتنا. إذا أخطأنا إليه في وكرتنا على الأرض، فهو قادر أن يُؤدبنا بشدة من خلال البيئة الطبيعية.

الأخلاقيات البيئية والحيوانات

كيف نتعامل (كمؤمنين) مع الحيوانات؟ فمثلما ننتمي الأرض إلى الله، كذلك أيضاً ننتمي الحيوانات إلى الله:

أَنْ لِي حَيَوَانَ الْوَعْرِ
وَالْبَهَائِمَ عَلَى الْجِبَالِ الْأُوفِ .
قَدْ عَلِمْتُ كُلَّ طُيُورِ الْجِبَالِ ،
وَوُحُوشِ الْبَرِّيَّةِ عِنْدِي (مزمو ٥٠: ١٠-١١).

على الرغم من عدم كون الحيوانات كائنات روحية مثل البشر إلا أن لديها حساً عالياً تفقّر إليه عناصر أخرى من الخليقة. فهي قادرة على الشعور والتجاوب مع البيئة المحيطة. ولكونها واحداً من عناصر خليفة الله، فإن لها قيمةً والله يعتني بها (حتى ولو لم يكن لها قيمة كبيرة متساوية مع قيمة الإنسان). يصف النصّ المشابه في متى ١٠: ٢٩-٣١ كيف أن الله يعتني بحيات الحيوانات، لكنه يفعل أكثر من ذلك مع الناس. أظهرت تسمية آدم للحيوانات سلطته عليها، لكنها أظهرت أيضاً علاقة الإنسان بالحيوانات كحارس لها تكوين ٢: ١٩-٢٠.

ما هي الرعاية المناسبة للحيوانات باعتبارها جزءاً من وكالتنا على الخليقة؟ يمتلك كل مخلوق كرامةً ونزاهةً بحكم أن الله خلقه ككائن حي. إذ ينبغي السّماح لكل الكائنات الحية بممارسة سلوكها الطبيعي كما حدّده الله لها. يجب أن نسعى إلى الهدف الإيجابي المتمثل في مساعدتها على الازدهار، بدلاً من الهدف السلبي المتمثل في مجرد التقليل من معاناتها. هل لدى الإنسان دورٌ لضمان حماية الأنواع الأخرى وبقائها على قيد الحياة؟ كيف تساهم نتائج أفعالنا في البيئة في تدمير الحياة الحيوانية، سواء بشكل مباشر أو غير مباشر؟ يمتلك الحيوان دوراً لكونه جزءاً من النظام البيئي، ولديه أغراضٌ مساهمة ونافعة في البيئة التي يعيش فيها.

أمر الله، قبل السقوط، بعدم وجود طعام لكل من الإنسان والحيوان غير النباتات. ولكن بعد السقوط دخل الموت إلى العالم، وسجّلت العملية الأولى لقتل الحيوان التي قام بها الله نفسه ليكسو آدم وحواء (تكوين ٣: ٢١). وبعد الطوفان، نجد توجيه الله الواضح لنوح: «كلُّ دابةٍ حيةٍ تكون لكم طعاماً. كالعشب الأخضر دَفَعْتُ إِلَيْكُمْ الْجَمِيعَ.» تكوين ٩: ٣.

إذا كان قتل الحيوانات وأكلها مسموحاً به، فلا بدّ من وجود طرقٍ صحيحة وطرقٍ غير صحيحة للقيام بذلك، إذ أن التسبب في حدوث ألم ومعاناة لأحد المخلوقات من دون ضرورة هو أمرٌ خاطئ. على سبيل المثال، يمثل صيد الكوروس صيداً إنتقائياً للحيوانات، وغرض قتلها للتسلية فقط وليس للأكل. فإذا نظرنا إلى الدوافع، غالباً ما يكون القصد من ذلك هو تعزيز كبرياء المرء. ومن الناحية الأخرى، تُقتل الحيوانات أحياناً بسبب زيادة عددها في منطقة ما، وبالمثل أيضاً، لا تُستخدم بالضرورة للاستهلاك البشري. في الحالة الأخيرة، يكون الدافع تمكين النظام البيئي من العمل بطريقة متوازنة، حيث تعوق كمية الحيوانات. وإذا سلأنا أي حالةٍ منهما تُظهر جيداً وكالة الإنسان على الخليقة،

فإنه يبدو أن الحالة الثانية يمكن الدفاع عنها أكثر. وعليه، يجب علينا احترام الحيوانات وفهم علاقتنا المناسبة بها كما أعطاها الله لنا.

في حين أن الصيد يحد جزءاً صغيراً نسبياً من لحوم الحيوانات التي يأكلها الناس، أثارت تربية المصانع نقاشاً حاداً حول المعاملة الأخلاقية للحيوانات. غالباً ما يتم التلاعب في الحيوانات من أجل تلبية الرغبات البشرية، من خلال إعطائها هرمونات أو منشطات، مما يُغيّر وظائفها الطبيعية ونموها. فظروف الحيوانات المعيشية تدور حول الكفاءة والإنتاجية وليس الرفاهية. يميل مؤيدو هذه الممارسات إلى النظر إلى الحيوانات على أنها مُنتجات إستهلاكية. لكن هل هكذا ينظر الله إليها؟ في خروج ٢٣: ١٢ تم تطبيق وصية السبب على عمل الحيوانات أيضاً، وذلك من أجل منحها الراحة. هذا يُشير إلى الاهتمام بصحة

الحيوانات ورفاهيتها. كذلك، تُترك الأرض للراحة كل سبع سنوات حتى تتمكن الحيوانات البرية من جمع الطعام منها. يقول أيضاً سفر الأمثال (أمثال ١٢: ١٠): «الصديق يُراعي نفس بهيمته، أما مراحم الأشرار فقاسية.» يبدو أن رعاية الحيوانات تتطلب بعض الأشياء. يجب علينا احترام كرامتها، بما في ذلك

يمتلك كل مخلوق
كرامةً ونزاهةً
بحكم أن الله خلقه
ككائن حيّ.

ضمان قدرتها على القيام بوظائفها بحسب الأغراض التي خلقها الله من أجلها. كما يتعين علينا أيضاً أن نكون ذوي احترام وإنسانية حين نضطر إلى ذبحها. هذا يعني عدم الأخذ أكثر من اللازم، وعدم إضاعة أي شيء نأخذه. هذا من شأنه أن يستبعد منطقياً أشياء مثل قتل الأفيال من أجل أنيابها العاجية أو خلق ظروف معيشية في المزارع مضرة بصحة الحيوانات وسلامتها.

سنضيف ملاحظة صغيرة بشأن الحيوانات البرية. على الرغم من وجود العديد من الحيوانات غير المدمجة في أي نوع من النشاط البشري، فإنه وفقاً للمبدأ القائل بأن جميع المخلوقات تنتمي إلى الله فإن الحيوانات البرية لها قيمة أيضاً في حد ذاتها. كما وتعطي كل الخليقة المد لله، كذلك أيضاً الحيوانات البرية. يجب علينا، بصفتنا وكلاء على الأرض، ضمان الحفاظ على البيئة الطبيعية لجميع المخلوقات لكي تزدهر فيها. فقد تسبب جهلنا (أي الافتقار إلى المعرفة وعدم الاهتمام) حتى الآن في فقدان عدد لا يحصى من الأنواع. ومع اتساع المعرفة

المتاحة اليوم، ليس لدينا أيُّ عذر في مواصلة تلويث المحيطات، تدمير الأراضي الرطبة، الإفراط في حصاد الأشجار أو تدمير النظم البيئية الحساسة التي تعتمد عليها الحيوانات البرية.

الأخلاقيات البيئية والناس

كما ذكرنا سابقاً، تتضمن البيئة الناس الذين يحيون بها. لا تنفصل الثقافة الإنسانية والمجتمعية عن الإطار البيئي. تُعتبر كلاً من سلوكياتنا وممارساتنا حيال البيئة قضايا أخلاقية. وكما أننا نحمل التزامات أخلاقية تجاه الناس الآخرين والتزامات أخلاقية أسمى تجاه الله، فإنه علينا أيضاً مسؤوليات أخلاقية موضوعية تجاه العناية بالبيئة. إن أداء هذه الواجبات الأخلاقية يؤدي إلى نتائج إيجابية، وبالتالي، يؤثر السلوك الأخلاقي في خلقه الله، في بيئتنا ووطننا المشترك، بطريقة مباشرة أو غير مباشرة، إذ يحافظ على نوع البيئة الصحية والفعالة اللازمة لازدهار الإنسان.

١. النمو السكاني والكثافة السكانية

يُعدُّ النمو السكاني والكثافة السكانية من أكثر المواضيع مناقشةً فيما يتعلق بالاستدامة البيئية. أعطى الله البشرَ أمراً: «أَثْمِرُوا وَاكْثُرُوا وَامْلَأُوا الْأَرْضَ» تكوين ١: ٢٨. فهذا لا يعالج التأثيرات البيئية للأمر، لذلك فهو يترك لنا ملء الفراغات. هل هناك حدٌ لعدد الأشخاص الذي يمكن للبيئة أن تدعم إحتياجاتهم؟ من أين نحصل على هذه المعلومات؟ هل يوجد أنظمة طبيعية تقوم بالتوازن السكاني (مثل المجاعات، الجفاف، الأمراض)، وهل علينا قبولٌ وظيفتها كآلياتٍ تسوية؟ يبدو أن للمجتمعات المختلفة أفكاراً متضاربة حول هذا الموضوع. حيث تعترف بعض المجتمعات بأن عدد السكان الكبير يمثل عبئاً على مواردها ومساحتها، لذا فهي تحُد من عدد الأطفال الذين يمكن أن تنجبهم الأسرة. بينما يشجع البعض الآخر الأسر الكبيرة، على سبيل المثال، فإن العدد الأكبر من الأطفال في بعض المجتمعات الريفية يعني مساعدة أكثر في العمل في الأرض والحفاظ على المجتمع). يُعدُّ واحداً من أكبر الموضوعات المتعلقة بسكان العالم هو ما إذا كانت الأرض قادرةً على إنتاج ما يكفي من الغذاء لإطعام سكانها الذين يتزايدون سريعاً. فإذا كان الإنتاج الحالي قليلاً، فهل يمكن استخدام طرقٍ مختلفة لرفع مستويات الإنتاج

بشكل آمن ومستمر؟ نظراً لأنّ الأساليب الزراعيّة المختلفة قد تنطوي على تعقيدات بيئيّة مختلفة، فإنّ كلّ بديلٍ يحتاج إلى التّكثير فيه بعنايةٍ كافيةٍ. ولكن من الواضح، أنّ ازدهار السكّان يتطلّب السكّن اللائق، المرافق الصحيّة، الغذاء، الماء وما إلى ذلك. هناك مناقشاتٌ حقيقيّةٌ حول أفضل السبل لتوفير هذه الاحتياجات. فعلى سبيل المثال، حين يتعلّق الأمر بالسكّن يعتقد البعض أنّ الكثافة الحضريّة العالية أفضل للبيئة لأنها تحدّ من مساحة الأرض التي يتعيّن تطويرها. ومع



إعتباراً من نوفمبر ٢٠١٨ ،
بلغ عدد سكان العالم ٧،٧ مليار
نسمة .
ومن المتوقع أن تصل إلى ٩ أو
١٠ مليارات بحلول منتصف
القرن

ذلك، تشهد العديد من المدن الزحف العمراني، حيث تصبح الأرض الصالحة لإنتاج الغذاء عديمة الفائدة بسبب هذه الأمور. وعليه، إذا كان إنتاج الغذاء عالمياً يمثل مصدراً للقلق، فهل لا بدّ من إعطاء الأولوية للاحتفاظ بالأراضي الزراعيّة المتنازلة للغذاء عن السكّن؟ من الممكن أن يتمكّن العالم من الحفاظ على الكثافة السكانيّة العالية، ولكن ربّما لا يكون ذلك مع أساليب حياتنا الحاليّة. ولكي يعيش عدد أكبر من الناس، قد يضطرّ بعض الذين يُفرضون في الاستهلاك إلى استهلاك أقلّ.

لكلّ منطقة بيئيّة على الأرض قدرة تحمل خاصّة، عدد الكائنات الحيّة التي يمكن أن تدعمها موارد منطقة ما دون حدوث تدهور بيئيّ. قد يكون من الصعب تحديد هذا بالضبط في منطقة معيّنة، لكن يكون واضحاً متى يتمّ الوصول إلى السعة حين لن تتمكّن الموارد المتاحة من مواكبة احتياجات السكان. ببساطة لا يمكن للمناطق الحضريّة في جميع أنحاء العالم أن تستمرّ بمواردها الخاصّة، ولا بدّ أن تعتمد، بطريقة أو بأخرى، على المناطق المحيطة للحصول على الغذاء والماء والطاقة وما إلى ذلك. ومع ذلك، يبدو أنّه إذا احتاجت بعض المدن إلى القيام بذلك، فعليه أيضاً التأكّد من أنّ المناطق التي يستمدّون منها حاجتهم لديها ما يكفي للحفاظ على بقائها، إذ يعدّ أمراً ضاراً أن نأخذ الكثير من الجيران لدرجة تركهم معدّمين.

ومن الجدير بالذّكر هنا أنّه يمكننا أيضاً أن نلحق الضرر بالأجيال القادمة

إذا تركنا الأرضَ غيرَ قادرةٍ على تجديدِ نفسها، إذا أفرغنا طبقاتِ المياهِ الجوفيةِ واستنفدنا التربةَ. ينبغي أن نأخذَ منها حاجاتنا وحسب. «إِذَا دَخَلْتَ كَرَمَ صَاحِبِكَ فَكُلْ عَنبًا حَسَبَ شَهْوَةِ نَفْسِكَ، شَبِعْنِكَ. وَلكِنْ فِي وَعَائِكَ لَاجْعَلْ. إِذَا دَخَلْتَ زَرْعَ صَاحِبِكَ فَاقْطِفْ سَنَابِلَ بَيْدِكَ، وَلكِنْ مُنْجَلًّا لَ تَرْفَعِ عَلَيَّ زَرْعَ صَاحِبِكَ.» تنبيه

إنَّ مجردَ تقليل
الإستهلاك
وتقليل إنتاج
النفايات له آثار
حقيقية ونافعة.

٢٣: ٢٤-٢٥. في حالة الدُول الغنيّة، هذا يعني أننا لا بُدَّ أن نفكرَ ملياً في تغيير أنماط حياتنا لتخفيف العبء. يمكننا مناقشة ما إذا كانت هذه مسؤوليّة شخصيّة أم سياسيّة في المقام الأوّل، ولكن يجب علينا على الأقل أن نعالجها أولاً في حياتنا الخاصّة. ببساطة، إنَّ مُجرّد تقليل الاستهلاك وتقليل إنتاج النفايات له آثارٌ حقيقيّة ونافعة. هناك البعض، حول العالم، ممّن لا يستطيعون حتى تلبية احتياجاتهم الأساسيّة، في حين أنه هناك آخرون يستهلكون أكثر ممّا ينبغي. وعليه، يتعيّن على من هم في الفئة الأخيرة تعديل ممارساتهم.

كما هناك أيضاً اعتباراتٌ هامّة لكيفية استخدام الأرض، وتعتبرُ بعضٌ من هذه الممارسات أفضل من غيرها من الناحية النوعيّة من أجل الاستدامة على المدى الطويل. عادة، يتطلّب هذا فهماً دقيقاً لطبيعة الأرض الخاصّة، ولا بُدَّ من تغيير الأساليب المستخدمة من مكان إلى آخر وفقاً للظروف المختلفة. نادراً ما تظهرُ الحلولُ السهلة والمثاليّة في ممارسات استخدام الأرض، لكن في معظم الأحيان، يتطلّب الأمرُ الصبرَ والمثابرة. علاوة على ذلك، ليست كلُّ الأراضي مناسبة لإنتاج الغذاء أو لرعاية الحيوانات. يجب أن نعتني بالأرض عنايةً خاصّةً فهي عطيةٌ من الله لكي نستخدمها، وكذلك الأجيال القادمة لتلبية احتياجاتها.

تحدّثنا عن حدود الأرض بما يكفي حتى الآن، وعرفنا أنّ لها حدوداً فيزيائيةً. فلا يوجد حدود جديدة يمكن من خلالها للطبيعة غير الملوثة أن تدعم السكّان الذين يستمرّون في التوسّع إلى الأبد. نحن نعلم أنّنا لدينا مواردٌ محدودة، لذا علينا أن نحدّد أفضل السبل لاستخدامها لصالحنا ولصالح الأجيال القادمة.

٢. ظروف المعيشة والعمل

إنَّ ظروفَ المعيشة والعمل في العديد من البلدان هي نتيجة للعوامل البيئية.

إذا أردنا
الاهتمام
بجيراننا في
جميع أنحاء
العالم، فسيكون
من المفيد لنا
التفكير في
كيفية مساعدة
مشترياتنا
اليومية في
تحسين حياتهم.

ومع ذلك، يمكن أن يؤدي العمل نفسه إلى مشاكل بيئية تزيد من تدهور جودة الحياة. فعلى سبيل المثال، يمكن أن تكون مبيدات الآفات المستخدمة في المزارع التجارية ضارة بالعمال، أو يمكن تدمير المناطق المأهولة من خلال إنشاء السدود وإزالة الغابات. وفي أماكن أخرى، يولد التلوث الناتج عن مجموعة من الأشخاص أضراراً لمجموعة أخرى.

ما هي المعايير الأخلاقية المطبقة في مكان العمل في الدولة التي يتم فيها شحن المنتجات دولياً؟ هل نشترى المنتجات التي أنتجت بواسطة عمليات إنتاج تسببت في إلحاق الضرر بالعمال الذين لا يتمتعون بالحماية من المواد الكيميائية السامة أو غيرها من الممارسات الخطيرة؟ في اقتصادنا العالمي، غالباً ما يُقصد بالفصل ما بين المنتج والمستهلك أن المستهلكين نادراً ما يعرفون أي شيء عن الظروف المعيشية للمنتجين. يمكن أن تختلف معايير الصحة والسلامة

على نطاق واسع في جميع أنحاء العالم (على سبيل المثال، مُستهلكو العالم الأول مقابل مُنتجي العالم الثالث). كلما طالت سلسلة التوريد، كان من الصعب تتبع ما يحدث في كل مرحلة.

هناك مخاوف أخلاقية هامة متعلقة بأي معايير تُطبق على الشركات المتعددة الجنسيات. يمكن أن يسمح التعويض القليل تحت السلطات القضائية لدولة أخرى للشركات بالحصول على ربح أكبر دون الاضطرار إلى المساهمة فيما هو مفيد للعمال. إذا كانت شركة ما في دولة غنية تحصل على منتجات تم إنتاجها بثمن بخس في بلد فقير، بسبب اللوائح الأقل جودة في مكان العمل، وإجراءات السلامة الأقل شمولاً، فهل يتعين على الشركات أن تعمل وفقاً لقوانين دولتها، وبالتالي يتم تحسين الظروف التي يعمل بها الناس في إطار الخيارات المحلية الأخرى المتوفرة لديها؟ ستقدم العديد من الشركات أماكن عمل محسنة قليلاً عما اعتاد عليه العمال المحليون، لكنهم غير راغبين في تطبيق معايير دولتهم الأم في أماكن العمل. والسبب يكمن بالكامل وراء الرغبة في العمل دولياً هو العمالة

الرَّخِيصَةَ. إذا كان المؤمنون يشغلون مناصبَ صنع القرار في هذه الشركات، فهل من المقبول أخلاقياً مجردُ رفع مستوى العمَّالِ درجةً إلى أعلى بينما الشركات تتلقى أرباحاً كبيرة؟ لحسنِ الحظِّ، لدى المستهلكين خيارات، مع العلم أنه غالباً ما تتضمن هذه الخيارات اعتبارات مائية. قد وضعت (التجارة العادلة) شروطاً للتعيينات بهدف ضمان حصول الأشخاص على رواتب عادلة مقابل عملهم في السوق العالمية. فقد بدأت التعاونيات الزراعية والحرفية في منح العمَّال السيطرة والربح مباشرةً. إذا أردنا الاهتمام بجيراننا في جميع أنحاء العالم، فيسكون من المفيد لنا التفكير في كيفية مساعدة مشترياتنا اليومية في تحسين حياتهم.

٣. التكنولوجيا

لقد ساعدتنا التكنولوجيا في التغلب على العديد من آثار الخطيئة في عالمنا، على سبيل المثال، معالجة الأمراض والوقاية منها، تقديم المساعدات عالمياً وإيصال الإنجيل إلى المجموعات التي لم يصل إليها من قبل، وما إلى ذلك. ولكنها أيضاً مكنت أولئك الذين لديهم المعرفة والموارد ليمارسوا الهيمنة على الآخرين وعلى الخليفة. حين يتعلَّق الأمرُ بكائنات غير بشرية مثل البيئة، ما هي التعليمات اللازمة لوضع حدودٍ للتسلُّط على البيئة وخلق ضوابط النفس العقلاني؟

سمحت لنا التكنولوجيا بطرقٍ عديدة أن نتجاهل قيود الطبيعة، وفرصت عليها مفهومنا للنمو اللامحدود. إذا تمكنا من حل المشكلات المتعلقة بكيفية تحقيق شيء ما، فغالباً ما نتوقَّف عن التساؤل «كيف سنفعل ذلك؟»، و«هل يجب علينا فعل ذلك؟» لقد تجاوزنا الحدود الطبيعية من خلال بذل المزيد من الجهد التكنولوجي فيها. وعليه، إذا لم ينتج حقل المزارع إنتاجاً كافياً (ربما لأنه مُتَّقَل بالأعباء)، فإنَّ الحل التقليدي هو إضافة المزيد من الأسمدة الكيماوية، وعدم الاهتمام بشأن جميع المشاكل الأخرى التي تدل على استنفاد التربة، مثل فقدان الكائنات الحية الدقيقة ونضوب المغذيات وما إلى ذلك.

من الواضح تماماً أنَّ الأنظمة الطبيعية تمتلك المرونة والقدرة على التكيف، مقارنةً بالأنظمة التي من صنع الإنسان. على سبيل المثال، تُخفَّف غابات المناجروف الساحلية الكبيرة من تدمير المدِّ والجُزر والتعرية والترسيب في المجاري المائية. فهي لا تحتاج إلى أي صيانة بشرية، وهي أنظمة حية تُنتج من تلقاء نفسها وتوفِّر البيئة الطبيعية للكائنات الأخرى. إنَّ المحاولات البشرية لإنشاء

أنظمة لديها الوظيفة عينها تكون مكلفة للغاية وتتطلب هندسة مكثفة وصيانة طويلة المدى. إن أشجار المانجروف تتميز بأناقة وبساطة شاملة مقارنة بجهودنا الكبيرة. تفرص الأنظمة التي تخلفها المنتجات التكنولوجية أنماطاً للحياة القائمة على منفعة أولئك الذين ينتجونها، حيث يشير ضمناً بناء السدود، في مجتمعات الأمة الأولى الشمالية في كندا لحمايتها من الفيضانات، إلى نمط حياة يتحدى البيئة الطبيعية ويُعطي أولوية للتوازن التصادي. قد يُجادل الكثيرون بأن هذه التدخلات تتعارض مع طريقة حياة الثقافة التي يهدفون إلى خدمتها، فقد أنتجت أنظمة الإسكان والتكنولوجيا المرتبطة بها نوعاً من مجتمعات محميات الأمة الأولى التي نراها اليوم، مع شوارع شبكية ومنازل تشبه الصناديق، وبنية تحتية غير مناسبة للمناخ أو القدرة الإقتصادية للمجتمعات.

سيكون من الأكثر إستمرارية تعزيز النماذج الثقافية الأخلاقية فيما يتعلق بالبيئة، واستخدام التكنولوجيا باعتبارها أدوات لتحقيق ذلك. في الوقت الراهن، نحن نعمل في كثير من الأحيان في الاتجاه المعاكس ويبدو أننا تحت رحمة ما تنتجه التكنولوجيا. فنحن نحدد مصيرنا دون وعي، وننظر إليه على أنه مسار عمل وليس لكونه خياراً متاحاً.

٤. الثقافة

من الهام أن نكون مُنتبهين للثقافات المحلية عندما نتعامل مع القضايا البيئية. يمكن أن يكون للنزعة الاستهلاكية تأثير متساو على الثقافات، وخلق عالم افتراضي متشابه، بينما الثقافات في الواقع تشكلت أساساً من البيئة المحيطة بها. فالثقافات قد تطوّرت من خلال الطرق الخاصة التي تعلمناها للتوفيق بيننا وبين باقي المخلوقات من حولنا. عرفت البيئات المحلية المحددة بواسطة الثقافات الخاصة بالمكان الذي وُضعت فيه الفضائل موضع التنفيذ. فمن المتوقع أن يهتم الناس أكثر بالمكان الذي له معنى ثقافي بالنسبة إليهم.

من الهام أيضاً فهم الاعتبارات الأساسية التي تمتلكها الثقافات، بما في ذلك ثقافة الفرد، تجاه بيئتها. بينما تلجأ بعض المجتمعات إلى الإستعانة بالموارد الخارجية للتعامل مع جميع مخلفاتها (مثل النفايات البلاستيكية والإلكترونية التي تُسحق إلى الأقطار الأخرى). إن المجتمعات الأخرى التي تعتمد مباشرة على الأرض تحتاج إلى الحفاظ على سلامة بيئتها من أجل مواصلة ثقافتها ورعايتها

من المتوقع أن
يهتم الناس أكثر
بالمكان الذي
له معنى ثقافي
بالنسبة إليهم .

للأرض بصورة صحيحة. هناك مجتمعات عديدة حول العالم تجبر على ترك أراضيها حتى تتمكن الشركات المتعددة الجنسيات من استخدامها. ويتم أيضاً التخلص من الغابات المطيرة من أجل الزراعة أو الرعي، كما تبنى السدود على ضفاف الأنهار فتغرق قرى السكان الأصليين. في حين أن أولئك الذين يهتمون بالأرض ويعتاشون منها هم في وضع يمكنهم من رؤية التفاصيل البيئية التي تعتبر

حيوية لثقافتهم ومعيشتهم، فإن أولئك الذين يستخدمون الأرض فقط لأغراض الاستخراج هم يفرضون عليها إطارهم الثقافي المتعارض معها. نحن نتفق مع ويندل بيرري حين قال: «كلما كانت الثقافة محلية ومستقرة، بقيت أفضل وقل الضرر. لكن الرجل الذي يمتلك آلة وثقافة غير ملائمتين هو وباء»^{١٠}.

يجب أيضاً فهم التوقعات المتعلقة بجودة الحياة في إطار الثقافة المحلية وليس فرضها عليها من الخارج. من المستحيل أن يكون الجميع (على مستوى العالم) في مستوى معيشة أميركا الشمالية التي تشكلت عادات الاستهلاك والهدر فيها جزءاً لا يتجزأ من ثقافتهم. ربما يجدر التساؤل عما إذا كان هذا مستوى معيشياً جيداً يجب على الجميع أن يسعوا إليه؟ من الأفضل الأخذ بمبادئ المنفعة ومعالجتها ضمن الوسائل الملائمة ثقافياً. على سبيل المثال، إذا كانت إدارة النفايات البشرية تمثل مشكلة في مجتمع ريفي أفريقي، فلن يكون من المنطقي إنشاء مستوعب للصرف الصحي مع مرأحيز دافقة في كل منزل. وعوضاً عن ذلك، فإن مرأحيز السماد اللامركزية والتعليم حول كيفية إدارتها بمرور الوقت سيكون حلاً أكثر ملاءمة. كما يمكن أن يكون أمراً مضرراً أيضاً حين يأتي شخص أجنبي في بعثة، ويُقيم في معسكر مجهز بكل وسائل الراحة التي تمتلكها دولته الأم في وسط هؤلاء الذين لديهم مستوى أقل بكثير. يمكن أن يخلق هذا بيئة من الطمع، بالإضافة إلى وضع مثال غير واقعي يسعى السكان المحليون إلى تحقيقه. على سبيل المثال، إذا امتلك شخص من الغرب سقفاً معدنياً في منزله، فيمكن أن يكون رمزاً للمكانة العالية بالنسبة إلى السكان المحليين، ويجعلهم يجاهدون لتوفير ما يكفي من المال

١٠ ويندل بيرري Wendell Berry، لماذا الناس؟ What Are People For، (بيركلي: Counterpoint Press،

شراء واحد. وهذا يُمكن أن يكون له الأسيبة على الاحتياجات الأخرى في حياتهم، ويكون سعياً واستخداماً غير ضروري لأموالهم.

حين تُرسل الدول الغربية مساعدات أجنبية إلى دول العالم الثالث، فغالباً ما يأتي التوقع بنوعية المساعدات التي يحتاجونها وفقاً لقيم الغرب، بالإضافة إلى إعطائهم أهمية كبرى للتغلب. بينما العديد من هذه الدول لا تمتلك البنية التحتية لإدارة كمية ونوعية النفايات التي تستوردها، والتي ينتهي بها الحال بعد ذلك بالتسبب في المزيد من التلوث وجميع المشاكل التي ترافقها، بما في ذلك تلوث مياه الشرب. تقع على عاتق الدولة التي تُرسل المساعدة مسؤولية النظر إلى الإطار الثقافي لأولئك الذين تساعدهم وعليها التصرف تصرفاً مدروساً.

يجب أيضاً فهم
التوقعات المتعلقة
بجودة الحياة
في إطار الثقافة
المحلية وليس
فرضها عليها
من الخارج.

٥. الإقتصاد

إن الإقتصاد الحقيقي ليس مجرد تعظيم الأرباح، بل هو إدارة دقيقة للموارد المتاحة التي تتطلب ضبط النفس وفهم الحدود التي يفرضها الواقع. وبما أن الأرض ملك للرب، فنحن جميعاً نستخدم موارده التي هي جزء من الأمانة المشتركة المقدمة لنا من أجل مصلحتنا المشتركة. عندما يؤدي الإقتصاد القائم على الربح إلى استخدام الموارد فبذلك تنهش الإدارة المتأنية والمصلحة العامة. فيمكن أن يكون هناك اضطرابات إجتماعية بسبب تعارض الدوافع الشخصية. كما رأينا، هذه المرة وحول العالم، كيف يُمكن لعدم إدارة الموارد بشكل دقيق أن تقود إلى أمور مثل الجفاف أو المجاعة. وحين نتواجه مع حقيقة أننا نمتلك بدائل قليلة لنجعلنا على قيد الحياة، يمكن أن تدفع الحاجة المادية الشديدة البشرية الخاطئة إلى الظلم والطمع والعنف، كما يُمكن للأشخاص اللبائسين أن يقوموا بأشياء بائسة.

نحن نواجه أيضاً قضية الملاك الغائبين في بقاع كثيرة من العالم. يمكن للشركات المتعددة الجنسيات أن تستخرج الموارد من منطقة ما، ممّا يتسبب في أضرار بيئية محلية كبيرة، في حين قد يعيش المديرون التنفيذيون الأثرياء في

يجب أن
نعيش بمحبة
مع جيراننا،
وأن ننمي
ثقافة الرعاية
والوكالة
على الأرض
المشركة التي
نعتمد عليها
جميعاً.

أماكن أخرى ولا يواجهون هذا الدمار مُطلقاً. كيف يمكن للمرء أن يحب جاره حين يُعرفه هذا الأخير حرفياً بفيضان مياه جراء بناء سدّ ما؟ فعلى أولئك الذين يستخدمون الموارد البيئية المشتركة أن يتحملوا التكاليف الاقتصادية والاجتماعية لاستخدامهم لها، وليس أولئك الذين يُصادف وجودهم في ذلك المكان. وعليه، فإن الاقتصاد السليم يؤدي إلى توازن في الحياة لجميع الذين يتأثرون نتيجة للأعمال البيئية.

إن وسائل ومصادر الاقتصاد السليم تنظر بشمولية إلى النظام، وذلك بهدف تحديد كيفية إدارة الأشياء بالطريقة الأفضل. يجب أن ندع النعمة التي تلقيناها، إن كان من خلال عطية الفداء أو عطية العالم الطبيعي، فتظهر بوضوح في كيفية منحنا لهذه النعمة للآخرين وللخليفة. تُشجع الروحية المسيحية

على الاعتدال والقدرة على الاكتفاء. يجب أن نعيش بمحبة مع جيراننا، وأن ننمي ثقافة الرعاية والوكالة على الأرض المشتركة التي نعتمد عليها جميعاً. فالإقتصاد العامل المراعي لشؤون البيئة يساعد على ضمان ذلك.

الخاتمة

على الرغم من استبعادنا في الكثير من الأحيان عن المناقشات في الأخلاق المسيحية، إلا أننا نملك توفيراً كتابياً واضحاً للعناية بالعالم الذي منحنا إياه الله، ولدينا أخلاق مسيحية إيجابية لرعاية الخليفة. لا بد أن نُشير أيضاً إلى أن ممارسة الأخلاقيات البيئية مفيدة لنا وتساعد في خلق شخصية فاضلة. عندما نفكر ملياً في العالم من حولنا، فإننا نعمل على خلق انسجام بين عالمنا الداخلي والخارجي. فنحن نعمل على تطوير حياتنا الروحية بالإضافة إلى حياتنا الجسدية في العالم. إذا لم نمارس الرعاية تجاه العالم الذي يحفظنا فكيف سنقدم رعاية حقيقية تجاه الأشخاص الذين يحفظهم العالم؟ إذا أردنا أن نحب جاراننا، فلا يمكننا أن نستخدم الجهل كعذر لنا.

إن كل ممارسة أخلاقية تتطلب جهداً وضبطاً للذات، وهي أيضاً تؤثر على

قراراتنا اليومية. فعندما ننظرُ إلى العالم من حولنا وندرُكُ حقاً أنه ينتمي إلى الربّ، فذلك سيجعلنا نتفحصُ أنماط حياتنا وسلوكياتنا تجاه البيئَة. ومن ثمّ، يصبحُ العيشُ باعتبارنا وكلاء صالحين على الأرض الصّالحة التي منحنا الله إياها أمراً أساسياً لحياةٍ فاضلة.

كما ذكرنا، هناك العديدُ من الأسباب التي تحتُ المؤمنين على وجوب الاعتناء بالعالم الذي خلقه الله. فإنّ واحداً من الأسبابِ الخاصّةِ هو أنّ المؤمنين يُحبّون المسيح، والمسيحُ هو المحورُ الرئيّسيّ للنظام المخلوق، وهو أيضاً صانعه وحافظه.

إذا لم نمارس
الرّعايةَ تجاه
العالم الذي يحفظنا
فكيف سنقدّم
رعايةً حقيقيّةً تجاه
الأشخاص الذين
يحفظهم العالم؟

في البَدْءِ كَانَ الْكَلِمَةُ، وَالْكَلمَةُ كَانَ عِنْدَ اللهِ،
وَكَانَ الْكَلِمَةُ اللهُ. هَذَا كَانَ فِي الْبَدْءِ عِنْدَ اللهِ.
كُلُّ شَيْءٍ بِهِ كَانَ، وَبِغَيْرِهِ لَمْ يَكُنْ شَيْءٌ مِمَّا
كَانَ. يوحنا ١: ١-٣.

الَّذِي هُوَ صُورَةُ اللهِ غَيْرِ الْمَنْظُورِ، بَكَرُ كُلِّ خَلِيفَةٍ. فَإِنَّهُ فِيهِ خُلِقَ الْكُلُّ: مَا
فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا عَلَى الْأَرْضِ، مَا يُرَى وَمَا لَا يُرَى، سَوَاءً كَانَ غَرُوشًا
أَمْ سَيَادَاتٍ أَمْ رِيَاسَاتٍ أَمْ سَلَاطِينٍ. الْكُلُّ بِهِ وَلَهُ قَدْ خُلِقَ. الَّذِي هُوَ قَبْلَ كُلِّ
شَيْءٍ، وَفِيهِ يَقُومُ الْكُلُّ. كولوسي ١: ١٥-١٧.

اللهُ، بَعْدَ مَا كَلَّمَ الْأَبَاءَ بِالْأَنْبِيَاءِ قَدِيمًا، بِأَنْوَاعٍ وَطُرُقٍ كَثِيرَةٍ، كَلَّمَنَا فِي هَذِهِ
الْأَيَّامِ الْأَخِيرَةِ فِي ابْنِهِ، الَّذِي جَعَلَهُ وَارثًا لِكُلِّ شَيْءٍ، الَّذِي بِهِ أَيْضًا عَمِلَ
الْعَالَمِينَ، الَّذِي، وَهُوَ بَهَاءُ مَجْدِهِ، وَرَسْمُ جَوْهَرِهِ، وَحَامِلُ كُلِّ الْأَشْيَاءِ
بِكَلِمَةِ قُدْرَتِهِ، بَعْدَ مَا صَنَعَ بِنَفْسِهِ تَطْهِيرًا لِخَطَايَانَا، جَلَسَ فِي يَمِينِ الْعِظْمَةِ
فِي الْأَعَالِي. عبرانيين ١: ١-٣.

تثبتُ حقيقةُ أنّ اللهَ خلقَ العالمَ ويحافظُ عليه أنه ذو قيمةٍ بالنسبةِ إليه. ولكوننا
تابعين للمسيح، يجب علينا تقديرُ الأشياء التي يقدّرُها. إذا لم يكن هناك أيُّ شيءٍ
آخر يجعلنا نهتمُّ بالبيئَة فبالأكيد محبةُ المسيح تفرضُ علينا ذلك. لم يكن اللهُ بحاجةٍ

إلى خَلْقِ أَيِّ شَيْءٍ، لَكِنَّهُ اخْتَارَ أَنْ يَخْلُقَ بِيئَةً جَسَدِيَّةً لَتَكُونَ وَطَنَنَا. فَالْعَالَمُ لَيْسَ مِلْكَنَا بَلْ هُوَ مُلْكٌ لِلْمَسِيحِ. وَهَذَا هُوَ يَقِينُنَا أَنَّ الْمَسِيحَ يَرِيدُ مِنْ وَكَلَائِهِ أَنْ يُدِيرُوا مُمْتَلَكَاتِهِ جَيِّدًا وَيَعْتَنُوا بِهَا.

لَا يُعْتَبَرُ الْمَسِيحُ خَالِقَ وَحَافِظَ الْعَالَمِ وَحَسَبَ، لَكِنَّهُ أَيْضًا مُحَرَّرُهُ وَفَادِيهِ. وَعَلَى الرَّغْمِ مِنْ أَنَّ الْخَلِيقَةَ تَتَنَّنُ فِي الْعِبُودِيَّةِ، فَإِنَّهَا فِي يَوْمٍ مَا سَتَعْتَقُ وَتَخْتَبِرُ الْكَمَالَ، لِأَنَّهَا سَتَشَارِكُ فِي فِدَاءِ أَبْنَاءِ اللَّهِ. يَكْتُبُ بُولْسُ: «فَإِنِّي أَحْسَبُ أَنَّ الْآمَ الزَّمَانَ الْحَاضِرَ لَا تُقَاسُ بِالْمَجْدِ الْعَتِيدِ أَنْ يُسْتَعْلَنَ فِيْنَا. لِأَنَّ انْتِظَارَ الْخَلِيقَةِ يَتَوَقَّعُ اسْتِعْلَانَ أَبْنَاءِ اللَّهِ. إِذَا خَضَعْتَ الْخَلِيقَةَ لِلْبُطْلِ لَيْسَ طَوْعًا، بَلْ مِنْ أَجْلِ الَّذِي أَخْضَعَهَا عَلَى الرَّجَاءِ. أَنَّ الْخَلِيقَةَ نَفْسَهَا أَيْضًا سَتَعْتَقُ مِنْ عُبُودِيَّةِ الْفَسَادِ إِلَى حُرِّيَّةِ مَجْدِ أَوْلَادِ اللَّهِ.» رومية ٨: ١٨-٢١.

تَعْدُ الرُّؤْيَا الأُخْرَوِيَّةُ فِي سَفَرِ الرُّؤْيَا ذَاتَ طَبِيعَةٍ جَسَدِيَّةٍ وَرُوحِيَّةٍ مَجِيدَةٍ. فَلَنْ يَكُونَ بَيْتُنَا الأَبَدِيُّ فِي عَالَمِ أَثَرِيٍّ رُوحِيٍّ، وَإِنَّمَا فِي بِيئَةٍ مَادِّيَّةٍ.

لكوننا تابعين
للمسيح، يجب
علينا تقدير
الأشياء التي
يقدِّرها.

رَبَّمَا لَا شَيْءٌ يُثَبِّتُ صِلَاحَ الْعَالَمِ المَادِّيِّ أَكْثَرَ مِنْ قِيَامَةِ يَسُوعَ الْمَسِيحِ، فَهُوَ قَامَ بِجَسَدِهِ مِنَ المَوْتِ. بِالإِضَافَةِ إِلَى ذَلِكَ، لَقَدْ أَخَذَ الْمَسِيحُ جَسَدًا مَادِّيًّا إِلَى الأَبَدِ، وَكَذَلِكَ سَنَأْخُذُ نَحْنُ أَيْضًا، إِذْ سَنَلْبَسُ فِي الْمُسْتَقْبَلِ أَجْسَادًا مَمَجَّدَةً وَسَنَعِيشُ فِي عَالَمِ مَادِّيٍّ مُمَجَّدِ الَّذِي هُوَ مَسْكَنُ البِرِّ. سَتَزُولُ إِلَى الأَبَدِ جَمِيعُ الأَثَارِ الرُّوحِيَّةِ وَالأَخْلَاقِيَّةِ وَالعَقْلِيَّةِ وَالعَاطِفِيَّةِ وَالجَسَدِيَّةِ الَّتِي تَسَبَّبَتْ فِيهَا اللَّعْنَةُ وَالحَطِيئَةُ. لَنْ يَكُونَ هُنَاكَ

ضَرَرٌ أَوْ اسْتِعْلالٌ أَوْ فِسَادٌ بِيئِيٌّ، بَلْ سَنَأْخُذُ الصِّفَاتِ المُتَاصِلَةَ لِلسَّمَاوَاتِ الجَدِيدَةِ وَالأَرْضِ الجَدِيدَةِ، فَالْكُلُّ لِمَجْدِ اللَّهِ. سَتَصِيرُ البِيئَةُ أَكْثَرَ جَمَالًا وَأَكْثَرَ إِثْمَارًا وَإِرْضَاءً مِمَّا يُمْكِنُ أَنْ نَتَخَيَّلَهُ، وَسَتَسْتَمِرُّ عَلَى هَذَا النِّحْوِ إِلَى الأَبَدِ. عِنْدَمَا نَكُونُ هُنَاكَ، فِي تِلْكَ البِيئَةِ، سَنَجِدُ العَمَلَ وَالرَّاحَةَ عَلَى حَدِّ سَوَاءٍ. لَكِنَّ الأَكْثَرَ مِنْ ذَلِكَ، أَنَّهُ سَنَكُونُ مَعَ خَالِقِنَا وَفَادِيِنَا الَّذِي سَيَمْنَحُنَا الفَرَحَ لِأَنَّنا نَحْيَا فِي حُضُورِهِ. وَبَعْدَ ذَلِكَ، وَلِلْمَرَّةِ الأُولَى، سَنَبْدَأُ فِي فَهْمِ حَقِيقَةِ مَا يَعْنِيهِ أَنْ الأَبْرَارَ سَيَزْهَرُونَ.

أسئلة للتفكير:

١. ما هي وجهة نظر ثقافتك للبيئة؟
٢. هل رعاية البيئة قضية هامة في كنيستك؟ هل يتعين أخذها بجدية أكثر؟
٣. يشتهر مارتن لوثر بأنه قال: «حتى لو علمت أن العالم سيتحول إلى قطع غداً، فسأظل أزرع شجرة تفاحي؟» ماذا يعني هذا؟ هل تتفق مع هذا التصريح؟
٤. هل هناك جوانب في حياتك يجب تغييرها لتقليل من الآثار غير الضرورية على البيئة؟
٥. ما هي النصوص الكتابية الأخرى التي تتحدث عن العناية بالبيئة والوكالة وسيادة الإنسان الصحيحة؟



أخلاقيات قادة الكنيسة

ليس هناك أي جانب من جوانب الحياة خارج نطاق الأخلاق المسيحية، لأن كل جانب من جوانب الحياة يُحكّم عليه بواسطة مقاييس صلاح المسيح المطلق وسيادته الأدبية. وبالتالي، تهتم الأخلاق الكتابية والمسيحية ببعض الموضوعات التي تحظى باهتمام قليل أو لا يهتم بها العلماء الديويون وفلاسفة الأخلاق. تُعدّ أخلاقيات قيادة الكنيسة واحدة من هذه القضايا. ربّما يَنْتبه العالم حين تحدث فضائح بين قادة الكنيسة البارزين، ولكنهم يتغاضون ويتجاهلون السلوكيات اليومية والمسؤوليات الأدبية التي لا بُدّ لقادة الكنيسة أن يتبعوها. ولكن، من الهام إدراك كيف ينبغي أن تكون قيادة الكنيسة التي يُكرّم فيها المسيح ويُقتدى به. ويُقتدى به، فيقدّم القادة الأصحاء روحياً للآخرين مثلاً إيجابياً ليتبعوه، وهذا يعني أنّ القادة الأصحاء والأتقياء يُمكن أن يساعدوا المؤمنين الآخرين على النمو في القداسة والنضوج الروحي.

من المؤسف أنّ واحدة من أكبر المشكلات العملية التي تواجه الكنائس اليوم

حول العالم هي أن العديد من قادة الكنيسة لديهم نظرة غير صحيحة وغير كتابية وغير أخلاقية حيال سلطتهم ومكانتهم وأدوارهم في الكنيسة. فهذه الظاهرة تتجاوز الثقافات واللغات والأعراق والجغرافيا، إذ نجد قادة للكنيسة يسيئون التصرف في التجمعات الكبيرة والصغيرة على حد سواء وهم موجودون بين الفقراء والأغنياء. فربما هم يعملون في الكنائس التي يكون شعبها من المتعلمين أو غير المتعلمين، وغالبا ما تلعب العوامل الثقافية دوراً في ذلك. على سبيل المثال، يُعامل بعض القساوسة في المجتمع الغربي كنيسةهم وكأنها شركة ويتصرفون باعتبارهم رؤساء الشركة. فيمكنهم أن يتعجروا ويكثروا المطالب وأن يكونوا غير صبورين. وفي أماكن أخرى، يطلب بعض الرعاة أن يأخذوا سلطة اجتماعية وتكريماً واحتراماً كبيرين، ويصرُّ بعضهم أن يُعاملهم أعضاء الكنيسة باعتبارهم رؤساء. تُعتبر جميع هذه الاتجاهات خاطئة، وبسبب الدور المؤثر الذي يمتلكه القادة في الكنيسة يُمكن أن يتسببوا في عواقب سلبية طويلة الأمد.

... يمتلك
العديد من قادة
الكنيسة نظرة
غير صحيحة
وغير كتابية
وغير أخلاقية
حيال سلطتهم
ومكانتهم
وأدوارهم في
الكنيسة.

بهذه التنمية اللائقة لقيادة الكنيسة، يجب علينا أن نبذل قصارى جهدنا كي نسمح لتعاليم الإنجيل أن تهيمن على تطورات ثقافتنا وقلوبنا الخاطئة. قد يكون هناك بعض المرونة في كيفية التعبير عن قيادة الكنيسة في الثقافات المختلفة، لكن يجب ألا تنتهك هذه النماذج الثقافية المبادئ الأساسية للقيادة المنصوص عليها في الكتاب المقدس. بالنظر إلى حقيقة أن هيكل إدارة الكنيسة هو موضوع لا هوأى كثيراً للجدل، وكان موجوداً طوال تاريخ الكنيسة، فلن نركز الآن على الهيكل المناسب لإدارة الكنيسة. حيث يوجد لدى بعض الطوائف مجمع شيوخ وقساوسة وسنودس، وهناك طوائف أخرى تتكون من كنائس مستقلة لا تعترف بإقيادة الكنيسة المحلية. كما أننا لن نناقش الآن ما إذا كان لدى الأسقف سلطة أعلى من الراعي أم لا، أو ما إذا كان ينبغي أن يكون لدى الراعي الواحد في الجماعة سلطة أكثر من الشيوخ الآخرين أم لا. ولكن ما سنناقشه هو الاتجاهات الأدبية

التي يجب أن يتَّسَمَّ بها جميعُ القادة الذين أعطاهم المسيحُ لكنيسته. وأفضلُ طريقة للقيام بذلك هو الانتقالُ إلى كلمة الله.

القيادة الخادمة: نصوصٌ كتابيةٌ مختارة

١. سفر العدد ١٢: ٣

«وَأَمَّا الرَّجُلُ مُوسَى فَكَانَ حَلِيمًا جِدًّا أَكْثَرَ مِنْ جَمِيعِ النَّاسِ الَّذِينَ عَلَى وَجْهِ الْأَرْضِ.»

تصف هذه الجملةُ الاعتراضيةُ القائدَ العظيمَ الأوَّلَ لإسرائيل. كان موسى قائداً قوياً، لكنَّه كان يتَّصفُ بالتواضع الشديد. ستجد في الفصل ٣ من سفر العدد

كَانَ مُوسَى قَائِدًا
قَوِيًّا، لَكِنَّهُ كَانَ
يَتَّصِفُ بِالتَّوَّاضُعِ
الشَّدِيدِ.

أنه كان (متواضعاً تماماً). كما نجد في أفسس ٤: ٢ أن التواضع هو العلامة الأولى للعيش بحسب الدعوة التي دُعينا إليها. لا يستطيع القادة أن يكونوا أتقياء إذا تركوا الفضائل المسيحية الأساسية. وفي الحقيقة، هذه واحدة من المبادئ الأساسية للجميع، يحتاج قادة الكنيسة أن يكونوا قُدوةً دائماً في حياة التقوى، إذ يلزمُ على المؤمنين أن يكونوا

متواضعين، وبالتأكيد لا بدُّ أن يكون القادة المؤمنون متواضعين! لا يوجد قواعد أخلاقية خاصة لقادة الكنيسة، وليسوا معفيين من الإلتزامات الأدبية الواجبة على كلِّ مؤمن. ولكن، هم بحاجة لينمَّيزوا في أخلاقياتهم ليجد هؤلاء الذين يقودونهم قُدوةً يتبعونها. لدينا الكثير ليقال بشأن هذه الجوانب لاحقاً.

٢. تثنية ١٧: ١٤ - ٢٠

«مَتَى أَنْتَبْتَ إِلَى الْأَرْضِ الَّتِي يُعْطِيكَ الرَّبُّ إِلَهُكَ، وَامْتَلَكْتَهَا وَسَكَنْتَ فِيهَا، فِإِنْ قُلْتَ: أَجْعَلُ عَلَيَّ مَلَكًا كَجَمِيعِ الْأُمَمِ الَّذِينَ حَوْلِي. فَإِنَّكَ تَجْعَلُ عَلَيْكَ مَلَكًا الَّذِي يَخْتَارُهُ الرَّبُّ إِلَهُكَ. مِنْ وَسْطِ إِخْوَتِكَ تَجْعَلُ عَلَيْكَ مَلَكًا. لَا يَحِلُّ لَكَ أَنْ تَجْعَلَ عَلَيْكَ رَجُلًا أَجْنَبِيًّا لَيْسَ هُوَ أَخَاكَ. وَلَكِنْ لَا يَكُنْ لَهُ الْخَيْلُ،

وَلَا يَرُدُّ الشَّعْبَ إِلَىٰ مِصْرَ لِكَيْ يَكْثُرَ الْخَيْلَ، وَالرَّبُّ قَدْ قَالَ لَكُمْ: لَا تَعُودُوا تَرْجِعُونَ فِي هَذِهِ الطَّرِيقِ أَيْضًا. وَلَا يَكْثُرُ لَهُ نِسَاءٌ لِنَلَّا يَزِيغَ قَلْبُهُ. وَفِضَّةٌ وَذَهَبًا لَا يَكْثُرُ لَهُ كَثِيرًا.

وَعِنْدَمَا يَجْلِسُ عَلَىٰ كُرْسِيِّ مَمْلَكَتِهِ، يَكْتُبُ لِنَفْسِهِ نُسْخَةً مِنْ هَذِهِ الشَّرِيعَةِ فِي كِتَابٍ مِنْ عِنْدِ الْكَهَنَةِ اللَّائِيينَ، فَتَكُونُ مَعَهُ، وَيَقْرَأُ فِيهَا كُلَّ أَيَّامِ حَيَاتِهِ، لِكَيْ يَتَعَلَّمَ أَنْ يَتَّقِيَ الرَّبَّ إِلَهَهُ وَيَحْفَظَ جَمِيعَ كَلِمَاتِ هَذِهِ الشَّرِيعَةِ وَهَذِهِ الْفَرَائِضَ لِيَعْمَلَ بِهَا، لِنَلَّا يَرْتَفِعَ قَلْبُهُ عَلَىٰ إِخْوَتِهِ، وَلِنَلَّا يَحِيدَ عَنِ الْوَصِيَّةِ يَمِينًا أَوْ شِمَالًا. لِكَيْ يُطِيلَ الْأَيَّامَ عَلَىٰ مَمْلَكَتِهِ هُوَ وَبَنُوهُ فِي وَسْطِ إِسْرَائِيلَ.»

لا تُعدُّ أُمَّةُ إِسْرَائِيلَ مطابقةً للكنيسة والقساوسة ليسوا ملوكاً. رغم ذلك، هناك مبادئ في هذا النص يمكن أن تكون مفيدة في تطبيقها على قادة الكنيسة. أولاً، كان لا بد أن يكون الملك جزءاً من جماعة العهد. لذلك، لا بد أن يكون قادة الكنيسة جزءاً من جسد المسيح، أي يجب أن يكونوا مولودين الولادة الثانية. ثانياً، يجب ألا يكون لدى الملك أحصنة عديدة، هذه الجزئية مُرتبطة بالتكنولوجيا العسكرية، إذ يجب على الملك أن يضع ثقته في الله وليس في جيشه وفرسانه. ثالثاً، لا بد للملك ألا يتزوج بعدة نساء، والقصد من ذلك، التحدث عن الدخول في تحالفات سياسية أكثر من الحديث عن أخلاقيات تعدد الزوجات. رابعاً، يجب على الملك ألا يجمع الكثير من الثروة الشخصية. على الرغم من أنه ليس تطبيقاً مباشراً، فإنه يجب على قادة الكنيسة أن يكونوا حذرين لنلَّا يحاولوا البحث عن تحالفات تجعلهم يتفوق بالآخرين أكثر من الله. والأكثر أهمية من ذلك، لا بد ألا يحاولوا أن يصبحوا أثرياء على حساب شعبهم وألا يجعلوا المال وثناً في حياتهم. خامساً، كان على الملك أن يكون شخصاً يعرف بدقة شريعة الله، فلا بد لقادة الكنيسة أن يكونوا أشخاصاً يعرفون الإنجيل ويحبونه. سادساً، يجب ألا يعتبر الملك «نفسه أفضل من إخوته الإسرائيليين». هذا مبدأ هام في القيادة، وبالمثل، يجب ألا يعتقد قادة الكنيسة بأي حال من الأحوال أنفسهم أفضل من أي شخص آخر في الكنيسة. في الحقيقة، ينبغي عليهم أن يدركوا أنهم لا يأخذون هذا الدور في الكنيسة إلا بنعمة الله وعطية منه.

حين يكون المرء قائداً في الكنيسة ينبغي أن يكون متضعاً تماماً. إذا صدق أو تصرف القائد وكأنه أفضل من الآخرين، فإنه سيخبر فشلاً أخلاقياً حقيقياً.

٣. حزقيال ٣٤: ١-٣١

هذا النص طويل جداً لننسخه هنا، لكن ينبغي التأمل فيه وقراءته بعناية. إنه يكشف بوضوح عن موقف الله تجاه القادة الذين يخدمون أنفسهم عوضاً عن أن يخدموا رعاياهم. فيوبخهم الله باعتبارهم رعاة غير جديرين بالثقة وسيأتي عليهم بقضائه، ولكن بعد ذلك يُغيّر التشبيه ويُشير إليهم باعتبارهم حيوانات مؤذية وسط رعيته. هذا أمر هام، على الرعاة أن يفهموه. لكي تكون راعياً، لا بد أن تكون أولاً واحداً من خراف المسيح. إذا اعتقدت أنه كونك راعياً يعني أنك أذكى أو أحكم من مستوى «غباة» خراف رعية المسيح، فأنت مخطئ تماماً. لم

إذا كنت قد
اشتريت بدم
راعيك الصالح
فكيف يمكنك أن
تؤدي الرعايا
الآخرين؟

يُشير مطلقاً إلى خراف المسيح بأنهم أغبياء. فالمسيح يعتني ويحب ويمارس سلطانه على رعيته. تظهر واحدة من التشبهات التي توضح القيادة الرعوية في صورة الراعي. فالراعي البشري هو دائماً ما يكون واحداً من الخراف أيضاً ولا يقل شأنًا عن أي مؤمن آخر. يقول الله، في هذا النص في حزقيال: أنه يحكم بين الخروف والآخر. سيحاسب الله قادة الكنيسة على كيفية معاملتهم لخرافه، وستكتشف أنه الراعي لك كما هو الراعي لهم أيضاً. يُعلم يسوع، في يوحنا ١٠، أن لديه رعية واحدة وهي التي مات لأجلها. فإذا لم تكن واحداً من خراف يسوع، فإنك بالتالي غير مخلص. لكن إذا كنت قد اشتريت بدم راعيك الصالح، فكيف يمكنك أن تؤدي الرعايا الآخرين؟ أنت لست أفضل منهم وينبغي أن تنعكس هذه الحقيقة في اتجاهاتك وسلوكياتك.

٤. مرقس ١٠: ٤٢-٤٥

«فَدَعَاهُمْ يَسُوعُ وَقَالَ لَهُمْ: «أَنْتُمْ تَعْلَمُونَ أَنَّ الَّذِينَ يُحْسَبُونَ رُؤَسَاءَ الْأُمَّمِ يَسُودُونَهُمْ، وَأَنَّ عِظَمَاءَهُمْ يَسْلُطُونَ عَلَيْهِمْ. فَلَا يَكُونُ هَكَذَا فِيكُمْ. بَلْ مَنْ أَرَادَ أَنْ يَصِيرَ فِيكُمْ عَظِيماً، يَكُونُ لَكُمْ خَادِماً، وَمَنْ أَرَادَ أَنْ يَصِيرَ فِيكُمْ أَوَّلًا، يَكُونُ لِلْجَمِيعِ عَبْدًا. أَنَّ ابْنَ الْإِنْسَانِ أَيْضًا لَمْ يَأْتِ لِيُخْدَمَ بَلْ لِيُخْدَمَ وَلِيَبْدُلَ نَفْسَهُ فِدْيَةً عَنْ كَثِيرِينَ.»

في هذا النصّ، سأل يعقوب ويوحنا يسوعَ عمَّن هو الذي يمتلك مكانةً خاصّةً من الكرامةِ والمجد في ملكوتِ الله. فصَحَّ لهم يسوع مفهومهم الخاطيء، ثمّ علّم تلاميذه عن مفهوم القيادة الإلهية وكيف أنّ منهجَهُ وإرسالِيته يتناقضان مع الطريقة التي ينظر بها العالم إلى القيادة. نعم، إنّ أهل العالم يُحبُّون أن يكونوا قادةً ويحبُّون فرض السُلطة والنّفوذ على الآخرين، لكنّ يسوع رَفَضَ هذا الاتّجاه رفضاً قاطعاً وأنكرَ أهمّيته في حياة التلاميذ. ليست قيادة الكنيسة منوطّة بالسُلطة والمكانة بل بالخدمة المُضحّية. لا بدّ أن يكون القادة المؤمنون قادةً خداماً، حيث أنّه من المستحيل أن يكون المسيحُ قدوةً لك دون أن تكون خادماً. أوصى يسوعُ تلاميذه أن يكونوا خداماً للجميع، لذا، لم يجعل ابنُ الله المتجسّد، الربُّ يسوعُ المسيح، التلاميذ يخدمونه. ولكن هو من خَدَمَهُم لدرجّة أنّه سفك دمَه كي يفدي نفوسهم. وعليه، فإذا كان ربُّ الكون يخدمنا بهذه الطريقة، فكيف ينبغي علينا أن نخدم نحن الآخرين؟ يتلاعب الكثير من قادة الكنيسة بكلمة الله ويقولون أنّهم يخدمون الآخرين، لكنهم في الحقيقة يتسلطون على كنائسهم. لذلك، يجب على قادة الكنيسة التوقّف عن أن يخدموا وعليهم البدء في الاقتداء بالمسيح.

٥. يوحنا ١٣: ١-١٧

في هذا النصّ، يلتفت يسوعُ بمنشفةٍ يأخذ العملَ الأكثر وضاعةً الذي يقوم به أصغرُ عبدٍ في البيت ويغسلُ أرجلَ التلاميذ. وبعدها قامَ بهذا العمل، الذي هو عمَلٌ وضيعٌ تماماً في تلك الثقافة، علّم يسوعُ تلاميذه أن يقتدوا بهذه الأعمال. تقول الآيات من ١٢-١٧:

«فَلَمَّا كَانَ قَدْ غَسَلَ أَرْجُلَهُمْ وَأَخَذَ ثِيَابَهُ وَاتَّكَأَ أَيضاً، قَالَ لَهُمْ: «أَنْفَهُمُونَ مَا قَدْ صَنَعْتُ بِكُمْ؟ أَنْتُمْ تَدْعُونِي مُعَلِّمًا وَسَيِّدًا، وَحَسَنًا تَقُولُونَ، لِأَنِّي أَنَا كَذَلِكَ. فَإِنْ كُنْتُ وَأَنَا السَيِّدُ وَالْمُعَلِّمُ قَدْ غَسَلْتُ أَرْجُلَكُمْ، فَأَنْتُمْ يَجِبُ عَلَيْكُمْ أَنْ يَغْسَلَ بَعْضُكُمْ أَرْجُلَ بَعْضٍ، أَنِّي أَعْطَيْتُكُمْ مَثَالًا، حَتَّى كَمَا صَنَعْتُ أَنَا بِكُمْ تَصْنَعُونَ أَنْتُمْ أَيضاً. الْحَقُّ الْحَقُّ أَقُولُ لَكُمْ: إِنَّهُ لَيْسَ عَبْدٌ أَعْظَمُ مِنْ سَيِّدِهِ، وَلَا رَسُولٌ أَعْظَمُ مِنْ مُرْسِلِهِ. إِنْ عَلِمْتُمْ هَذَا فَطُوبَاكُمْ إِنْ عَلِمْتُمُوهُ.»

حتى حين يكون قادة الكنيسة مُعلِّمين ورُعاة صالحين فإنهم لن يصيروا أبداً



إذا فشلنا في التصرف مثل
الخدّام، فإننا في الواقع نتصرّف
وكأننا أكثر أهمية من يسوع

رَبِّ الكَنِيسَةِ. وهنا نجد رَبَّ الكَنِيسَةِ ومُعَلِّمَهَا
يضعُ نَفْسَهُ في مكانة أقل من مكانة عَبْد. يا
قَادَةَ الكَنِيسَةِ: هل كُنَّا نَسْكُم تراكِم باعتباركم
أشخاصاً يسلكون بمثل هذا السُّلوك؟ (بطريقة
حقيقيّة وليس بالرِّياء، برغبة في الخدمة
الحقيقيّة وليس في التظاهر بالتواضع أو
التَّقوى). لاحظ ما قاله يسوع أنه تَرَكَ لنا
مثالاً لكي نَتَّبِعَهُ. فإذا فشلنا في أن نسلك مثل
الخدّام نحن في الواقع نَتَصَرَّفُ وكأننا دَوو
أهميّة أكثر من يسوع. إذا كان يسوع قد

خَدَمَهُم بهذه الطريقة، فمن نحن لنقرّر أننا أفضل من أن نقوم بهذه الأعمال
الوضيعة في الخدمة؟ هذه الخدمة المتواضعة هي الطريق للبركة. إن قادة الكنيسة
الذين يتسلطون على الآخرين ويرفضون أن يكونوا خدماً للجميع هم لا يقتدون
بالمسيح، وبالتالي، هم غير مؤهلين للقيادة في الكنيسة. كان يسوع قائداً خادماً
وهو النموذج والمِيار الكامل لنا.

٦. فليبي ٢: ٥- ١١

«فَلْيَكُنْ فِيكُمْ هَذَا الْفِكْرُ الَّذِي فِي الْمَسِيحِ يَسُوعَ أَيْضاً الَّذِي إِذْ كَانَ فِي صُورَةِ
اللَّهِ، لَمْ يَحْسِبْ خُلْسَةً أَنْ يَكُونَ مُعَادِلاً لِلَّهِ. لَكِنَّهُ أَخْلَى نَفْسَهُ، أَخَذَا صُورَةَ
عَبْدٍ، صَانِئاً فِي شِبْهِ النَّاسِ. وَإِذْ وُجِدَ فِي الْهَيْئَةِ كَانِئِسانَ، وَضَعَ نَفْسَهُ
وَأَطَاعَ حَتَّى الْمَوْتِ مَوْتِ الصَّلِيبِ. لِذَلِكَ رَفَعَهُ اللَّهُ أَيْضاً، وَأَعْطَاهُ اسْماً
فَوْقَ كُلِّ اسْمٍ لِكَيْ تَجْنُبُوا بِاسْمِ يَسُوعَ كُلِّ رُكْبَةٍ مِمَّنْ فِي السَّمَاءِ وَمَنْ عَلَى
الْأَرْضِ وَمَنْ تَحْتَ الْأَرْضِ، وَيَعْتَرِفَ كُلُّ لِسَانٍ أَنَّ يَسُوعَ الْمَسِيحَ هُوَ رَبُّ
لِمَجْدِ اللَّهِ الْآبِ.»

قدّم بولس ترنيمة شهيرة عن المسيح في الأعداد من ٦-١١ موصفاً فيها
الوصايا الأخلاقية التي مفادها أن يكون لنا «فكر» المسيح يسوع نفسه. يوضّح هذا
المقطع بأن فكر المسيح قد قاده إلى أن يُضحي بنفسه بتواضع من أجل الآخرين.

هذه الوصية بأن نقندي بالمسيح هي لكل مؤمن، لذا فهي تشمل بالتأكيد قادة الكنيسة. كما يُشير بولس إلى أن فكر المسيح هو ما قاد الابن إلى التجسد. فعلى الرغم من كونه هو الله، إتخذ بإرادته صورة إنسان كامل، أخلى نفسه وأصبح خادماً للخُطاة. لقد أذل نفسه، ليس فقط بمجيئه إلى الأرض، بل بموته على الصليب. لا نستطيع أن نتخيل عمل خدمة أعظم، وفي الحقيقة، من المستحيل منطقيًا وجود عمل خدمة أعظم من ذلك. ثم تستمر الترنيمة في الاحتفال بنجاح موت المسيح الكفاري و تبرئته في قيامته وصعوده. ويمكننا تطبيق هذا النص من الناحية الأخلاقية عن طريق الاقتداء بإنسانية المسيح وخدمته. فلا بد أن تتسم علاقة قادة الكنيسة بأعضاء الكنيسة الآخرين بهذه التصحية ذاتها التي ليسوع المسيح.

من الواضح جداً أنه لا يمكن الفصل بين تبني هذا الاتجاه والعيش بموجبه. فإذا اقتدى قائد الكنيسة بالمسيح سترى ذلك كنيسته. إن قائد الكنيسة المتعطر الذي يرفض الخدمة يفشل في الاقتداء برَبِّ الكنيسة. لذا نقول مرةً أخرى، يبدو أن لقب «القائد الخادم» هو اللقب الأنسب.

٧. تيموثاوس الأولى ٣: ١-٧

«صَادِقَةٌ هِيَ الْكَلِمَةُ: إِنْ ابْتَغَى أَحَدٌ الْأَسْفُفِيَّةَ، فَيَسْتَهَيِّ عَمَلًا صَالِحًا. فَيَجِبُ أَنْ يَكُونَ الْأَسْفُفُ بِلَا لَوْمٍ، بَعْلَ امْرَأَةٍ وَاحِدَةٍ، صَاحِبًا، عَاقِلًا، مُخْتَشِمًا، مُضِيْفًا لِلْغُرَبَاءِ، صَالِحًا لِلتَّعْلِيمِ، غَيْرَ مُدْمِنِ الْخَمْرِ، وَلَا ضَرَّابٍ، وَلَا طَامِعٍ بِالرِّيحِ الْقَبِيحِ، بَلْ حَلِيمًا، غَيْرَ مُخَاصِمٍ، وَلَا مُحِبِّ الْمَالِ، يُدَبِّرُ بَيْتَهُ حَسَنًا، لَهُ أَوْلَادٌ فِي الْخُضُوعِ بِكُلِّ وَقَارٍ. وَإِنَّمَا إِنْ كَانَ أَحَدٌ لَا يَعْرِفُ أَنْ يُدَبِّرَ بَيْتَهُ، فَكَيْفَ يَعْتَنِي بِكَنِيسَةِ اللَّهِ؟ غَيْرَ حَدِيثِ الْإِيمَانِ لئَلَّا يَنْصَلَفَ فَيَسْقَطَ فِي دَيْئُونَةٍ إِبْلِيسَ. وَيَجِبُ أَيْضًا أَنْ تَكُونَ لَهُ شَهَادَةٌ حَسَنَةٌ مِنَ الدِّينِ هُمْ مِنْ خَارِجٍ، لئَلَّا يَسْقَطَ فِي تَعْيِيرٍ وَفَخٍ إِبْلِيسَ.»

يوضِّح هذا النص أكثر من أي نص كتابي آخر الصفات التي يجب توافرها في الشيخ. فهو يبدأ بالقول أنه ليس من الخطأ أن تطمح لأن تكون قائداً للكنيسة، وأن تكون ناظرًا هذا أمر نبيل وجيد. في اعتقادنا، تُشير كلمات (ناظر) و(شيخ)

إِنَّ الْأَسَالِيبَ
الاستبدادية
والدكتاتورية
في قيادة الكنيسة
هي غريبة تماماً
عن روح هذا
النص.

و(راع) في العهد الجديد إلى الوظيفة نفسها، لكن هذا ليس بالأمر الأكثر أهمية بالنسبة إلى أخلاقيات القيادة في الخدمة. لاحظ أن هذا النص لا يحدد قائمة بالمهام التي يفترض أن يقوم بها الشيوخ، إذ لا يُقدم وصفاً وظيفياً له، لكن يُقدم هذا النص السمات الأخلاقية الضرورية لقائد الكنيسة. فيشكل عام، ينبغي أن يكون قائد الكنيسة فوق الشبهات، بكلام آخر، ينبغي ألا يكون هناك عيوب صارخة وواضحة فيه، مما لا يؤهله للقيام بهذا الدور. لا يوجد شخص كامل بل القادة حتماً سيرتكبون الأخطاء. لن يكون قادة الكنيسة على وشك السقوط

في الخطيئة وحسب، بل إنهم سيخطئون فعلياً. ومع ذلك، يجب أن يكون هناك اتساق واستقامة في حياة القائد والسير مع الله. فحياة القائد في الكنيسة والبيت والمجتمع جميعها هي هامة، ولا يمكن فصلها عن بعضها البعض، لأنها كلها ذات صلة بشخصيته.

حين نقرأ هذه التوصيف للحياة الروحية للناظر، لا يسعنا إلا ملاحظة أن هذه الفضائل يجب توافرها أيضاً في كل مؤمن، سواء كان في مركز القيادة أم لا. يجب ألا يكون الشيوخ مدمني خمر، وكذلك ينبغي ألا يكون أي مؤمن في الكنيسة كذلك! وبالمثل، يجب ألا يكون أي مؤمن عنيفاً أو محباً للمال. إن موهبة التعليم هي أحد الشروط التي لا بد أن تتوافر في الشيخ، ولكن ليس بالضروري أن يمتلك هذه الموهبة الخاصة كل مؤمن، ولكن على عكس جميع الفضائل الواردة في هذا النص التي يجب أن يتصف بها كل مؤمن.

فيما يتعلق بمصطلح (القيادة الخادمة)، هناك بعض النقاط الأساسية: يجب على القائد أن يكون لطيفاً، ويجب ألا يكون مسرعاً في الخصام والشجار. هذا يعني أنه يجب أن يكون شخصاً يسمع ويفكر ملياً في الكلام قبل أن ينطق به. لا بد أيضاً أن يكون صبوراً مع الناس المختلفين معه. يجب على قائد الكنيسة التقيُّ ألا يدفع شعبه إلى الأمام بالشدّة، فهم يحتاجون إلى التشجيع بلطف بين الحين والآخر كي يرتقوا ويثمروا، ولا بد من القيام بذلك بمحبة. ربّما تتطلب الخطيئة معاملة حاسمة، لكن لا بد أيضاً ألا يكون الشيخ شديد القسوة. إن الأساليب الاستبدادية

والدكاتورية في قيادة الكنيسة هي غريبة تماماً عن روح هذا النص. فالكبرياء والتعالي يحرم الشخص من أن يكون (ناظراً مشرفاً).^١ فالأشخاص الذين يعملون في خدمات مع قائد الكنيسة يجب أن يعاملوا بسخاء في النعمة والصبر واللطف. هذا لا يعني أن قائد الكنيسة لا يقود، بل أن يكون حساساً في تعامله مع الآخرين. وأخيراً، بما أن القائد هو تابع للمسيح، يجب أن يكون هدفه بركة الأشخاص بخدمة متواضعة ومليئة بالمحبة.

٨. بطرس الأولى ٥: ١-٤

«أطلب إلى الشيوخ الذين بينكم، أنا الشيخ رفيفهم، والشاهد لآلام المسيح، وشريك المجد العتيد أن يعلن، ارعوا رعية الله التي بينكم نظاراً، لا عن اضطراب بل بالأختيار، ولا لربح قبيح بل بنشاط، ولا كمن يسود على الأنصبة، بل صائرين أمثلة للرعية. ومتى ظهر رئيس الرعاة تناولون إكليل المجد الذي لا يئلى. كذلك أيها الأخذات، اخضعوا للشيوخ، وكونوا جميعاً خاضعين لبعضكم لبعض، وتسربلوا بالتواضع، لأن: «الله يقاوم المستكبرين، وأما المتواضعون فيعطيهم نعمة.»

تعد كلمات بطرس هذه، كلمات بسيطة وعميقة وجميلة. على الرغم من أنه رسول للمسيح ولديه سلطة على هؤلاء الشيوخ، فإنه وضع نفسه في مستواهم. فهو رسول، لكنه أيضاً راع، مثلهم تماماً. يُخبر بطرس الشيوخ بأنه يجب عليهم أن يعتنوا بقطيع الله ويهتموا به. فعليهم أن يقوموا بهذا الدور في الاهتمام والرعاية وأن لا يهملوه. بعد ذلك التوجيه العام، يُقدم بطرس ثلاث مجموعات من التباينات تميز راعي رعاية الله.

أ. ينبغي على قادة الكنيسة ألا يخدموا على مضض

ينبغي على القادة ألا يتذمروا من المهام التي دعاهم الله للقيام بها، ويجب

١ لاحظ أن التفسير المنطقي لتيموثاوس الأولى ٣: ٦ هو أن المؤمن الجديد الذي يتم تعيينه في القيادة قد يصبح مغروراً وبالتالي يتم تدميره. يُعد الكبرياء والغرور أمرين قاتلين في القيادة. فالقيادة تتطلب النضوج الروحي لإدراك الفرق بين ممارسة السلطة بتواضع مقابل التعامل باستبداد متعجرف. هذا التمييز يستغرق وقتاً ليتطور. إن الكبرياء يؤدي إلى إذية الجميع في الكنيسة بمن فيهم الشخص المتكبر. فعلى القادة الشباب أن يضعوا هذا في اعتبارهم، وعلى الجماعة الناضجة المساعدة في حماية هؤلاء الذين يحثون عن القيادة. يجب أن يكونوا جاهزين لأن التوظيف في القيادة بسرعة كبيرة سيضر ولن يساعد المرشح المحتمل للمنصب.

ألا يَسْتَاوُوا من الخراف، بل على العكس من ذلك، يَنْبَغِي أن يخدموا بإرادَتِهِم بالطَّرِيقَةَ التي يُرِيدُهُم الله أن يخدموا بها. ببساطة، لا تَتَحَقَّقُ القِيَادَةُ الخَادِمَةُ عن طريق أداءِ مَهَامَ وَضِيعَةٍ، بل لا بُدَّ أن تَنبَعَ أفعالنا من قلبِ مُحِبِّ. إذا كان قائدُ الكَنِيسَةِ لا يريد أن يكرمَ المَسيحَ ويبارك رعيته، فلن يستطيع إرضاءَ الله بصرفِ النَّظَرِ عن عددِ الأقدام التي غسلوها أو عددِ الأشخاص الذين أعطوهم من وقتِهِم ومن ممتلكاتهم.

ب. ينبغي ألا يكونوا في الخدمة لأجل أنفسهم

من الممكن الحصول على ربحٍ قبيحٍ عن طريق الاستفادة من أعضاء الرعية أو حتى بسرقة أو اختلاس تبرعات وأموال الكنيسة. وكما كان على ملك إسرائيل ألا يستولي على الكثير من الفضة والذهب، كذلك يتعين على قادة الكنيسة أن يكونوا مكثفين بما يُعطيه الله لهم من خلال القنوات الشرعية.

لا بُدَّ أن يتوق القادة إلى خدمة الآخرين عوضاً عن أن يهتموا بمصلحتهم الشخصية. انتبهوا لهذه الجملة! يجب ألا يكون القادة خُداماً وحسب، بل يجب أن يرغبوا في أن يكونوا خُداماً ويجب عليهم أن يتوقوا لأن يخدموا. وفضلاً

عن أن يجلس القادة المؤمنون الحقيقيون يتوقعوا أن يخدموا من قِبَلِ النَّاسِ، فإنه ينبغي أن يفيضوا على الآخرين ويُساعدوهم في بناء أنفسهم وفقاً لاحتياجاتهم. فالقائد المسيحي التقى يفرح جداً حين يرى نجاح الآخرين ويرى أنهم يدركون إمكانياتهم ويتشبهون بالمسيح. يجب على القائد التقى أن يتوق لأن يخدم الآخرين عوضاً عن أن يُخدم، متى ٢٠: ٢٨، فهم يعرفون أنه يوجد بركة أعظم في العطاء أكثر من الأخذ، أعمال ٢٠: ٣٥.

لا بُدَّ أن يتوق
القادة لخدمة
الآخرين عوضاً
عن أن يهتموا
بمصلحتهم
الشخصية.

ج. يجب ألا يتسلط القائد على الآخرين بمكانته وسلطته

يشير يسوع وبولس وبطرس جميعهم إلى أهمية أن يكون القادة خُداماً بالحق. هذا التكرار يهدف إلى مساعدتنا على فهم مدى أهمية هذا لقادة الكنيسة، فعليهم ألا يصيروا الأشخاص الذين يتلذذون بالمركز أو بالسلطة. لا يوجد شيء يتنافى مع

المثال الذي قَدَّمه الْمَسِيحُ فِي حَيَاتِهِ عَلَى الْأَرْضِ أَكْثَرَ مِنْ مَشْهَدِ رَاعٍ مُتَكَبِّرٍ يَخْدُمُ نَفْسَهُ. فَعَوِضًا عَنْ أَنْ يَتَشَبَّهَ الْقَادَةُ الْمُؤْمِنُونَ بِالْعَالَمِ، الَّذِي يَقُولُ يَسُوعُ عَنْهُ أَنَّ فِيهِ يَجِبُ النَّاسُ أَنْ يَمَارِسُوا السُّلْطَةَ وَالتَّسَلُّطَ عَلَى الْآخَرِينَ، يَجِبُ عَلَيْهِمْ أَنْ يَكُونُوا قَدْوَةً لِلرَّعِيَّةِ. وَبِمَا أَنَّ الْمَسِيحَ هُوَ أَعْظَمُ مَثَالٍ فَيَجِبُ عَلَى قَادَةِ الْكَنِيسَةِ الْاِقْتِدَاءَ بِهِ. نَحْنُ قَدْ رَأَيْنَا بِالْفِعْلِ الْمَثَالَ الَّذِي أُعْطِيَ لَنَا جَمِيعًا، سِوَا كُنَّا قَادَةً أَمْ لَا، إِذْ يُظْهَرُ هَذَا الْمَثَالَ الَّذِي قَدَّمَهُ لَنَا الْمَسِيحُ التَّوَاضُّعَ، الْخِدْمَةَ، التَّضَحِّيَّةَ بِالذَّاتِ وَالْمَحَبَّةَ، فَالْمَسِيحُ هُوَ مَثَالُ الْقَائِدِ الْخَادِمِ. يَقُولُ بَطْرُسُ أَنَّهُ عَلَى الشُّيُوخِ أَنْ يَكُونُوا قَدْوَةً لِلرَّعِيَّةِ وَهَذَا يَتَطَلَّبُ تَشَبُّهًا بِالْمَسِيحِ. وَعَلَيْهِ، فَإِنَّ أَيَّ شَيْخٍ لَيْسَ قَائِدًا خَادِمًا فَهُوَ لَيْسَ شَخْصًا حَقِيقِيًّا، بَلْ هُوَ مُحْتَالٌ وَذَنْبٌ فِي ثِيَابِ حَمَلٍ.

التأديب الكنسي

لَقَدْ قِيلَ مَا يَكْفِي لِإثباتِ أَنَّ الْاِقْتِدَاءَ بِالْقِيَادَةِ الْخَادِمَةِ لِلْمَسِيحِ هِيَ صَمِيمٌ قِيَادَةٌ الْكَنِيسَةِ الْحَقِيقِيَّةِ. عَلَى الرُّعَاةِ وَالشُّيُوخِ إِظْهَارُ الْفَضَائِلِ الْإِلَهِيَّةِ، وَالتَّشَبُّهُ بِالْمَسِيحِ وَخِدْمَةُ الْآخَرِينَ بِمَحَبَّةٍ. وَمَعَ ذَلِكَ، لَا تَتَعَارَضُ أَيُّ مِنْ هَذِهِ الْحَقَائِقِ مَعَ حَقِيقَةِ أَنَّهُ يَجِبُ عَلَى الْقَادَةِ أَنْ يَقُومُوا بِدَوْرِهِمُ الْقِيَادِيَّ. كَانَ كُلُّ مَنْ مُوسَى وَيَسُوعَ وَبَطْرُسَ وَبُولُسَ قَادَةً أَقْوِيَاءَ. يَجِبُ عَلَى الرَّعِيَّةِ أَنْ تُكْرِمَ وَتُحْتَرَمَ قَادَةَ الْكَنِيسَةِ، تِيموثَاوَسُ الْأُولَى ٥: ١٧، عِبْرَانِيِّينَ ١٣: ١٧. بِالطَّبَعِ، لَا بُدَّ أَنْ يَكْتَسِبَ قَادَةُ الْكَنِيسَةِ هَذَا الْاِحْتِرَامَ وَالْإِكْرَامَ وَلَا أَنْ يَطَالِبُوا بِهِمَا فَقَطْ.

عَلَى الرَّغْمِ مِنْ وَجُودِ مَهَامٍ مُتَنَوِّعَةٍ يَحْتَاجُ قَادَةُ الْكَنِيسَةِ إِلَى الْقِيَامِ بِهَا، تُعَدُّ وَاحِدَةً مِنَ الْأُمُورِ الصَّعْبَةِ عَلَى كُلِّ مَنْ الْقَائِدِ وَالْكَنِيسَةِ هِيَ مُمَارَسَةُ التَّأْدِيبِ الْكَنِسِيِّ. غَالِبًا مَا يَكُونُ الرُّعَاةُ فِي الْمَكَانَةِ الَّتِي يَعْرِفُونَ فِيهَا مَعْلُومَاتِ حَسَّاسَةً، وَكَثِيرًا مَا يَحْتَاجُونَ إِلَى حِكْمَةٍ حِينَ يَأْتُونَ لِلْمُوَاجَهَةِ وَتَصْحِيحِ الْخَطَأِ. حَيْثُ يُعَدُّ التَّعَامُلُ مَعَ النَّاسِ الَّذِينَ فِي الْأَرْمَاتِ النَّاجِمَةِ عَنِ السُّلُوكِ وَالِاتِّجَاهَاتِ الْخَاطِئَةِ أَمْرًا صَعْبًا. هَذَا هُوَ الْمَكَانُ الَّذِي يَجِبُ عَلَى الْقَادَةِ أَنْ يَسْلُكُوا فِيهِ بِالرُّوحِ وَأَنْ يُظْهِرُوا النَّصُوحَ التَّقْوِيَّ. فَكُونُكَ قَائِدًا خَادِمًا مُتَوَاضِعًا وَمُحِبًّا لَا يَسْتَبَعُدُ تَأْدِيبَ الْمُخْطِئِ حِينَ يَتَطَلَّبُ الْأَمْرَ التَّأْدِيبِ. لَكِنْ حَتَّى أَثْنَاءَ مُمَارَسَةِ التَّأْدِيبِ الْكَنِسِيِّ تَكُونُ الْقِسْوَةَ وَالْمَرَارَةَ وَالغَضَبَ وَالْأَنْانِيَّةَ غَيْرَ مَقْبُولَةٍ. كَمَا سَنَرَى، نَحْنُ بِحَاجَةٍ دَائِمًا إِلَى التَّشَبُّهِ بِفَضَائِلِ الْمَسِيحِ.

يقول يسوع: «وإن أخطأ إليك أخوك فأذهب وعاتبه بينك وبينه وحدكما. إن سمع منك فقد ربحت أخاك. وإن لم يسمع، فخذ معك أيضاً واحداً أو اثنين، لكي تقوم كل كلمة على فم شاهدين أو ثلاثة. وإن لم يسمع منهم فقل للكنيسة. وإن لم يسمع من الكنيسة فلنكن عندك كالوثني والعشار. الحق أقول لكم: كل ما تربطونه على الأرض يكون مربوطاً في السماء، وكل ما تحلونه على الأرض يكون محلولاً في السماء. وأقول لكم أيضاً: إن اتفق اثنان منكم على الأرض في أي شيء يطلبانه فإنه يكون لهما من قبل أبي الذي في السماوات، لأنه حيثما اجتمع اثنان أو ثلاثة باسمي فهناك أكون في وسطهم.»

يضع يسوع في هذا النص التسلسل اللازم لمواجهة وتصويب خطأ الشخص

غير التائب عن الخطية. في البداية لا بد من معالجة الأمر بطريقة فردية قدر الإمكان، ينبغي أن تكون الحادثة الأولى بين شخصين، إذا أمكن ذلك. والآن، إذا ارتكبت الخطية علناً أو أنها كانت فاضحة بشكل خاص (أو غير قانونية)، فسيتم إشراك أشخاص أكثر من البداية. ولكن الطريقة المثالية التي يرغب يسوع في أن نتعامل بها مع الخطية هي الطريقة الهادئة، التي فيها يتحدث الشخصان ويتوب الخاطئ. ولكن إن لم يتوب، فعندئذ يتعين على الفرد الذي تحدث معه في البداية أن يحضر عدداً قليلاً من الشهود، والغرض من ذلك هو أن تساعد هذه المجموعة الصغيرة الشخص

خطوات التأديب الكنسي:

١. من فرد لآخر: أشر إلى خطية المرء بينكما أنتما الاثنين فقط
٢. مجموعة صغيرة: اذهب ومعك واحداً أو اثنان آخران كي تقنأوه إلى التوبة
٣. الكنيسة: إذا كان الخاطئ لا يزال يرفض الاستماع، أخبر الكنيسة وعامله باعتباره غير مؤمن وحاول أن تقوده إلى الخلاص.

الخطي كي يرى خطورة الأمر، وتساعد له كي يعترف بخطيئته ويتعد عنها. ولكن، إذا فشلت هذه الطريقة في أن تقوده إلى التوبة، فعندئذ تكشف الخطية

للكنييسة. هذه هي الخطوة الأخيرة في عملية التأديب الكنسي، ولا نأمل الوصول إليها مطلقاً. ولكن، حتى في هذه المرحلة، يكون الهدف هو الإصلاح والتوبة. وحين لا يصغي الخاطئ غير التائب إلى الكنييسة بكاملها، لا يوجد شيء آخر يمكن فعله. إذا أخبرتنا الكنييسة أننا نخطئ ونحتاج إلى التوبة، فيجب علينا أن نبحت في قلوبنا بعناية ونسرع إلى الإصغاء. عندما يتم إتخاذ هذه الخطوة الأخيرة، وما زال الشخص مُصرّاً على عدم التوبة، فلا بد أن تُعامل الكنييسة هذا الشخص باعتبارهِ وثنيّاً أو عشاراً. كيف عومل هؤلاء الناس؟ لم تتم معاملتهم كجزء من الكنييسة، ممّا يعني أنه يجب اعتبارهم غير مُخلصين. لكن وبالطبع، تحاول الكنييسة كسب الضالّ وبالنهاية فإنّ الهدف ليس العقاب بل الخلاص نفسه.

٢. كورنثوس الأولى ٥: ١-١٣

يتعامل بولس في هذا المقطع مع فشل كنييسة كورنثوس في ممارسة التأديب الكنسي على التباهي الجسيم بالخطيئة. وتعتقد كنييسة كورنثوس أنهم ذوو ذهنٍ مُستنير ويسلكون بالروح عن طريق التسامح مع خطيئة هذا الشخص المُخطئ، لكن يصرُّ بولس أنّ هذا الشخص يحتاج إلى عزله من الكنييسة. تُعدُّ كلماته قويّة للغاية: «باسم ربِّنا يسوع المسيح إذ أنتم وروحي مجتمعون مع قوة ربِّنا يسوع المسيح أن يسلم مثل هذا للشيطان لهلاك الجسد، لكي تخلص الروح في يوم الربِّ يسوع» كورنثوس الأولى ٥: ٤-٥. على الرغم من جدال المُفسرين حول ماذا تعني «أن يسلم مثل هذا للشيطان»، فمن الواضح أنها تعني استبعاده من حماية الكنييسة، فيفترض أنّ هذا من شأنه ان يجعل هذا الشخص يُدرك إلى أي حدّ هو ساقط في الخطيئة. فحين يُبعد من الحضرة الإلهية، سيكتشف تماماً ما الذي في قلبه ونفسه. إذ ليس الغرض من ذلك هو العقاب والتعذيب بل على العكس من ذلك، الهدف هو خلاص نفسه. وعليه، لا بد أن يكون الإصلاح والاسترداد هو الهدف دائماً من التأديب الكنسي الكتابي.

٣. غلاطية ٦: ١

«أيّها الإخوة، إن أسبق إنسان فأخذ في زلة ما، فأصلحوا أنتم الروحانيين مثل هذا بروح الوداعة، ناظراً إلى نفسك لئلا تجرب أنت أيضاً.»

القائد المؤمن التقي يمارس الفضائل ويتبع الروح حتى في أصعب الأوقات.

تؤكد هذه الآية بوضوح على ضرورة امتلاك إتجاه صحيح حين نأتي لمساعدة الشخص المقيّد في الخطيئة. مرّة أخرى، تُعدّ طريقة التعامل الأساسية هي اللطف، فلا يحتاج الشخص الذي سقط في الخطيئة إلى إساءة معاملته أو الهجوم عليه، بل هو بحاجة إلى الانطلاق والشفاء. فالقائد المؤمن التقي يمارس الفضائل ويتبع الروح حتى في أصعب الأوقات. يُعدّ التواضع أمراً أساسياً، إذ إنّ القائد المتكبر هو أكثر عرضة للإغراء والسقوط في

الخطيئة. كم هو عدد المرّات التي قرأت فيها في هذه النصوص أنّ القائد المؤمن لا بدّ أن يكون لطيفاً؟ إنّ الشخصية الفاضلة ضرورة حتمية لمواجهة المآزق التي حتماً سيواجهها قادة الكنيسة.

الخاتمة

إستعرضنا في هذا الفصل بعضاً ممّا ذكر في الكتاب المقدّس بشأن قيادة الخدام الأتقياء. وقد رأينا مراراً وتكراراً حاجتنا للاقتداء بالمسيح، أن نكون متواضعين، لطفاء، مُحِبِّين ومُضَحِّين. وإنه لأمرٌ مُخزٍ أن يُظهِر عددٌ من الرعاة وقادة الكنيسة اتجاهات وخصائص معاكسة في خدمتهم. لا يمكننا حتى أن نتخيّل مقدار الضرر الذي لحق بالكنائس في جميع أنحاء العالم من خلال فشل الرعاة والقادة في عيش قيادة خادمة شبيهة بالمسيح إذ يتسم عددٌ كبيرٌ جداً من قادة الكنيسة بالعنف والتكبر والتباعد. لن يكون أيّ قائد كنيسة كاملاً، لكن هناك احتياجٌ عامٌ للتمسك بالفضائل والتقوى. نحتاج جميعاً إلى النعمة والغفران وأيضاً إلى الاقتداء بالمسيح. نترجى ونُصلي إلى الله كيما يملأ أولاده بالروح القدس كي يتمكنوا من اتباع يسوع بطريقة فعّالة وثمرّة. سوف تزدهر كنيسة المسيح حين يضع القادة الخدام الأتقياء الآخرين أمامهم ويعيشون لتكريم وتمجيد إلههم ومُخلصهم القائم من بين الأموات. يسوع، رأس الكنيسة، هو القائد الخادم الكامل، ولأنه هو قدوتنا ومثالنا، لا بدّ أن تكون القيادة الخادمة هي هدفنا.

أسئلة للتفكير:

١. كيف أثّرت ثقافتك في نظرة كنيستك إلى قيادة الكنيسة؟
٢. إذا كان قائد في الكنيسة لا يتصرّف باعتباره قائداً خادماً، ما الذي يُمكن القيام به لتصحيح هذا الوضع؟
٣. ما هي النصوص الكتابية الأخرى ذات الصلة بموضوع قيادة الكنيسة؟
٤. يُركّز هذا الفصل على الفضائل الأخلاقية التي يجب توافرها في القيادة الخادمة. يوجد الكثير ليقال بشأن نوع القوة التي يحتاج إليها القادة. ما هو نوع القوة التي يحتاجها القادة؟ كيف يستطيع القائد أن يعمل توازناً بين خدمة الآخرين وقيادتهم؟

مُتاح أيضاً



يجب على المسيحي أن يُعلن بحياته ويدافع عن حقيقة إنجيل يسوع المسيح . يوضح هذا الكتاب أن الإيمان المسيحي هو كافٍ من الناحية العقلانية (الرأس) ، ومرض عاطفياً وأخلاقياً (القلب) ، وأن بذرة الإنجيل تولد أعمال محبة عملية في العالم (الأيادي). إن أفضل دفاع عن الإيمان المسيحي هو الدفاع عن كل مجالات الحياة وكل مجال من مكونات طبيعتنا البشرية. يتغير كل شيء بحقيقة وقوة يسوع ، وهذا الكتاب يساعد المسيحيين على رؤية كيف أن عقولهم المتجددة وقلوبهم الطاهرة وأيديهم المقدسة كلّها ضرورية للدفاع عن إيمانهم . من السمات الخاصة لهذا الكتاب أنه يوضح مبادئه من خلال حياة الزوج والأب المسيحي الشاب والسرطان الميؤوس منه وموته . كان أندرو روزالوفسكي شاباً ذكياً جداً وكان يتدرّب ليكون متخصصاً وباحثاً في العهد الجديد . كان متزوّجاً من امرأة رائعة ، ولديهما ولدان جميلان . بينما كان السرطان يضربّه ، أظهر أندرو قوة وإقناع بالرجاء الموجود في المسيح وحده . تم نسج قصة أندراوس في جميع حجج هذا الكتاب ، وهي بمثابة توضيح عملي على أن حقيقة وقوة الإنجيل كافيان للحياة والموت .

رأس ، قلب ، أيادي: دفاعيات مغيّرة للحياة

ISBN 978-0-98768-413-4

CAREY
PRINTING PRESS

الصِّدِّيقُ يَزْهَرُ

أَخْلَاقِيَّاتُ الْحَيَاةِ الْمَسِيحِيَّةِ

يتواجه المؤمن في جميع أنحاء العالم وبشكل يومي مع قرارات أخلاقية صعبة. فإن كان على المسيحيين إتخاذ قرارات أخلاقية متينة، ما هو الأساس الذي يجب عليه بناء قراراتهم هذه؟ إن هذه المقدمة للأخلاقيات المسيحية تضع الأسس الكتابية واللاهوتية والفلسفية التي يمكن أن تُبنى عليها الحياة الأخلاقية. فيمكن للمسيحيين اتخاذ قرارات أخلاقية متماسكة بناءً على أسس النظرة الكونية المسيحية والأطر الأخلاقية المتينة.

إن هذا الكتاب يشجّع القراء السّاعين لبناء حياة أخلاقية متوازنة وثابتة من خلال دراسة الأخلاقيات في كلمة الله ومن خلال التحليل العقلاني. فكتاب "الصِّدِّيقُ يَزْهَرُ" سيساعدهم على التفكير والتعبير عن موقفهم الأخلاقي المسيحي في مواجعتهم للقضايا الصعبة ومنها: الإجهاض، القتل الرحيم، التحديات البيئية، التعبير الجنسي، التقنيات الطبية، الحرب، السياسة، العمل والقيادة المسيحية - هذه القضايا وغيرها التي تؤثر على حياة الفرد والمجتمع ككل.

«...مقدمة كتابية واضحة للأخلاق المسيحية، منطقية ومتاحة
ويمكن بأن تكون ذات فائدة كبيرة للقراء حول العالم.»
بول إي إنجل، كاتب ومعلّم

الدكتور **ستيفن د. ويست** هو الراعي المتقدّم لكنيسة كريستويك المعمدانية (كامبريدج، أونتاريو)، وأستاذ مساعد في كلية هيريتج للاهوت في كامبريدج، أونتاريو، وكلية اللاهوت المعمدانية في تورنتو، حيث يدرّس علم اللاهوت الفلسفي والأخلاقي. كما نشر ستيف عدداً من الكتابات وقام بالتدريس في معاهد اللاهوت بالعديد من البلدان حول العالم.

دانييل م. جينيك هي مهندسة معمارية مُعتمدة. تشمل مجالات أبحاثها مواضيع أخلاقية لها علاقة بالبيئة، بناء المجتمعات وعلم البستنة. نشرت دانييل مؤخراً مقالات حول المنظور الإنجيلي للتحديات البيئية والثقافية كما أنها حاضرت في هذه المجالات.

ISBN 978-0-9876841-4-1



CAREY
PRINTING PRESS

Carey International University of
Theology Inc., The Villages, Florida, USA
WWW.CAREYUNIVERSITY.ORG